دكتور محمد صابر عرب

حادث ٤ فبراير ١٩٤٢
وَالحَياة السِّياسيَّة المصريَّة



دار المعارف

حادث ٤ فبراير ١٩٤٢
والحياة السياسية المصرية

تأليف

دكتور محمد صابر عرب

مدرس التاريخ الحديث والمعاصر جامعة الأزهر

الطبعة الأولى ١٩٨٥

الناشر

دار المعارف

الناشر : دار المعارف بمصر — ١١١٩ كورنيش النيل — القاهرة ج.م.ع

تقـــديم

للدكتـــور محمـــود متـــولي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد ...

ففي حياة كل أمة من الامم احداث جسام تترك بصماتها علـــى تاريخها بل وتغير مساره ، وتظل الاجيال تذكرها جيلا بعد جيـــل ، ومن هذه الاحداث التي مرت بتاريخ مصر الحديث حادث ٤ فبراير ١٩٤٢

ورغم أن الحادث لا يعدو أن يكون تدخلا في شئون مصر الداخلية واعتداء على كرامتها ، وبه أكثر الاحداث المماثلة التي وقعت من جـانب بريطانيا سواء في عهد الاحتلال أو في عهد الحماية ، أو بعد الاستقـلال الناقص الذي حصلت عليه مصر منذ سنة ١٩٢٢ الا ان هذا الحادث كان له دوى واسع بين صفوف الشعب المصري اشعل جذوة حماسه ، وذلك في فترة أنتشر فيها الوعي السياسي ابان الحرب العالمية الثانية ولذلك كان لهذا الحادث نتائج عميقة سواء على الصعيد الداخلي من ناحية عـلاقة الشعب المصرى بمختلف القوى السياســية في البلاد : القصر والأحزاب وزعمائها ، او على الصعيد الخارجي من حيث نظرة الشعب نحو بريطانيا وممثليها في مصر وكذا نحو الداعين الى مهادنتها وتوثيق عرى الصـــداقة والتحالف والتعاون معها .

وقد تناول هذا الحادث بالدراسة كثير من الباحثين مصريين واجانب ، ورغم ان هذه الابحاث كانت لهـا قيمتهـا وقت ظهورهـا إلا انه كان ينقصها أمران : الأمر الأول : أن بعض هؤلاء الباحثين كانت لدى كل منهم فكرة مسبقة ووجهـة نظـر معينة اراد ان يثبتهـا ويقيم الدليل عليهـا من خلال كتابته بينما المفروض الا يكون الباحث وجهة نظره الا بعد الانتهاء من الدراسة وعرض كل جوانبها . أما الأمر الثاني : فهو النقص في المصادر التي أعتمدت عليها معظم هذه البحوث وذلك باستقاء المـادة العـلمية والتعرف على وجهات النظر من جانب واحد دون إستقراء وجهات النظـر

الأخرى بالرجوع الى نوعيات اخرى من المصادر ، حتى لقد ذكر احد الباحثين الافاضل الذين اسهموا فى هذه الدراسات بأنه « من ثم لم تدرس هذه الحادثة دراسة كافية من احد المؤرخين » .

ومن ثم جاء هذا البحث الذى أعده الدكتور محمد صابر عرب ليسد هذا النقص .

والدكتور محمد صابر عرب ليس غريبا على فهو تلميذى منذ مرحلة الليسانس ، وهو حاليا أحد فرسان التاريخ الحديث بجامعة الازهر ، وقد عرفت فيه الاستقامة فى الخلق وفى العمل ، ولمست فيه حب مصر الذى تنبض به كل قطرة من دمائه وعروقه صبورا جلدا على البحث حريصا على السعى وراء الحقيقة وحدها ولا شئ سواها مهما كلفه ذلك من جهد ومال ووقت ونصب ، وهو يتمتع بعقلية منظمة وتفكير عميق وقدرة على التحليل .

وعندما أشرفت عليه فى رسالته للماجستير تأكدت لى هذه الصفات والسجايا ، ولذلك فانه عندما طرح موضوع حادث ٤ فبراير لرسالة الدكتوراه رأيت أن صابر عرب هو خير من يستطيع القيام بعبء هذه الدراسة عن هذا الحادث الذى اختلفت فيه الآراء بدرجة جعلت بعض الأطراف توجه تهمة الخيانة الى أطراف أخرى بسبب موقفها خلال هذا الحادث

ولقد دأب محمد صابر عرب على هذا البحث طوال سنوات اربع خرج علينا بعدها بهذه الدراسة التى بين ايدينا والتى حصل بها على درجة العالمية (الدكتوراه) فى التاريخ الحديث بمرتبة الشرف الأولى والتى يسعدنى ويشرفنى أن أكتب لها هذا التقديم وهى فى طريقها الى المطبعة

ولست هنا فى مجال عرض لهذه الدراسة ومحتوياتها فاننى اترك ذلك للقارىء ليتعرف عليها بقراءتها مستمتعا ، ولكننى اود ان اسجل ان ما دفعنى الى كتابة هذا التقديم ليس الرابطة الشخصية ، ولكن ما يتميز به البحث من ميزات عديدة .

ويظهر هذه المميزات اتباع المنهج العلمي من حيث عرض الحقائق التي استقاها من مصادرها الاصلية المتنوعة وعرض وجهات النظر وتحليلها في امانة ودقة وحيدة دون تحيز، ومحاولة الوصول الى اقصى درجات الصدق، وهذه صفة اساسية من الصفات التي يجب ان يتحلى بها الباحث الذي يريد ان يتصدى للكتابات التاريخية وخصوصا في الاحداث الشائكة التي اختلفت فيها الاراء كحادث ٤ فبراير ، وما اشبه الباحث هنا بالقاضي على منصة القضاء العادل .

والى جانب ذلك فان نظرة الى المصادر العديدة والمتنوعة التي استقى منها مادته العلمية لتدلنا على الجهد الكبير الذي بذله والامانة العلمية التي التزم بها ، فمن تقارير الأمن العام واوراق الاحزاب السياسية المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقلعة ، الى وثائق وزارة الخارجية البريطانية من الفترة من ١٩٣٦ حتى ١٩٤٥ والتي تضم معلومات في منتهى الاهمية والخطورة جاءت في المراسلات المتبادلة بين دار السفارة البريطانية في القاهرة ووزارة الخارجية البريطانية .

ولاول مرة بين الكتاب والباحثين المصريين يستخدم الباحث الوثائق الامريكية المتمثلة في المراسلات المتبادلة بين البعثة الدبلوماسية الامريكية في القاهرة ووزارة الخارجية الامريكية وقد جلبها على اقلام ؟ وهي تتضمن معلومات ذات قيمة تاريخية لا يستهان بها

وبالاضافة الى ذلك اعتمد على مضابط مجلسي النواب والشيوخ خلال الفترة من ١٩٣٦ - ١٩٤٥ واستخلص منها مادة علمية على جانب كبير من الاهمية والخطورة ولا اعتقد ان احدا من الكتاب استخدمها واستفاد منها مثلما فعل د. محمد صابر عرب سواء من حيث الكم او الكيف .

وفي اعتقادي ان هذه المضابط كنز غني بالمادة التاريخية يجب ان يلتفت اليها الباحثون في تاريخ مصر الحديث .

وأحب أن أنوه ضمن مصادر المادة العلمية التي استقاها منها بالمقابلات الشخصية التي أجراها مع بعض الزعماء السياسيين الذين مازالوا على قيد الحياة ويمثلون اتجاهات مختلفة ، فمن الوفد التقى بالأستاذ محمد فؤاد سراج الدين ، ومن الجانب الآخر التقى بالأستاذ فتحي رضوان ، ومن الضباط الأحرار التقى بالسيدين حسين الشافعي وخالد محيي الدين .

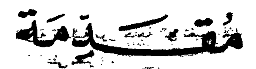
ومما تجدر الاشارة اليه أن الباحث استخدم هذه المصادر الأصلية استخداما حقيقيا ، ولم يفعل مثلما فعل البعض حين يرصعون ابحاثهم بوثيقة هنا ووثيقة هناك لايهام القارىء بأنهم استخدموا وثائق تاريخية أملا في رفع القيمة العلمية لابحاثهم . وتدل على ذلك حواشي البحث فلا تخلو صفحة من عدة مصادر أصلية .

وبهذه الامكانات استطاع الباحث الدكتور محمد صابر عرب أن يتوصل الى حقائق وآراء قيمة ، منها ما يتصل بسياسة « تجنيب مصر ويلات الحرب » وان ما حدث في ٤ فبراير ١٩٤٢ لم يكن سياسة بريطانية بحتة كانت بعض العناصر من الزعماء المصريين ضالعين فيها بالتحريض وتفكير بريطانيا في الغاء النظام الملكي في مصر واقامة نظام جمهوري ورد الفعل لحادث ٤ فبراير على الجيش المصري مما أدى الى مولد حركة الضباط الأحرار ، ومحاولة الملك الانتقام من الوفد بتقويضه من الداخل وتحقق ذلك بانشقاق مكرم عبيد واخيرا وليس آخرا ظهور العديد من الاتجاهات السياسية الجديدة التي كان بعضها يجنح الى العنف وذلك بعد أن فقدت الجماهير ثقتها في الأحزاب القديمة التي كانت تفضل مهادنة الاحتلال .

وباختصار فان هذا بحث متميز يسعدني أن أقدمه لكل مصري يوجه عام ولكل المهتمين بالدراسات التاريخية على وجه الخصوص .

وبالله التوفيق ،،

د. محمود حسن صالح منسي
استاذ التاريخ الحديث بجامعة الأزهر سابقا



ينفرد حادث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ بمكانة خاصة سواء بالنظر للظروف الموضوعية التي ادت اليه او للآثـــــار التي ترتبت عليه وعلى مختلف المستويات .

ولعل البداية العملية لسياسة المصادمات بين القصر والانجليز ترجع الى اواخر سنة ١٩٣٧ حيث تمكن الملك فاروق من إقالة الوفد. تلك الإقالة التي وصفتها الدوائر الامريكية بأنها بداية للعديد من الخلافات بين فاروق والسفير البريطاني في الوقت الذي كان السفير البريطاني قد بذل جهدا شاقا في محاولة الوساطة بين الملك والنحاس ، وكان فشله في تلك المهمة موضع لوم من حكومته .

وقد عرضت في تلك الأزمة فكرة تنحية الملك فاروق عن العرش الا ان الخارجية البريطانية لم توافق عليها بحجة ان هذا الاجراء سيحدث اثرا كبيرا في صفوف الشعب المصري بسبب الشعبية الكبيرة التي يتمتع بها الملك الشـــاب .

ثم تجددت الخلافات في سبتمبر سنة ١٩٣٩ حين وجد السفير البريطاني ان هناك عناصر في القصر تميل نحو الألمان بل ان الملك فاروق شخصيا على علاقة ببعض الدوائر الايطالية ، وفي محاولة من بريطانيا لتطهير القصر فقد صدرت الاوامر البريطانية باخراج على ماهر من الحكم . ثم عادت الازمة مرة اخرى الى الظهور في يونيه سنة ١٩٤٠ بعد ان دخلت ايطاليا الحرب بجانب المانيا وحينئذ اقترحت الحكومة البريطانية تغيير الوزارة فلما عارض الملك طلبوا منه ان يتخلص من مرشحه ، ووجه السفير البريطاني انذارا الى الملك فاروق بضرورة خروج على ماهر من الحكم واستدعاء النحاس والعمل بمشورته . ووافقت الحكومة البريطانية على التهديد بعزل فاروق عن العرش اذا لم يستجب للمطـــالب البريطانية ، وانتهت الازمة بالحل الذي اقتنع به الطرفان فلم يستدع النحاس للتشاور في الموقف وخرج على ماهر من الحكم مع عودته الى رئاسة ديوان الملك . وقد اعرب السفير البريطاني في نهاية تقييمه للأزمة بقوله :

(وقد نخرج من الأزمة الحالية دون حاجة الى تغيير الملك ولكنى اشك كثيرا فى انه سيبقى طويلا ملكا على مصر) .

وفى يناير ١٩٤٢ كان الحكم لوزارة حسين سرى الذى خلف حسن صبرى فى نوفمبر سنة ١٩٤٠. وكان حسين سرى صديقا للانجليز ملبيا كافة مطالبهم غير ان وزارته قد بدات تعانى من ازمات متلاحقة تجمعت كلها أو اغلبها فى يناير ١٩٤٢ . ولعل اشدها خطرا ازمة التموين لدرجة ان الناس هاجموا المخابز للحصول على الخبز وكانوا يتخطفون الرغيف من حامله فى الشوارع وزاد من ضعف هذه الوزارة المظاهرات التى انطلقت والتى تنادى بسقوط الانجليز فى الوقت الذى عجزت فيه الحكومة عن السيطرة على الموقف تماما .

ولعل للدوائر البريطانية كانت وراء حركة الاضطرابات التي عمت العاصمة كوسيلة لما قد تقدم عليه من تدخل . ومن ناحية اخرى فلم تعد الحكومة موضع ثقة فاروق بسبب ازمة حكومة فيشى حيث طلبت بريطانيا من حسين سرى قطع العلاقات مع حكومة فيشى (الشرعية) حدث هذا وفاروق فى رحلته الى البحر الاحمر مما كان سببا فى اقالة وزير الخارجية (صليب سامى) ٤٠ فى الوقت الذى اعتبرت فيه بريطانيا ان اقالة وزير الخارجية المصرى بسبب تلبيته للمصالح البريطانية يعد عملا عدائيا من الملك فاروق موجها ضد المصالح البريطانية .

وهكذا وصلت العلاقات بين بريطانية والقصر الى حد التصادم الفعلى فى الوقت الذى جاوزت قوات المحور حدود مصر واوغلت فى صحرائها وانسحبت القوات البريطانية داخلت مرسى مطروح واضطراب الاحوال فى مصر خوفا من زحف القوات الالمانية والايطالية صوب الاسكندرية .

وهكذا جاءت فكرة تغيير الوزارة المصرية وعودة الوفد كان على فاروق تعليه ان يتخلى عن عرشه مصر .

« وعلى مايبدو فان التفكير فى عزل فاروق وفرض وزارة بمصرية معينة وزعيم مصرى معين كان موضع تفكير واهتمام دائمين من جانب الحكومة البريطانية . من ثم يمكن القول أن حادث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ لم يكن نتيجة قرار أو سياسة اتخذت فجأة وانما كان الفصل الاخير او الخاتمة لسياسة مرسومة كان قد بدأ تنفيذها . ووفقا لرأى الخارجية البريطانية : « ان النحاس هو وحده الزعيم الشعبى القادر على تحويل الدفة — دفة مواطف الشعب من الاتجاه نحو المانيا الى الاتجاه نحو بريطانيا .... »

وهكذا أو عزت السلطات البريطانية الى حسين سرى « رئيس الحكومة » بتقديم استقالته فى الوقت الذى كانت الدوائر البريطانية تعد العدة لعزل فاروق لانه لم يستجب لرغبة بريطانيا فى عودة الوفد فى الوقت الذى كان السفير البريطانى حريص على رد الاعتبار الى نفسه فى نظر حكومته . (عندما فشل فى ابقاء الوفد سنة ١٩٣٧)

اذ كان وزير الخارجية « ايدن » قد وجه اليه نوعا من اللوم لفشله فى الوساطة بين القصر والوفد فى أزمة ديسمبر ١٩٣٧ التى انتهت باقالة النحاس باشا .

وعلى الرغم من أن الوفد قد تنكر لمسئوليته من تلك الاحداث الا ان الوثائق البريطانية قد كشفت الى اى حد كان الوفد ضليعا فى تلك الاحداث .

ويتزايد قيمة حادث ٤ فبراير بالنظر للنتائج التى ترتبت عليه ، حيث تأكد لجموع المصريين ان الوجود البريطانى فى مصر انما هو انتهاك خطير للاستقلال الوطنى ، مهما اتخذ هـذا الوجود من اشكال احتلالا او حماية او معاهدة او تحالف .

وسواء اكانت الاوضاع الدولية هى المسئولية عن التدخل البريطانى او ان الوفد كان ضليعا فى تلك الاحداث فان النتيجة واحدة حيث كان هذا الحادث بداية النهاية للشعبية التى ظل يتمتع بها الوفد على امتداد العقود

لثلاثة السابقة حيث كان الوفد يستمد الجانب الاكبر من شعبيته من خلال صراعة مع الاحتلال البريطانى اما ان يصل الوفد الى الحكم بواسطة الدبابات البريطانية فهو امر لم يالفه المصريون ، وكان من الصعب عليهم أن يتقبلوه .

ويبدو ان فاروق قد استغل هذا الحادث بذكاء شديد حيث تمكن من توسيع دائرة شعبيته لدرجة انه تمكن من اقحام الجيش المصرى فى هذا الحادث واستطاع ان يحظى بشعبية كبيرة وسط صفوف القوات المسلحة .

وفى محاولة من القصر لتدمير الشعبية التى يحظى بها الوفد فقد وقع فى العديد من التجاوزات التى تمخضت عن ظهور تيارات سياسة أخرى من الاخوان . والشيوعين والاشتراكيين وغيرهم انتزعوا قدرا كبيرا من الشعبية التى يتمتع بها الوفد ولعل من اخطر التنظيمات التى تكونت بصورة عملية نتيجة لحادث ٤ فبراير تنظيم الضباط الاحرار . ثم ظهور بعض التنظيمات السرية بهدف اغتيال كل من ساهم فى احداث ٤ فبراير . ويقع التنظيم الحديدى على راس تلك التنظيمات .

غير أنه من الاهمية ان نوضح ان تدخل الانجليز فى شئون مصر الداخلية منذ ان احتلوها فى سنة ١٨٨٢ كان ضد ارادة الحركة الوطنية المصرية ولحماية القصر من الحركة الوطنية لكن ما حدث فى ٤ فبراير ١٩٤٢ كان تدخلا بريطانيا عنيفا تحت وطاة الحرب العالمية الثانية فى صالح حزب الاغلبية « الوفد » بهدف قيام حكومة قوية تتمكن من تطويع مصر سياسيا وعسكريا واقتصاديا لخدمة القوات المتحالفة .

ولعل ما يميز حادث ٤ فبراير انه وقع فى ظل معاهدة ١٩٣٦ والتى استردت مصر بمقتضاها قدرا كبيرا من استقلالها وحريتها ، وكان من المتوقع ان ينتقل الحكم من يد الانجليز الى يد الشعب . ولكن الذى كان متوقعا لم يحدث حيث تأكد لجموع المصريين ان الاحتلال حقيقية واقعة وان معاهدة ١٩٣٦ ماهى الاصورة مزالة لتهدئة النفوس الثائرة .

ومن هنا فقد كان حادث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ اصدق دليل على عدم فاعلية تلك المعاهدة لان ما حدث يعد اعتداء على ابسط حقوق دولة مستقلة .

ولكل هذه العوامل الموضوعية وقع اختياري على حادث ٤ فبراير ليكون موضوعا للدكتوراه التى اشرف بتقديمها الى قسم التاريخ والحضارة بجامعة الازهر وخصوصا وان العديد من الدراسات التى تناولت العلاقات المصرية البريطانية خلال الحرب العالمية الثانية قد اغفلت هذا الموضوع على الرغم من أهميته سواء على المستوى الوطنى أو على المستوى الخارجى .

واذا كانت هناك بعض الدراسات التى تناولت هذا الموضوع الا انها قد تناولته اما من منطلق حزبى أو استنادا الي وجهة نظر واحدة من غير النظر الى وجهات النظر المتعددة سواء التى ساهمت فى صنع الاحداث أو التى سجلت انطباعاتها وهذا ما حاولت أن اتفاداه فى هذه الدراسة التى تناولت هذا الموضوع ولقد حاولت أن اتتبع مراحل الصراع بين بريطانيا والملك فاروق منذ اقالة الوفد (ديسمبر ١٩٣٧) هذا من جانب ومن جانب آخر فقد حاولت رصد كل النتائج التى ترتبت على هذا الحادث وعلى الرغم من اهميتها الا انها لم تحظ باهتمام ملحوظ من الباحثين والمؤرخين .

اما بالنسبة للمصادر والمراجع التى استقيت منها المادة العلمية للبحث فتأتى فى مقدمتها الوثائق البريطانية وهى عبارة عن مراسلات بين السفير البريطانى فى القاهرة (لورد كيلرن) وحكومته فى لندن وهى تسجل لحظة بلحظة تطور الاحداث وتفاقم الخلاف حتى وصل الى طريق مسدود (صباح ٢ فبراير) .

وتبدو اهمية تلك الوثائق فى أنها توضح مسئولية كل القوى التى ساهمت فى صنع الاحداث . ولعل اخطر ما احتوته تلك الوثائق التفكير من جانب الحكومة البريطانية فى إعادة النظر فى النظام الملكى فى مصر عموما ومحاولة استطلاع وجهات النظر المصرية فى اقامة نظام جمهورى شريطة أن يحظى بموافقة الرأى العام .

ثم تاتي الوثائق الامريكية فى مقدمة المصادر التى اعتمدت عليها حيث سجل السفير الامريكى فى القاهرة (كيرك) انطباعاته ومشاهداته من خلال الصراع الدائر بين القصر والانجليز ومحاولة الملك فاروق الزج بالسياسة الامريكية فى الشئون المصرية .

ومن خلال التقارير التى بعث بها السفير الامريكى الى حكومته يبدو ان الدوائر الامريكية كانت على علم بتطور الاحداث اولا بأول الا انها كانت حريصة على عدم التدخل فى الشئون المصرية نظرا لان مصر تقع فى دائرة النفوذ البريطانى فى وقت تحتاج فيه قضية التحالف (البريطانى الامريكى) الى مزيد من الترابط والتفاهم .

ويبدو من الوثائق الامريكية والبريطانية الى أى حد كان التنافس بين القوتين المتحالفتين نظرا لان السياسة الامريكية قد بدأت تبدى اهتماما خاصا لمنطقة الشرق الاوسط فى محاولة لتثبيت اقدامها كبديل عن الاستعمار البريطانى وهو ما كان يسبب ازعاجا شديدا لدى الدوائر البريطانية لدرجة ان اعضاء السفارة الامريكية فى القاهرة كانوا جميعا تحت مراقبة المخابرات البريطانية .

أما عن وجهة النظر المصرية فقد تتبعتها من خلال العديد من المصادر الهامة وفى مقدمتها مضابط مجلس النواب والشيوخ واللذين يعدان تسجيلا حيا للحياة السياسية بكل ابعادها .

واستطيع ان اقول اننى قد استفدت فائدة كبيرة من هذين المصدرين الهامين فى الوقت الذى امتنعت فيه كل الصحف المصرية عن الاشارة الى حادث ٤ فبراير . عملا بقانون الاحكام العرفية فقد شهدت قاعات مجلسى النواب والشيوخ العديد من الاراء المتباينة والتى وصل بعضها الى حد الاعلان صراحة بان النحاس كان على علم بكل ما بيته الانجليز تجاه العرش .

وعلى الرغم من اهمية هذين المصدرين الا أن العديد من الدراسات التى تناولت تاريخ مصر المعاصر لم تعتمد عليها كمصدرين من أهم المصادر المصرية .

وحتى تتكشف الحقائق بكل ابعادها فقد أجريت العديد من اللقاءات الشخصية مع بعض الزعماء السياسيين وأصحاب الرأى والفكر سواء ممن شاركوا فى صنع الاحداث أو ممن عاصروها ، ولعل اهم هذه اللقاءات واعظمها فائدة لقائى مع الاستاذ فؤاد سراج سكرتير عام حزب الوفد (السابق) .

وتاتى اهمية هذا اللقاء لانه يمثل وجهة نظر الوفد الرسمية .

ثم لقائى مع الاستاذ فتحى رضوان والذى شغل منصب نائب رئيس حزب مصر الفتاة ثم رئيسا للحزب الوطنى الجديد عقب انشقاقه على مصر الفتاة بسبب موقف احمد حسين (رئيس مصر الفتاة) من أحداث ٤فبراير ١٩٤٢ م وعلى الرغم من أن فتحى رضوان يمثل وجهة النظر المغايرة للوفد الا انه قد روى الاحداث بموضوعية شديدة ودقة متناهية .

وحتى تستكمل كل اطراف القضية فقد اجريت حوارا موضوعيا مع حسين الشافعى على اعتبار انه يمثل وجهة نظر الضباط ، والانطباع الذى تركته احداث ٤ فبراير على تنظيم الضباط الاحرار .

وعلى الرغم من أن كامل زهيرى (الصحفى) لم يشهد احداث ٤ فبراير الا اننى قد حرصت على اجراء حوار معه نظرا لاهتماماته الخاصة بتاريخ مصر المعاصر ، وقد اقتصر الحوار على تفسير بعض المواقف التى اتسمت بقدر كبير من الغموض وكان لتفسيراته الموضوعية . اهمية كبيرة فى تحليل بعض المواقف ودراستها .

وتبدو اهمية المذكرات الشخصية التى سجل اصحابها أحداث السياسة المصرية من منطلق مواقعهم كمسئولين فى الادارة المصرية . وفى مقدمتها مذكرات الدكتور محمد حسين هيكل ، وحسن يوسف « وكيل الديوان الملكى » وابراهيم امام « رئيس البوليس السياسى » ، وكريم ثابت المستشار الصحفى للملك فاروق ، وابراهيم عبد الهادى « رئيس الوزراء السابق » وجميع هذه المذكرات منشورة اما فى كتب مطبوعة او فى الصحف المصرية .

وعلى الرغم من أنني لم أستند الى آرائهم كحقيقة مطلقة الا انني استطعت تفسير كل هذه الآراء ومطابقتها بغيرها من المصادر الاخرى ثم الخروج بوجهه نظر اعتقد انها اقرب الى الحقيقة التاريخية .

ثم تجيء العديد من الدوريات والتى تناولت الحياة السياسية المصرية يوما بيوم وقد اطلعت على اكثر من عشرين دورية بين يومية وأسبوعية .

ولعل ما يلاحظ ان الدوريات قد أغفلت الحديث عن ٤ فبراير صراحة خروجا من دائرة الوقوع تحت طائلة القانون (الاحكام العرفية) الا ان العديد من الصحف قد تناولته ضمنا وبقى هذا المنع قائما منذ اعتلاء الوفد اريكه الحكم فى ٤ فبراير ١٩٤٢ م .

وبإقالة الوفد تبارت الصحف فى كشف الغموض الذى واكب حصار قصر عابدين وقد نجحت العديد من الصحف فى كشف أطراف القضية . الا ان بعضا من الصحف قد غالت فى عداوتها للوفد بقدر اخرجها من نطاق الموضوعية .

وكان لابد من الرجوع إلى كل الدراسات التى تناولت تاريخ مصر منذ معاهدة ١٩٣٦ م وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية ، سواء ما تعرض منها لحادث ٤ فبراير أو لم يتعرض لـــه .

ولقد كانت طريقة تناولى للموضوع من خلال هـــذا الكم الهائل من المعلومات مبعث تفكير عميق اذ كان السؤال المحير هو : كيف يمكن تقديم كل هذه المعلومات من خلال دراسة تاريخية شاملة تخضع لمنهج البحث التاريخى وتعتمد على كل المعلومات المتاحة بحيث لا نقطع سياق الدراسة أو نقحم معلومات لا حاجة اليها ؟ .

والتزاما بمنهج البحث التاريخى فقد حرصت على تحليل وجهات النظر مهما تباينت ، ولما كان فى بعض الحالات لا توجد الا رواية واحدة عن حادث معين فقد كنت أتناولها بحذر شديد ونظرا لخطورة النتائج التى تعتمد

هترتب على مثل هذه الحالة فقد اعتمدت على منهج علماء الحديث النبوى الشريف الذين توافروا على غربلة الروايات وتحليلها ، سواء مايتعلق منها بالاحاديث النبوية او بالاخبار التاريخية . وقد اتضح لى انهم فطنوا الى خطورة الاعتماد على رواية الاحاد فجعل العلماء الحديث النبوى درجات واشترطوا فيه أن يبلغ عدد المحدثين مبلغا يمنع فى العـــادة تواطؤهم على الكـــــــذب .

وفى الحالات التى كانت تتعارض فيها المصادر فقد كنت أحاول التوفيق بين الخبرين المتعارضين دون النظر الى اجماع الاراء على حادث معين او انفراد راى واحد بوجهة نظر مغايرة لانه من الجائز أن يكون الرأى الواحد هو الصحيح والكثرة العددية لا تحدد حتما صحة ما توردم ، والعبرة قائمـــة فى نوع هذه الكثرة أو فى نوع الواحد من حيث صفات الرواه وظروفهم ، ولا عبرة بالعدد أحيانا فى بعض المسائل التاريخية .

وليس مجرد اتفاق عدة روايات على حادث معين يجعله حادثا صحيحا ففى حياتنا اليومية يميل الناس الى نقل الاخبار والمبالغة فيها وأن أكثر من شخص قد يرجع الى أصل واحد لاستقاء معلوماته وأن عدة صحف قد تنتشر خبرا واحدا أرسله مراسل واحد ، وهو ما قد يحدث فى كثير من الاصول التاريخية .

وعلى الرغم من انني قد التزمت بالمنهج الموضوعى الا اننى لم اسقط الاعتبار الزمنى لاهميته فى العلاقة بين الاحداث التاريخية من جانب ، ولانه يعطى للبحث مدلولا موضوعيا ، على اعتبار أن الفترة الزمنية وعلاقتها بموضوعية الاحداث تضفى على البحث قدرا من الانسجام والتوافق .

ونظرا لتعدد القضايا وتداخلها عن فترة زمنية محددة فقد حاولت أن أتناول كل موضوع بشكل مستقل بحيث يمثل وحدة متكاملة على اعتبار ان كل موضوع يكمل الموضوع السابق له او اللاحق عليه حتى ينسجم البنـــاء وتكتمل الصورة دون ملل او ضيق .

وإذا كانت الفترة الزمنية التي أتناولها تبدأ من ١٩٤٢ م وتنتهي ١٩٤٤م الا ان محاولة استكمال الموضوع اضطرتني الى ان اتناول العلاقات المصرية البريطانية منذ ١٩٣٦ م . على اعتبار أن معاهدة ١٩٣٦ تمثل الجو العام الذي تفجرت عنه قضايا الصراع المختلفة والتي دارت في عدة محاور :

أولها : قضية الصراع بين القصر والانجليز .

وثانيها : قضية الصراع بين القصر والوفد .

وثالثها : قضية الصراع بين الوفد والانجليز .

ولعل هذه المحاور الثلاثة قد انطلقت من الجو العام الذي أحدثته معاهدة ١٩٣٦ م ولذا فقد كان من الضروري أن اتناول العلاقات المصرية البريطانية عقب معاهدة ١٩٣٦ م واجعل من هذه الدراسة تمهيدا لبحثي .

أما الفصل الاول : والذي يقع تحت عنوان جذور حادث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ فانه يعد جزءا اساسيا من احداث ٤ فبراير لانه يتنـــــــاول الظروف الموضوعية التي دفعت بريطانيا الى تجاوز معاهدة ١٩٣٦ والوثوب الى شيء مغاير تماما يعرف في الدبلوماسية المعاصرة « بالتسلط السياسي » .

أما الفصل الثاني : فانه يتناول الوقائع التي حدثت في ٤ فبراير أولا بأول وعلى الرغم من انها قد تبدو ظاهريا احداثا عادية الا انها تعد انتهاكا لابسط حقوق الدولة المستقلة . ومن جانب آخر فان شكل الاحداث وتطورها يساهم الى حد كبير في وضوح الرؤيا مما يسهل مهمة الوصول الى نتائج محـــددة .

أما الفصل الثالث : فكان عنوانه سياسة حكومة ٤ فبراير . وقـــد تناولت في هذا الفصل السياسة التي اتبعتها حكومة الوفد ليس على المستوى السياسي فقط وانما على المستوى الاقتصادي والاجتماعي ايضا ، سواء منها ما يتعلق بالعلاقات المصرية البريطانية او بعلاقات مصر مع بقية دول الحلفاء ومنها ايضا ما يتعلق بموقف حكومة الوفد من قضية الديمقراطية

والتي تعرضت لتفسيرات اجتهادية ولعله من اخطر القضايا التي تناولها هذا الفصل ما يتعلق بديكتاتورية الاغلبية في محاولة مستميتة لتفنيد الاشاعات الناجمة عن ٤ فبراير .

أما الفصل الرابع : وعنوانه : القوى السياسية وموقفها من ٤ فبراير وفي هذا الفصل حاولت أن أضع كل قوة من القوى أمام مسئولياتها ، سواء فيما يتعلق بالاحداث التي ساهمت في صنع ٤ فبراير أو فيما يتعلق بردود الفعل التي واكبت الاحداث وقد تناولت من جانب آخر ما سمى بقضية « النفاق السياسي » حيث تبارت القوى السياسية في التقرب من القصر في محاولة لاستثمار الاحداث وتصعيدها انطلاقا من الصراع التقليدي بين الوفد وبقية الاحزاب الاخرى .

ثم اوضحت العلاقة بين حادث ٤ فبراير وظهور العديد من التيارات السياسية الاخرى ولعل اهمها خطورة تلك التي اتخذت العنف وسيلة لتحقيق أهدافها ثم أوضحت العلاقة بين احزاب الاقلية وبريطانيا والسياسة ذات الوجهين والتي دفعت بريطانيا الى الاستخفاف بالقوى السياسة المصرية .

أما الفصل الخامس : فكان عنوانه : الجيش المصري وحادث ٤ فبراير وقد بينت فيه ردود الفعل التي أحدثها ٤ فبراير داخل الجيش المصري والى اى مدى حظى فاروق بشعبيته وسط الضباط والجنود ثم تتبعت سياسة القصر في محاولة الزج بالجيش في السياسة لتحقيق أهداف سياسة خالصة .

ونظرا لاهمية تنظيم الضباط الاحرار فقد حاولت أن اوضح العلاقة بين ماحدث في ٤ فبراير وردود الفعل التي دفعت الضباط الى تنظيم انفسهم بصورة جدية ، وتطوير حركتهم وانتشارها داخل فروع القوات المسلحة المصرية وفي هذا الفصل ايضا اوضحت موقف الجيش من الوفد ومحاولة النحاس التنكيل بعدد من الضباط بسبب ميولهم المحورية .

أما الفصل السادس : وعنوانه : سياسة القصر عقب ٤ فبراير ١٩٤٢ وقد تناولت فيه السياسة الهادئة التى التزم بها القصر فى محاولة للتوفيق بين الوفد ولعل أخطر تلك المحاولات ما يتعلق بخروج مكرم عبيد عن الوفد ، ولما كان مكرم عبيد يمثل الذراع اليمنى للنحاس فقد حرص القصر على بتر هذا الذراع ، وقد تتبعت دور القصر فى تصعيد حدة الخلاف بين الزعيمين الوفديين . ثم الى أى مدى نجح فاروق فى محاولاته .

ولعل من أخطر القضايا التى تناولتها فى هذا الفصل ما يسمى « بالتنظيم الحديدى » والذى ابتكره القصر بهدف اغتيال كل من ساهم فى صنع ٤ فبراير وفى مقدمتهم النحاس وأمين عثمان وقد نجح التنظيم فى اغتيال أمين عثمان .

وحاولت كشف قدر من الغموض الذى كان يخيم على هذا التنظيم .

أما الفصل السابع : وعنوانه : الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية فى ظل حكومة ٤ فبراير .

وقد أوضحت أن ما حدث فى ٤ فبراير لم يكن هدفا بريطانيا وانما كان وسيلة لتطويع مصر سياسا واقتصاديا لخدمة القوى المتحالفة .

ومن البديهى أن الاوضاع الاجتماعية نتاج طبيعى لكل من العوامل الاقتصادية والسياسية ولذا فقد أوضحت الظروف الاجتماعية التى عاشها الشعب المصرى فى ظل حكومة ٤ فبراير .

أما الفصل الثامن : فقد تناولت من خلاله العلاقات المصريـــة البريطانية على ضوء المتغيرات الجديدة وهذا الفصل ترجمة عملية للعلاقات المصرية البريطانية عقب أحداث ٤ فبراير حتى نهاية الحرب العـالمية الثانية . وفى هذا الفصل أفردت دراسة خاصة عن جامعة الدول العربية وكيف أن فكرة الجامعة قد خرجت من مجلس العموم البريطانى والى أى مدى كانت تهدف بريطانيا من وراء هذه السياسة .

ولا يسعنى الا ان اتقدم بخالص الشكر الى استاذى الدكتور محمــود منسى والذى اشرف على هذا العمل العلمى طوال ثلاث سنوات فعلمنى كيف يكون البحث وكيف تكون كتابة التاريخ لهذا فانى مدين له بكل ما تعلمت بل يزيد .

كما أتقدم بخالص الشكر الى الاستاذ الدكتور مصطفى رمضـــــان والذى أشرف على هذا البحث طوال فترة كتابته والتى استغرقت عاما كاملا.

كما أتقدم الى شيخ المؤرخين الاستاذ الدكتور عبد الحميد البطريق بخالص التقدير لمشاركته فى مناقشة هذا البحث .

واخيرا فاننى احمل وحدى تبعة اى قصور فى النتائج التى توصـــلت اليها فعلى وحدى تقع مسئوليتها . ويشهد الله اننى قد حاولت واجتهدت قدرا امكانتى ومن اجتهد فأخطأ فله اجر ومن أصاب فله أجران .

وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب ،،،،

محمد صابر عـــرب

٢٥/٧/١٩٨٣م .

تمهيد

العلاقات المصرية البريطانية عقب معاهدة ١٩٣٦م

- تنفيذ معاهدة سنة ١٩٣٦ م .

- موقف بريطانيا من الصراع بين الوفد والقصر .

- الوجود البريطاني في السياسة المصرية (ديسمبر ١٩٣٧ - يونية ١٩٤٠م)

تقييم معـــاهدة ١٩٣٦ م :

منذ أن احتلت بريطانيا مصر سنة ١٨٨٢وهي تردد أن الاحتلال مؤقت، ومع ذلك فقد استمر الوجود البريطاني في مصر بـكل ثقله .

وعقب انتهاء الحرب العالمية الأولى في أواخر سنة ١٩١٨ ما لبثت الدول الكبرى المنتصرة والمنهزمة على السواء أن اعترفت بالحماية البريطانية على مصر ولذا فقد كان لبريطانيا مركز متميز في مصر .

وحرصت الحكومة البريطانية على أن تظل تلك العلاقة متميزة على الرغم من قبولها مبدأ التفاوض شريطة الا يتعارض هذا التفاوض مع المكاسب البريطانية .

ولعل الرغبة في الوصول الى التفاهم من جانب مصر، كانت رغبـــة صادقة ، ومع ذلك فقد تعذر الاتفاق سواء في مفاوضات ملنر ـــ سعد زغلول سنة ١٩٢٠ ، أو في مفاوضات كرزن ـــ عدلي سنة ١٩٢١ ، اذ كانت مصر تفاوض وهي طامحة الى التوصل لالغاء الحماية فعلا ، والى الاعتراف بها دولة مستقلة ذات سيادة بينما كانت انجلترا ـــ مع قبولها فكرة الغاء الحماية والاعتراف باستقلال مصر فانها كانت ـ تضع مصالحها في مرتبة الحقوق التي لا تقبل نزاعا ، فتضـيق من استقلال مصر بمقدار ماتتطلبه من ضمانات لصيانة تلك الحقوق .

وبطبيعة الحال لم يكن فشل المفاوضات ليؤدى الى عودة السكينة والاطمئنان الى ضفاف النيل ، فسادت الاضطرابات واتخذت شكلا جعل حكم البلاد من الامور المتعذرة ، فرأت بريطانيا لتذليل هذه المصاعب ربط مصر بمعاهدة في نطاق السياسـة التي حددها تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢(١) ومنذ هذا التاريخ اعتنقت بريطانيا مبدأ التفاوض مع مصر ليس بهدف تحقيق الأماني الوطنية المصرية وانما لاعطاء الوجود البريطاني صفة الشرعية الدولية ، ثم أعقب ذلك سلسلة من المحادثات بين حكومة سعد زغلـــول

---

(١) د . أحمد عبد الرحيم مصطفى ، العلاقات المصرية البريطانيــــة ١٩٣٦ ـــ ١٩٥٦ ص٢ ـــ القاهرة ١٩٧٨ .

وماكدونالد سنة ١٩٢٤ ولكن ما لبثت ان انقطعت تلك المحادثات لاتساع هوة الخلاف بين الطرفين المتفاوضين ، ثم كانت محاولات ١٩٢٧ ، ١٩٣٠ ، ونشلت جميعها ، وبقى الوضع معلقا الى أن تأزم الموقف الدولى اثر اعتداء ايطاليا على الحبشة سنة ١٩٣٥ ، حينئذ شعرت انجلترا بضعف مركزها فى مصر فى الوقت الذى كانت تعتزم فيه ايطاليا الالتجاء الى القوة كوسيلة لفض منازعاتها مع الشعوب الاخرى (٢) وفى نفس الوقت كانت الدعاية الايطالية تدفع المصريين الى الثورة ضد انجلترا وتطالبهم بالتقرب من ايطاليا بل واخذت ايطاليا تطالب بمركز لها فى ادارة شركة قناة السويس (٣) .

وبدأ ينمو لدى بعض القوى الوطنية المصرية اتجاه يقوم على مبدأ التقارب ازاء ايطاليا ، وكانت فى مقدمة تلك القوى جماعة مصر الفتاة (٤) ، وقد وجد ذلك صداه فى ظهور العديد من المنشورات الخاصة بالمسائل العربية والاسلامية ونشطت الجمعيات الالمانية ، والتى اعطت اهمية خاصة للطلبة العرب الذين يدرسون فى المانيا ، واصبحت البلدان العربية مسرحا للدعاية الالمانية ، واستطاع الالمان أن يحققوا بعض الانجازات التى قاموا بها وصمموا على استغلالها فى الوقت المناسب : كانشاء جمعيات وخلايا تميل الى الفاشية بصورة واضحة ، واجراء اتصالات مع الزعماء العرب والساسة واعضاء الصفوة الحاكمة ، ودعوة بعض الساسة العرب الى مهرجانات الحزب النازى التى اقيمت فى نورمبرج الى غير ذلك وكان هذا بالطبع مصدرا لقلق الحكومة البريطانية .

ومن هنا كانت حلجة بريطانيا الى عقد معاهدة مع مصر تكون قائمة على الصداقة والتعاون ، فصداقة مصر ، كما كتب محرر الشئون الخارجية لجريدة التايمز حينئذ « أعظم نفعا للسيادة البريطانية من أورط عديدة فى حالة حدوث حرب فى البحر المتوسط (٥) » .

---

(٢) تقرير لجنة الخارجية ، ملحق بضبطة مجلس النواب ، الجلسة الثانية لدور الاجتماع غير العادى ، ١١ نوفمبر ١٩٣٦ ص ١٤ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٤ .

(٤) لوكاز هيرزويز ، المانيا الهتلرية والمشرق العربى ـ ترجمة الدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى ـ القاهرة ١٩٧١ ـ ص ٣٦ .

(٥) محمد شفيق غربال ، تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية جـ ١ ص ٢٩٦ ، القاهرة ١٩٥٢ .

ولعل بريطانيا ارادت أن يكون استقلال مصر رمزا دبلوماسيا ، أو صيغة تحدد نيات الحكومة البريطانية نحو مصر فى ظرف معين أو شكلا من الاشكال لا يتخذ له هيكلا ولا يصبح حقيقة واقعة الا متى أبرم اتفاق عن الامور المتعلقة بين الدولتين (٦) .

ومن المعتقد أن حاجة مصر إلى التفاوض كانت لا تقل عن حاجة بريطانيا فلقد بدأت بريطانيا تجرى العديد من المناورات العسكرية على ساحل الاسكندرية وعلى الحدود المصرية الليبية من غير رأى السلطات المصرية (٧) مما كان يسبب قدرا من القلق لدى الدوائر المصرية .

وعلى ضوء كل هذه التطورات تكونت فى مصر « الجبهة المتحدة » لتضم جميع الاحزاب ، ما عدا الحزب الوطنى ، على أساس أن جولة جديدة من المفاوضات مع الحكومة البريطانية ستبدأ ، وفى ١٢ ديسمبر سنة ١٩٣٥ قدم زعماء الجبهة مذكرة الى المندوب السامى يلتمسون فيها فتح بـــاب المفاوضات لعقد معاهدة جديدة وفقا للشروط التى تم الاتفاق عليها سنة ١٩٣٠ ، واجابت الحكومة البريطانية بمذكرة وتبليغ شفوى نصرحت فى المذكرة انها فى الوقت الحاضر تريد أن تصل الى ابرام معاهدة برمتها فليس فى وسعها قبول التقيد بنصوص مشروع معاهدة سنة ١٩٣٠ ، أو اى مفاوضة أخرى لم تنته الى اتفاق وأبانت فى تبليغها الشفوى أنها تقترح تمهيدا للمفاوضات أن تتباحث الحكومتان — وبمساعدة مستشاريهما العسكريين بصفة سرية مشروع التحالف المنشود — فى تطبيق الاحكام العسكرية الواردة فى مشروع معاهدة سنة ١٩٣٠ على الحالة التى تغيرت عما كانت عليه من قبل (٨) .

ووفق تطورات الصراع الدولى (حينذاك) فلقد كانت معاهدة ســنة ١٩٣٦ جزءا من استراتيجية بريطانية غايتها تأمين المواصلات البريطانية فى

---

(٦) تقرير لجنة الخارجية ، مضبطة مجلس النواب — الجلسة الثانية ١٠ نوفمبر ١٩٣٦ ص ١٤ .

(٧) د . أحمد عبد الرحيم مصطفى — مرجع سبق ذكره ص ١٣ .

(٨) مضبطة مجلس النواب — الجلسة الثالثة لدور الاجتماع غير العادى ١١ نوفمبر ١٩٣٦م ص ١٨ . —

الشرق الاوسط فى حالة نشوب حرب بين بريطانيا وبين المانيا وايطاليا حيث كان توقيت ١٩٣٦ ، وثيقا بتوقيع المعاهدة البريطانية العراقية سنة ١٩٣٠ ، ثم المعاهدة البريطانية الاردنية سنة ١٩٢٨ م التى عدلت وفق المصالح البريطانية سنة ١٩٣٤م .

وهكذا اقامت بريطانيا علاقاتها قبيل الحرب العالمية الثانية مع البلدان الثلاثة (مصر ، العراق ، شرق الاردن) بالشكل الذى يحقق اغراض السياسة البريطانية ، ويعتبر عنصر الاختلاف بين المعاهدات الثلاث شكليا اكثر منه عمليا .

وعلى الرغم من المبالغات التى أحيطت بتلك المعاهدات ، الا أننا نعتقد أن النفوذ البريطانى قبل توقيع تلك المعاهدات كان نفوذا مباشرا ، ثم أصبح نفوذا غير مباشر ، مستندا الى قوى وطنية تحقق اغراضه وفق معاهدة تتباين وجهات النظر فى تفسير بنودها .

ومن المغالطات الغريبة أن تتفق هيئة المفاوضات المصرية على أن معاهدة ١٩٣٦ قد حققت الاستقلال التام بما لا يتعارض مع حقوق بريطانيا فى مصر (٩) .

ويبدو التناقض الواضح فى هذا التصريح اعتقادا منهم بأن الاستقلال التام لا يتعارض مع ما أسموه بالحقوق البريطانية فى مصر ، واذا كانت المادة الأولى من المعاهدة تنص صراحة على انتهاء احتلال مصر عسكريا بواسطة القوات البريطانية (١٠) فان ذلك يتعارض صراحة مع نص المادة الثامنة والتى ترخص لبريطانيا بأن تضع فى الاراضى المصرية بجوار القنال قوات بريطانية ، بهدف الدفاع عن القنال (١١) ويجد ملحق

---

(٩) مضبط مجلس النواب فى ١٢ نوفمبر ١٩٣٦ ، عن بيان رئيس الحكومة أمام مجلس النواب ص ٤ .

(١٠) نص معاهدة سنة ١٩٣٦ ملحق بمضبطة مجلس النواب — الجلسة الثانية ١١ نوفمبر سنة ١٩٣٩ ص ٣٤ د. عبد العزيز الشناوى ، جلال يحيى : وثائق نصوص التاريخ الحديث والمعاصر ص ٧٤٦ — القاهرة ١٩٦٩م .

(١١) المصدران السابقان .

المادة الثامنة عدد القوات البريطانية بعشرة آلاف جندى وقت السلم ، وأن تتعهد الحكومة المصرية بأن تبنى على نفقتها — مع مساهمة مالية بسيطة من الحكومة البريطانية — ثكنات للقوات البريطانية فى منطقة القنال ، وأن تمد طرقا تصلح للأغراض العسكرية معظمها بين تلك المنطقة وبين كل من الدلتا والاسكندرية والحدود الغربية ، وعلق الجانب البريطانى نقل قواته الى منطقة القنال على استكمال تلك المشروعات على أن تنسحب تلك القوات من مصر حين يصبح الجيش المصرى قادرا وحده على الدفاع عن القناة (١٢) ، ولا يكون لوجود تلك القوات صفة الاحتلال بأى حال من الاحوال ، ومن المتفق عليه ايضا انه اذا اختلف الطرفان المتعاقدان عند نهاية مدة العشرين سنة المحددة على مسألة ما اذا كان وجود القوات البريطانية لم يعد ضروريا فان هذا الخلاف يجوز عرضه على مجلس عصبة الأمم للفصل فيه .

ووفقا للمادة السابقة فان المدة التى تصل بالجيش المصرى الى درجة الدفاع وحده عن القناة تعتبر مبهمة لان الجيش لكى يصل وحده الى الدفاع « عن القناة وحرية الملاحة فيها يجب أن يكون جيشا لا يقل عددا وعدة عن جيش فرنسا أو ايطاليا ، وهما الدولتان الواقعتان على البحر المتوسط ، وان عملية (القدرة) تعتبر حالة نسبية تختلف من دولة الى أخرى ، يضاف الى ذلك ايضا اتهام بريطانيا بعرقلة نمو القدرة العسكرية لمصر كمبرر لتأجيل الجلاء ، وعلى هذا فقد نصت المذكرة الثالثة التى قدمها مصطفى النحاس الى المستر ايدن « يخول البعثة العسكرية البريطانية حق اختيار العناصر القادرة على الارتفاع بمستوى الجيش المصرى عن طريق الاشراف والتدريب دون التقيد بمدة زمنية محددة » (١٣) .

---

(١٢) نفس المصدر السابق .

(١٣) المصدر السابق ، محمد شفيق غربال مرجع سبق ذكره ج ١ ص ٢٧٤ ، د. الشناوى مرجع سبق ذكره ص ٧٤٩ ، القضية المصرية « الكتاب الأبيض » ص ٤٧٨ رسالة من النحاس الى ايدن .

وأعطت المعاهدة حقوقا للقوات العسكرية البريطانية من حيث الانتقال برا أو بحرا أو جوا وكذلك للمخابرات المطلقة من كل قيد سواء بالراديو أو غيره كالتلغراف أو التليفون أو أية وسيلة من وسائل الاتصال المعاصرة (١٤) .

وفي الوقت الذى حصلت فيه بريطانيا على كل الحقوق التى تتمتع بها الدول الاستعمارية فى مستعمراتها حرمت هذا الحق على الدول الأخرى فيما يتعلق باستعمال الشفرة بين ممثلى الدول فى مصر وبين حكوماتهم أصدرت الحكومة المصرية قانونا يحترم استعمال الشفرة الا للدول الحليفة (بريطانيا) فقط مما كان موضع سؤال فى البرلمان المصرى تقدم به النائب الدكتور حنفى ابو العلا ، وعجزت الحكومة عن ايجاد رد مقنع لهذا السؤال (١٥) .

وتشير الوثائق البريطانية الى إن مشكلة التفاوض حول الأمور العسكرية قد أخذت وقتا طويلا وخصوصا فيما يتعلق بالدفاع عن مصر حيث اتجهت نية الحكومة البريطانية الى الابقاء على الوضع العسكرى كما هو ، أو أن تقتصر مهمة الجيش المصرى على الحفاظ على الأمن العام وأن تتفرغ القوات البريطانية للدفاع عن الأراضى المصرية (١٦) .

وقد تمسك المفاوض المصرى بأن يكون الدفاع عن مصر من مهام الجيش الوطنى بحجة أن المعاهدة ستفقد الغرض منها ، وكان النحاس باشا أكثر وضوحا حينما أصر على أن تقوم مصر بمهمة الدفاع عن نفسها وتنمية جيشها حتى يصبح قادرا على القيام بمهماته الدولية — ولن

(١٤) المصدر السابق ص ١٨٤ ، مضابط مجلس النواب « ملحق رقم ١ » مجموعة مضابط دور الانعقاد غير العادى ٢ — ١٩ نوفمبر سنة ١٩٣٦ ص ٣٥ .

(١٥) مضبطة مجلس النواب — الجلسة الحادية والأربعين ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ مايو سنة ١٩٤١ دور الانعقاد الرابع ص ١٣٢ .

يتردد الشعب المصرى فى اجابة داعى الوطن للدفاع عن سلامته بما عـرف عنه من صدق العزم وقوة الايمـان (١٧) .

وقد عبر البعض عن هذه الفكرة بشكل اكثر وضوحا حيث قـال :
« أن على المصريين ان يستعدوا على اعتبار أنهم أصـحاب النصيب الأول فى الدفاع عن بلادهم داخل أراضـيهم وعلى الطليفـة بقيـة المجهـود » (١٨) .

وعلى الرغم من التنازلات العديدة التى قدمتها جبهـة التفـاوض المصرية فيما يتعلق بمركـز القوات البريطـانية فى منطقـة القنـاة وضواحيها الا أن هذه القضية بالذات كانت موضع استجواب فى مجـلس العموم البريطانى ، وقد اشـار وزير خارجية بريطانيـا الى بعـض الأسباب التى من أجلها وافقت الحكومة البريطانية على الانسـحاب مـن مدن مصر الكبرى كالقاهرة والأسكندرية وارجع ذلك الى عاملين : ــ

أولا : أن القوات الحربية البريطانية قوات ميكانيكية يسـهل عليهـا التحرك السريع فى أى وقت والى أى مكان يقتضى سرعة ممكنة .

ثانيا : أن الطيران البريطانى قد اعطى حق التحليق فى أى مكان يراه لازما لأغراض التدريب ، كما أوضح ايدن فى نهاية بيانه (أمـام مجـلس العموم) أن الاماكن التى حددت لتدريب القوات الجوية فى منطقـة السويس هى مناطق صحية ومريحة وتتناسب مع الانتشار السريع التلى أن وشكله من الوصول الى اهدافه بالسرعة المطلوبة (١٩) .

ومن البديهى أن هـدف بريطانيا من عقدها المعاهدة هـو اعطائه وجودها فى مصر صفة الشرعية التى كانت تفتقر اليها منذ احتلالهـا لمصر

---

(١٧) مجموعة مضابط مجلس النواب ، الجلسة الثامنة ــ دور الانعقاد العادى الأول من يونية ١٩٣٩م ص ١٣٠ .
(١٨) جريدة الدستور ٢٣ ، ٢٧ سبتمبر ١٩٣٨ مقال لعباس العقاد .
(١٩) د. محمد عبد الرحمن برج : عزيز المصرى والحركة الوطنيـة المصرية ص ٣٢ القاهرة ١٩٨٠م .

سنة ١٨٨٢ وفى برقية من السيد مايلز لامبسون (سفير بريطانيا فى مصر) الى ايدن وزير الخارجية ما يؤكد هذا المعنى ، فهو يشير فى برقيته الى ما يقال فى القاهرة من أن النفوذ البريطانى فى مصر سيتقلص ويؤكد لامبسون ان هذا الكلام لا يطابق الحقيقة ، فان النفوذ البريطانى ينبغى أن يزداد وان كان من نوع مختلف حيث لم يعد هناك الان عنصر الاملاء ، وانما النصيحة الودية التى ترمى الى المساعدة وأن نحصل على ما نريد بكل لباقة ، ولكن دورنا كحماة لمصر لن يتغير ، بل انه فى الحقيقة قد ازداد قوة ، وأصبح شرعيا بالمعاهدة فبعد أن زال عنصر الاملاء الذى كان كامنا سوف نكون فى وضع الشقيق الأكبر مع الشقيق الأصغر ، او وضع الشريكين فى بيت تجارى ولو أنه بحكم طبيعة الأشياء فان نفوذنا يجب أن يكون هو الأكبر وخصوصا فى الشئون الدولية (٢٠).

ولقد اقتضى تنفيذ المعاهدة المصرية البريطانية فيما يختص بالطرق العسكرية حشد مهندسى الطرق والكبارى للاشراف على أعمال الطرق العسكرية وسحب الكثيرين منهم من التفاتيش التى تقوم بمشروعات الطرق فى مجالس المديريات ، فكانت النتيجة أن وقف الجزء الأكبر من هذه المشروعات ، وقد رفعت مصلحة الطرق والكبارى مذكرة الى وزارة المواصلات لفتت فيها نظرها الى تردى الحالة فى هذا القطاع الحيوى الهام (٢١).

أما فيما يتعلق بالسودان فلقد أصبح السودان بموجب معاهدة ١٩٣٦ مستعمرة انلجزية تحرسه جنود مصرية تحت امرة حاكمه العام البريطانى (٢٢).

---

(٢٠) د. محمد جمال المسدى وآخرون ـ مصر والحرب العالمية الثانية ص ٨٦ القاهرة ١٩٧٨م.
(٢١) الأهرام ٢١ يونية ١٩٣٨م.
(٢٢) مضابط مجلس النواب ـ الجلسة الثالثة ١٥ نوفمبر ١٩٣٦ ص ٥١، عبد الرحمن الرافعى فى أعقاب الثورة المصرية جـ ٢ ص ٢٤، الأهرام ٦ سبتمبر ١٩٣٦م.

ففى المادة الحادية عشرة : اتفق الطرفان المتعاقدان على أن إدارة السودان تستمر مستمدة من اتفاقيتى (١٩ ينـــاير ، ١٠ يولية ١٨٩٩) ويواصل الحكم العام بالنيابة عن كلا الطرفين المتعاقدين مباشرة السلطات المخولة له بمقتضى هاتين الاتفاقيتين (٢٣) .

فهذا النص هو اقرار مباشر باتفاقية ١٨٩٩ والتى انتزعت السودان من مصر وتقضى المادة السابقة بأن السلطة العسكرية والمدنية فى السودان تنوض الى الحاكم العام الذى يكون تعيينه بناء على طلب الحكومـــــة البريطانية ولا يفصـــل عن منصبة الا برضائها (٢٤) .

وبناء على ذلك تبقى سلطة تعيين الموظفين فى السودان وترقيتهـــم مخولة للحاكم العام الذى يختار المرشحين الصالحين من بين البريطانيين والمصريين عند التعيين فى الوظائف الجديدة التى لا يتوفر لهـــا سودانيون أكفــــاء (٢٥) .

ولما كانت هذه المادة قد ووجهت بموجة من الغضب سواء من جانب المصريين أو السودانيين فان السير ستيوارت سايمز حـــاكم عام السودان قد عبر عن وجهة النظر البريطانية بأن يقدم للمصريين وعداً بأن تكـــون لهم الأفضلية فى شغل الوظائف التى لا يتمكن من شغلها ســـودانيون أو بريطانيون ولكن ــ كما قال بالحرف الواحد : « ان مثـــل هـــذا الوعـــد سوف يكون اقرب الى وهم كبير » (٢٦) .

وتعد المادة الحادية عشرة من أخطـــر بنود المعاهدة حيث جعـــلت السلطتان العسكرية والمدنية معاً فى يـــد الحاكم العام فهو الذى يحـــكم (٢٧) ...

---

(٢٣) الأهرام ، السياسة ١٢ نوفمبر ١٩٣٦ ، القضية المصرية ، مصدر سبق ذكره ص ٤٦٨ .

(٢٤) مادة ٣ ، ٤ ، ٥ من اتفاقية ١٨٩٩م

(٢٥) مضـــابط مجلس النواب ١٤ نوفمبر ١٩٣٦ ص ٣٨ ملحق رقم ١ معاهدة ١٩٣٦م .

(٢٦) صحيفة السياسة أول يوليـة ١٩٣٧ ، د . يونان لبيب رزق - السودان فى المفاوضات المصرية البريطانية ص ٢١٣ ، ٢١٤ .

السودان ويعين موظفيه ، ويقوده عسكريا ، وهو الذى يأمر أن تنفذ فى السودان القوانين التى تصدرها الحكومة المصرية ، أى أنها لا تنفذ الا بقرار منه ولذا فانه غير مسئول مسئولية كاملة لمام الحكومة المصرية لأنها لا تعينه او تقيله بمطلق سلطتها ، فالقول بأن المعاهدة قد ضمنت الحكم الثنائى فى السودان هو قول لا يحمل قدرا من الحقيقة ، لأنها تركت الأمر كله فى يد الحاكم العام يتصرف فيه كما يشاء ولا معقب لحكمه .

فاذا قيل بعد ذلك أن المعاهدة تنص على أن الحاكم العام يعين الموظفين من المصريين والانجليز فهو قول غير مفهوم لأن الحاكم العام غير ملزم اصلا ، وكذلك نسبة من يعينون من المصريين الى زملائهم من الانجليز غير محددة ولا مقررة .

ولعل النحاس باشا أو اقطاب الوفد عموما وعلى رأسهم مكرم عبيد ، قد فهموا المواد التى جاءت فى المعاهدة عن السودان بشكلها الظاهر ، كما يبدو فى الخطبة التى القاها زعيم الوفد فى مجلس النواب « للنظر فى معاهدة التحالف والصداقة بين مصر وبريطانيا العظمى » فبعد استعراض المواد الخاصة بالسودان فى المعاهدة اعلن النحاس باشا : « لقد اصبح للمصريين نصيب فعلى فى ادارة السودان سواء فى ذلك الادارة المحلية او المالية او الحربية (٢٧) .

ويلاحظ أن قضية السودان قد أثارت احتجاج عدد كبير من اعضاء مجلس النواب حيث أجمع عدد كبير منهم بأن موضوع السودان سيظل الثغرة التى تؤرق مضاجع المصريين فلقد حصلت بريطانيا على كل شىء من خلال شخصية الحاكم العام الانجليزى ، ولم تحصل مصر على شىء يتناسب ، والتضحيات التى قدمتها حفاظا على السودان (٢٨) .

---

(٢٧) مضبطة الجلسة الاولى لدور الاجتماع غير العادى لمجلس النواب ٢ نوفمبر ١٩٣٦ ص ٨ ، الأهرام والسياسة ٣ نوفمبر ١٩٣٦ .
(٢٨) من كلمة النائب عبد العزيز الصوفانى — مضابط مجلس النواب الجلسة الثالثة ١٢ نوفمبر ١٩٣٦ ص ٦٦ .

ويسجل احد تقارير قياس الرأى العام فى السودان انه « نتيجة لما تضمنه بمقتضى المعاهدة من عدم وجود بديل سوى القبول بالحكومة الثنائية فان المتعلمين السودانيين قد ضايقتهم الطريقة التى تتشاور بها مصر بلادهم دون أى تفكير بالأخذ برأيهم ، وقد رأى هؤلاء أن وضعهم قد أصبح مهيناً بسبب ذلك ، ومن ثم فقد قرروا أن عليهم أن يظهروا شخصيتهم المستقلة سواء عن انجلترا أو عن مصر والتى بدأت فى الظهور منذ سنوات تحت شعار « السودان للسودانيين » وأن عليهم أن يعبروا عن وجهة نظر جماعية تضعها الدولتان الحاكمتان موضع الاعتبار (٢٩) .

وعلى ضوء ما تقدم يمكننا ان نقول : ان قضية السودان فى مفاوضات ١٩٣٦ تؤكد عدم صلابة المفاوض المصرى فى تلك القضية الهامة والأساسية . وتعد اتفاقية ١٨٩٩ والتى كانت هى الأساس فى مفاوضات ١٩٣٦ فصلا للسودان عن مصر وجعله مستعمرة انجليزية ، فاقرار المعاهدة لهذه الاتفاقية هو اقرار لهذا الوضع .

وقد بنت انجلترا مزاعمها فى اتفاقية ١٨٩٩ على ما اغتصبته لنفسها من حق الفتح وعلى أنها اشتركت مع مصر فى استعادته . على أن الحقيقة الثابتة أن انجلترا هى التى منعت مصر من تثبيت سلطانها فى السودان بعد ثورة المهدى وعملت بذلك على استفحال تلك الثورة ثم أكرهت مصر سنة ١٨٨٤ على اخلائه مما تسبب فى استقالة شريف باشا احتجاجا على هذا التدخل ولذا فان اتفاقية ١٨٩٩ ليس لها أى سند من الحق أو القانون .

وعلى الجانب الاخر كانت هناك بعض الايجابيات لعل من اهمها ما جاء فى مطلع المادة الحادية عشرة من معاهدة ١٩٣٦ من نص قائل : مع

---

(٢٩) دكتور : يونان لبيب رزق — قضية وحدة وادى النيل بين المعاهدة وتغيير الواقع الاستعمارى ١٩٣٦ — ١٩٤٦ القاهرة ١٩٧٥ ص ٦٦٨ ، ٦٩ .

الاحتفاظ بحرية عقد اتفاقات جديدة في المستقبل لتعديل اتفاقيتي ١٩ يناير ، ١٠ يوليو ١٨٩٩ (٣٠) .

اذ يعترف هذا النص صراحة بأن الوضع القائم في السودان بعد تنفيذ المعاهدة انما هو وضع مؤقت ثم انه لا يحدد أمدا معينا للنظر فيه كما حدث لبقية مواد المعاهدة التي تحددت مدة عشرين عاما لاعادة النظر فيها ومعنى ذلك أن مصر تستطيع في أي وقت طرح قضية الوحدة المصرية السودانية على بساط البحث .

وقد نصت المادة الثالثة عشرة على أن نظام الامتيازات الاجنبية لم يعد يلائم روح العصر ولا حالة مصر الحاضرة ، وان حكومة صاحب الجلالة في المملكة المتحدة بصفتها دولة من ذوات الامتيازات وبصفتها حليفة لمصر لا تعارض بتاتا في الغاء كل قيد يقيد التشريع المصري على الأجانب وستتعاون تعاونا فعليا مع الحكومة المصرية في تحقيق هذه التدابير (٣١) .

ويمكننا القول أن مصر قد كسبت من وراء معاهدة ١٩٣٦ بعض المكاسب وفي مقدمتها الغاء الامتيازات الأجنبية ، ودخول مصر عصبة الأمم ، على أن الغاء هذه الامتيازات ، وان كان قد عاد على قطاع كبير من الشعب المصري بالفائدة الا انه لم يعد على بريطانيا بأي نوع من الضرر فلقد سقطت الامتيازات التي تتمتع بها الدول الأوربية الاخرى ، أما بريطانيا فقد تمتعت بمقتضى المعاهدة بحرية كاملة في علاقاتها بمصر سواء اكانت علاقات عسكرية أو اقتصادية أو سياسية واستطاع كبار رجال المال وبعض كبار الملاك من المصريين أن يوظفوا أموالهم في مجالات الصناعة التي انتعشت بعض الانتعاش (٣٢) .

---

(٣٠) القضية المصرية ، مصدر سبق ذكره ص ٤٦٩ ، مضابط مجلس النواب ٢ نوفمبر ١٩٣٦ ص ٩٥٨ .

(٣١) المادة الحادية عشرة من معاهدة ١٩٣٦ ملحق بمضبطة الجلسة الثانية لمجلس النواب في ١٧ نوفمبر ١٩٣٦ ص ٢٩ ، الوقائع المصرية والأهرام ١٥ نوفمبر ١٩٣٦ .

(٣٢) شهدي عطية الشافعي ، تطور الحركة الوطنية المصرية ١٨٨٢ — ١٩٥٦ ص ٨٢ .

ولقد ساد شعور بالقلق لدى الجاليات الأجنبية المقيمة في مصر بما فيها الجالية البريطانية التي لم تستطع ان تخفي قلقها من الغاء الامتيازات ، وقد عقد اعضاؤها بالأسكندرية اجتماعهم السنوى حيث وقف رئيسهم السير هنرى باركر ليعبر عن القلق الذى يحس به كثيرون من أفراد الجالية الذين يعيشون في مصر ويقول : ان مجلس الجالية قد اتخذ التدابير ليضع أمام وزارة الخارجية البريطانية النقط التي راى انه ينبغي لفت نظرها اليها (٣٣) .

وقد علقت الصحف المصرية على هذا الاجتماع غاضبة بقولها : « لماذا لا يتفضل هؤلاء الساخطون على الغاء الامتيازات بالهجرة الى بلد غير مصر يكون مستعدا للتالهم بأكرم من المظاهر التي تسوى مصر أن تلقاهم بها وهي محررة من الامتيازات (٣٤) .

واعتقد أن الوفد المصرى قد حرص على النص صراحة على الغاء الامتيازات على الرغم من أ نعددا من الدول حاولت الضغط على بريطانيا لبقاء الوضع كما هو عليه أو النص على وجود فترة انتقالية تتفق الدول صاحبة الامتيازات على مراحلها فيما بعد (٣٥) .

ولقد انعكس موقف الأجانب في مصر على بعض الوفود الأجنبية في مؤتمر الامتيازات خاصة الوفد الفرنسي الذى كان اشد الوفود صلابة في المؤتمر نظرا لضخامة المصالح الاقتصادية والثقافية الفرنسية في مصر ، وحرص الجانب الفرنسي على أن يظل عدد الموظفين الفرنسيين في مصر كما هو وأن تنثنى فرنسا حرصا على العلاقات التاريخية التي تربطها بمصر (٣٦) .

---

(٣٣) د. عبد العظيم رمضان ، صراع الطبقات في مصر ١٩٣٧ — ١٩٥٢ ص ١٥٨ .
(٣٤) اخر ساعة ٧ مارس ١٩٣٧م .
(٣٥) مضبطة الجلسة الخامسة والأربعين لمجلس النواب في ٢١ يونية سنة ١٩٣٧ ص ١٤٤٣ ملحق خاص بالغاء الامتيازات الأجنبية .
(٣٦) آخر ساعة ٢٣ مايو ١٩٣٧ .

ولقد أثار هذا الموقف نقد الصحف المصرية فعلق بعضها قائلة : يجب أن ننتظر من الفرنسيين وغيرهم من الأجانب سياسة جديدة غير سياسة استغلال موارد الثروة فى مصر دون أن ينال المصريون أكثر من الفتات ، ويجب أن ننتظر من الفرنسيين وغيرهم معاملة غير التى عرفناها الى اليوم وهى معاملة السادة للعبيد والفوارق للاولاد البلد فالمعاملة الأوروبية يجب ان تتغير والاستغلال الممقوت يجب أن ينتهى والشركات الأجنبية يجب ان تفتح أبوابها لأبنـاء مصر ، والمعاهدة يجب ان تبدى احترامها لتقاليد مصر ولغة مصر اما ان تظل روح الماضى التى تجلت فى مؤتمر الامتيازات هى الروح السائدة فى المستقبل ، فذلك ما لايدع بين المصريين والأجانب سبيلا الى التعاون المنشود ولا هو مما يفيد الأجانب كثيرا ولا قليلا (٣٧) .

ومن الطريف أن موقف فرنسا من الامتيازات الاجنبية كان محل نقد شديد من الصحف الانجليزية (٣٨) .

ولما كانت المصالح الفرنسية فى مصر تمثل ثقلا حقيقيا فقد عقدت لجنة الشئون الخارجية فى مجلس النواب الفرنسى اجتماعا لسماع اقوال المسيو بونيه وزير خارجية فرنسا فى صدد مشروع الغاء الامتيازات الأجنبية فى مصر (وهى الاتفاقات التى وقعت فى مونترو ٨ مايو ١٩٣٧) وقد بسط وزير الخارجية الايضاحات المطلوبة ، وأكد أن الحكومة الفرنسية لن تدخر وسيلة فى سبيل الحصول من الحكومة المصرية على الضمانات التى تصون مصالح فرنسا المادية والأدبية (٣٩) .

---

(٣٧) آخر ساعة ٢٦ مايو ١٩٣٧ .

(٣٨) التيمس نقلا عن آخر ساعة ٧ مارس ١٩٣٧ ، السياسة ٩ مارس ١٩٣٧م .

(٣٩) صحيفة الوفد المصرى ١٠ يونية ١٩٣٨ ــ عقد المؤتمر فى مدينة مونترو السوسرية ١٦ يناير ١٩٣٧ ، واشترك فى المؤتمر الدول صاحبة الامتيازات وهى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وايرلندا والدانمرك وفرنسا واليونان وايطاليا والنرويج وهولندا والبرتغال والسويد ..

ولعل هذا التحالف العسكرى بين مصر وبريطانيا واعتراف مصر بالحكم الثنائى فى السودان هو الثمن الذى دفعته مصر فى مقابل السيادة التى اضفاها عليها تمتعها بعضوية عصبة الأمم ، والغاء الامتيازات الاجنبية .

ولذا فاننا نعتقد أن معاهدة ١٩٣٦ كانت وليدة اصطناع القوة بحكم أن انجلترا بسبب وجود قواتها العسكرية فى الشرق الأوسط كانت تستطيع مواصلة الاحتلال لمصر والسودان سواء رضى المصريون بذلك أم كرهوا كما كانت تستطيع الدفاع عن مصر سواء اشتركت مصر فى هذا الدفاع أم لم تشترك ولذا تنازل المفاوضون المصريون عن نصف مطالب مصر فى سبيل الحصول على النصف الاخر .

وهكذا ادت معاهدة ١٩٣٦ الى تحديد شكل الوجود البريطانى فى مصر للمرة الأولى كما تم تعميق هذا الوضع طبقا للتحالف المعقود بين الدولتين ولهذا السبب ذاته تسجل المعاهدة نهاية الاحتلال البريطانى بالمعنى القانونى الا انها أيضا تقر واقع الاحتلال من حيث الجانب العملى .

وخلاصة القول : أن المعاهدة لم تغير كثيرا من طبيعة القهر السياسى الذى مارسته انجلترا على مصر ، فقد استمرت السيادة الحقيقية للانجليز الذين لم تنقطع مؤامراتهم ضد مصر والعبث بالحياة الدستورية المصرية ، وأصبح الوطنيون الساعون الى التخلص من النفوذ البريطانى يظهرون بمظهر من ينقض على مصالح بريطانيا الحيوية ، وبذلك اعطت بريطانيا لنفسها الحق فى التدخل بالقوة المسلحة محافظة على هذه المصالح ، وبالتالى أصبحت القوى الوطنية التي تطالب بالاستقلال التام معادية للمصالح البريطانية وبالتالى فهى (من وجهة النظر البريطانية) تعمل لخدمة المخططات النازية والفاشية .

وطبقا للمعاهدة فقد تعهد الملك تعهدا ضمنيا باعتبار مصالح انجلترا الحيوية مصالح حيوية بالنسبة لمصر ايضا (١) .

---

(٤٦) الوقائع المصرية أول نوفمبر ١٩٣٧ ، مضابط مجلس النواب ١١ نوفمبر ١٩٣٦ ملحق رقم ٣ ص ٤٠ .

- وبذلك كانت المعاهدة أن تشكل جزءا لا يتجزأ من الدستور ، ولـــذا فاننا نعتقد أن معاهدة ١٩٣٦ مسئولة عن تدهور الاوضاع السياسية فى مصر بالشكل الذي حتم نمو الاتجاهات الثورية التى كانت تستهدف ضرب النفوذ البريطانى ، والغاء المعاهدة التى لم تحقق كل الطموحات الوطنيـــة التى ضحى الشعب المصرى كثيرا من أجلها .

ومن الواضح أن الاحتلال وان تغير فى شـــــكله الا انه لم يتغير فى جوهره بناء على هذه المعاهدة والتى عدتها الوزارة المصرية فى ذلك الوقت نصراً يستحق التبجيل ، واتخذت من يوم توقيع المعاهدة عيدا من الاعياد القومية هو فى الواقع لا يخرج عن كونه عارا لحق بمصر من جراء انســـياق حكامها وراء أوامر ورغبات سلطات الاحتلال (١) .

ووفق معاهدة ١٩٣٦ فان العلاقات المصرية البريطانية قد دخـلت مرحلة جديدة تحكمها معاهدة واضحة الشروط وخصوصـــا بعــد دخـــول مصر فى عصبة الأمم حيث امتلكت مقومات الدولة من الناحية القانونية الا ان قيام الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ قد شـــجع بريطانيـــا عـــلى أن تضرب عرض الحائط بنصوص المعاهدة .

ويذهب البعض الى ان توقيع معاهدة ١٩٣٦ ، وما ترتب عليهـــا من ردود فعل متباينة قد أفقد الوفد قدرا كبيرا من قوته وشعبيته (٢) . وبصدد ردود الفعل الناجمة عن توقيع المعاهدة نجد تباينت وجهات نظر القـــوى السياسية فى مصر وبدا ذلك داخل الأحزاب وفى الاجتماعات التي عقدتهـــا للنظـــر فى المعـــاهدة .

وعن موقف الحـــــزب الوطنى فعـــــلى الرغم من انه رفض مبدأ « المفاوضة » الا بعد الجلاء الا ان قاعات مجلس النواب المصرى ، قـــد شـــهدت العديد من الانتقادات الموضوعية والتى ابداها أعضـــاء الحزب

---

(٤١) محمد رشدي ، التطور الاقتصادى فى مصر جـ٢ ص ٩ .

(٤٢) د. يونان لبيب رزق ، تاريخ الوزارات المصرية ص ٣٩٢ ، القاهرة سنة ١٩٧٥ .

الوطني بالذات على الرغم من ديكتاتورية الأغلبية ومحاولاتها التقليل من حجم تلك الانتقادات (٤٢) .

اما موقف الأحرار الدستوريين فقد اتسم بالتخبط فقد شن اعضاؤه حملة شديدة على المعاهدة في اول جلسة عقدها الحزب حتى شعر محمد محمود — وهو الذى كان يمثل الحزب في جبهة المعارضة — بأن الحملة ليست موجهة الى موضوع المعاهدة بقدر ما هي موجهة الى شخصه بالذات (٤٤) .

وقد اقترح الدكتور هيكل تشكيل لجنة لدراسة المعاهدة وتقديم تقرير عنها الى مجلس ادارة الحزب (٤٥) .

وبعد ولادة عسرة تمخضت عن قرار له مقدمة طويلة تحدد أوجه القصور في المعاهدة وخصوصا المسائل العسكرية ومشكلة السودان الا انه خشية الانقسامات داخل الحزب ومراعاة لموقف محمد محمود (رئيس الحزب وعضو لجنة المفاوضة) فقد قرر الحزب قبول المعاهدة في الوقت الحالي مع العمل على تعديلها بأسرع ما يستطاع تعديلا يزيل منها ما يمس استقلال مصر ، وتبادل الثقة بين الحليفين خير عربون لهذا التعديل (٤٦) .

ولعل محمد محمود كان في موقف لا يحسد عليه حينما عاد ليؤكد أن معاهدة ١٩٣٦ لا تحقق مطالب مصر المشروعة على وجه كامل وبصورة نهائية وانها خطوة نحو تحقيق هذه المطالب ، ولم ير محمد محمود في مزاياها شيئا يتحدث عنه سوى مسألة الامتيازات (٤٧) .

---

(٤٣) مضابط مجلس النواب من الجلسة الاولى الى الجلسة الخامسة ٢ نوفمبر — ١٩ نوفمبر سنة ١٩٣٦ ص ٩ الى ص ١٢١ .
(٤٤) آخر ساعة اول نوفمبر ١٩٣٦ ، الاهرام ٢٣ اكتوبر ١٩٣٦م .
(٤٥) الأهرام ١٩٣٦/١٠/١١ ، المصور ٢٥ اكتوبر ١٩٣٦م .
(٤٦) نص قرار مجلس ادارة حزب الاحرار الدستوريين ، السياسة ١٩٣٦/١١/٣م .
(٤٧) مضابط مجلس النواب — جلسة ١٢ نوفمبر ١٩٣٦ ص ٩٦ .

أما عن موقف حزب الاتحاد ، والذى نشأ فى أحضان القصر وتحت رعايته وكان لسان حالة المعبر عن مصالحه فان نسبة الأعضاء المعارضين للمعاهدة لم يتجاوز الثلث ، فقد وافق على المعاهدة تسعة بينما رفضها ثلاثة ووقف واحد على الحياد وهو توفيق رفعت باشا (٤٨) .

لذا فقد وقف اسماعيل صدقى باشا (رئيس حزب الاتحاد) فى مجلس النواب ليعلن موافقته بصفته الشخصية مؤكدا على أن المعاهدة هى خطوة فى سبيل الاستقلال وليست الاستقلال التام (٤٩) .

أما الاخوان المسلمون ومعاهدة ١٩٣٦ فعلى الرغم من أن الرؤية السياسية للاخوان لم تكن قد اتضحت بعد الا أن احدى الرسائل التى بعث بها الشيخ البنا الى رئيس الوزراء (على ماهر) فى اكتوبر ١٩٣٩ يفهم منها أن معاهدة ١٩٣٦ قد وقعت تحت ضغط ظروف وأحوال خاصة لا على أنها غاية ما ترجوه مصر ولكن على أنها خطوة فى سبيل تحقيق الاهداف المصرية ويضيف حسن البنا فى رسالته قائلا : فالاخوان المسلمون وهم الذين يرون فى المعاهدة المصرية الانجليزية اجحافا كبيرا بحقوق مصر واستقلالها الكامل يريدون من حكومة مصر أن لا تتجاوز هذه الحدود المرسومة على ما فيها من اجحاف بأية حال (٥٠) .

وعلى ما يبدو فان مجلس النواب والشيوخ فى جلسته المنعقدة فى ١٤ نوفمبر ١٩٣٦ قد وافقا على معاهدة ١٩٣٦ بما فيها من تجاوزات وأثقال بحجة الظروف الدولية القائمة ، وما كان يحيق مصر من خطر ايطاليا الفاشية ومن عدم استقرار الحالة السياسية والدستورية والاقتصادية فى البلاد ، وأيا كانت هذه الظروف فهى لا تبرر التنازلات التى قدمها وفد مصر والتى تتعارض بشكل واضح مع حقوق مصر الوطنية وهى تنازلات كان لها أكبر الاثر على حركة النضال المصرى ضد الاستعمار بل كان واجبا

(٤٨) آخر ساعة ٢٥ نوفمبر ١٩٣٦م .

(٤٩) مضابط النواب ١٢ نوفمبر ١٩٣٦م ص ٤٦ .

(٥٠) حسن البنا : مذكرات الدعوة والداعية ص ٢٦١ ، ٢٦٢ ، بيروت ١٩٧٤م .

على الجانب المصرى أن يستمر فى مقاومته ولا يقبل معاهدة تهدد الاستقلال وتقـــــر الاحتـــــلال (٥١)

موقف بريطانيا من الصراع بين الوفد والقصر :

فى ٢٩ يوليو ١٩٣٧ بلغ الملك فاروق الثامنة عشرة بالحساب الهلالى واقسم اليمين الدستورية وكان من الطبيعى أن تستقيل الوزارة القـــائمة فهى وكيل عن الملك فى ولاية السلطة التنفيذية (٥٢) . ولذا فقد تقـــدم

مصطفى النحاس باستقالة الوزارة الى الملك فاروق .

ولمـــا كان النحاس صاحب الأغلبية البرلمانية فى مجلس النواب فقـــد عهد اليه الملك أن يؤلف الوزارة الجديدة ، وبدت الأمور وكأنها تســـير فى اتجاهها الصحيح وخصوصا أن العلاقات المصرية البريطانية باتت تحكمهـــا معاهدة واضحة المعالم فى الوقت الذى كان فيه الملك فاروق يحظى بشعبية عريضة وسط قطاعات الشعب المصرى وزاد من شعبية الملك الخطـــة الناجحة التى استخدمها بعض رجال القصر فى أوائل عهده (أمثال على ماهر وأحمد حسنين) فى ابراز صورة الملك الصالح الذى يناضل من أجل ايجاد دور لمصر الاسلامية ، فى الوقت الذى كان فيه النحاس باشا يفقـــد حذره من جانب القصر تحت وهم أن علاقة التحالف الجديدة بين الوفد وبريطانيا سوف تتيح له فترة التقاط أنفاس دستورية طويلة يوجـــه جهوده فيها الى اعادة بناء الدولة وتعزيز الاستقلال الذى انتزعه من الانجليز ليصـــــبح حقيقة واثقة فى المجالين الداخلى والخارجى (٥٣)

وقد بلغت بمصطفى النحاس الطمأنينة لمن أغفل الصـــدع الذى كـــان قد أخذ يصيب الجهاز التنظيمى للوفد ويصل إلى القيادة ذاتها بفعل الصراع على النفوذ بين مكرم عبيد من جهة وبين محمود فهمى النقراشى والدكتـــور

---

(٥١) الرافعى : فى أعقاب الثورة المصرية ج٣ ص ٣٥ .

(٥٢) د. محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسيـــة المصرية ج٢ صفحة ٣٣ .

(٥٣) الوفـــد المصرى ١٥ يوليو ١٩٣٧م .

أحمد ماهر من جهة أخرى وكان النحاس باشا يصطفى اليه مكرم عبيد تحت فلسفة الوحدة الوطنية المقدسة . ووسط هذه التيارات المتعددة فوجيء النحاس بحادث له مغزاه فى النظام النيابى فقد رفض الملك أن يكون يوسف الجندى وزيرا وكان الجندى نائب زعيم المعارضة فى مجلس الشيوخ ثم كان الوكيل البرلمانى لوزارة الداخلية فى الوزارة السابقة ، وقد رفض الملك تعيينه بحجة أن نزاهته أبان وكالته البرلمانية لوزارة الداخلية لم تكن فوق الشبهات (٥٤) .

ولذا فقد تصاعد الموقف وتأزمت العلاقات بين الوزارة والقصر وبدا هذا الحادث وكأنه الأول من نوعه وتناوله الناس بالحديث بين مؤيد للقصر ومعارض للوفد ، وبالرغم من أن الوزارة قد تنازلت عن ترشيحها حرصا منها على عدم التصادم مع الملك وهو فى بداية عهده (٥٥) . الا أن الخلافات بين الوفد والقصر بدأت تأخذ شكلا جوهريا ، فعندما خلا مقعدان فى مجلس الشيوخ رشحت الوزارة لهما محمود فهمى النقراشي وحسين نافع ، فوافق القصر على ترشيح الأول ولم يوافق على ترشيح الثانى من غير ابداء للاسباب ولما استقالت الوزارة فخرى بك عبد النور ، بحسين نافع ظل القصر على رفضه مقترحا عبد العزيز فهمى باشا (٥٦) .

ثم تعمقت الخلافات بسبب رغبة القصر فى أن يقسم الجيش يمين الولاء للملك ورأت الوزارة أن يتضمن هذا القسم يمين الولاء للدستور (٥٧) .

واعتقدت احدى صحف القصر أن هذا المبدأ يعنى تخويل الجيش حق التدخل اذا ما انتهكت أى قوة سياسية الدستور (٥٨) ، ولما كان معلوما أن الملك هو أول هذه القوى فان ذلك يعنى أن يتدخل الجيش ضد الملك

---

(٥٤) مذكرات كريم ثابت ، جريدة الجمهورية ١٥ يونية ١٩٥٥ ، د. عبد العظيم رمضان ، الصراع بين الوفد والعرش ص ٤٠ .

(٥٥) الوفد المصرى أول أكتوبر ١٩٣٧ .

(٥٦) البلاغ ٧/١١/١٩٣٧م .

(٥٧) الوفد المصرى أول سبتمبر ١٩٣٧م .

(٥٨) المصدر السابق نقلا عن الديلى تلجراف

وبالطبع رفض القصر مثل هذا الاقتراح حفاظــا منه على مبدأ الحيلولة بين الجيش والسياسة .

وقد تزايدت شكوك القصر بعد ما لوحظ أن وزير الحربية الوفدي ـ حمدي سيف النصر ـ قد دخل فى التشريفات الملكية على رأس الضــباط بتقديمهم الى الملك وهو تقليد لم يتبع من قبل (٥٩) .

ولمــا كان السفير البريطاني حريصا على الاستفادة من التناقضــات بين القصر والوفد بهدف اضعاف الفريقين لصلحة السياسة البريطانية فى اطــار يتفق مع الوضع السياسي الدولي الذى صــار لمصر بعد المعاهدة ، ولذا فقد كان الصراع على السلطة بين الوفد والعرش هو المدخل المناسب والمتاح للسياسة البريطانية ، وكان السفير على ثقة من أن هذا الانقســام بين القصر والوفد سيدخله الى حلبة الصراع بدون اى جهد ، وهذا ما حدث حيث تعددت الشكاوى من رجال القصر الى السفير اتهموا فيها الوفــد بانه يحاول اقامة ديكتاتورية على حساب الحقوق الشرعية للقصر (٦٠) .

ولعل شكوى القصر من الوفد كانت من باب جس نبض بريطــانيا فى محاولة لكسب ودها أو على الاقل لضمان حيدتها وهى سياسة ما كــره من القصـــــر .

ووفق سياسة الوفد فى محاولة منه للسيطرة على القصر فقد تضمن خطاب النحاس باشــا الى مجلس الوصايا بمناسبة تاليف وزارته : انـــه بهدف توثيق العلاقة وتدعيم الثقة بين القصر والامة ، واقتداء بالامم ذات التقاليد البرلمانية فانه ينوى اقامة وزارة للقصر (٦١) .

ويعتقد السفير البريطاني ان الهدف من وراء ذلك أن يســيطر الوفد تماما على القصر ، ويقدر الصراع بين الوفد والقصر كان يتحدد حجم التدخل

---

(٥٩) الوثائق البريطانية ، وثيقة رقم ٨٦ بتاريخ ٢٠ اغسطس ١٩٣٦ من لامبسون الى حكومته . F.O. 407-219

(٦٠) الوفــد المصرى ، السياسة ، البلاغ ٣ اغسطس ١٩٣٧م .

(٦١) الوثائق البريطانية ، برقية رقم ٨٢ من لامبسون الى ايدن فى ٣ مــايو ١٩٣٦م . F.O. 407-219

البريطانى فى محاولة لاستثمار هذا الصراع وتنميته لمصلحة السياســـــة البريطانية ولعل النحاس باشـــا ورجالات القصر لم يقدروا حجم الخطـر من جراء هذا الصراع .

وشهدت تلك الحقبة اشكالا متعددة للصراع بين القصر والوفــد لعل اهمها ما قام به القصر من محاولات الاستيلاء على الوفد من الداخل كوسيلة لخروج الدكتور احمد ماهر والنقراشى من الوفد على اعتبار انهما من اكثر زعماء الوفــد شعبية ، ويشير السفير البريطانى الى مسـئولية القصر فى تنمية الصراع داخل الوفد وخصوصـا فيما يتعلق بالنقراشى واحمد ماهر (٦٢) . والأخطر من هذا انه واكب خروج النقراشى واحمد ماهر من الوفــد دخول عناصر اخرى ممن وصفوا بالاقطاعيين ، وهى عناصر تملك بطبيعتهـــا مقومات اثارة النفور الشعبى اكثر مما تملك جذب الاعجاب الجماهيرى .

يضاف الى كل ذلك أن خروج هذه العناصر من الوفد قد اثار العديد من التساؤلات حول سمعة هذا الحزب الكبير فى الحكم اكثر مما اثار من شكوك حول تواطؤ القصر والعناصر المنشقة ، ولعل السبب فى هذا ما كان من تحول واضح سواء فى سياسة الحزب الخارجية وخصوصــــا عقب توقيع معاهدة ١٩٣٦ والتى اثارت العديد من التساؤلات حول تاريخ الحزب وجماهيريته المطلقة بسبب تشدده الواضح فى المطالب الوطنية أو فيما يتعلق ببناء الحزب من جديد وفق المتغيرات التى احدثها انشـقاق ماهر والنقراشى هذا البناء الذى اتسم بالعديد من السلبيات التى دفعت الحزب الى الوقوع فى سلسلة لا تنتهى من الاخطاء لعل اهمها ما وقع فى ٤ فبراير وما ترتب على ذلك من خروج مكرم عبيد من الوفد وما اعقب ذلك من تجـاوزات لعـل بدايتها كانت عقــد معاهدة ١٩٣٦م .

ولم تكن عين السفير البريطانى غافلة عن كل ما يجـرى من خلافات بين القصر والوفد ففى احدى تقـاريره يلقى بقدر كبير من المسؤلية عـلى

---

(٦٢) د. : محمد السدى وآخرون : مصر والحـرب العـالمية الثـانية ص ٤٤

النحاس الذى « لا يبذل اى جهد لارضاء الملك وكسب وده معتقدا بأن هــذا السلوك سيكسبه قدرا كبيرا من شعبيته متناسيا أن فاروق يحظى بشعبية كبيرة لدى المصريين ، ولذا فاننى اعتقد ان النحاس يرتكب أكبر خطأ » ثم اخذ يتنبأ بدقة غريبة بما يمكن ان يحدث : « انه من المتوقع ونقـــا لتلـك السياسة الخاطئة أن تقـــال حكومة الوفد فى الخريف القادم » وقد أرجــع السفير البريطانى عداء احمد ماهر والنقراشى لمصطفى النحاس لأســباب كثيرة منها : عنصر المنافسة وما زعمه من كراهية المسلمين لأية صــورة من صور السيطرة القبطية ، ثم واصل السفير تحليله للموقف قائلا : ان خصوم النحاس ومكرم عبيد يلزمهم بشكل اساسى نقطة تجمع لم تعد تتوفر الا فى القصر ، وعلى ماهر هو صاحب كل تلك المؤامرات ولا يوجد من بين العناصر المعادية للنحاس من يملك مقومات شعبية لدى الجماهير الا الملك فـــاروق شخصيا ، ويختتم السفير تقريره بقوله : وتأمل الا يقع الملك فى خطأ اتخاذ اجراءات متسرعة ضد الوفد قبل تشويه سمعته بدرجة كافية حتى لا يصور الوفد نفسه فى صورة شهيد الحرية والديمقراطية (٦٣) .

وفى الوقت الذى كانت فيه العلاقة بين الوفد والقصر تتخذ ابعــادا مختلفة كانت العلاقات بين السفير البريطانى والملك فاروق تزداد ســوءا بدرجة عبر عنها الدكتور هيكل بقوله :لقد اتاح هذا الود المفقود بين السفارة الانجليزية والقصر فرصة ذهبية لطائفة من بطانة الملك كى يفسدوا الجـو بينه وبين رئيس الوزارة (٦٤) .

لقد تطورت الأحداث السياسية الداخلية بصورة سريعة لدرجـــة ان اخذ القصر يتهيأ لأول انقلاب دستورى فى عهــــد الملك فـــاروق وانتهت تقديرات السفير البريطانى للموقف الى انه يفضل حكومة وفدية مشاكســة على حكومة قصر موالية للفاشية (٦٥) .

---

(٦٣) الوثائق البريطانية ، وثيقة رقم ٢٠٩ من لامبسون الى ايـــــدن بتاريخ ١٩٣٧/٢/١٦م . F.O. 407-221

(٦٤) د . : هيكل ، مرجع سابق ذكره ج٢ ص ١٦٠ .

(٦٥) وثائق الخارجية البريطانية برقية رقم ٨٢ بتاريخ ٢٠ ديسمبر ١٩٣٧ من لامبســون الى ايــدن . F.O. 407-221

وأدى هذا بطبيعة الحـال الى وجود تقارب بين الوفد والانجليز . وهذا مما اكد الدافع وراء عقد معاهدة ١٩٣٦ ، وحملت رسالة لامبســون الى حكومته فى ٢٨ يوليو ١٩٣٧ اخبار العلاقات الجديدة بين السـفارة والحكومة الوفدية مصورا اياها بقوله : ان الموقف يبعث على الرضـا ويبشر بالأمل ويسرنى أن اعبر عن تقديرى لموقف النحاس باشا تجاهنـا بالرغم من مبالغته فى تطبيق نصوص الدستور بصدد الحفل الدينى عنـد تولى الملك العرش ، واعتقد أن موقف النحاس من هذه الناحية لا يتسـم بسلامة التقدير ، وغير خاف ان النحاس يريد أن يحد من امتيـازات الملك ما امكنـه ذلك (٦٦) .

ويلاحظ ان العلاقات بين الوفد والانجليز قد ارتبطت الى حد كبير بعلاقة الوفد بالقصر ، فكلما ساءت العلاقات بين الوفد والقصر يسـارع الوفد الى توطيد علاقته بالانجليز حماية من ديكتاتورية القصر والتى تجاوزت روح القانون والدستور ومن المؤكد أن عدم حسم الكثير من القضايا الدستورية قد شجع القصر على المضى فى سياسته العدائية ضـد الوفـد .

ولعل ما توقعه السفير البريطانى قد حدث بالفعل حيث ذهب اليـه النحاس باشا شاكيا معددا اليه كثيرا من الاهانات التى لحقت بشخص رئيس الحكومة ويضيف السفير قائلا : ان دولاب العمل فى الحكومة كاد أن يتوقف بسبب العديد من تدخلات الملك التى لا تستند الى أى وضع قانونى ، ويعلق السفير قائلا : يكفى النحاس ما لاقاه من غلام عديم التجربة ناقص التعليم، متغطرس .(٦٧) .

ويبدو أن الدوائر البريطانية قد تعاملت مع الطرفين من منطلق سياسة النفس الطويل بهدف اجهاض كل من القوتين المتصارعتين . وانطلاقا مـن هذا المفهوم فلم يحاول السفير اظهار نفسه بصورة المتضامن مع الوفـد

---

(٦٦) الوثائق البريطانية برقية ٣١ بتاريخ ٢ مارس ١٩٣٧ من لامبسون الى ايـدن . F.O. 407-221

(٦٧) المصدر السابق برقية رقم ٩٠٢ بتاريخ ٢٨ يوليـو ١٩٣٧ من لامبســون الى ايـدن .

على حساب العرش او المتضامن مع العرش على حساب الوفد ، وهكذا كانت سياسته فى تعامله مع القصر ، ولعل الغرض من تلك السياسة إن يتكالب النحاس على بريطانيا وان يلقى بكل ثقله تجاهها وكانت الحكومة البريطانية تقدر قيمة تلك السياسة اعتقادا منها بأن الوفد هو القوة السياسية الوحيدة التى يمكن التعامل معها وقت الشدائد باعتباره حزبا يحظى بشعبية مطلقة لدى المصريين .

وهكذا أتيحت الفرصة لكى يتدخل السفير البريطانى فى محاولة منه لاقناع طرفى الأزمة بتقديم تنازلات كل من جانبه ، وابدت الحكومة الوفدية استعدادا طيبا سواء بحل جماعات القمصان الزرقاء أو بقبول الابقاء على قسم الجيش دون أن يدخل عليه تعديل بأن يتضمن القسم ولاء للدستور . وان كانت قد تمسكت بحقها فى تعيين اعضاء مجلس الشيوخ وأيضا بحقها فى اقتراح القوانين دون موافقة مسبقة من الملك فى تعيين أو فصل الموظفين على مختلف درجاتهم (٦٨) .

وفى الوقت الذى كانت تبذل فيه الوساطات كان الوفد يستخدم اسلوب المظاهرات الشعبية كنوع من التاثير على القصر من ناحية ، والتأكيد على أن الوفد يعنى الشعب المصرى كله من ناحية ثانية وتلك ورقة استعملها الوفد فى جميع مراحل صراعه مع العرش ، واخذت الجماهير الوفدية تطوف شوارع القاهرة تهتف « النحاس أو الثورة » (٦٩) .

الا أن الوفد قد أخطأ فى حساباته هذه المرة لعدة اعتبارات موضوعية من بينها : —

أولا : ان هذه المظاهرات قد اتسمت بعامل « الصنعة » التى افتعلتها فرق القمصان الزرقاء التى اصطنعها الوفد لنفسه ، وبدا الوضع أمام الراى العام المصرى وكأنه اعتداء على حقوق الملك الدستورية .

---

(٦٨) الوفد المصرى ٣ اغسطس ١٩٣٧ ، البلاغ ١٢ سبتمبر ١٩٣٧ .
(٦٩) المصرى والجهاد ٢٠ ، ٢١ ديسمبر ١٩٣٧م .

ثانيا : لقد اخطأ الوفد فى حساباته أيضا حيث أن هذه المظاهرات كانت من الأساليب التى يلجأ اليها الوفد أمام الملك فؤاد ، أما هذه المرة فان الملك فاروق كان يحظى بشعبية كبيرة .

ثالثا : لقد أدرك النحاس باشا أن وزارته على أهبة الاقالة فتصور ان هذا الأسلوب سيحول بين القصر وبين الاقدام على تلك الخطوة الا أن هذا التقدير كان خاطئا ، فلقد كانت تلك المظاهرات من أهم العوامل التى عجلت بالاقالة .

وفى الوقت نفسه سارت جموع غفيره من الشعب المصرى فى شكل مظاهرة تهتف بحياة الملك واتجهت الى قصر عابدين حيث خرج الملك لتحيتها أكثر من مرة (٧٢) . مما يؤكد رغبته فى انتهاج هذا المسلك .

ووفق حديث لامبسون (السفير البريطانى) مع على ماهر عن تصاعد الموقف بين الملك والنحاس يقول لامبسون : ان هذه التصرفات من الملك تؤكد تماما اعتقادى بأن الملك عنيد ومتهور وأحمق ، وقلت له (أى على ماهر) أننا قد بذلنا ما فى وسعنا لاحتواء الأزمة ، واذا تدخلنا أكثر من ذلك فسوف نتهم باننا نتدخل فى شئون مصر الداخلية ، ولقد وصلت الى نتيجة وهى أن ندع الفريقان يخوضان معركتهما الى النهاية وأتمنى ان يتفهم الملك طبيعة تلك المظاهرات التى تهلل له فان هذا التهليل يمكن أن يكون مضللا ، ولقد أكدت للملك مرارا أننا نؤيده بشرطين أن يكون ملوكه دستوريا وأن يكون حكيما ولا اعتقد أن أيا من هذين الشرطين قد تحقق (٧١) .

ولقد تطورت الامور تطورا خطيرا وبقدر ما تفاقمت مظاهر الخلاف بين الوفد والقصر بقدر ما تدخل السفير البريطانى ، وهذا مما يزيدنا قناعة بعدم اخلاص السفير فى محاولته احتواء تلك المشاكل ، وفى ٣٠ أكتوبر ١٩٣٧ تدهور الموقف بشكل خطير بسبب مصادرة الحكومة لجريدة البلاغ — لسان حال القصر — لنشرها نص حديث دار بين الملك فاروق والنحاس طلب فيه الأول حل جماعات القمصان الزرقاء (٧٣) .

---

(٧٠) البلاغ والسياسة ٢١ ، ٢٣ ديسمبر ١٩٣٧م .

(٧١) الوثائق البريطانية برقية رقم ٢٥ من لامبسون الى ايدن بتاريخ
F.O. 407-221

(٧٢) البلاغ ٢٩ اكتوبر ١٩٣٧ .

وانطلاقا من مفهوم أن الوفد يعنى كل الشعب المصرى فقد بدأ النحاس باشا يفكر جديا فى خلع فاروق وتنصيب الأمير عبد المنعم ملكا على مصر (٧٣) .

ووفقا للمصالح البريطانية وتقديرا لأهمية أن تبقى الثغرات قائمة فى السياسة المصرية لتتمكن بريطانيا من التدخل فلم توافق الحكومة البريطانية على خلع الملك فاروق واقترحت على النحاس أن يتدرع بمزيد من الصبر لأن الفرصه ماتزال قائمة لاصلاح الخلل القائم (٧٤) .

إلا أن محاولات السفير البريطانى لاصلاح الخلل القائم بين النحاس والملك لم تحقق قدرا ملحوظا من التقدم وخصوصا بعد محاولة اغتيال النحاس باشا (٢٨ نوفمبر ١٩٣٧) على يد عضو من جمعية « مصر الفتاة » يدعى عز الدين عبد القادر (٧٥) واعتقادا من النحاس باشا بأن الملك فاروق هو المسئول الأول عن هذا الحادث . فلقد نقل امين عثمان رسالة شفوية من النحاس الى السفير البريطانى يطلب منه التدخل المباشر لانقاذ المعاهدة مما قد يحدثه من تصرفات الملك المستبد ، ويتساءل لامبسون فى رسالته الى حكومته ؟ هل نحن مستعدون لدفع الثمن المحتمل لمساندة النحاس ضد الملك فاروق ؟ وهل نحن على استعداد لان نمضى بالأمور الى نهايتها ؟ ان ذلك قد يعنى خلع الملك نهائيا مع الأخذ فى الاعتبار أن الامير محمد على الذى يليه فى ولاية العرش صاحب خبرة كبيرة وسيكون أسلس قيادا وأكثر تقبلا للاقناع والنصح (٧٦) ، ومن الواضح أن وجهات النظر كانت مختلفة بين الوفد والانجليز على من يخلف فاروق . والملاحظ

---

(٧٣) منكرات كريم ثابت المستشار الصحفى للملك فاروق ، الجمهورية ١٥ يونيه ١٩٥٥م ، لقاء مع فتحى رضوان ١٩٨٢/٩/١٢ .

(٧٤) الوثائق البريطانية برقية رقم ٦٢٧ من لامبسون الى حكومته F.O. 407-221 بتاريخ ٢٣ نوفمبر ١٩٣٧م .

(٧٥) الوفد ، المصرى والاهرام والبلاغ الأول من ديسمبر ١٩٣٧ ، المسدى وآخرون ، مصر فى الحرب العالمية الثانية ص ٥٥ .

(٧٦) الوثائق البريطانية ، برقية رقم ٦٧٩ بتاريخ ٢ نوفمبر ١٩٣٧ من لامبسون الى حكومته . F.O. 407-221

على ضوء العلاقات المصرية البريطانية أن الحكومة المصرية قد تجـاوزت فى علاقتها ببريطانيا حدود معاهـدة ١٩٣٦ ، فلم يكن من بين بنـود تلك المعاهدة ماينص صراحة أو ضمنا على أن تتدخـل بريطانيا فى شـئون مصر لدرجة التفكير فى خلع الملك فاروق وعلى الرغم من اننا لا نعفى القصر من المسئولية التى دفعت بالعلاقات بين الحكومة والقصر الى هذا الحـد من التردى . الا اننـا لا نعفى الحكومة الوفدية من مسئوليتها فى اعطـاء الحكومة البريطانية فرصة التدخل فى الشئون الداخلية لمصر ، وهـو مايتعارض مع معاهدة ١٩٣٦ التى تنص على عدم التدخل بأى صـورة من الصـور .

ولمـا كانت تلك المسائل الخطيرة تحسم فى لندن فقد جاء رد الحكومة البريطانية بعدم الموافقة على خلع الملك فاروق . وخصوصا فى هذا الوقت بالذات ، كما طـالبت السفير البريطانى بالضغط على النحـاس ليقبـل اعادة تشكيل وزارته بما يرضى كل الأطراف وطالبته أيضـا بمقابلة الملك وحثه بأشد لغة على التعاون مع الحكومة الحالية مع العمـل فى الوقت نفسه على كسب ثقـة الملك (٧٧) .

ومن الواضح أن موقف الحكومة البريطانية من هذا الصراع الدائر كانت تحكمه عدة اعتبارات : ـ

أولا : ان العلاقات المصرية البريطانية كانت تمر بفترة اختبـار لمعـاهدة ١٩٣٦ ، واقحام بريطانيا فى مثل هذه المسائل الخطيرة سيفسر على انه ارتداد بالعلاقات الى ما قبل المعاهدة .

ثانيا : لقد كان الملك يحظى بقدر من الشعبية لدى الرأى العام المصرى والاقدام على عزل الملك قد يترتب عليه عواقب خطيرة ليست فى مصـلحة بريطانيا .

---

(٧٧) الوثائق البريطانية برقية رقم ٢٢٢ بتاريخ ٢٨ نوفمبر ١٩٣٧ مـن ايـدن الى لامبسون . F.O. 407-221

ثالثا : لقد قدر وزير خارجية بريطانيا اهمية الصراع بين الوفد والقصر حتى تتاح الفرصة لمزيد من النفوذ البريطانى .

ونستطيع بعد كل هذا أن نؤكد على قضية هامة وهى رغبة بريطانيا فى مساندة الوفد تلك المساندة التى تفسرها العديد من الاسباب الموضوعية وفى مقدمتهـــا : ـــ

١ ـــ أن حكومة الوفد تستند الى قاعدة شعبية عريضة تمكنها من تطبيـــق معاهدة ١٩٣٦ تطبيقا يعتمد على روح المعـــاهدة قبـــل التقيـــد بنصوصها .

٢ ـــ ان حزب الوفد بشعبيته الكبيرة هـــو الحزب القـــادر على الوقوف موقف الند ضد شعبية الملك الشاب .

٣ ـــ يمكن لبريطانيا عن طريق حكومة الوفد أن تصـــدر ما تشـــاء مـــن قرارات تتفق مع المصالح البريطانية .

وفى الوقت الذى كانت العلاقات بين الملك والنحاس تمضى الى طريق مسدود كانت هناك بعض القوى الملتفة حول القصر بهدف أن تؤجج نيران الفرقة بين العرش والوفد ويعتبر المقال التالى والذى نشرته احـــــدى الصحف الموالية للقصر نموذجا فريدا لأسلوب الوقيعة والمزايدة لا لخدمـــة الأغراض الوطنية ، وانما لتحقيق مكاسب شـــخصية وحزبية ، فكتبت جريدة البلاغ تقول : « حينما سافر النحاس الى لندن لأجل المفاوضـــات ودعته مصلحة خفر السواحل باطلاق المدافع وحينما عاد استقبلتـــة بنفس الطريقة وبديهى أن اطلاق المدافع من مميزات جلالة الملك وحده ، بذلـــك جرت القواعد وجرت العادة فى مصر .. فاطلاقها للنحاس فى توديعـــه واستقباله اغتصاب لمظهر من مظاهر تلك المميزات ، كان من الضرورى ان يترك اثره فى ذلك القلب البرىء الذى يجلس على العرش .. ثم الحفلة الدينية التى كان مزمع قيامها عند تولية الملك سلطاته ولكن النحـــاس ثار وزعم أن فيها اعتداء على الدستور ، كل هذا والملك وهو طـــاهر القلب خال الذهن من الأشخاص لا يضمر غير حب خالص لبلاده ، ثم اخـــذت

الصحيفة تعدد على النحاس مواقفه المنافية لحقوق العرش ، ففى احدى الحفلات التى أقامها النحاس فى قصر الزعفران جلس النحاس بجـــانب الملك فى الحديقة ، وكان الجو معتدلا ومع ذلك شـــوهد النحاس يخـلع الطربوش ويبقى برأسه عاريا لمدة عشرين دقيقة ولم يخـلع الملـــك طربوشه ، فأى معنى يفهم من هذا غير أن النحاس يتململ فى حضرة صاحب الجلالة ، واستقبل الملك مستقبليه فى محطة الأسكندرية مصـــافحا لهم فشوهد النحاس يصافحهم هو الاخر من ورائه ، ولمـا ذهب جلالتــه الى البرلمان فى حفلة التولية شوهد مكرم عبيد واقفا بجانبه ويداه معقــودتان خلف ظهره وهذا وذاك يتنافيان مع التقاليد (٧٨) .

وهكذا تمكنت بطانة السوء من تعميق الخلاف بين الملك ورئيـــس الحكومة ومما يؤسف له أن الصحف المصرية قد لعبت دورا خطــيرا فى تفاقم الخلافات وأن بعض كبار الكتاب قد انحــدر الى هذا الدرك تحت فلسفة « حقوق الملك هى حقوق الأمــة » (٧٩) .

وفى الوقت الذى انقسم فيه الشعب المصرى بين مؤيد للملك ومناصر للوفد كانت الحكومة البريطانية تضع القواعد الأساسية التى تحكم التدخل فى شئون مصر الداخلية وحددت أربعة أهداف تستدعى التدخـــــل البريطـــــانى :

أولا : اغفـــال تنفيذ نص المعاهدة أو روحها .

ثانيا : السعى من جانب الحكومة المصرية لتأمين نفسها بالتفاوض مع دولة أخرى لعقد معاهدة أو نحوهـــا .

ثالثا : امتناع الحكومة المصرية عن اتخاذ الاجراءات الضرورية لتحســين وسائل الدفاع عن مصر .

رابعا : تدهور الوضع المالى على نحو يترتب عليه أن تصبح مصـــــر عاجزة عن الوفاء بالتزاماتها الدولية (٨٠) .

---

(٧٨) البلاغ ٣١ يوليو ١٩٣٧م .

(٧٩) المصدر السابق أول يوليو ١٩٣٧م .

(٨٠) الوثائق البريطانية برقية رقم ١٦٦ بتاريخ ١٥ فبراير ١٩٣٨ مــن ايدن الى لامبســـون . F.O. 407-221

على هذا النحو ارست الخارجية البريطـــــانية القواعد التى يتم بموجبها التدخل فى شئون مصر الداخلية ومن المؤكد أن بريطانيا لا يعنيهـــا من مصر الا القدر الذى يحقق مصالحها سواء العسكرية أو الاقتصـــادية أو السياسية أما حقوق العرش أو حقوق الأمة أو الديمقراطية فهى قضايا تتشدق بها بريطانيا بهدف تحقيق أغراضها .

ومما يلفت النظر ان على ماهر رئيس الديوان الملكى — قـد لعب دوراً مميزا فى الصراع الدائر بين القصر والوفد اتسم بالدهاء والمكـر ومن الطريف ما نلاحظه فى خديعته للسير لامبسون ففى الوقت الذى احس فيه السفير برغبة الملك فى اقالة الحكومة نجح على ماهر الى درجـــــة كبيرة فى اقناع السفير بأن الملك لا يمكن أن يفكـر فى مثل هذه الأمور مما اضـــطر لامبسون أن يرسل الى حكومته يطمئنها على بقاء حكومة الوفد (٨١) .

واضطرت الحكومة الانجليزية الى استعمال أسلوب التهديــــد وابلغت الملك صراحة أنه سيفقد ثقة الحكومة البريطانية اذا ما اســتمر فى سياسته وأنه يعرض عرشه للخطــر (٨٢) .

ومن خلال هذا الصراع الدائر أعلن الدكتور احمد ماهـر رئيـس مجلس النواب بيانا أدان فيــه الوزارة الوفـدية متهما اياها بافســاد الأمن والتعليم وخنق الحريات وانها تعد من أسوا الحكومات التى حكمت مصـــــــر (٨٣) .

وعندما حانت اللحظة الحاسمة وعلم السفير البريطانى أن اقـــالة الوزارة قد تحققت تراجعت الحكومة البريطانية عن اتخاذ موقف محـــدد ولعل اختيـار محمد محمود باشــا ليتولى رئاسة الحكومة بما عرف عنه من صداقته الوطيدة مع الانجليز كان من بين العوامل التى شجعت بريطانيا على عدم التدخـل .

---

(٨١) د. عبد العظيم رمضان ، الصراع بين الوفد والعرش ص ٣٥ .

(٨٢) وثائق الخارجية البريطانية برقية رقم ٨٢ بتاريخ ٢٠ ديســمبر ١٩٣٧ من لامبسون الى ايدن . F.O. 407-221

(٨٣) البلاغ ، والسياسة ١٩٣٧/١٢/٢٤ .

ويعد خطاب الملك باقالة الوزارة أغرب خطاب اقالة لأية حكـــومة حيث جاء فيه « نظـرا لمـا اجتمع لدينا من الادلة على أن شـعبنا لم يعد يؤيد طريقة الوزارة فى الحكم وانه يأخذ عليها مجافاتها لروح الدســتور وبعدها عن احترام الحريات العامة وحمايتها ، وتعذر ايجاد سبيل لاستصلاح الأمور على يد الوزارة التى تراسونها لم يكن بد من اقالتها تمهيدا لاقـامة حكم صـالح يقوم على تعرف رأى الأمة الخ » (٨٤) .

وتأصيلا للحقيقة التـاريخية فاننا نعتقد أن على مـاهر قد لعب دورا خطيرا فى تدعيم سلطة الملك على حساب الحقوق الدستورية ، واسـتطاع على ماهر أن يلفت نظر الملك الشاب الى ضرورة اقالة الوزارة الوفدية بلا أى تقدير لمبدأ الشرعية الدستورية (٨٥) .

ويبدو أن هذا المسلك من على ماهر كان بسبب موقف الوفـد من تعيينه رئيسا للديوان الملكى ، ففى الوقت الذى استبشرت فيه صـحف القصر لهذا التعيين واعتبرته مطابقا لمبدأ الرجل المناسب فى المكان المناسب على اعتبار أن على ماهر هو أفضل من يصلح لهذا المنصب (٨٦) ، فى نفس الوقت تتحفظ صحف الوفـد على هذا التعيين بل ان احداها ذكرت أن هذا التعيين قد تم بناء على الصلاحيات التى حصل عليها القصر بمقتضى مرسوم ٨ فبراير ١٩٢٥ الذى اصدرته وزارة زيور باشا وأن الوزارة القـائمة تنوى عرض هذا المرسوم على البرلمان بهدف تعديله أو الغائه (٨٧) .

بل ان على ماهر شخصيا هو الذى قام بكتابة كتاب الاقـالة (٨٨) ، وعندما أثيرت هذه المسألة فى مجلس الشـيوخ سنة ١٩٤٠ قـال على ماهر : اذا تساءل البعض لماذا اقيلت حكومة ١٩٣٧ ، فالجواب أن سـبب

---

(٨٤) الأهرام والبلاغ والدستور ١٩٣٧/١٢/٣١م .
(٨٥) فاطمة اليوسف ، ذكريات ص ٢٢٤ .
(٨٦) البلاغ ١٩٣٧/١٠/١٠م .
(٨٧) المصـرى ١٩٣٧/١٠/٢٠م .
(٨٨) الجمهـورية ١٩٥٤/١/٧ .

الاقالة خلاف على حقوق العرش وكان من واجبى (اى على ماهـــر) وقتئذ أن اتقدم لايجاد حلول بخصوص هذا الموضوع .

وهكذا تمت اقالة حكومة الوفد بطريقة مهينة على يد الملك فـــاروق وبتوجيه من رئيس ديوانه على ماهر الذى ضرب عرض الحـــائط برغبـــة السفير البريطانى فى بقاء حكومة الوفد فى الحكم ولذا فقد اعتقـــد السفير أن على ماهر هو السبب الحقيقى وراء كل المتاعب التى تلاقيهـــا بريطانيا فى مصـــــر (٩٠) .

ولقد تمخضت أزمة اقالة الوزارة عن مزيد من سوء العلاقة بين على ماهـــر والجانب البريطانى كما دفع السفير الى أن يكتب لحكومته قـــائلا : ان على ماهر رجل مخـــادع لا يمكن الوثوق فيه أو الاعتماد عليه (٩١) .

وبصدد مناقشتنا لاقالة الوزارة الدستورية سنة ١٩٣٧ ، يدفعنـــــا هذا الى التساؤل عمن تقع على عاتقه مسئولية هذه الاقالة ؟ . .

ولعل التفسير الذى يتفق ومنطق الأحداث يدفعنـــا الى ادانة العديد من الأطراف ، ولعل على ماهر فى مقدمة تلك القائمة لأنه المسئول الأول عن هذه الاقالة ولأنه سعى الى توسيع سلطات الملك على حســـاب الأمـــــة حتى يبدو بمظهر الرجل الأمين على حقوق العرش ، ولاشك أن هـــــذه السياسة قد أفرزت نتائج خطيرة تمثلت فى فتح عيون الملك على سياســـة التحدى للمبادىء الدستورية واقالة الوزرارات وتعطيل البرلمان تلـــــك السياسة التى اكتوى بنارها حزب الأغلبية واحزاب الأقلية على حد سواء ، ولعل على ماهر نفسه قد شرب من نفس الكأس حينما أقاله الملك بطريقـــة مهينـــة سنة ١٩٥٢ (مارس) .

---

(٨٩) مضابط مجلس النواب ، الجلسة الخامسة والخمسين ، أول مايـــو سنة ١٩٤٠ ص ١٨٩٥ .

(٩٠) الوثائق البريطانية برقية رقم ٦١٢ من لامبســـون الى ايـــــدن بتاريخ ٣٠ نوفمبر ١٩٣٧م . F.O. 407-221

(٩١) المصـــــدر الســـابق .

وتعد حكومة الوفد مسئولة بتصرفاتها حيث مهـدت الطريق لاقالتها ، وذلك بسبب اعتقاد النحاس أن الملك (شاب صغير) يمكن احتواؤه بشكل أو باخـر ، وكانت معظم تصرفات النحاس تصدر انطلاقا من هذا المفهـوم وأسقطت حكومة الوفد من حساباتها وجـود على ماهر فى معسـكر القصر ، تلك الشخصية التى شهد لها كل من عاصرها بالمكر والدهـاء ، وبدلا من أن تنهج حكومة الأغلبية نهجـا دستوريا ابتدعت فكرة القمصـان الزرقاء التى ضج منها الجميع بسبب سلوكها الارهابى عن طريق الاعتداءات المتكررة على خصوم الوفـد .

ويعتبر الملك فاروق نفسه أحد المسئولين عن هذه الاقالة فما كـان عليه أن يبدأ حياته بهذا المسلك الديكتاتورى ، وكان عليه أن يلجـأ الى الأمة ليأخذ رأيها اذا ما اعتقد أن الحكومة لم تعد تحظى برضاء الشعب .

واذا ما علمنا أن الملك فاروق لم يكن قد تجاوز الثامنة عشرة عامـا بالتاريخ الميلادى ، فان هذا يضاعف من مسئولية على ماهر .

أما السفير البريطانى ومن ورائه تعليمات وزير الخارجية فلقـد لعب دورا هاما وأساسيا فى افساد العلاقات بين القصر والحكومة ، وما كان لبريطانيا أن تقبل بأى حال من الأحوال أن يتحد المصريون جميعـا فى جبهة واحدة لأن هذا معناه ان تتنبه الأمة للخطر الذى يحيق بها من جراء الهيمنـة البريطانية ، وهناك سؤال يستحق أن يجاب عليه : كيف قبل البريطانيون أن يهزموا فى اول معركة يخوضونها ضد الملك فاروق ؟..

أولا : لقـد حدد وزير الخارجية البريطانى المسائل التى يمكن للسـفير أن يتدخل تدخلا مباشرا من أجلها ولم يكن من بينها اقالة الحكومـة الوفـدية ..

ثانيا : لعل الحكومة البريطانية قد اعتقدت أن اقالة الوفـد لا تسـتحق التضحية بمعاهدة ١٩٣٦ ، ومن المؤكد أن الحكومة البريطـانية كانت تفكر فى التدخل الا أنها قد أرجأت ذلك الى وقت ترى فيه أن مصالحها فى خطـر .

ثالثا : اكد السفير البريطانى فى حديثه مع النحاس عقب الاقالة حينما لامه الأخير على عدم تدخله ليحول بين رغبات الملك الطائشة ، وبين اقالة الحكومة الدستورية — أكد السفير أنه لم يكن فى وسعه أن يفعل اكثر من ذلك وليس من مصلحة النحاس باشا نفسه أن تتدخل بريطانيا لكى تستبقيه بالقوة (٩٢) .

الا ان الوفد لم يكن ليقتنع بالحجج والمبررات التى ساقها السفير البريطانى واخذت صحف الوفد تلوح بأن التحالف الانجليزى المصرى قد اخفق وأن على مصر أن تبحث لها عن حليف جديد وأشارت الصحيفة الى أن بريطانيا ما زالت تتعامل مع مصر بروح الاستعمار القديم والواجب على الحليفة اذا كانت حريصة على عوامل الود والصداقة ان تترفع عن استغلال محنتنا واهدار استقلالنا (٩٣) .

وتساءلت صحيفة وفدية أخرى : هل بلغ سوء الظن بين المصريين والانجليز الى الحد الذى لا سبيل معه الى اقرار الوضع بين الحليفتين على أساس من التعاون الصادق السليم ؟ وأشارت الصحيفة الى مسئولية بريطانيا عن اقالة الحكومة الدستورية (٩٤) .

ولقد انتهز الوفد كل الفرص لاحراج الانجليز والقصر معا ، وهذا الموقف من الوفد يدفعنا الى الاعتقاد بأن موقفه من الانجليز وهو خارج الحكم يغاير موقفه وهو فى الحكم ، فلقد أخذ زعماء الوفد يصرحون فى كل مكان بأنهم طردوا من الحكم بناء على رغبة الملك وبايعاز من الانجليز وأن هذا الموقف ضد رغبة وتأييد جماهير الشعب المصرى ، وترتيبا على ذلك وجد الوفد نفسه مدفوعا لمهاجمة السياسية الانجليزية وخصوصا ما يتعلق منها بتأييد المعاهدة بل والاكثر من هذا أعلن ممثلو الوفد فى مجلس النواب ٠ بأن

---

(٩٢) الوثائق البريطانية برقية رقم ١٠٨ من لامبسون الى ايدن بتاريخ ١٨ يناير سنة ١٩٣٨ . F.O. 407-222

(٩٣) المصرى ١٠ نوفمبر ١٩٣٨ .

(٩٤) الوفد المصرى ١١ ، ١٦ نوفمبر ١٩٣٨ .

السفارة البريطانية ورئيس البعثة العسكرية البريطانية يحكمان مصر كما كان يحكمها المعتمد البريطانى والمفتش العام قبل المعاهدة (٩٥) .

ومن خلال الخلافات والمشاحنات بين القوى السياسية فى مصر والذى كان حقل خصب لنمو النفوذ الانجليزى المدعوم بمعاهدة ١٩٣٦ أعيدت صياغة العلاقات بين القوى المؤثر فى السياسة المصرية على النحو التالى : —

اولا : لقد اعتقد النحاس أن الملك وحده غير قادر على اتخاذ تلك الخطوة الخطيرة وهى اقالة الحكومة الدستورية ، معتقدا أن الانجليز كانوا وراء تلك المؤامرة ، ومن هنا أعلن الوفد صراحة عن عدائه للانجليز والتلويح بنقض معاهدة ١٩٣٦ (٩٦) .

ثانيا : زيادة حدة الصراع بين حزب الأحرار الدستوريين والقصر الا أن هذا الصراع لم يتعد اطار التحالف ضد الوفد ، وهذا التصارع كان منشؤه أن القصر يريد أن يملك ويحكم وحده ، وأن حزب الأحرار الدستوريين كان يريد أن يشارك الملك فى الحكم ، ويلاحظ أن مصدر الخلاف قد دار حول أمور سبق أن تصارعت من أجلها كل الأحزاب ضد ديكتاتورية القصر ، وهى حق رئيس الحكومة فى اختيار أعضاء وزارته وهو ما رفضه القصر تماما .

ثالثا : أما عن العلاقات بين الانجليز والقصر وخصوصا بعد أن أهمل فاروق نصائح لامبسون بالابقاء على حكومة الوفد . فقد تزايد العداء بين الطرفين لنفس السبب السابق بالاضافة الى تزايد النفوذ الايطالى داخل القصر عن طريق البندارى باشا وكيل الديوان الملكى (٩٧) .

ومن هنا فقد دخلت العلاقات المصرية البريطانية فى مرحلة جديدة اتسمت بالتصادم الواضح بين الملك والانجليز .

---

(٩٥) مضابط مجلس النواب — الجلسة الثالثة والثلاثون أول يونية ١٩٣٨ ص ٢٣٠ ، ٢٣١ .
(٩٦) المصرى ١٢ نوفمبر ١٩٣٨م .
(٩٧) المسدى وآخرون — مرجع سبق ذكره ص ٦٥ .

الوجود البريطانى فى السياسة المصرية — (ديسمبر ١٩٣٧ — يونية ١٩٤٠) :

لقد اعتبرت الحكومة البريطانية أن تصميم الملك فاروق على اقالة حكومة النحاس وتكليف محمد محمود بتأليف الوزارة الجديدة يعد انقلابا ضد الديمقراطية وعودة الى سلوك الملك فؤاد الاستبدادى (٩٨) .

وقد ألف محمد محمود وزارته فى ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧ حيث جمع فيها بعض المستقلين والمنشقين على الوفد ، وبمجرد الانتهاء من اجراءات تشكيل الحكومة جرت زيارتان متبادلتان بين السفير البريطانى ومحمد محود باشا تم فيهما وضع أسس التعاون بين مصر وبريطانيا ، وقد حملت رسائل لامبسون الى حكومته فى لندن — رغبة رئيس الوزراء المصرى فى اقامة علاقات متينة تحكمها المصالح المشتركة والتعاون الصادق بين الطرفين ، وقد اتفق على وضع أولويات العمل المشترك فيما يتعلق بقضية الدفاع عن مصر ، وما يتطلبه ذلك من نفقات ، وأضاف لامبسون فى برقيته : « أن محمد محمود باشا قد ابدى رغبة اكيدة فى منع المظاهرات التى تحدث فى الشوارع كل يوم والتى تسبب ارتباكا فى كافة المصالح والمؤسسات الحكومية ، ويضيف لامبسون : أن رئيس الوزراء المصرى قد تفهم جيداً طبيعة العلاقات المصرية الايطالية وانه مقدر تماما للاخطار القائمة . وأستطيع أن أقرر أن رئيس الوزراء الجديد صديق قديم وحتما سيكون تعاوننا صادقا ومريحا » (٩٩) .

ولعل الملك فاروق قد وقع اختياره على محمد محمود باشا بسبب علاقته الوطيدة مع الانجليز ، ويبدو أن الملك فاروق كان على ثقة من أن بريطانيا لن تعترض حتى لا تقع فى حرج نظرا للعلاقات الوطيدة التى تربط رئيس الوزراء الجديد بالسفارة البريطانية ، وقد بدات الوزارة الجديدة

---

(٩٨) الوثائق البريطانية برقية رقم ٨٧ من لامبسون الى ايدن بتاريخ ٢٨ ديسمبر ١٩٣٨م . F.O. 407-222

(٩٩) المصدر السابق برقية رقم ١٠ بتاريخ اول يناير ١٩٣٨ من لامبسون الى ايدن .

فى تنفيذ خطة القصر باستصدار المرسوم الملكى بحل البرلمان الوفدى (٣ يناير ١٩٣٨) وقد هاج النواب الوفديون وأصروا على الاعتصام داخل البرلمان احتجاجا على تلك السياسة الا أن الشرطة قد تمكنت من اخراجهم بالقوة (١٠٠) .

وخلال الشهر الأول لمن عمر الوزارة أجريت أكبر حركة تنقلات داخل الجهاز الادارى للدولة وتمت عمليات فصل واسعة النطاق للعناصر الوفدية حتى لقد شهد السفير البريطانى بأنه بات واضحا أن الانتخابات « ستزيف » بواسطة الحكومة وبموافقة القصر الملكى (١٠١) .

ومضت الوزارة فى ادخال العديد من التعديلات فى الدوائر الانتخابية تم معظمها تلبية لرغبات مرشحى تلك الدوائر ، ووجدت الفرصة مواتية فى التعداد الجديد للسكان حيث زادت عدد الدوائر الانتخابية لمجلس النواب ٢٣ دائرة جديدة فصار عدد الدوائر ٢٦٤ بدلا من ٢٣٢ ، وتدخلت الحكومة فى هذه الانتخابات تدخلا اداريا لصالح كثير من مرشحيها وأنصارها فلم تكن فى جملتها انتخابات حرة أو سليمة وهذا يعد مخالفة صريحة للدستور وتزييفا لارادة الأمة وتواطؤا مشبوها مع القصر (١٠٢) .

وكان الخارجون على الوفد يتزعمهم الدكتور أحمد ماهر والنقراشى قد كونوا « الهيئة السعدية » ولم يعتبروا أنفسهم خارجين على الوفد بل اعتقدوا أن عامة الوفدية بقيادة النحاس باشا هى التى خرجت عليهم — وعلى المبادىء الأصلية للوفد (١٠٣) . ووجد هؤلاء أنفسهم فى معسكر القصر الذى يعتبر الخصم الأول للوفد وتقدموا الى الانتخابات مع حزب

---

(١١٠) الوفد المصرى ، البلاغ ، السياسة ٤٣ ، ٥ يناير ١٩٣٨م .
(١٠١) د. أحمد زكريا شلق — حزب الأحرار الدستوريين ١٩٢٢ — ١٩٥٢ ، دار المعارف القاهرة سنة ١٩٨٢ ص ٣٩٨ .
(١٠٢) لقاء مع فتحى رضوان فى منزله بمصر الجديدة ١٩٨٢/٩/٨ ، عبد الرحمن الرافعى ، فى أعقاب الثورة ج٣ ص ٦٠ .
(١٠٣) محمد حسنين هيكل ، مذكرات فى السياسة المصرية ج٢ ص ٨٥ ، صحيفة السياسة ١٩٣٨/٢/٤م .

الاحرار الدستوريين على أمل الفوز بمقاعد تتناسب وما اثير من أن الوفـــد الحقيقى هو ما يتزعمه الدكتور أحمد ماهر (١٠٤) .

وحصلت الهيئة السعدية على ثمانية مقاعد فى مجلس النواب وفضل الدكتور ماهـــر ان يبقى بهيئته بعيدا عن الحكم يرقب ماتأتى به الـــوزارة الجديدة الا أن هذا الموقف كان موضـــع ريبة من الوزارة الجديدة فما زالت المساعى تبذل لتعاون الحزبين فى الحكم حتى اثمرت هـــذه المساعى واشترك السعديون فى الوزارة فى يونية ١٩٣٨ ، بعد أن تمكنت الحكومة بالتعـــاون مع القصر من اقصاء الوفد عن الحكم عن طريق تزييف الانتخابات الى حد أن زعيمى الوفد مصطفى النحاس ومكرم عبيد — قد سقطا فى دائرتيهما ، وعلى ضوء ما ترتب على ذلك من صراع أخذ يدب بين القصر يمثله على مــــاهر (رئيس الديوان) وبين محمد محمود (رئيس الوزراء) على اعتبار أن كـــلا منهما يريد أن يستأثر لنفسه بقدر كبير من السلطة .

وتشير العديد من المصادر الى أن على ماهر باشـــا لم يترك الوزارة تمضى فى طريقها بل عمل على وضع العديد من العقبات كوسيلة للخلاص منها حتى يقفز هو الى موقع رئيس الحكومة (١٠٥) .

وبقدر ما بذل على ماهر من جهد للعمل على اضعاف الحكومة والنيل منها كان محمد محمود باشـــا يتردد على دار السـفير البرطانى مابيـــا وبسخاء كل ما يرى أنه ينم عن رغبة انجليزية ، ووفقا لمراعاة مصـــــالح الحليفة فلقد اتخذت الحكومة المصرية قرارا بمنع الرعايا الأجـــانب من حمل السلاح والذى كان مقصودا به بالدرجة الأولى الايطاليين المقيمين فى مصـــــــر (١٠٦) .

---

(١٠٤) السياسة ١٩٣٨/٢/١١ .

(١٠٥) محمد التابعى . أسرار الساسة والسياسة ص ٥٠٣ — الكتـاب الذهبى العدد ١٩٥ اكتوبر ١٩٧٢ القاهرة ، اخبار اليوم ١٩٤٥/٣/١

(١٠٦) مضابط مجلس النواب — الجلسة الثالثة أول ابريل ١٩٣٨ ص ٣١٨ ملحق بمشروع قانون بمنع حمل السلاح على الرعايا الأجانب .

ومن المؤكد أن السلطات البريطانية كانت ترقب وبحذر شـــديد التطورات السياسية فى مصر حيث كانت الأوضاع الدولية تنذر بقـدوم حرب ضد المانيا ففى ١٢ مارس ١٩٣٨ أقدمت المانيا على ضم النمسـا ثم تحولت الى اقليم السوديت الذى تفاقمت فيه الحركة النازية ، وقد نصحت انجلترا وفرنســا وتشيكوسلوفاكيا بعد لقاء ميونيخ الأول بين تشــمبرلن وهتلر بالتخلص من الأقاليم التى يقطنها الألمان بنسبة تزيد عن ٥٠ فى المائة وتطورت الامور تطورا خطيرا بعد لقاء ميونيخ الثانى ٢٩ سبتمبر ١٩٣٨ ، وبقدر تفاقم الحالة الدولية فقد تضاعف قلق بريطانيا وزاد من رغبتهـا فى فرض سيطرتها على مصر بحجة أن ما يحدث يرتبط بأمن بريطانيا ذاتهـا ، ومن هنا نظرت بريطانيا الى موقف القصر بشىء من الريبة والشك وممـا ضاعف من هذا الاعتقاد العلاقة الوطيدة بين القصر والجالية الايطالية التى كانت تعد أكبر جالية بعد الجالية اليونانية وكانوا منتشرين فى مدن القطر . ولهم منشئات مالية وثقافية ضخمة منها البنك التجارى الايطـالى والبنك الايطالى المصرى ، والمعهد الايطالى وغير ذلك من المشروعات التجـارية الكثيرة ، ولذا فقد كان الايطاليون يشكلون عنصرا خطيرا على الانجليز فى مصر ، ولذا فقد كان أهم ما يقلق الانجليز هو امتداد النفوذ الايطالى الفاشى الى القصر الملكى حيث أثار الانجليز صلة بعض موظفى السراى بالطليـان وأن الوزير الايطالى فى مصر يحسن استقبالهم عند زيارتهم له ، واعتقـدت الحكومة البريطانية أن من حقها وضع حد لهذا الميول وضرورة اقصـاء موظفى السراى الذين لا ترضى عن وجودهم (١٠٧) .

ووفقا لتطور الحالة الدولية بما ينذر بقيام حـرب مع المانيا وانطلاقا من المفهوم البريطانى السائد والذى يعنى أن أمن بريطانيا فوق كل اعتبار فلقد بدأت الحكومة البريطانية تعيد فهم معاهدة ١٩٣٦ بما يتفق ومصـالحها بالدرجة الأولى .

ولعل من بين المسائل التى كانت تثير السفير البريطانى أن يرى الكونت

---

(١٠٧) صحيفة مصر الفتاة ٢٥ يوليو ١٩٣٨ .

مانتزولينى (السفير الايطالى) فى مدن مصر الكبرى وهو يستعرض بقميصه الاسود الشباب الفاشى ويردد شعارات الدعاية للامبراطورية الرومانية (١٠٨) .

ولقد خشى الانجليز مغبة توثق الصلة بين البندارى باشا (وكيل الديوان الملكى) وبين فيروتشى كبير المهندسين بالسراى ، والذى كان يعد من وجهة النظر البريطانية كادرا هاما من كوادر قلم المخابرات الايطالية ، بل لقد اذاع الانجليز أن فيروتشى يطلع على أوراق الدولة ووثائقها من خلال مكتب البندارى بالقصر الملكى (١٠٩) .

وأخذت السياسة البريطانية تتحين الوقت المناسب لكى تتدخل بكل ثقلها لا لوضع أسس ومبادىء تحدد العلاقة بين القصر والحكومة ، وانما لوضع أسس جديدة تحدد من خلالها قواعد التدخل البريطانى ، سواء فى أعمال الحكومة أو فى اعمال القصر ، واستثمر السفير البريطانى (لامبسون) الخلافات المستمرة سواء بين القصر والحكومة ، أو بين المعارضة التى اصبح يمثلها حزب الوفد وبين القصر وحكومة محمد محمود باشا من جانب آخر ، وقد بدأ هذا واضحا خلال ما يسمى بأزمة (حرس الموتسيكلات) حيث اعتاد السفير البريطانى أن يحيط به موكبه منذ كان مندوبا ساميا (قبل توقيع المعاهدة) وكانت حكومة الوفد قد تركت هذا الأمر بصفة استثنائية بعد توقيع المعاهدة الا أن الملك فاروق طلب الغاء هذا التقليد والح فى طلبه مما اضطر محمد محمود الى مفاتحة السفير وطلب منه رفع هذا الحرس (١٠) .

وعلى ما يبدو فان السفير البريطانى لم يشأ أن يجعل من موضوع الحرس أساسا للخلافات مع القصر ، وأنما أراد أن يتحين الوقت المناسب

---

(١٠٨) د. محمد أنيس ، دراسة عن ٤ فبراير ١٩٤٢ ص ٢٧ .

(١٠٩) المصور ١٤ ابريل ١٩٣٩ ، فؤاد سراج الدين لقاء شخصى ١٩٨٢/١١/١٢ جاردن سيتى — القاهرة .

(١١٠) د. عبد العظيم رمضان — تطور الحركة الوطنية فى مصر ١٩٣٧ — ١٩٤٨ ص ٢٤٢ .

حتى يرد الصاع صاعين للملك ووجد لامبسون ان الفرصة مناسبة حين طلب من محمد محمود أن يبعد كبير مهندسي القصر (فيروتشي) الايطالي الا ان الملك طلب مهلة قصيرة وبعدها سيتخلص منه نهائيا (١١١) .

ولعلها كانت مناورة من القصر حتى لا يصطدم اصطداما مباشرا مع السفير في الوقت الذي كان الوفد يشن اكبر حملاته ضد الانجليز والقصر معا مؤكدا على أن معاهدة ١٩٣٦ قد سقطت في الاختبار الأول (١١٢) .

وكما أوضحنا فقد كان الصراع بين القصر والحكومة من الأسباب الهامة التي اتاحت الفرصة لتدخل السفير البريطاني حتى لو كانت هذه الخلافات من اخص القضايا الداخلية ، وتصور برقية لامبسون التالية كيف يمثل الخلل القائم بين القصر والحكومة فرصة مناسبة لمزيد من التدخل البريطاني : « ان العلاقة بين القصر والحكومة تتأزم يوما بعد يوم مما دفعني الى اجراء محادثات مع كل من علي ماهر رئيس الديوان وحسين سري وزير الحربية وعبد الفتاح يحيى وزير الخارجية ، ولقد خرجت من محادثاتي بأن **علي ماهر وراء كل هذه المؤامرات في محاولة للقضاء على هذه** الحكومة(١١٣) .

وفي الوقت الذي كانت فيه الجالية الايطالية تحظى باهتمام خاص لدى فاروق كان علي ماهر يبذل جهدا كبيرا لدى بريطانيا أثناء تواجده في لندن لحضور مؤتمر المائدة المستديرة في محاولة ليبعد عن نفسه تهمة التعاطف مع ايطاليا تمهيدا لتوليه رئاسة الحكومة .

وعلى الرغم من التعاطف الواضح بين القصر والجالية الايطالية في مصر الا أن هذا التعاطف لم يرق الى درجة التعاون المطلق في هذه

---

(١١١) الوثائق البريطانية برقية رقم ٥٦ بتاريخ ٢١ ابريل ١٩٣٨ من لامبسون الى هاليفاكس . F.O. 407-222

(١١٢) المصري الأول من سبتمبر ١٩٣٨م .

(١١٣) الوثائق البريطانية برقية رقم ٥٥ بتاريخ أول ابريل ١٩٣٨ من لامبسون الى هاليفاكس . F.0. 407-224

الفترة بالذات (١٩٣٨ — ١٩٣٩) وانما كان فاروق يتعامل مع الطليان من منطلق كراهيته للسفير البريطانى ، والذى كان يتعامل مـــع فاروق باعتباره شابا متهورا وليس باعتباره ملكا على مصر .

ولقد استطاع على ماهر بدهـــائه وذكائه أن يقنع الخـــــــارجية البريطانية بأهمية التغيير فى مصر بحجة أن الشعب المصرى قد مل هـــذا الطراز من الحكام وأن الملك قد اعتزم أن يسقط الوزارة القائمة وأن يعهـد اليه بتأليف الوزارة الجديدة .

وعلى ما يبدو فان اختيار الملك فاروق لعلى ماهر لكى يمثـــــل مصر فى مؤتمر المائدة المستديرة كان قائما على أساس اجراء حوار مـــع الخارجية البريطانية تمهيدا لاقالة الحكومة ومما يضاعف من هذا الاعتقاد أن عـــلى ماهر لم يكن وزيرا للخارجية ولا رئيسا للديوان الملكى ، ومن هنــــا فان تمثيله لمصر فى هذا المؤتمر يعد مخالفة صريحة للدستور والقانون ، حـــيث كان من الاولى أن يمثل مصر رئيس الوزراء أو وزير الخارجية أو أى عضـــو فى الحكومة على اعتبار ان اى اتفاق قد يحدث فى المؤتمر ستترتب عليـــــه التزامات سياسية هى من صميم عمل الحكومة .

ولقد روى محمد محمود انه لمـــا اجتمع على ماهر باللورد هاليفاكس ارسلت الخارجية البريطانية محضر الحديث الى لامبسون فى القـــاهرة ، ومن بين الحديث تلميح من على ماهر بأنه سيترأس الحكومة وأضـــــــاف محمد محمود باشـــا : أن الســــير لامبســــون قد اطلعـــــه على هذا المحضر (١١٥) .

ولعل السفير البريطانى كان يهدف من وراء اطلاع محمد محمود على محضر الاجتماع الســـابق الى عـدم مسئولية بريطانيا عن اقالتـــه ، التى تمت بايعاز من القصر وعن طريق على ماهر .

---

(١١٤) مصر الفتاة ٨ يولية ١٩٣٩ ، الجمهورية ١٩٥٤/١/١٢ — مذكرات كريم ثابت المستشار الصحفى للملك فاروق .

(١١٥) أخبار اليوم ١٧ يناير ١٩٤٨ .

وفى حديث لعلى ماهر اشـــار الى أن اقالة وزارة محمد محـــود تمت بمعاونته ولقد بذل جهدا كبيرا لاقناع كبار الساسة بالاشتراك فيها وتمكنت الوزارة عن طريق كبار السياسيين ، والذين بلغ عددهم ستة عشر وزيرا من توجيه الادارة نحو اجراء انتخابات برلمانية أسفرت عـــن حرمـــــان الوفد من اية أغلبية (١١٦) .

ومن ثم سعى على ماهر لكى يثبت لمحمد محمود أن وزارته ليست سوى شكلا دستوريا زائفا لحكم القصر الحقيقى ، على الرغم من أن الحكومـــة كانت تعانى من العديد من المشاكل سواء بسبب عدم الوئام بين أعضـــاء الحكومة أو بسبب الحملات المكثفة والتى كان يشنها الوفد متهمــا الحكومة بأنها لا تمثل الا نفسها (١١٧) الا أن عدم رضـــاء على ماهـــر عن هـــذه الحكومة قد عجل بسقوطها تماما ، وأدرك محمد محمود أن على ماهـــر هو صاحب المشورة والرأى النافذ فى أمر الوزارة (١١٨) .

وحملت العديد من الصحف الموالية للقصر حملة عنيفة على الوزارة وشجع على ماهر جماعة مصر الفتاة على الهجـــوم العنيف على الـــوزارة ووصفها بأنها حكومة تتصف بالخمول وعدم النشاط (١١٩) .

وأدرك محمد محمود حجم المؤامرة التى يدبرها على ماهـــر بهـــدف اســـقاط وزارته ولعله أراد أن يفوت الفرصة على القصر عن طريق اشراك السعديين فى الوزارة حتى يدعم وزارته بعناصر لها ثقلها السياسى والوطنى، وتمكن على ماهر من اقناع قطبى السعديين — أحمـــد ماهر والنقراشى — بالاشتراك فى الوزارة وتم تشكيل الوزارة الجديدة فى ٢٤ يونية ١٩٣٨م .

ولقد رحب على ماهر بهذا التعديل الوزارى الجديد على اساس أنه جزء جديد من مخططه ، وهو عدم تولى الحكم الا بعد الفراغ من كل المرشحين

---

(١١٦) الجمهـــورية ١٩٥٤/١/١٢ .
(١١٧) الوفد المصرى ، أول نوفمبر ١٩٣٨ .
(١١٨) د. محمد حســـين هيكل ، مذكرات فى السياســـة المصرية جـ٢ ص ٧٠ .
(١١٩) مصـــر الفتاة ١٩ مايو ١٩٣٨م .

لتولى الحكم واعلان افلاسهم وعجزهم عن ملأ الفراغ السياسى الـــذى تركه الوفد ، وأخذ على ماهر يلاحق الوزارة الجديدة ويظهـــر عيوبهـــا وفشلها فى تحقيق النمو الاقتصادى والسياسى معلنا بأن البلاد فى حاجة الى وثبة قوية وسريعة وأن هذه الوزارة عاجزة عن تحقيق ذلك ، وقد وجد من جماعة مصر الفتاة ما شجعه على المضى فى خطته وتبنت صحيفة مصـــر الفتاة الدعوة الى مقاطعة الحكومة والعمل على اسقاطها .

واخذت الاشاعات تنتشر مع مرض رئيس الوزراء مرة بالقـــول بأنه فى طريقة الى الاستقالة ومرة اخرى بأنه فى طريقة الا الأجازة بل ان بعض الاشاعات حددت على ماهر باعتباره الخليفة المنتظر (١٢١) .

وقد ظل الصراع بين محمد محمود وبين على ماهر بين مد وجـــزر فى الوقت الذى كان فيه رئيس الوزراء يصارع المرض حتى اضطر الى تقديـــم استقالته (١٩٣٩/٨/١٢) .

وقد اختلفت الآراء حول استقالة محمد محمـــود فالبعض يؤكـــد أن الاستقالة تمت برغبة ملكية حملها سعيد ذو الفقار الى رئيس الوزراء (١٢٢)، والبعض الآخر يؤكد أن الاستقالة تمت برغبة محمد محمـــود الذى عـــزم على تقديمها بعد أن علم أن على ماهر يتصل ببعض الزعماء ويطـــلب منهم الاشتراك معه فى تشكيل الحكومة الجديدة (١٢٣) .

اما محمد محمـــود نفسه فيؤكد فى حديثه للسير لامبسون أن حالته الصحية كانت السبب فى استقالته حيث لم يتمكن من الجلوس فى آخـــر جلسة لمجلس الوزراء أكثر من ربع ســـاعة وذلك مما يضـــاعف من حرجه امام اعضـــاء الحكومة (١٢٣) .

---

(١٢٠) مصـــر الفتاة ١٩٣٨/٥/٢٦ .

(١٢١) د. يونان لبيب رزق ، تاريخ الوزارات المصرية ، مركز الدراسات السياسية بالأهرام ــ القاهرة سنة ١٩٧٥ ص ٤١٧ ، مصـــــــر الفتاة ١٩٣٨/٥/١٢م .

(١٢٢) مذكرات حسن يوسف وكيـــل الديوان الملكى ، القصر ودوره فى السياسة المصرية ١٩٢٢ ــ ١٩٥٢ ــ القـــاهرة ١٩٨٢ ص ١٠٥ ، الرافعى مرجع سبق ذكره ج٣ ص ٦٨ .

(١٢٣) د. هيكل ، مرجع سبق ذكره ج٢ ص ١٦٢ .

وبغض النظر عن ان الملك هو الذى طلب من رئيس الحكومة أن يقدم استقالته أو ان رئيس الحكومة نفسه هو الذى بادر بتقديم استقالته فمن المؤكد أن الاستقالة قد وجدت قبولا لدى الملك فاروق .

و السـؤال الذى يستحق أن يجاب عليه : هل كانت بريطانيا تعلم بأن فى نية الملك اسناد رئاسة الحكومة الى على ماهر ؟..

ان كل الدلائل تشـير الى هذا سواء منذ زيارة على ماهـر الى لندن وحضـور مؤتمر المائدة المستديرة أو مراسلات السفير البريطـانى الى حكومته حيث يفهم من احدى برقيات السفير معرفة لندن بكل التفاصيل . ووفق بعض البرقيات التى بعث بها السفير البرطانى الى حكومته ما يؤكد هذا المعنى حيث يقول : « لقد أسندت رئاسة الحكومة الى على ماهـر كما كان يتوقع الجميع ، ولكن المهمة لم تكن سـهلة فقد توقفت الادارة الحكومية مدة اسبوع بينما تجاهل رئيس الوزراء الجديد حزب الوفـد تجاهلا تاما وسمح للسعديين والأحرار الدستوريين بالتصارع على مراكز الوزارة وهم يدركون تماما أنهم اذا لم يقبلوا شروطه فقد يسـتغنى عن تأييدهم (١٢٤) .

وهذا ما ضاعف من اعتقادنا من أن اسناد الوزارة الى على ماهـر كان متوقعا وأن الدوائر البريطانية كانت على بينة من أمر هذا التغيير .

ويلاحظ أن على ماهر قد شكل وزارته من أصدقائه المقربين ، ومن الشخصيات المستقلة ولم يراع فى اختيارهم أن لهم أنصارا فى البرلمـان أو احزابا تناصرهم وجعل كل غايته أن تتشكل الحكومة من الذين يتفقـون معه فى الرأى والاتجاه ، وممن يؤمنون بعبقريته وكفايته ، وهذا ما يؤكـد عدم ايمان على ماهر بالحياة النيابية السليمة حيث كان يعتقد أن القصر هو المصدر الفعلى لكل السلطات وأن أى حاكم مصرى يفتقد تدعيم القصر له فقد حكم على حكومته بالمضى فى طريق وعر لا نهاية له .

---

(١٢٣) وثائق البريطانية برقية رقم ١١ من لامبسون الى هاليفاكس ٢٥ اغسطس ١٩٣٩م . F. O. 407 — 223

(١٢٤) الوثائق البريطانية برقية رقم ٨٧١ من بتمان « السكرتير الشرقى للسفارة» الى هياليفاكس بتاريخ ١٨ اغسطس ١٩٣٩ .
F. O. 407 — 223

وعلى الرغم من أن الجيء بعلى ماهر رئيسا للحكومة كان رهنـــا بموافقة السلطات البريطانية الا انه منذ اللحظة الأولى التى باشر فيهـــا سلطاته كرئيس للحكومة عمل على ممارســة سلطاته بعيدا عن النفـوذ البريطانى ولعل عدم أخذ رأى السلطات البريطانية فى اختيار أعضــــاء الحكومة ما يؤيد هذا الاعتقاد مما سبب ضيقا شـــديدا لدى الدوائـــر البريطانية (١٢٥) ، وعلى حد تعبير الوثائق الامريكية : « على الرغم مـــن محاولات رئيس الوزراء الاســتقلال عن بريطانيا العظمى فلن يمضى وقت طويل حتى تعمق العلاقات وتجاب رغبات بريطانيا فى أكثر المســـــائل أهمية (١٢٦) » وفى سبتمبر سنة ١٩٣٩ أعلنت الحرب العالمية الثـانية ، وأخذ الخوف يتملك المصريين لما يدركونه من عجز الجيش عن الدفاع عن البلاد ، وكذا عدم كفاية القوات البريطانية فى مصر للقيام بهذه المهمــة ، لذلك نلاحظ أن الحاح المسئولين المصريين أخذ يزداد طلبا لزيادة القوات البريطانية فى مصر — أى على العكس تماما مما قــد يتبــادر الى الذهن — ولعل هذا التغيير فى نظر المسئولين المصريين الى القوات البريطانيـــة فى مصر ، يعد أبرز ما حمله التهديد الغاشى بقيام الحـرب العالمية الثـانية ، وبدت العيون البريطانية فى مصر ســاهرة ترقب تطور الاحداث وتسـجل كل نبضة من نبضات الشارع المصرى فى حذر واهتمام شديدين .

وادركت السياسة البريطانية أهمية حاجة مصر الى الدفاع عـــن نفسها ولذا فقد بادرت الحكومة البريطانية بالاعلان عن امداد مصر بالقوات البرية والبحرية والجوية اللازمة لضمان سلامة البلاد وتشير الوثائـــق الأمريكية أيضا الى أن رئيس الوزراء المصرى قد اضطر أمام تلك التطورات الخطيرة الى أن يقطع على نفسه عهدا بأن مصر سوف تقوم بكل دقة بالوفاء بالتزاماتها تجاه الحليفة (١٢٧) .

---

(١٢٥) وثائق الخارجية الأمريكية وثيقة رقم ١٧٨٤ من « برت فيش » القنصل العام فى الأسكندرية الى حكومته بتـــاريخ ٢٦ اغســـطس ١٩٣٩م . 865 C. 20 . 43

(١٢٦) نفس المصـــدر الســابق .

(١٢٧) الوثائق الأمريكية برقية من السفير الأمريكى فى القـــاهرة الى الخاجية الأمريكية ٢٨ سبتمبر ١٩٣٩ وثيقة رقم «٣٢» .
مذكرات حسن باشا يوسف مصدر سبق ذكره ص ١٠٥ .

وهكذا بدت معاهدة ١٩٣٦ محك اختبار عملى أمام السلطات البريطانية وأدركت السلطات المصرية حجم المسئولية الكبيرة التى فرضتها معاهدة ١٩٣٦ واجتمع البرلمان المصرى فى جلسة سرية — ١٢ يونيسة ١٩٣٩م — حيث أفضى رئيس الحكومة ببيان عن سياسة حكومته وخلاصته تجنيب مصر ويلات الحرب مع التزامها بما ورد فى نصوص معاهدة ١٩٣٦ (١٢٨) ، وكان دخول اطاليا الحرب بجانب ألمانيا من أهم العوامل التى أقنعت السلطات البريطانية بأن وزارة على ماهر ليست هى الوزارة المطلوبة وقد يكون هذا راجعا الى العلاقات الوطيدة التى تربط القصر بالجالية الايطالية وبالتالى فان ولاء على ماهر للقصر ليس موضع شك ولذا نسبت السلطات البريطانية الى القصر والى على ماهر ما يؤكد بأن لهما ميولا محورية نحو ايطاليا (١٢٩) .

وفى محاولة من على ماهر لتبديد مخاطر تلك الاتهامات فقد بعث بعدة رسائل الى حسن نشأت السفير المصرى فى لندن لابلاغها الى الحكومة البريطانية يبرز فيها موقفه مؤكدا على أن السفير البريطانى فى القاهرة لا يراعى المصالح المصرية ، وأنه يتخذ منه موقفا شخصيا يتعارض تماما مع العلاقات الوطيدة التى تربط مصر بالحليفة (١٣٠) .

الا أن محاولة على ماهر واتصاله بالحكومة البريطانية لم تثمر الثمرة المرجوة ، ولم تلبث الحكومة البريطانية أن بعثت الى سفيرها فى القاهرة لكى يبلغ الملك فاروق بأن الحكومة المصرية قد خالفت المادة الخامسة من معاهدة ١٩٣٦ ، وأن بقاء فاروق ملكا على مصر مرهون بتنفيذ كل المطالب البريطانية التى تتفق مع روح المعاهدة (١٣١) .

---

(١٢٨) محمد زكى عبد القادر — محنة الدستور ص ١١٨ .

(١٢٩) د. المسدى وآخرون ، مرجع سبق ذكره ص ٢٢٥ .

(١٣٠) الوثائق البريطانية — برقية من وكيل الخارجية البريطانية الى السفير البريطانى فى القاهرة رقم ٣٣٣ بتاريخ ١٨ يناير سنة ١٩٤٠م . F.O. 407 — 223

(١٣١) المصدر السابق ، رسالة من الخارجية البريطانية الى سفيرها فى القاهرة بتاريخ ٢٢ يناير سنة ١٩٤٠ رقم ٤٣٣ .

وأدرك الملك فاروق ومن ورائه الحكومة المصرية ثقل التبعة الـتى ألقتها معاهدة ١٩٣٦ على كاهل الشعب المصرى ومن هنـــا فقد دخلت العلاقات المصرية البريطانية دورا جديدا وخطيرا يتنافى تماما مع بنـــود المعاهدة ، وهذا مما يضاعف من اعتقادنا بأن معاهدة ١٩٣٦ لم تكـــن الا لعبة سياسية قصد من ورائها ما هوأبعد خطـرا من نصـــــوص المعاهدة ذاتهـا .

* * *

الفصل الأول

جـــــــذور حـــادث ٤ فبراير ١٩٤٢

- سياسة تجنيب مصر ويلات الحـــرب ..
- بريطانيا تستنفذ اغراضها من وزارتي حسن صبري وحسين سري .
- تعطش الوفـــــد الى الحـــكم ..
- قطـــع العلاقات المصرية مع حكومة فيشي ..

سياسة تجنيب مصر ويلات الحرب :

لقد شبت الحرب العالمية الثانية فى سبتمبر سنة ١٩٣٩ على أثر اجتياح الجيش الألمانى حدود بولندا فى أول سبتمبر من تلك السنة ، وفى ٣ سبتمبر أعلنت انجلترا وفرنسا الحرب على المانيا بعد أن رفضت سحب قواتها من الاراضى البولندية ، وفى مساء أول سبتمبر الذى شهد الهجوم النازى على بولندا قابل السفير البريطانى (سير لامبسون) رئيس الوزراء المصرى (على ماهر باشا) وطلب اليه اتخاذ الخطوات لتطبيق المادة السابعة من معاهدة ١٩٣٦ (١) .

وفى الحال قطعت مصر علاقاتها الدبلوماسية مع المانيا واتخذت كل الاجراءات التى نصت عليها معاهدة التحالف حيث اعلنت حالة الطوارىء وفرضت الرقابة على جميع دور النشر وأيضا فرضت مجموعة من القيود العسكرية والاقتصادية وتم تعيين على ماهر حاكما عسكريا وقسمت البلاد الى أربع مناطق عسكرية ووضعت جميع الموانى والمطارات تحت تصرف بريطانيا ، وتم القبض على الرعايا الألمان كما تم الاستيلاء على أملاكهم (٢).

ومن أجل احكام السيطرة على كل المرافق المصرية فقد أغلقت قناة السويس فى وجه السفن المعادية ، ولم يلبث المرور أن أصبح قاصرا فيها على سفن الحلفاء الحربية مما ترتب عليه أن السفن المحايدة لم يسمح لها أحيانا بالمرور (٣) .

---

(١) نص المادة السابعة من معاهدة ١٩٣٦ . أنظر الدكتور عبد العزيز الشناوى ، جلال يحيى ، وثائق نصوص فى التاريخ الحديث والمعاصر ص ٧٤٧ ، مذكرات حسن يوسف وكيل الديوان الملكى ، مصدر سابق ذكره ص ١٠٥ ، الأهرام ، المصرى ٤ سبتمبر سنة ١٩٣٩م .

(٢) **وزارة العدل – مجموعة القوانين والمراسم للثلاثة أشهر –** سبتمبر ، وأكتوبر ،ونوفمبر سنة ١٩٣٩ ، المطابع الأميرية – القاهرة ١٩٤٠. ص ٥٣٨ .

(٣) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى ، العلاقات المصرية البريطانية ١٩٣٦ – ١٩٥٦ ص ٣١ ، ٣٢ ، مطبوعات معهد الدراسات العربية – القاهرة ١٩٦٨ .

وعلى الرغم من كل تلك الاجراءات فإن السفير البريطانى طالب مصر بضرورة اعلان الحرب ضد المانيا على اعتبار ان فكرة الموقف الوسط بين الحرب والحياد ليست الا فكرة وهمية ، وأن موقف الحياد يخلق صعوبات فى مواجهة أعمال التخريب والجاسوسية ، ثم أشار الى اهمية مصر ودورها الرائد فى العالم العربى ولابد من اعلانها الحرب حتى تكون قدوة لغيرها من الدول العربية وخصوصا العراق (٤) .

ووجدت الحكومة المصرية نفسها فى موقف شديد الخطورة ، هل تعلن قيام حالة الحرب بين مصر والمانيا وفقا لرغبة بريطانيا أم تتمسك بالحيادة ؟ لقد أثارهذا الموقف العديد من المخاوف التى قدرتها الحكومة المصرية على اعتبار أن المانيا لا تقهر وأن تنفيذ رغبة بريطانيا باعلان الحرب خطير النتائج وخصوصا اذا ما اشتركت ايطاليا فى الحرب بجانب المانيا ، لهذا الاعتبار ولعدة اعتبارات أخرى ظل على ماهر متمسكا بموقفه محاولا قدر طاقته أن يقنع السفير البريطانى بأن مصر ليست ضد مبدأ دخول الحرب ، وانما توقيت اعلان الحرب هو مصدر الخلاف فى مجلس الوزراء مسايرة للرأى العام ، الى أن يعود الرعايا المصريون الذين كانوا فى المانيا وقت قيام الحرب ، والى ان يتم التجاء السفن التجارية المصرية التى كانت فى عرض البحر الى مراسى آمنة ، وكذلك أشار رئيس الوزراء الى ضرورة نقل لواء من قوات فلسطين الى مصر ، كما طالب بتزويد الجيش المصرى بالمدافع الحديثة وتسليح الجيش المرابط بالبنادق (٥) .

وعلى الرغم مما أبداه على ماهر من استعداد لاجابة كل طلبات بريطانيا ما عدا فكرة دخول الحرب والتى طلب مزيدا من التريث فى شأنها ، الا ان الحكومة البريطانية تكونت لديها قناعة بأن على ماهر

---

(٤) وثائق الخارجية البريطانية ، برقية رقم ٦٤٤ من السفير البريطانى فى القاهرة الى وزير الخارجية ٢٨ سبتمبر ١٩٣٩ . F.O. 407 — 223

(٥) مذكرات حسن يوسف وكيل الديوان الملكى ، مصدر سبق ذكره ص ١٠٥ ، محسن محمد التاريخ السرى لمصر ١٠١ .

ذو ميول محورية وانه متآمر مراوغ لا يمكن الوثوق به ، ولعل السفير البريطانى قد بنى اعتقاده هذا على ضوء العلاقة الوطيدة التى تربط على ماهر بالسفير الايطالى ، فى القاهرة مما دفع لامبسون الى الاعتقاد بوجود تفاهم او اتفاق سرى بين مصر وايطاليا (٦) .

ووفقا لبنود معاهدة ١٩٣٦ فلم يكن هنـاك ما يلزم مصر بدخول الحرب الى جانب بريطانيا التى اعتبرت أن أعلان الحرب من جانب مصر يتاطبق تماما ورح المعاهدة ، وعلى الرغم من تمسك الحكومة المصرية بمبدأ عدم اعلان الحرب — الا أن موارد مصر وموانيها ومطاراتها وكل مرافق الحياة فيها قد وضعت تحت تصرف انجلترا دون أن تكون رسميا فى حالة حرب ضد المانيا وهكذا ظل وضع مصر الدولى شاذا ، اذ أن الفرق العملى الوحيد بين وضع مصر وحالة الحرب هو أن القوات المسلحة المصرية لم تكن ملزمة بالاشتراك فى الحرب ولم تعط لها الأوامر بضرب الأهداف الألمانية .

ووجد على ماهر نفسه فى حالة مواجهة مباشرة مع السفير البريطانى الذى أخذ يلاحق على ماهر فى كل مكان ، وحاول الأخير — قتلا للوقت — أن يطرح افكارا جديدة ، الا أن السفير كان يتعجل القرار ويضغط على رئيس الوزراء المصرى بضرورة استصدار قرار الحرب ، وأمام هذا الضغط المتواصل لمتزايد وافق مجلس الوزراء فى جلسته المنعقدة بالأسكندرية مساء ٧ سبتمبر ١٩٣٩ على اعلان حالة الحرب ضد المانيا ، وانما علق موافقته على خطاب يبعث به السفير البريطانى الى ماهر باشا يقول فيه : ان اجراءات اعلان الأحكام العرفية فى مصر وقطع العلاقات مع المانيا لم تعد كافية لمواجهة التدابير اللازمة للمحافظة على أمن البلاد وسلامة القوات البريطانية ، وأن المطلوب هو اعلان قيام حالة الحرب (٧) .

---

(٦) الوثائق البريطانة ، برقية رقم ٥٩٠ من السفير البريطانى فى القاهرة الى وزير خارجية بريطانيا ٢٣ يونية سنة ١٩٤٠ .
F.O. 407 — 223

(٧) مضابط مجلس النواب الجلسة الأولى من مجموعة مضابط دور الانعقاد غير العادى ٢ أكتوبر ١٩٣٩ ص ٧ — ٩ ، مذكرات حسن يوسف ص ١٠٦ .

وادرك السفير البريطانى أبعاد الدبلوماسية التى يمارسها على ماهر فهو يريد أن يقول : « ان مصر قد غلبت على أمرها لاعلان الحرب » ، وعلى الرغم من ذلك فقد وافقت الحكومة البريطانية على توجيه الخطاب المشار اليه . الا ان على ماهر قدر حجم المخاطر التى ستحلق بمصر من جراء هذا الاتجاه ولشد ما كانت المفاجأة حيث تلقى على ماهر برقية من سفير مصر فى لندن (٧ سبتمبر) بأنه قابل مستر بتلر (وكيل وزارة الخارجية البريطانية) وأوضح له المزايا التى سوف تترتب على موقف مصر الحيادى اذ أن ذلك من شأنه أن يسهل ورود السلاح والعتاد من أمريكا الى الحلفاء عن طريق مصر ، وقد عبر حسن نشأت عن ذلك بقوله : ان مستر بتلر أبدى ارتياحه لتلك الفكرة ووصفها بأنها خطة ذكية وماهرة ووعد بعرضها على لورد « هاليفاكس » وزير الخارجية (٨) .

وقد شعر السفير البريطانى بالمرارة لفشله أمام حكومته فى تنفيذ ما سبق ان وعد به على ماهر كتابة ومشافهة . « دخول الحرب » (٩) .

ومن الواضح أن برقية حسن نشأت (سفير مصر فى لندن) الى على ماهر قد اخرجته من الموقف الذى كاد ان ينزلق اليه حيث أخذ يتذرع بأن مصلحة بريطانيا فى عدم اعلان مصر الحرب ، وأن أعضاء مجلس الوزراء المصرى قد غيروا موقفهم على ضوء رسالة حسن نشأت ، وأن الملك فاروق قد اقتنع بفكرة التريث حتى تتبين الحقيقة (١٠) .

---

(٨) مذكرات اللواء ابراهيم أمام رئيس البوليس السياسى — صحيفة الجمهورية ١٣ ، ١٤ يناير ١٩٥٦ ، مذكرات حسن يوسف ، مصدر سبق ذكرم ص ١٠٦ .

(٩) وثائق الخارجية البريطانية برقية من السفير البريطانى فى القاهرة الى « هاليفاكس » وزير الخارجية رقم ٨٨ بتاريخ ٨ سبتمبر سنة ١٩٣٩ ، مذكرات حسن يوسف وكيل الديوان الملكى ، مصدر سبق ذكره ص ١٠٧ .

(١٠) مضابط مجلس النواب الجلسة الثانية من مجموعة مضابط دور الانعقاد غير العادى ٨ أكتوبر ١٩٣٩ ص ٢٣ .

ولعل برقية حسن نشأت قد أعطت الفرصة للملك فاروق وعلى ماهر لكى يعيدا مناقشة الامر بشىء من الهدوء والتروى ولا شك ان الملك فاروق كان يميل الى عدم دخول مصر الحرب ، ولذا فقد طلب من عبد الحميد بدوى باشا — رئيس لجنة قضايا الحكومة — اعداد مذكرة قانونية عن موقف مصر من الصراع الدائر وفقا لمعاهدة ١٩٣٦ ، وجاءت مذكرة — رئيس لجنة قضايا الحكومة — لتتفق تماما مع الرأى القائل بأن المعاهدة لا تلزم مصر بدخول الحرب (١١) .

والسؤال الذى يمكن أن يطرح نفسه فى هذا المجال : هل كان على ماهر هو صاحب فكرة ابعاد مصر عن ميدان الحرب وهى السياسة التى عرفت « بتجنيب مصر ويلات الحرب » ؟ .

من الملاحظ أن غالبية الذين سجلوا هذه الاحداث قد تغافلوا عن دور الملك فاروق فى هذا الصدد مع العلم بأن على ماهر لم يكن يستطيع أن يصمد أمام ملاحقة السفير البريطانى له لولا أن الملك فاروق كان يناصر هذه الفكرة ويدعمها من خلال تأكيداته المستمرة لرئيس وزرائه على ماهر ، ويؤكد أحد المؤرخين أن الملك فاروق قد أخبر « فيش » المفوض العام للولايات المتحدة الأمريكية فى القاهرة بأن على ماهر كان قد وعد انجلترا فى مناسبات ثلاثة باعلان الحرب على المانيا ولكنه « فاروق » منعه من القيام بذلك (١٢)

وتشير بعض المصادر قريبة الصلة من القصر الملكى الى أن الملك فاروق كان صاحب فكرة تجنيب مصر ويلات الحرب (١٣) ، الا أن دور الملك لم يكن واضحا نظرا لأن الاتصالات كانت تتم بين رئيس الوزراء المصرى والسفير البريطانى فى القاهرة ، ومما يؤكد وجهة النظر السابقة أنه فى

---

(١١) مذكرات حسن يوسف ، مصدر سبق ذكره ص ١٠٧ .
(١٢) لوكاز هير وزير المانيا الهلرية والمشرق العربى ص ٩٤ ، ترجمة الدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى — القاهرة سنة ١٩٧١ .
(١٣) مذكرات حسن يوسف وكيل الديوان الملكى ، مصدر سبق ذكره ص ١٠٤ .

اليوم التالى لاعلان الحرب دعا على ماهر مجلس الوزراء للاجتماع ، وقال لزملائه الوزراء أنه دعاهم للاتفاق حول صيغة قرار اعلان الحرب ضد المانيا ؟ .. الا أن عبد الرحمن عزام « وزير الأوقاف » اعترض على هذا القرار واخذ يفند الرأى القائل بأن معاهدة ١٩٣٦ تلزم مصر اعلان الحرب ، وبعد مناقشة طويلة طلب عبد الرحمن عزام من على ماهر ان يترك له هذه المسألة ليسويها مع السفير البريطانى ووافق على ماهر ، وذهب عبد الرحمن عزام وقابل مايلز لامبسون وناقشه طويلا فى نصوص المعاهدة واستطاع أن يقنعه بأن مصلحة بريطانيا نفسها عدم اعلان مصر الحرب على المانيا وهكذا سويت المسألة (١٤) .

وعلى الرغم من التناقض الذى بدأ واضحا فى موقف على ماهر بخصوص تلك القضية الهامة الا اننى اعتقد أن على ماهر لم يكن ينوى الزج بمصر فى تلك الحرب ولم يكن صادقا فى وعوده التى قطعها للسفير البريطانى ، ولعل مرد ذلك الى أن على ماهر كان صاحب فكرة التعاون مع المانيا ، وكان الملك فاروق وراء هذا الاتجاه (١٥) .

وكان على ماهر يحرص على عدم اظهار مشاعره الحقيقية وهى كراهية الانجليز مفضلا الألمان الذين يحققون انتصارات اسطورية على بريطانيا العدو الأول لمصر .

وامام الانتصارات الكبيرة التى حققتها القوات الالمانية فى بداية الحرب فان الحكومة البريطانية طلبت من سفيرها فى القاهرة أن يوقف الضغط على الحكومة المصرية حتى لا تحدث أثرا عكسيا (١٦) .

---

(١٤) محمد التابعى ، اسرار الساسة والسياسة ؛ سلسلة الكتاب الذهبى عدد ١٩٥ — القاهرة ١٩٧٢ — ص ١٨٠ .

(١٥) لقاء شخصى مع فتحى رضوان فى منزله بمصر الجديدة مساء الاثنين ٩ اغسطس ١٩٨٢ .

(١٦) مذكرات حسن يوسف ص ١٠٨ .

لقد اعتقدت الدوائر السياسية البريطانية بأن المشكلة الحقيقية لم تعد وفاء مصر بالتزاماتها قبل بريطانيا بقدر ما تكمن فى الثقة التى تبددت منذ اللحظة الأولى لقيام الحرب الكبرى ، وأن ولاء على ماهر لبريطانيا لم يعد يمثل رصيدا ايجابيا فى العلاقات المصرية البريطانية وعلى ضوء كل هذه الاعتبارات كان على الحكومة البريطانية أن تعيد حساباتها من جديد وفقا لمصالحها فى المرتبة الأولى .

وأعتقد أننا لسنا بصدد اصدار حكم على مشاعر على ماهر الشخصية وانما يكفينا أن نشرح الأسباب الكامنة وراء السياسة التى أعتقد على ماهر أن عليه أن يتبناها لصالح مصر .

أولا : لم يكن لدى رئيس الوزراء المصرى اى سبب يغريه بالانضمام الى صف الحلفاء حيث تهاوت فرنسا واضطرت الى عقد اتفاقية هدنة بعد اجتياح أكثر من نصف أراضيها وبعد انهيار الجيوش الفرنسية التى كانت تحتفظ بمكانة قوية منذ الحرب العالمية الأولى وظهرت المانيا بمظهر الدولة التى يستحيل أن تقهر .

ثانيا : لقد استطاعت الدبلوماسية الايطالية أن تقنع على ماهر بأن يظل بعيدا عن الصراع ولم يكن الكونت ما تسولينى سفير ايطاليا فى القاهرة يكف عن التصريح حتى يوليو سنة ١٩٤٠ بأن بلاده لا تضمر اية نوايا عدوانية تجاه مصر ، وتمكنت الدبلوماسية الايطالية أن تكسب الى جانبها ليس على ماهر فقط وانما الملك فاروق ايضا فى الوقت الذى أعلنت فيه ايطاليا رسميا أنها لا تنوى أن تجر الى الصراع البلدان المجاورة مثل اليونان وتركيا ومصر (١٧)

ثالثا : لم يكن على ماهر يستند الى قاعدة حزبية أو جماهيرية ، وانما كان دعامته الأولى هو الملك فاروق فى الوقت الذى رمى فيه الملك

---

(١٧) مارسيل كولومب ، تطور مصر ١٩٢٤ — ١٩٥٠ ترجمة زهير الشايب ص ١٢٢ ، — القاهرة ١٩٧٢م .

بكل ثقله فى جانب المحور اعتقادا بأن الاعتماد على الحلفاء هو من باب الرهان على جواد خاسر .

رابعا : لقد كانت الغالبية العظمى من الشعب المصرى تميل الى سياسة تجنيب مصر ويلات الحرب . ولقد ادركت الحكومة البريطانية صدق هذه الحقيقة ولم تشأ أن تصدم مشاعر المصريين بفرض الحرب على شعب لا يميل اليها .

ولقد ادركت الحكومة البريطانية وفقا لمصادرها فى القاهرة أن الملك فاروق وراء كل هذه المشاعر المعادية لبريطانيا ، ولعل الملك فاروق فى محاولة منه للتقليل من هيبة بريطانيا كان لا يتذرع عن اظهار كراهيته لبريطانيا واعتزازه ، بألمانيا وقوتها حتى فى أحاديثه مع سفير الولايات المتحدة فى القاهرة فقد عبر عن أمله فى هزيمة بريطانيا ، واتهم الدول التى تقف الى جانبها بأنها تفتقد الحنكة السياسية لأن الحرب أوشكت على النهاية (١٨) .

وعلى الرغم من أن الحكومة البريطانية قد اقتنعت بأهمية عدم اعلان مصر دخول الحرب الا ان لامبسون فى محاولة منه لكشف جذور الاتجاه الموالى للمحور ، عاد يقترح من جديد اقالة على ماهر اذا لم يعلن الحرب ضد ألمانيا (١٩) .

ومن الواضح أن مطلب السفير هذه المرة يعد نوعا من المناورة حتى يتأكد من ميول على ماهر ، يضاف الى ذلك الخوف من احراز ألمانيا بعض الانتصارات فى المستقبل مما قد يؤدى الى تردد مصر فى الموافقة على أية اجراءات قد تقدم عليها بريطانيا ، أى أن بريطانيا باصرارها كانت تريد أن تقطع الطريق على ذلك وتضمن استمرار مصر

---

(١٨) الوثائق الأمريكية ، برقية من السفير الأمريكى فى القاهرة الى وزير خارجية أمريكا ١٨ أغسطس ١٩٤٠ .
140.0011. Europeen. war. 19160 no.118

(١٩) الوثائق البريطانية برقية رقم ٥٩٩ من سفير بريطانيا فى القاهرة الى الخارجية البريطانية ١٦ سبتمبر ١٩٣٩م F.O:407: 223

الى جانبها وارتباطها نهائيا بمعسكر الحلفاء ، وعلى حد تعبير لامبسون : أما أن نطفو معا أو نغرق معا (٢٠) .

وعلى ضوء العديد من البرقيات التى بعث بها لامبسون الى حكومته والتى اكدت جميعها ان الملك فاروق شخص لا يؤمن جانبه ، ومن هنا فقد بدأت السياسة البريطانية تعيد حساباتها من جديد وخصوصا فيما يتعلق بموقف على ماهر ، والذى يسانده القصر ، وحملت رسائل لامبسون الى هاليفاكس « وزير الخارجية » قدرا كبيرا من القلق بسبب تصرفات أعوان القصر — على حد تعبير السفير — ويضيف السفير قائلا : يجب علينا ان نضع فى اعتبارنا أننا لا نستطيع ان نتخلص من على ماهر دون أن نشهر عصانا فى وجه الملك فاروق لأن ما أنتابه من جنون العظمة بالاضافة الى نفوذ على ماهر قد جعله شخصا مكابر يصعب التعامل معه ، وحين نعتزم اتخاذ اجراء سيكون من الضرورى أن نستعمل قدرا كبيرا من العنف ، واذا قاومنا بعناد فعليه أن يذهب هو أيضا ولكن يجب علينا فى هذه الحالة أن نضع فى اعتبارنا اتجاه الرأى العام المصرى ، وموقف الجيش وهذا الموقف لا نقدم عليه فى الظروف الحاضرة الا اذا كنا على استعداد لتنفيذه بالقوة ، وهو أمر يصعب تنفيذه فى الوقت الحالى والخلاصة فى رايى . هو أن نرخى لعلى ماهر الحبل حتى يقضى على نفسه ، وستأتى اللحظة المناسبة لنا حين يزداد الشعور المعادى له الى الحد الذى يجعل تدخلنا يبدو للشعب أمرا مطلوبا (٢١) .

وفى اول يونية ١٩٤٠ تمت مقابلة بين الملك والسفير البريطانى ، وقد أومأ السفير الى الدعاية الايطالية المتزايدة حول حياد مصر ، فوعده الملك بأنه سيتعهد المسألة بمزيد من الاهتمام ، بل أنه أبلغ

---

(٢٠) الوثائق البريطانية برقية رقم ٥٨٢ من سفير بريطانيا فى القاهرة الى الخارجية البريطانية ١٢ سبتمبر ١٩٣٩ . F.O. 407 — 223

(٢١) الوثائق البريطانية برقية رقم ٣٩٨ من سفير بريطانيا فى القاهرة الى الخارجية البريطانية ٢ أكتوبر ١٩٣٩ . F.O. 407 — 223

السفير أنه (الملك) أمر بوضع أحد أعمام الملكة فريدة تحت الحراسة نظرا لتشيعه للايطاليين ولميوله المحورية (٢٢) .

وعقب اعلان ايطاليا الحرب (١٠ يونيه ١٩٤٠) قابل السفير على ماهر وأبلغه تطورات الموقف العسكرى والغارات الجوية على ليبيا ومصر ، وراح يذكره بوعوده السابقة عندما قال : انه اذا حدث هجوم على مصر من أى نوع فان لانجلترا أن تعتمد على اننا سنعلن الحرب ضد المحور ، وهنا اجاب على ماهر : انه تلقى فى الاونة الاخيرة اسئلة كثيرة ممن يرون أن مصر وهى لا تملك على حدودها أكثر من خمسة آلاف جندى ، كيف لها أن تلقى بنفسها الى التهلكة باعلان الحرب ؟.. الأمر الذى أغضب السفير واعتبره تجاهلا للقوات البريطانية فى مصر وتقديرا خاطئا لعدد الجيش المصرى الذى تعلق عليه حكومة لندن أهمية كبرى أملا فى معاونته لها (٢٣) .

واخذت العلاقات المصرية البريطانية تدخل الى مرحلة حاسمة حيث اخذ على ماهر برفض توجيهات الانجليز وخصوصا فى بعض المسائل التى تتعلق بأمن بريطانيا من ذلك رفضه أن يكون الحاكم العسكرى لمناطق الحدود انجليزا كما قرر سحب القوات المصرية بضعة كيلوا مترات من الحدود الغربية تفاديا من وقوع اصطدام مباشر مع جنود المحور (٢٤) .

لكل ما سبق ومع تطور احداث الحرب فى غير صالح الحلفاء اعتقد الانجليز أن على ماهر ليس هو الشخص القادر على الاحتفاظ بمصر قاعدة صلبة تدعم من جبهة الحلفاء ، وكان اعلان ايطاليا الحرب بجانب المانيا هو الصخرة التى تحطم عليها كل أمل فى تعاون الانجليز

---

(٢٢) مذكرات حسن يوسف ، مصدر سبق ذكره ص ١٠٨ .
(٢٣) المصدر السابق ص ١٠٩ .
(٢٤) مضابط مجلس النواب — الجلسة الثالثة والثلاثون ٣ يوليو ١٩٤٠ ص ٣١٨ ، لطفى عثمان ، المحاكمة الكبرى فى قضية الاغتيالات السياسية ص ٩٣٧ .

مع جبهة القصر على الرغم من استجابة على ماهر لطلبات السـفير ؛ حيث أمر باعتقال الايطـاليين وشرع فى ترحيل وزير ايطاليـا المفوض وأعضاء المفوضية والقنصليات الايطالية الا أن ما أقدم عليه على مـاهر بشـأن الرعايا الايطاليين لم يخل من الضجر والضيق وكأنه تنفيـذ لأمر ارغم عليه وعلى حد تعبير أحد المعاصرين : ان ما اقدمت عليه حكومـة على ماهر بشأن الرعايا الايطاليين قد بدأ وكأنه اجـراء بريطـانى تنفذه حكومة لا تملك الخيار (٢٥) .

وأمام المناورات التى استخدمها على ماهر ببراعـة شديدة لم تملك حكومة لندن الا أن تقترح وجوب اتخاذ اجراء سريع ضـد على مـاهـر وترى أنه من الاهمية البحث عن وزارة جديدة تكون أكثر تمثيـلا للقـوى السياسية المختلفة ويكون على رأسها سياسى يقف الى جانب بريطانيـا بولاء ويجب أن يكون الجيش البريطانى يقظـا لمواجهة معارضة الملـك فاروق ، وذلك بتخييره بين الموافقة أو التنازل عن العرش وقد اقـترح لامبسون الأمير محمد على ليخلف فاروق فهو موال لبريطانيا ويحظى بقدر لا بأس به من الشعبية ويمكن الاعتماد عليه بدرجة أكثر من غيره (٢٦) .

وعندما تأكد لامبسون أن على ماهـر لن يقبل موضوع دخـول مصر الحرب فى الوقت الذى كانت ظـروف الحرب تشكل ضغطـا كبيرا على بريطانيا وخصوصا بعد سقوط فرنسا ودخول الحـرب بجانب المانيا ، بدأ لامبسون يتذرع بالعديد من المواقف التى تمكنه من تحقيـق كل رغباته وفى مقدمتهـا الاطـاحة بعلى ماهـر ، وقد أعلن على مـاهـر فى شـهادته أثناء نظـر قضية مقتـل أمين عثمـان : أن السـفير البريطانى قد طلب منه أن يعتقل الوزير الايطـالى فى المفوضية وأن يقـوم

---

(٢٥) محمد زكى عبد القادر — مجلة الدستور ص ١٠٧ .

(٢٦) وثائق الخارجية البريطانية برقية ٤٨٨ من سـفير بريطانيـا فى القاهرة الى وزارة الخارجية البريطانية ١٠ يونية ١٩٤٠ .
F.O. 407 . 224
ومذكرات حسن يوسف وكيل الديوان الملكى . مصدر سـبق ذكـره ص ١٠٩ .

بتفتيشهـا ، كما طـالبه أن يفتش أمتعـة الدبلوماسيين الايطـاليين وجيوبهم وقت السفر ، والا يسمح لطلياني بالسـفر الا للسـفير وموظفى المفوضية ، ويضيف على ماهر : لقد كان ردى : اذا اعتقلتم انتم فى انجلترا الكونت جراندى سـفير ايطاليا أعمل المثـل أنا فى مصر ، وأمـا التفتيش فانني ارفضـه .. وقلت : واذا أردتم فتشوا ومن ناحيتى فلن أحتج ، وقلت لهم أيضـا : ان هذا التفتيش فى الواقع لن يكون لأن الكـونت جراندى موضع التكريم فى بلادكم فلن أعاملهم أنا الا بقواعد العـرف الدولى ، والذين يسافرون معه ان أحجزهم الا اذا تبينت موقف المصريين فى رومـا وما يتخذ بشأنهم (٢٧) .

واعتقد ان هذا الموقف من على ما هو ينم عن دهـاء سياسى فهـو يريد أن تقدم بريطانيا لاتخاذ ما تراه بشأن الايطاليين المقيمين فى مصـر حتى يبدو أمام الطليان وكأنه مغلوب على أمره ومن جانب آخر فهـو يضمن سـلامة الرعايا المصريين المقيمين فى ايطاليا .

وأمام الضغط المتزايد على على ماهـر فقد اشـار عليه الملـك فاروق بنقل القضية ــ دخول مصر الحرب ــ الى البرلمان ليتخذ بشأنها ما يشاء ــ وبعد قرار البرلمان صـدمة أخرى للسـفير حيث أقر البرلمان رجهـة نظر الحكومة بأن المعاهدة لا تلزم مصر بدخول الحـرب وأنهـا ستكتفى بقطع العلاقات الدبلوماسية مع ايطاليا ولن تعـلن عليها الحرب الا اذا اعتدت عليها باحدى الطرق الاتية :

اولا : اذا ابتدأت القوات الايطالية بغزو الأراضى المصرية .

ثانيا : اذا ضربت ايطاليا المدن المصرية بالقنابل .

ثالثا : اذا شنت غارات جوية على مواقع الجيش المصرى (٢٨) .

---

(٢٧) د . محمد انيس . دراسة عن ٤ فبراير ص ٦٢ ، لطفى عثمان. المحاكمة الكبرى فى قضية الاعتيالات السياسية ص ١٣٦ ــ ١٣٩ .

(٢٨) مضابط مجلس النواب ــ الجلسة السابعة ١٢ يونيه ١٩٤٠ ص ٧٠ ــ ٧٥ .

وفى ١٣ يونيه ١٩٤٠ بدأ السفير البريطانى يتبع سياسة جديدة تفق مع توجيهات الخارجية البريطانية وتحقق نفس الغرض ، وهو ضرورة لحصول على تعاون على ماهر وعدم التنازل عن اى شىء أكثر من نصوص لماهدة مما جعل لامبسون يقول عنه : ان على ماهر يتبـع سياسة ذات جهين بين بريطانيا وايطاليا وأنه يعمل على تسهيل الامور للايطاليين ، ،أنه يتلاعب بطريقة مقلقة فيما يختص بالجيش المصرى (٢٩) .

وامام تدهور الحلفاء وخصوصا بعد سقوط باريس وتولية بيتـان السلطة وطلبه الهدنة أصبح تسليم بريطانيا فى نظر الكثيرين مسألة وقت، ولعل هذا كان من اهم العوامل التى جعلت السلطات البريطانية فى مصر تعتقد بأن على ماهر شخص لا يمكن الاعتماد عليه (٣٠) ، بل أن السلطات البريطانية بدأت تفقد أعصـابها تماما وتطلب من الخارجية البريطـانية صراحة اقالة على ماهـر ، بل أن السـلطات البريطانية اعتقـدت بأن على ماهر على علاقة بالمحور وأن هناك اتصالات لاسلكية سرية كانت ترسل الى وكلاء المحور وسلطاته الحـربية تعطى تفاصيل بعض ما يجـرى فى مصر وما تحرص السلطات البريطانية كل الحرص على كتمانه — كمـا أن هذه المحطات السرية كانت تتلقى من وكلاء المحور وسلطاته الحـربية التعليمات عما يجب عمله (٣١) .

وبدأت السلطات البريطانية تتلقى العديد من التقارير فى الفترة من يونية ١٩٤٠ وحتى آواخر عام ١٩٤١م من أقلام مخابراتها فى القـاهرة وتركيا ولبنان وقد جاء فيها : —

٢ — أن سمير ذو الفقار التشريفاتى السابق — واحـد أصـدقاء على ماهـر — قد سـافر أكثر من مرة الى تركيا بحجة التجـارة فى الجلود والتبغ وأنه اجتمع بسفير ألمانيا فى انقـرة عـدة مرات وأنه قـابل أيضا بعض وكلاء الألمان فى لبنـان وأنه لما عـاد واجتمع بعلى ماهـر وبعض كبار الساسة الموالين للقصر .

---

(٢٩) وثائق الخارجية البريطانية برقية رقم ٥١٥ من لامبسون الى هاليفاكس ١٣ يناير ١٩٤٠ F.O. 407 . 224

(٣٠) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى . مرجع سبق ذكره ص ٤٢ .

(٣١) محمد التابعى . مرجع سبق ذكره ص ١١١ .

٢ — أن شـوقى الهان ، وزير تركيا المفوض فى مصر قـد سـافر اكثر من مرة الى تركيـا بحجة مراجعة حكومته فى بعض الشـئون بينمـا هو فى الحقيقة قد سافر موفدا « من سلطات مصرية عليا » للاتصـال بالسلطات الالمانية فى تركيا وابلاغها اخبارا خاصة لكى تبلغهـا هى بدورها الى السلطات العليا فى برلين .. كانت تركيـا يومئذ اى فى عـام ١٩٤١ على الحياد ولكنه كان حيادا مشوبا بالميل لألمانيا وتأييد المحور .

٣ — أن الانسة « دولوس » الملحقـة السياسية بمفوضية أسبانيا فى القاهرة كانت واسطة اتصال بين فريق الكبراء المصريين الموالين للمحور وبين سفارة المانيا فى مدريـد (٣٢) .

وكان على بريطانيا ان تقطع الشـك باليقين وان تبلغ سفيرها فى القاهرة لكى يتصل بالملك فاروق ويبلغه الرسالة التالية ؟ : على ماهر يجب أن يخرج من الحكم فورا ، كما اننا لا نوافق على عودته الى منصـبه فى القصر لأن التجارب أظهرت ان وجوده فى ذلك المنصب يجعل من المستحيل على أيه وزارة أن تقوم بعملها (٣٣) . ولم يستطيع الملك فاروق ان يحمى رئيس وزارئه واستسلم للانذار البريطانى لكن بعد العديد من المحـاولات التى بذلها القصر فى محاولة منه للابقاء على على ماهر .

واستمرارا فى سياسة كسب الوقت فان الملك فاروق قـد بعث فى الثامن عشر من يونيه ١٩٤٠ برسالة الى ملك انجلترا يشكو فيها أسلوب التعسف والتشدد الذى يمارسه السفير البريطانى وفى نفس الوقت اوفد الملك احمد حسنين ليقابل السفير ويخبره بأمر تلك الرسالة ويوضح لـه بأن التعديل الوزارى يتوقف على اجابة ملك انجلترا على تلك الرسـالة ولعل مقابلة حسنين باشـا للسفير كانت معنى الوسـاطة كى يسمح لعلى ماهر بالعودة الى منصبه السابق كرئيس للديوان الملكى مراعـاة

---

(٣٢) محمد التابعى ، المرجع السابق ص ٢١١ ، ٢١٢ ، لوكاز هيرزويز مرجع سبق ذكره ص ٣٠٦ — ٣٠٨ .

(٣٣) وثائق الخارجية البريطانية برقية رقم ٥٣٢ من الخـارجية البريطانية الى سفيرها فى القاهرة ١٧ يونية ١٩٤٠ .
F.O. 407 . 224

زامة الملك فاروق بعد أن بات من المستحيل الاحتفاظ به رئيسا للوزارة لكن السفير رفض ذلك رفضا باتا واكد فى الوقت نفسه ان ليس فى نية كومة لندن التصميم على مطالبة اى حكومة مصرية باعلان الحرب (٣٤) .

ولم تكن رسالة الملك فاروق الى ملك انجلترا لتحدث اثرا فى موقف حكومة البريطانية فهى المسئولة عى القرار الذى اتخذته وهى السلطة تنفيذية امام البرلمان وكل مشتغل بالقوانين الدستورية يعلم أن الملك ، انجلترا يملك ولا يحكم ولم يأت يوم ٢٢ يونيه حتى كان السفير البريطانى د تلقى موافقة حكومته على تنازل الملك فاروق عن العرش اذا تمسك رئيس وزارئه على أن لا يترك طليقا وانما يوضع تحت الرقابة الانجليزية تى لا يلجأ الى ايطاليا أو المانيا ليطالب بعرشه (٣٥) . ولعل بريطانيا ريرا منها لما سوف تقدم عليه من اجراءات عنيفة نقد اتخذت المادة خامسة من المعاهدة كذريعة على اعتبار أن تلك المادة تقضى بتعهد صر أن لا تتخذ فى علاقاتها مع الدول الأجنبية موقفا يتعارض مع لمعاهدة .

واخذ الملك فاروق يفكر فى من عسى يكون الرجل الذى يعهد ليه بتأليف الوزارة وكان طبيعيا أن يكون هذا الرجل موضع ثقة لسفير البريطانى ومن الأفضل أن تكون وزارة وفدية أو تحظى تأييد الوفد على الأقل حيث تكون قادرة على التعاون مع بريطانيا الى حد أن تقبل أن : « تطفوا معنا أو تغرق معنا » كما قال لامبسون (٣٦) .

واستقر الرأى اخيرا على حسن صبرى باشا لكى يؤلف الوزارة الجديدة (٢٨ يونية ١٩٤٠) وشهدت قاعات مجلس النواب والشيوخ

---

(٣٤) مذكرات حسن باشا يوسف وكيل الديوان الملكى . القصر ودوره فى السياسة المصرية ١٩٢٢ — ١٩٥٢ ص ١١٣ .
(٣٥) المصدر السابق ص ١١٣ .
(٣٦) الوثائق البريطانية وثيقة رقم ٤٧٥ من الخارجية البريطانية الى سفيرها فى القاهرة ٢٠ يونية ١٩٤٠ . F.O. 407 . 224

العديد من الأسئلة عن الظروف والملابسات التى احاطت باقالة الـوزارة وحمل الأعضاء على بريطانيا لتدخلها فى مسائل تعد من صميم السياسـة المصرية واصدر المجلس بيانا يستنكر فيـه ما حـدث من اعتداء على رئيس الـوزراء (٣٧) .

والسـؤال الذى يظل قائما . هل كانت هناك علاقة بين المحـور وعلى ماهر دفعت بريطانيا الى هذا الموقف ؟ ..

من المقطوع به أن الخلاف بين انجلترا وعلى ماهـر كان السـبب فى استقالته وهو خلاف قائم على التشكك وفقدان الثقة من الجـانب البريطانى فى على ماهر اعتقادا بأنه على علاقة بالمحـور وهذا واضـح من خلال وثائق وزارة الخارجية البريطانية ، ووفقا لمـا ذكـره الدكتـور هيكل فان بريطانيا وجهت الى الملك فاروق تبليغـا بأن حكـومته لا تقف منها موقف الصديق وأنها فى ريب من نواياها (٣٨) .

ولقد أكدت السلطات البريطانية أنها اكتشفت من بين الوثائـق الألمانية التى عثر عليها أن على ماهر كان يتلقى مساعدات من المحـور عن طريق بنك درسدنر (٣٩) ، وعلى الرغم ممـا تشـير اليـه الوثائـق البريطانية من ان على ماهـر يعمل لحساب الألمان الا أن مثـل هـذه الاتهامات لا يمكن أن نقبلها على أنهـا حقيقة مجردة وخصوصـا اذا ما تضاربت المصادر البريطانية فى هذا الصدد فان اللورد ويلسـون القائد العسكرى لمنطقة البحـر المتوسط يقول تعقيبـا على هذا : « انه لما يدعو الى الدهشة أن المعلومات التى وصلت الى المحور من مصر كانت ضئيلة القيمة ولا اعرف حالة واحدة تضمنت معلومات عن تحركاتنـا أو عملياتنا العسكرية تسربت الى العدو فى الوقت المناسب الذى يتيح لـه

---

(٣٧) مضابط مجلس النواب ـ مجموعة مضابط دور الانعقـاد العادى الأول من يولية ١٩٤٠ ص ٣٨٠ .

(٣٨) د. محمد حسين هيكل . مذكرات فى السياسـة المصرية ج٢ صفحة ١٨٦ .

(٣٩) الوفـد المصرى ١٠ يوليـو ١٩٤١ .

استخدام تلك المعلومات لمواجهتنا (٤٠) ، وهذا يعد دليـــلا لا على وجـــود علاقة من نوع مـــا بين وزارة على ماهـــر والمحـــور بالضرورة لكنـــــه ينهض دليـــلا على مبالغة الحلفاء وقت الحرب ومؤشرا على أن عـــــلى ماهر لم يعـــد موضع ثقة الحلفاء وقد تعمق هذا الانطباع لدى الســـــفير البريطانى نتيجة تعامله مع على ماهر ولم تعد قضية وفاء مصر بالتزاماتها تجاه المعاهدة هى الأساس وانما اصبحت الثقـــة فى ولاء على ماهـــــر للحليفة ومدى استجابته للمطالب البريطانية بعيدا عن نصوص المعـــاهدة ولمـــا كانت تلك الثقة قد اصبحت معدومة ولذا فاننى اعتقد أن على ماهـــر لم يكن جاسوسا ألمانيا بقدر ما كان سياسيا مصريا حاول أن يســـــتغل لعبة الأمم وصراعاتها فى تحقيق اكبر قدر ممكن من الاستقلال ، وكمـــــا اوضحنا من قبل فلم يكن هناك اى سبب يشجع على ماهر لكى يلقى بكـــل ثقله تجاه بريطانيا التى كانت على وشك التسليم .

وتشير الكثير من المصادر الهامة عن وجود اتصالات بين فـــــاروق والمحور حيث كشفت الوثائق الألمانية عن جوانب متعددة من تلك الاتصالات حيث يشير المؤرخ « لوكاز هيرزوير » الى تلك الاتصالات من خلال الوثائق الألمانية والتى اعتمد عليها ، حيث أن القائم بالاعمال المصرى فى بون — عسل بك — والبرنس محمد ابراهيم ، والقنصل المصرى العام فى استنبول (حافظ عمرو) والسفير المصرى فى طهران — يوسف ذو الفقار — صهر الملك فاروق وآخرين اتصلوا بالهيئات الدبلوماسية الألمانية سواء بطريق مباشر أو غير مباشر ، وكانت أهم تلك الاتصالات المحادثات التى اجراها ذو الفقار باشا الذى اتصل فى طهران باسم الملك فاروق شخصيا وبتعليمات خاصة منه وعبر عن عطف فاروق على هتلر واحترامه له ولألمنيا وعن أطيب تمنياته بالانتصار على بريطانيا وأن الملك فاروق وشعبه يودان مشاهدة قوات التحرير الألمانية فى مصر فى أسرع وقت ممكن وأن المصريين واثقون من أن الألمان قد أتو كمحررين لا كطغاة جدد (٤١) .

---

(٤٠) جورج كيرك الشرق الأوسط فى الحرب العالمية الثانية ص ٢٤ ، نقلا عن الدكتور محمد أنيس ، دراسة عن ٤ فبراير ص ٧٧ .

(٤١) لوكاز هيرزويز . ألمانيا الهتلرية والشرق العربى ص ٣٠٦ .

ولاشك ان تلك الميول المحورية من جانب الملك فاروق لم تكن ايمـانا منه بنزعات فاشية أو نازية وانما كانت بسبب تطور الموقف العسـكرى فى أوربا وانهيار فرنسا مما شجع فى مصر الميول التى كانت تتعاطف مـع المحـور شعبية كانت أم رسمية ، لا على اعتبار ان المحـور صـادق النية فيما يتعلق باحترام السيادة المصرية واستقلال دول منطقـة الشرق الأوسط ولكن على اعتبار انه لن يكون احتلالا أسوأ من الاحتلال البريطانى او الفرنسى والذى عانت منه شعوب المنطقة سنوات طويلة ، هـذا مـن ناحية ومن ناحية أخرى كان هذا الميل يحمل فى طياته دوافع التشفى نحـو حليف أكرهت مصر على محالفته ضد رغبة شعبها ، كما أنه كان يتضـمن فى الوقت نفسه معنى الاعجاب بالعسكرية الألمانية التى لا تقهـر من جانب بعض قطاعات الراى العام المصرى وقادته بل وحتى الملـك فاروق ذاته ، ولعل الملك فاروق كان يهدف من وراء اتصالاته بالمحـور أن يستغل هذا التناقض الدولى القائم الا انه لم يستطع أن يحقق آية فائدة سواء لعرشة أو لبلاده بل على العكس فقد عرض عرشـه للخطـر فى ٤ فبراير ١٩٤٢ ، وكادت الأمور أن تتطور الى ما هو اسوأ من الاحتـلال وهو أن تحكم بريطانيا مصر حكما مباشرا ، وبقدر ماحرص الملك فاروق على التقرب من هتلر بقدر ما حرصت المخابرات الألمانية على تبديديد أية مخارف قـد تساور الملك فاروق ووفقا لهذه السياسة التى نسجت خيوطهـا المخابرات الألمانية ، فقد تلقى الملك فاروق مذكرة عن طريق السـفير المصرى فى طهران (٣٠ ابريل ١٩٤١) يؤكد فيها هتـلر بأن الحـرب ليست موجهة ضد مصر أو أى بلد عربى وانما ضد انجلترا وحدهـا ، وجاء فى المذكرة أن دولتى المحور تريدان طرد بريطانيا من اوربا والشرق الادنى الى غير رجعة ، واقامة نظـام جديد يقوم على مبدأ المصـالح المشروعة لكل الشعوب ، وأكدت المذكرة أيضـا على أن المانيا ليست لهـا اطماع اقليمية فى البلدان العـربية ، على حين ان هتلر وموسـلينى يرغبان فى أن يتحقق استقلال مصر وكل الأقطـار العربية (٤٢) .

---

(٤٢) المرجـع السـابق ص ٣٠٦ ، ٣٠٧ .

وفى ٢٩ يونيو ١٩٤١ أى بعد فشل الهجوم الانجليزى الذى شنه الجنرال « ويفل » على الحدود المصرية الليبية أرسل فاروق برقية الى السفير المصرى فى طهران ليبلغ السفير الألمانى أن لدى فاروق معلومات تؤكد بأن الانجليز سيحتلون مناطق البترول الايرانية لكى يحموها من الهجوم الألمانى المحتل من ناحية روسيا (٤٣) .

الا أن فاروق قد تملكه القلق والانزعاج بسبب ما وصل الى علمه من اتصالات كانت تجريها المخابرات الألمانية مع خديو مصر السابق عباس حلمى والذى كان صديقا قديما لألمانيا وكانت له ادعاءات فى عرش مصر منذ خلعه الانجليز فى أوائل الحرب العالمية الأولى ، وعلى الرغم من أنه قد تنازل عن عرش مصر وأصدر بيانا بهذا الخصوص (١٢ مايو ١٩٣١) الا انه قد أوضح فيما بعد أنه يطالب بالعرش لابنه (٤٤) .

ويبدو أن اتصالات عباس حلمى بالألمان قد اثارت قلقا فى الدوائر الملكية المصرية مما جعل الملك فاروق يكتب الى هتلر — عن طريق السفارة البلغارية فى القاهرة — يحثه على قطع العلاقات الألمانية مع عباس حلمى وبالفعل فقد توقفت تلك الاتصالات كما قررت الحكومة الايطالية أيضا قطع اتصالاتها بخديو مصر السابق عباس حلمى ارضاء للملك فاروق (٤٥) .

واعتقد ان الملك فاروق لم يكن وحده الذى يميل الى ألمانيا وانما كانت الغالبية العظمى من المصريين يميلون الى نفس الاتجاه ولعل ذلك يرجع الى عدة اعتبارات : فقد كان أول من اكتشف فيروس البلهارسيا عالم المانى وكان هذا المرض من الأمراض المنتشرة فى مصر ، وكان أول من اكتشف معابد أبى سنبل عالم اثار المانى ، ثم كانت هناك تلك الثقة التى تتمتع بها الالات الألمانية بشكل واضح ، وكان العرب عموما معجبين بالمانيا بسبب انضباطها وقوتها والطريقة التى بنت بها كيان وحدتها من مجموعة

---

(٤٣) المرجع السابق ، أخبار اليوم ١٩٥٧/٩/٩ .
(٤٤) الأهرام ٢٤ يوليو ١٩٥٦ .
(٤٥) لوكاز هيزويز ، مرجع سبق ذكره ص ٣٠٩ .

من الدويلات ذات لغة مشتركة وتراث مشترك ولكنها كانت عـديمة القوة الى ان التحمت أواصرها وانصهرت فى بوتقـة الوحدة الجرمانية وعندمـا كان العرب (وما يزالون) يتدارسـون تحقيق وحدتهم كان بعضها يتطلع الى ألمانيا على اعتبار انها قدوة يمكن الاحتذاء بها .

وعلى ضوء المعنى السابق فقد اتهمت السلطـات المصرية بأنهـا صنيعة للمحور فى شخص ملكها ـ على الرغم من ان تلك التهمـة لا تحمل قدرا من الحقيقـة ، فالواقع أن مصر وألمانيا وجـدتا نفسيهما تحـاربان عدوا واحدا الأمـر الذى خلق نوعا من الترابط بينهما ليس القصـد منـه خدمة ألمانيا وانما قصـد من هذا الترابط حصول مصر على استقلالها ، ولعل فاروق فى محاولة الاتصال بالألمان كان يهدف الى ان يحصـل عـلى وعـد من هتلر بأن يمنح الألمان مصر الاستقلال اذا انتصر المحـور فى الحـرب (٤٦) .

وعلى الرغم من أن المحور قد أعلن فى العديد من المناسبات انـه لا يضمر اى نوايا عدوانية نحو مصر أو غيرها من الأقطـار العـربية ، وبينما الاتصالات قائمة بين الملك فاروق وهتلر لنفس الفرض فأن الوثائق الألمانية والتى اعتمد عليها أحد المؤرخين المعاصرين تشـير الى مايسمى بتقسيم التركة ـ عقب انتصار المحور ـ حيث أرادت ايطاليا أن تحصل من هتلر على وعد بأن تكون مصر من نصيبها فى نطاق السيطرة الايطالية على ساحل شمال افريقيا ، وعلى الرغم من أن هتلر قد قطع على نفسه وعدا بذلك الا أنها كانت خطـة تكتيكية بهـدف البقـاء على جبهـة التضامن متماسكة (٤٧) .

ويبدو ان المخابرات البريطانية كانت متيقظة تماما لكل ما يحـدث فى مصر وتجمعت تقارير المخابرات البريطانية وتقارير السـفير البريطـانى فى مصر وتقارير عملاء بريطانيا سواء فى مصر أو فى البلدان التى تمت فيهـا

---

(٤٦) محمد حسنين هيكل . عبد الناصر والعالم ـ بيروت ١٩٧٢ ط الأولى ص ٤٣٢ .

(٤٧) لوكازهيرزويز وألمانيا والمشرق العربى ـ مرجع سبق ذكـره صفحة ٣٢٠ .

الاتصالات بين المحور وفاروق ، واجمعت كلها على أن فاروقا يلعب لعبة خطيرة ولابد من توجيه لطمة قوية لشخص الملك الشاب المتهور حتى يعود الى حظيرة السياسة البريطانية.

وقبل أن ننتهى من دراسة بعض المواقف التى هيأت لحادث ٤ فبراير يجدر بنا أن نسجل ملاحظة هامة : لقد كان فى مقدور السلطات البريطانية ان تقدر نشاط القصر لا على انه خيانة لقضية بريطانيا وحلفائها وانما على انه اخلاص لقضية مصر واستقلالها ، وأن هؤلاء المصريين ذوى النشاط المحورى لا يحبون المحور لذاته ولا يكرهون الانجليز لذاتهم أيضا ، ولكنهم كانوا يعملون لتحقيق ما يعتقدون باخلاص أنه فى مصلحة مصر ، ولقد كانت الدول المحايدة أو معظمها تؤمن يومئذ ايمانا راسخا بأن النصر للمحور ، وأن الهزيمة ستلحق ببريطانيا .

ولم تكن هناك اذن خيانة لقضية الديمقراطية وانما كان هناك اخلاص لقضية مصر وحرص على تحقيق أمانيها فى السيادة والاستقلال ، ولعل البريطانى الوحيد الذى فهم هذا المعنى وقدره هو الجنرال ويلسون حيث عبر عن النشاط المصرى والذى يطلق عليه « محورى » بأنه نشاط بين ولاءين بين ولاء الساسة المصريين لقضية بلادهم والعمل على استقلالها وبين ولائهم لقضية الحلفاء والديمقراطية (٤٩) .

* * *

---

(٤٨) د. هيكل . مرجع سبق ذكره جـ٢ ص ٢٢٧ .

(٤٩) محمد التابعى : أسرار الساسة والسياسة . مرجع سبق ذكره ص ٢٠٩ .

بريطانيا تستنفذ اغراضها من وزارتى حسن صبرى وحسين سرى

اولا : وزارة حسن صبرى « يونية ـ نوفمبر ١٩٤٠ » :

لم يجد الملك فاروق بدا من الخضوع للتهديدات البريطانية والموافقة على اقالة حكومة على ماهر ، ورغبة من فاروق فى تدارك الموقف حفاظ على عرشه ، استدعى عددا من الساسة القدامى وزعماء الأحزاب الى قصر عابدين للتشاور فى الامر ، وقد رأى المجتمعون وفى مقدمتهم احمد ماهر أنه من الخير ان تستقيل الوزارة بعد ان انعدمت الثقة بينها وبين الحكومة البريطانية (٥٠) ، ومعنى ذلك هو الاذعان للتبليغ البريطانى، وفى مساء (٢٢ يونة ١٩٤٠) وكان على ماهر قد قدم استقالته ، ذهب احمد حسنين (أمين القصر) الى دار السفارة البريطانية ليبلغ السفير موافقة الملك على اعتزال على ماهر رياسة الوزارة ولن يعود الى منصبه فى القصر وفى محاولة من على ماهر لاستثمار الموقف لصالحه ذهب الى الى مجلس الشيوخ والقى بيانا أوضح فيه أسباب استقالته مؤكدا على أن السلطات البريطانية تقدمت اليه بالعديد من المطالب وانه استجاب الى الكثير منها فى نطاق معاهدة التحالف الأمر الذى استوجب شكر السلطات البريطانية عليها ، وأن بعضا من هذه المطالب قد رفضه لمنافاته لاستقلال مصر .

ويلاحظ أن على ماهر قد لجأ الى مجلس الشيوخ ، وليس الى مجلس النواب ، الذى يملك وحده اعلان الثقة بالوزارة ، وذلك خشية المعارضة التى قد يثيرها رئيس مجلس النواب ـ أحمد ماهر ـ بسبب ما أبداه من موافقته على استقالة الحكومة .

أما المطالب البريطانية بشأن الوزارة الجديدة فقد اتسمت بالتضارب الى حد كبير حيث كان من رأى الخارجية البريطانية أن تكون وزارة قومية اكثر تمثيلا للقوى السياسية المختلفة بشرط أن يؤيدها الوفد وتقوم بتنفيذ

---

(٥٠) مذكرات حسن يوسف : القصر الملكى ودوره فى السياسة المصرية ١٩٢٢ ـ ١٩٥٢ . ص ١٦٣ .

المعاهدة نصا وروحـــا (٥١) ، وهكذا عاد الوفد الى الظهـــور كقوة مؤثـــرة على مسرح الســــياسة المصرية ، أما لامبســـون فكان يريدها وزارة وفـدية خالصة أو يؤيدها الوفـد على الأقـــل ولا أهميـــة لكـونها قومية أو حـزبية بشرط أن « تطفوا معنـــا أو تغرق معنـــا » على حد تعبيره (٥٢) .

واعتقد أن اختيار حسن صبرى لرئاسة الحكومة (٢٨ يونية) لـــم يكن استجابة كاملة لرغبات بريطانيا الا أن الحكومة البريطانية قد اعتبرته حـــلا وسطا وأكد وزير الخارجية البريطانية هذا المعنى فى تصريح لـــه فى مجلس اللوردات اذ قال : « ان علاقة بريطانيا بالوزارة المصرية الحـــاضرة تدعو الى أشد الاغتباط وأنه كان يود أن يشترك الوفد فى الحكم » (٥٣) .

ولعل موافقة بريطانيا على اختيار حسن صبرى رئيســـا للحكومـــة قد حكمته عدة اعتبارات من بينهما : صداقة حسن صبرى لبريطانيا ورفض النحاس باشا الاشتراك فى وزارة قومية ، وعدم التـــأكد من ولاء القوات الفرنسية بعد سقوط فرنسا ورغبة الخارجية البريطانية فى حسم الأمـــور مع الملك فاروق بقدر من اللباقة دون حدوث انفجار (٥٤) .

وعلى الرغم مما عـــرف عن حسن صبرى من ميول انجليزية الا أن زيارته لدار السفارة البريطانية فى اليوم الثانى لتولية منصب رئيس الحكومة كانت تحمل معنى كبيرا بأنه يحرص على ارضاء السلطات البريطانية بقـــدر

---

(٥١) د. محمد جمال المسدى وآخرون . مصر والحرب العـــالمية الثانية — مركز الدراسات الســـياسية بالأهـــرام القـــاهرة ١٩٧٨ ٢٢٠ ، ٢٢٢ .

(٥٢) وثائق الخارجية البريطانية برقية رقم ٥٦٠ بتاريخ ٢٣ يونية ١٩٤٠ F.0. 407-224 من لامبسون الى هاليفاكس .

(٥٣) مذكرات حسن يوسف . مصدر سابق ذكره ص ١١٥ .

(٥٤) وثائق الخارجية البريطانية برقيـــة رقم ٤٨٥ من هاليفاكس الى لامبسون ٢٠ من يونية ١٩٤٠ . ، ونستون تشرشل ، مذكـــرات تشرشل ترجمة خيرى حماد . حمـــاد بغداد ١٩٦٠ ص ٥٢٧ — ٥٣٠

يمكنه من ممارسة سلطاته كرئيس للوزراء ، ولذا فقد كانت هذه الزيارة موضع استنكار شديد من بعض أعضاء مجلس الشيوخ المصرى .

ولم يكن من الممكن ان تتبنى الوزارة الجديدة سياسة مضادة لسياسة الوزارة السابقة ولذا فقد ألقى حسن صبرى بيانا فى مجلس النواب والشيوخ اشار فيه الى : أن مصر الحريصة على استقلالها وسلامتها تحرص كذلك على الوفاء بتعهداتها لحليفتها بتطبيق المعاهدة نصا وروحا وفق ما أقره مجلسكم الموقر بجلسة ١٢ يونية ١٩٤٠ (٥٦) ، وكان معنى ذلك هو تمسك وزارة حسن صبرى بمبدأ تجنيب مصر ويلات الحرب ، وعلى الرغم من ذلك فقد قوبل رئيس الوزراء بمعارضة قوية من بعض أعضاء مجلس النواب والشيوخ بسبب الملابسات والظروف التى احاطت بتشكيل الوزارة على اعتبار أن الوزارة السابقة قد حظيت بثقة البرلمان بمجلسيه (النواب والشيوخ) (٥٧) قبل أيام معدودات واقالتها بهذه الطريقة يعد مخالفة صريحة للدستور والذى يقضى بأن الوزارة تستقيل اذا افتقدت ثقة البرلمان وتبقى فى مناصبها اذا فازت بهذه الثقة .. وتساءل احد أعضاء مجلس الشيوخ : فمن أى ناحية اذن جاءت هذه الاستقالة ؟ وأجاب الشيخ عبد الرحمن الرافعى : أن أمر الاقالة جاء من ناحية التدخل السافر فى شئون البلاد ولذا فان الملابسات التى أحاطت بتشكيل الوزارة الحالية واستقالة الوزارة السابقة يدعونا الى الامتناع عن تأييد تلك الوزارة (٥٨) .

ويلاحظ وفقا للعديد من المصادر الهامة أن بريطانيا بدأت تعمل على ارضاء الوفد وقد وضح هذا من خلال الوزارة الجديدة وحث الملك فاروق

---

(٥٥) مجموعة مضابط مجلس الشيوخ لدور الانعقاد العـ
٣ يوليو سنة ١٩٤٥ ص ٩٥١ .

(٥٦) المصدر السابق نفسه ، مضابط مجلس النواب العادى الثالث ٢ يوليو ١٩٤٠ ص ٢٦٠٦ .

(٥٧) لقد اقر مجلس النواب والشيوخ الثقة فى الحكـ
١٢ يونية ١٩٤٠م .

(٥٨) مضابط مجلس الشيوخ دور الانعقاد الخامس
ـ بصدد مناقشة بيان حسن صبرى ـ .

على اخذ رأى الوفد على اعتبار أن اية حكومة لا تحظى برضاء الوفد فلن تنال قدرا كبيرامن الاهلية التى تمكنها من الاستمرار ، ولذا فاننا نعتقد أن موقف الوفد وامتناعه عن تأييد هذه الحكومة على اعتبار أنها لاتحوز ثقة البلاد (٥٩) ، يعد صدمة لبريطانيا ومؤشرا واضحا الى تلك السياسة التى أوصلت العلاقات المصرية البريطانية الى طريق مسدود وقد بدا هذا واضحا من خلال مقابلة لامبسون لفاروق (٢٨ يونية ١٩٤٠) ولذلك فقد سعى حسن صبرى جادا للحصول على تأييد الوفد تقوية لمركزه ٠

وعلى مايبدو فان لامبسون كان يهدف من وراء ذلك الى أن يظل مبدأ التعاون مع الوفد قائما وبقدر تأزم الموقف الدولى فان بريطانيا ستعمل على عودة الوفد فى الوقت الذى ترى فيه أن الاقدام على تلك الخطوة مسألة تحتاج الى قدر كبير من الشجاعة ، ولذا فقد لفت لامبسون نظر فاروق الى أن فشل وزارة حسن صبرى ستترتب عليه نتائج خطيرة قد لا يتوقعها (٦٠) . وهو يريد بذلك تحذير فاروق من سياسته التى اتبعت أيام وزارة على ماهر تلك السياسة التى يرى لامبسون أنها أدت الى أزمة افلت فاروق من نتائجها الخطيرة الصعبة .

وبصدد اختيار حسن صبرى باشا رئيسا للوزراء وعدم الأخذ بنصيحة لامبسون باسناد رئاسة الحكومة الى الوفد أو وزارة يؤيدها الوفد يتحدث أحمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكى والمستشار الأول للملك فاروق — يتحدث عن السبب فى اختيار حسن صبرى فيقول : « لقد كان رأيى دائما أن الوفد هو القوة الشعبية الوحيدة فى هذا البلد وأنه بهذه الصفة أحق بالحكم من جميع الأحزاب الأخرى ، وأنا أعتقد أن الوفد قوة يمكن استغلالها فى استخلاص حقوق البلاد من الانجليز ، ولقد عملت ولا زلت أعمل على ازالة الخلاف بين الملك فاروق والنحاس ،

---

(٥٩) المصدر السابق ، من كلمة الشيخ يوسف الجندى عضو الهيئة الوفدية .

(٦٠) وثائق الخارجية البريطانية برقية رقم ٦٢٨ من لامبسون الى هاليفاكس ٢٨ يونية ١٩٤٠ . F.O. 407-224

وهذه الخطوة لابد منها قبل عودة المياة الى مجاريها — اى قبل عودة الوفد الى تولى الحكم — ومن هنا كان رفضى العمل بنصيحة لامبسون — لأن العمل بهذه النصيحة كان معناه أن الوفد وهو القوة الشعبية الوحيدة « انما يعود الى الحكم بارادة الانجليز وهو أمر ليس فى مصلحة البلاد ولا فى مصلحة الملك ، ولا فى مصلحة الوفد نفسه » .

ويضيف احمد حسنين قائلا : « ورايت أن أقوم بمناورة تمويه وتضليل ذرا للرماد فى العيون ، فطلبت من الملك أن يوفد عبد الوهاب طلعت لمقابلة النحاس باشا فى كفر عشما لكى ألفت انظار السفارة وعيونها الى حيث يقيم النحاس واصرفها عما يجرى فى القاهرة .. وهكذا بينما كان عبد الوهاب طلعت فى كفر عشما كنت أنا قد اتصلت بحسن صبرى وأعضاء وزارته واعددت المراسيم بتشكيل الوزارة وهكذا فوجىء السفير البريطانى بالأمر الواقع صحيح أن حسن صديق لبريطانيا ولقد اخترناه لهذا السبب كسرا لحدة التحدى فقد كان اغفال نصيحة السفير تحديا منا لا شك فيه » (٦١) .

ووفقا لهذا الرأى فان القصر الملكى كان يحاول أن يظهر وكأنه حريص على عودة الوفد تحقيقا للشريعة الدستورية باعتبار أن الوفد هو صاحب الأغلبية الشعبية فى البلاد وهذا يعطى دلالة خفية على أن اسناد الحكم الى وزارات الأقلية يعد مخالفة دستورية يحرص القصر على تجاوزها بعودة الوفد الى الحكم تحقيقا لمبدأ الشرعية الدستورية الا أن هذه العودة مشروطة بايجاد نوع من التفاهم مع الوفد اى — عودة المياه الى مجاريها — على حد تعبير أحمد حسنين باشا . وهذه العودة التى يعنيها القصر تتمثل فى نوع من التضامن بين القصر والوفد وهذا مالا تسمح به بريطانيا اطلاقا لانه يعنى — من وجهة النظر البريطانية — أن ينضم الوفد الى سياسة القصر مما يسبب كثيرا من المشاكل ، واعاقة للعديد من المخططات البريطانية .

---

(٦١) حديث أجراه الصحفى محمد التابعى مع أحمد حسنين باشا ، اسرار الساسة والسياسة ، مرجع سبق ذكره ص ١١٧ — ١٧٨ .

وفى الوقت الذى تولت فيه وزارة حسن صبرى الحكم كان الهجوم العنيف الذى شنه الايطاليون فى خريف سنة ١٩٤٠ فى اتجاه الاسكندرية ، وسرعان ما جعل مهمة الوزارة الجديدة بالغة الدقة حيث وصلت القوات الايطالية الى السلوم فى ١٤ سبتمبر وعقب ذلك بيومين احتلت سيدى برانى، ومن جديد نوقشت قضية هامة شغلت الجانب الأساسى فى العلاقات المصرية البريطانية ابتداء من نشوب الحرب — وهى قضية اعلان الحرب من جانب مصر على المحور — وتوترت العلاقات مع السعديين والذين كانوا يشكلون أهم المجموعات الحزبية التى تتألف منها الوزارة ، وبدأ الدكتور أحمد ماهر فى شن حملة سياسية تستهدف أن يكون لمصر دورا هاما فى الحرب بأن تعلن الحرب على المحور . فى الوقت الذى رأى فيه حسن صبرى وغالبية أعضاء وزارته أن مصر يجب ألا تعلن الحرب لمجرد اجتياز الايطاليين الحدود عند السلوم لأن القوات المصرية لم تكن ترابط هناك وبين السلوم ومرسى مطروح مسافة ثلاثمائة كيلو متر لم يحسب من قبل حساب الدفاع عنها ، ولا مسوغ لأن تعلن مصر الحرب دفاعا عن هذه المنطقة وهى لا تملك هذا الدفاع ولا تريد أن تجعل من اعلان الحرب مجرد مظاهرة كلامية لا حربيا بالفعل وكان من رأى حسن صبرى عدم اعلان الحرب من جانب مصر ولو بلغ الايطاليون القاهرة (٦٣) .

وكان توتر الأعصاب فى القاهرة شديدا ، وفى دور السينما قوبلت المعلومات التى عملت السلطات البريطانية بعناية على اذاعتها بمظاهرات صاخبة كالموج وكثرت الأخبار المغلوطة وانتشرت الشائعات بأن الحرس الملكى قد دعم بعناصر انجليزية جعلت الملك فاروق واقعا تحت الرقابة المشددة من السلطات البريطانية (٦٤) .

---

(٦٢) مضابط مجلس النواب من الجلسة الثالثة والستين لدور الانعقاد العادى الثالث ٢٩ مايو سنة ١٩٤٠ ص ٣٤٨ .

(٦٣) المصدر السابق الجلسة الثالثة والسبعين ١٧ يوليو ١٩٤٠ ص ٣٦٣٣ ، مذكرات ابراهيم عبد الهادى ، مصدر سبق ذكره ، مجلة روز اليوسف ٩ أغسطس ١٩٨٢ .

(٦٤) مذكرات اللواء محمد ابراهيم أمام رئيس البوليس السياسى صحيفة الجمهورية ١٤ يناير ١٩٥٦م .

وأمام الهزائم المتلاحقة لقوات الحلفاء وتحت تأثير الراى العـــــام المصرى والذى يميل الى عدم التورط فى حرب لا ناقة له فيـــها ولا جمـــل — على حد تعبير الشيخ المراغى (٦٥) — تمسكت حكومة حسن صبرى بموقفها من الحرب على الرغم من انسحاب السعديين من الوزارة ايمـــانا منهم بأن فشـــل مصر فى الدفاع عن نفسها انما يعنى الاعتراف بالحماية البريطـــانية عليها (٦٦) . واجمعت العديد من تقارير السفارة البريطانية على أن مشاعر المصريين لا تميل الى اعلان الحرب ومن المستحيل اجبار مصر على اتخـــاذ قرار الحرب على ضوء اتجاهات الراى العام المصرى فى ذلك الوقت (٦٧) .

وأمام الاجماع الشعبى على مبدأ عدم دخول الحرب فلقد تجـــــاوزت العديد من الصحف المصرية حدود الرقابة المفروضة عليها ونشرت العـــديد من المقالات دفاعا عن حق مصر فى تمسكها بالموقف الذى يتفق ومصــــالحها ، على أعتبار ان ايطاليا فى حالة حرب مع انجلترا وليس مع مصر وان الهجوم الايطالى يستهدف القوات البريطانية ولم يقصد به العدوان على المــــدن والقوات المصرية فهى حــرب يخوضها طرف محارب ضد طـرف محـارب آخر فوق أرض طــرف ثالث بعيـــــدا عن دائرة الصراع الدائــــر بين المتحـــاربين (٦٨) .

وسرى اعتقاد — بالحق أو بالباطل — بأن انسحاب القوات البريطانية من السلوم وسيدى برانى مرجعه أسباب سياسية وليست عســـكرية ، وان بريطانيا لم تكن لتقرر ان تجلو عن هاتين المدينتين الا لكى تجـر مصر وراءها فى الحــرب وذلك بأن تهـيىء لدخــول مصـــــر الحـــــرب ســــببا معقـــــولا (٦٩) .

---

(٦٥) أحمد مرتضى المراغى : غرائب من عهد فاروق . بيروت ١٩٧٦ ص ٥١ ، مذكرات حسن يوسف — مصدر سبق ذكره ص ١١٧ .

(٦٦) جريدة السياسة ٢٠ سبتمبر ١٩٤٠ ، المسدى وآخـرون مرجـــع سبق ذكره ص ٢٣ ، ٢٤ .

(٦٧) وثائق الخارجية البريطانية برقية رقم ١١٤ من لامبســـون الى هاليفاكس ٢٠ سبتمبر ١٩٤٠ . F.0. 407-224

(٦٨) الأهرام ١٩ سبتمبر ١٩٤٠ مقال بقلم : اسماعيل صدقى باشــا ، الوفـــد المصرى ٢٠ سبتمبر ١٩٤٠م .

(٦٩) مارسيل كولومب ، مرجع سبق ذكره ص ١٢٤ .

وكان على بريطانيا وفقـا لما أجمع عليه الشعب المصرى من تجنيب ويلات الحرب أن تواجه الموقف بدون الاعتماد على الجيش المصرى لكنهـا ستحاول أن تعطى تفسيرا يزداد صرامة لمواد المعاهدة « ١٩٣٦ » كما أنها لن تتردد ـ عندما يلوح لها أن مصالحها الفعلية فى خطر ـ فى أن تتدخـل بحـزم فى الشئون الداخلية لمصر ولو اضطرها الأمر الى اسـتخدام القوة العسكرية وهذا ما حدث فى ٤ فبراير ١٩٤٢م .

وفى الأسبوع الثانى من ديسمبر ١٩٤٠ تمكنت القوات البريطـانية من احراز بعض الانتصارات فى موقف سيدى برانى وأوقفت زحف القوات الايطالية على مصر ، ولذا فقد استرد الانجليز بعضا من أنفاسهم المضطربة مما مكن السفير البريطانى من استشارة القادة العسكريين فى المنطقة حول دخول مصر الحـرب وقـد أجمعوا على أن الوقت غـير مناسب للاسباب الآتيـة : ـ

أولا : أن وقوف مصر على الحياد ساعد على تخفيف تعـرض قنـاة السويس والموانى المصرية للتقصف من جانب ايطـاليا .. ومن تلك القواعد المصرية يتدفق السلاح والعتاد الى قوات الحلفاء (٧٠) .

ثانيا : أن احتمـال هجوم ايطاليا من الجو على الاراضى المصرية ما يزال قائما ولدى الايطاليين فى ليبيـا ثلاثة أسراب مقـاتلة يتكـون كل سرب من ١٨ طائرة بالاضـافة الى سرب قاذف ناقل ، وأن هناك حوالى ١١٠,٠٠٠ آلاف مقاتل بالاضـافة الى وحدات البوليـس الحـربى .

---

(٧٠) مذكرات حسن يوسف وكيل الديوان الملكى ، مصدر سـبق ذكـره ص ١١٦ .

(٧١) الوثائق الأمريكية ، تقـرير سرى يحمل رقم ١٥٨٦ بتاريخ ٢٥ مارس ١٩٣٩ من السفير الأمريكى فى القاهرة الى وزارة الخـارجية الأمريكيـة . B. 65 - C. 20/43

ثالثا : ان اطمئنان القائد العـــام (الجنرال ويفل ــ الى هـــدوء الجبهـــة الخلفية كان عونا له فى نجاح معركته الأخيرة .

رابعا : لقـــد بدات الحكومة المصرية تشير الى بعض مطامعها الاقليمية فى ليبيا كمقابل لاعلانها الحرب بالاضافة الى رغبتها فى أن تمثل فى مؤتمر السلام المزمع عقده عقب الحرب (٧٢) .

للاسباب السابقة : رأت الخارجية البريطانية صرف النظر عن هذا الموضوع بصفة مؤقتة لحين انجلاء الموقف الدولى .

الا أن لامبسون وجـــد نفسه يدور فى دائرة مفرغة وأن ما يكسبه من ناحية يخسره فى ناحية اخرى بسبب سياســـــة القصر ، لذلك كتب الى هاليفاكس شاكيا ما يصادفه من متاعب ، ومن وضع لا يبعث على الاطمئنان ولكى يمهـــد الطـــريق لمـــا قد يطلب اتخاذه من اجراءات شـــــديدة فى المستقبل فقال أنه : « لا يثق مطلقا فى تصرفات الملك فاروق وأن هنـــاك همسات تدور بأن الجيش المصرى قد صدرت اليه الأوامر بمقاومتنـــا اذا اجبرناه على مقاتلة الايطاليين ، لذلك فقد اقتربت اللحظـــة التى علينـــا فيها ، أن نكون حازمين مع الحكومة المصرية ومن ورائها السراى حتى ولو وصل الأمر الى اللجوء باستعمال القوة المسلحة (٧٣) .

وقد ادرك لامبسون ضعف حسن صبرى فى مواجهة السراى لحاجته الى الاعتماد عليها ، وهكذا بدات كل الدلائل تشير الى أهمية عـــودة الوفد كضرورة تحتمها المصالح العليا لبريطانيا ولو استخدمت فى ذلك من الوسائل مايتناقض بصورة واضحة مع المعاهدة المصرية البريطانية .

وتشير الوثائق الأمريكية الى أن السياسة البريطانية قد لجأت الى وسيلة أخرى كبديل عن قيام القوات المصرية باعلان الحرب ضـــد المحـــور حيث اقترح البريطانيون على الحكومة المصرية أن تبيعهم بعض الأســـلحة

---

(٧٢) المصـــدر انســـابق .

(٧٣) وثائق الخارجية البريطانية من لامبسون الى هاليفـــاكس ١٠ أغسطس ١٩٤٠ برقية رقم ٨٩٦ .

المصرية خصوصا المعدات الميكانيكية والمدفعية ويشير نفس المصدر الى أن هذا الاقتراح من الجانب البريطانى كانت تحكمه عدم الثقة فى القوات المسلحة المصرية من جانب البريطانيين بالاضافة الى افتقار القوات البريطانية الى العديد من الأسلحة وخصوصا بعد الهزائم التى منيت بها فى الصحراء الغربية (٧٤) .

وعلى الرغم من أن أحد أعضاء مجلس النواب قد تقدم بسؤال الى رئيس الوزراء حول مدى صدق هذه الدعاية الا أن الحكومة المصرية قد اعلنت فى بيان رسمى عدم صدق هذا الادعاء (٧٥) ، مما يؤكد على أن بيان الحكومة كان مخالفا للحقيقة ، ولعل الحكومة البريطانية قد طلبت هذا المطلب من رئيس الوزراء المصرى وعلى ما يبدو فانه قد رفض هذا المطلب بسبب ما قد يتركه من أثر لدى الرأى العام وخصوصا وأن حسن صبرى لا يستند الى قواعد جماهيرية أو حزبية ، وهكذا تجمعت العديد من الأسباب التى تؤكد اهمية عودة الوفد باعتباره الحزب الوحيد الذى يستند الى جماهيرية تمكن السياسة البريطانية من تجاوز معاهدة ١٩٣٦ بحجة أن ضرورات الحرب تقضى بمناصرة الحليفة من منطلق الدفاع عن الديمقراطيات فى العالم .

وانطلاقا من مفهوم ان الملك فاروق ذو ميول محورية وأنه يكره الانجليز فقد بدأت السياسة البريطانية تعيد علاقاتها بالقصر وفقا لهذا الاعتقاد فى الوقت الذى كانت فيه القوات البريطانية تترنح من الضربات المتكررة التى تتلقاها من قوات المحور ، ومن المؤكد أن من أولى مهام السفير البريطانى أن يصون ظهر الجيش من آية مفاجأة قد يحدثها الملك ولابد من تهديده والزجر به (٧٦) .

---

(٧٤) وثائق الخارجية الأمريكية برقية رقم ١٣٨ من سفير أمريكا فى القاهرة الى الخارجية البريطانية ٨ يوليو ١٩٤٠م .
140 — Co. H. Europeen War, 1939 — 4902

(٧٥) مضابط مجلس النواب — الجلسة الخامسة والسبعين ٧ اغسطس ١٩٤٠ ص ٢٦٩٩ .

(٧٦) مذكرات ابراهيم باشا عبد الهادى — مجلة روز اليوسف ٩ اغسطس ١٩٨٢م .

ووفقا لما اعتقده السفير من أن على ماهر يناصر فاروق فى عـداثه للانجليز وانهما يعملان على خلق مناخ مشبع بروح اليأس والهزيمـة مما يقلل من هيبة الجيش البريطانى ، فقد طلب لامبسون الى حسن صبرى بوصفه السلطة القائمة على تنفيذ الأحكام العرفية أن يعتقل على ماهـر بحجة أن له نشاطا ضارا بالمجهود الحربى (٧٧) . ويعتقد بعض المعاصرين ان السفير لم يقدم دليـلا مقنعا ينهض حجة لمـا طلب ممـا جعـل رئيس الوزراء المصرى يلوح باستقالته اذا تشبث السفير بطلبه (٧٨) .

ولعل لامبسون قد خشى من الضغط على حسن صبرى فى هذا الموضوع بسبب ما قد يقدم عليه من أمـر استقالته وعلى ما أعتقد فقد كان لامبسون حريصا على أن تبقى وزارة حسن صبرى اطول وقت ممكن حتى يقتنع الرأى العام بعدم جدوى اية وزارة لا تستند الى قاعدة شعبية وهذا يقف دليـلا على حجته فى عودة الوفـد ومن جانب آخر فلعله خشى أن يظـن أنه انما أراد أن ينتقم من على ماهر بسبب التصريح الذى ادلى به عشية استقالته والذى حمل فيه حملة شديدة على لامبسون متهما اياه بالدكتـاتورية والاستبداد وأنه يريد أن يكون الحـاكم الفعلى لمصر ، وهـذا الموقف من حسن صبرى يعتبر موقفا وطنيا يتطابق الى حد كبير مع مشـاعر الرأى العام والشعبية التى حصل عليها على ماهر بسبب الظـروف والملابسات التى احاطت باستقالته .

وقد استمر الجانب البريطانى قلقا لضعف رئيس الوزراء وخوفه من الاقدام على تنفيذ المطالب البريطانية ووقوعه الى حد كبير تحت سـيطرة القصر ، لكن الذى كان يخفف من ذلك القلق هو ثقة الحكومة البريطانية فى ولاء حسن صبرى ، وقد تكرر تعبير الخارجية البريطانية وثقتهـا فى نوايا رئيس الوزراء ، بل أن حسن صبرى قـد أعلن صراحة بأنه يفضـل أن

---

(٧٧) الوثائق الأمريكية برقية ١٧٨ من السفير الأمريكى الى الخارجية البريطانية ١٨ اغسطس ١٩٤٠ .
140 Europeen War, 1939 — 1160

(٧٨) د. هيكل . مرجع سبق ذكره جـ٢ ص ١٩٩ .

يستقبل اذا ما تأكد أنه لم يعد يحظى بثقة أصدقائه الانجليز مؤكدا أن وزارته موالية لهم دون تحفظ (٧٩) .

واذا كان السفير البريطانى عملا بفكرة « تقليم اظافر القصر » قد تراجع عن فكرة اعتقال على ماهر الا أنه عاد مطالبا رئيس الوزراء بابعاد أشخاص بذواتهم من القصر الملكى وفى مقدمتهم عبد الوهاب طلعت وكيل الديوان الملكى بحجة أنه متشبع بسياسة على ماهر ، وكذلك بعض الايطاليين الذين يعملون فى وظائف مختلفة بالقصر ، ورأى الملك فاروق فى هذا المطلب من المساس بذاته ما لا يسمح بالنظر فيه وتدخل حسن صبرى بهدف التغلب على صدام يوشك أن يقع بين الملك والسفير وبعد أيام قلائل صدر الأمر الملكى بتعيين احمد حسنين رئيسا للديوان واعفاء عبد الوهاب طلعت من خدمته داخل القصر (٨٠) . وهكذا رضخ فاروق هذه المرة وقبل مبدأ التدخل البريطانى فى أمر هو من أخص الأمور التى تدخل فى نطاق السياسة الداخلية مما كان سببا فى العديد من التدخلات الأخرى .

وبينما حسن صبرى يلقى كلمته فى البرلمان بمناسبة افتتاح دورة جديدة اذا به يقع على الأرض وقد فارق الحياة (١٤ نوفمبر ١٩٤٠) .

ثانيا : وزارة حسين سرى (نوفمبر ١٩٤٠ — فبراير ١٩٤٢) :

يعتبر تعيين حسين سرى خلفا لحسن صبرى دبلوماسية ماكرة ابتكرها احمد حسنين (رئيس الديوان الملكى) على اعتبار أن حسين سرى رجل مقبول عند بريطانيا وسوف لا يعترضون على تعيينه ولن يتمسكوا بوجوب قيام وزارة وفدية ، أى أن اختيار حسين سرى كان تفاديا لحتمية الاصطدام بالانجليز (٨١) .

وعلى الرغم من أن حسين سرى كان شخصية محببة لدى الانجليز الا ان الملك فاروق رأى فيه بعض المميزات التى تقدمه على غيره ، فهو أولا

---

(٧٩) وثائق الخارجية البريطانية برقية رقم ١١٦٨ من لامبسون الى هاليفاكس ٢٤ سبتمبر ١٩٤٠ . F.O. 407-224

(٨٠) د. هيكل . مرجع سبق ذكره جـ٢ ص ٢٠٠ .

(٨١) محمد التابعى . مرجع سبق ذكره ص ١٨٤ .

يكن ولاءا لشخص الملك وللاسرة الملكية عموما أى أن ولاءه للبريطانيين يأتى بعد ولائه للملك ، وهو ثانيا قريب للاسرة المالكة (خال الملكة فريده) وهو من هذه الناحية أحرص الناس على حقوق الملك ، أما الاعتبار الثالث : فان الوفد صاحب الأغلبية الحقيقية مقصى عن الحكم وتعيين رجل مستقل غير حزبى مثل حسين سرى فى رئاسة الوزارة قد يخفف ولو قليلا من حدة خصومة الوفدللقصر (٨٢) .

ولقد رأى احمد حسنين أن مهمة وزارة حسين سرى تعد مؤقتة تمهيدا لعودة الوفد الى الحكم بعد أن يقدم الوفد الى الملك الترضية الكافية والضمانات اللازمة على عدم تكرار ما فعله الوفد سنة ١٩٣٧ (٨٣) .

ومن المؤكد أن وفاة حسن صبرى كانت مفاجأة للانجليز حالت دون دراسة الموقف دراسة جيدة تمهيدا لاقناع الملك فاروق بعودة الوفد ، والملاحظ أن القوتين المتصارعتين — القصر والانجليز — كانتا ترغبان فى عودة الوفد لكن الاختلاف بينهما كان قائما حول الكيفية التى يعود بها بمعنى أن القصر كان يشترط أن يقدم الوفد الترضية المناسبة لشخص الملك وأن يتعهد النحاس باشا بعدم تكرار محاولة التعدى على الحقوق الملكية ، وكان النحاس يعلم جيدا حاجة فاروق الى تضامنه مع الوفد فى وقت بدأت ملامح الصراع تتصاعد الى الأفق بين القصر والانجليز .

أما الانجليز فقد كانت حاجاتهم الى الوفد تشتد حينما تتأزم الأوضاع العسكرية على الجبهة المصرية اعتقادا منهم أن الملك فاروق سيطعنهم من الخلف وأن وجود الوفد هو الضمان الوحيد لكسر شوكة القصر ، وعلى

---

(٨٢) الوثائق الأمريكية بوثيقة رقم ٢٣١٧ من السفير الأمريكى فى القاهرة الى الخارجية البريطانية ٢٤ يناير سنة ١٩٤١ .

(٨٣) محمد التابعى ، مرجع سبق ذكره ص ١٨٤ ، مذكرات حسن يوسف ، مصدر سبق ذكره ص ١١٥ .

الرغم من أن الانجليز لم يكن لديهم شروط يفرضونها على النحاس مقـابل عودته الى رئاسة الحكومة الا أنهم كانوا حريصين جيدا على ان يظهـروا أنفسهم فى صورة أصحاب الفضل الأول فى تلك العودة ، وهذا ما كان يعيه القصر جيدا ويحرص تماما على عدم تحقيقه .

وعموما فلقد كان اختيار حسين سرى فى وقت أحرز فيه البريطانيون بعضا من انتصاراتهم العسكرية على الجبهة الغربية سببا كافيا لتـأجيل عودة الوفد ، وقد أبدى لامبسون ارتياحه لاختيار حسين سرى ووصـفه بأنه صديق للبريطانين ورجل على قدر كبير من النشاط والتصميم ، شىء آخر دعا لامبسون لابداء ارتياحه لاختيار حسين سرى باشا وهو ما كان يجهـر به دائما من أقوال تتسم بالكراهية لعلى ماهـر العدو اللدود آنـذاك للبريطـانيين (٨٤) .

وتعتبر الوزارة الجديدة امتدادا للوزارة السابقة من حيث التشكيل ومن حيث السياسة نحو الحرب ، فالوزارة الجديدة قد شكلت الى حد كبير من أعضاء الوزارة السابقة ، ثم ان رئيسها كان احد ثلاثة رشـحتهم السفارة البريطانية للرئاسة أثناء الأزمة مع القصر حول التخلص من على ماهـر (٨٥) .

أمـا موقف البريطانيين من دخول الحرب فقد قنعوا بالمعونة الجـادة التى تقدمها لهم الوزارة المصرية مما دعا لامبسون الى وضع قضـية « اعـلان الحـرب » جانبا معلنا بأن المستقبل يعتمد الى حـد كبير على طبيعة سير القتال وأن أى نجاح عسكرى كبير قد يؤدى الى تغيير جـذرى فى الموقف السياسى المصرى (٨٦) . اى أن السفير البريطانى قد اقتنع تماما بأن السبب فى تردد الحكومة المصرية فى اعلان الحـرب راجع الى تردى الحالة العسكرية للقوات البريطانية وليس مرده الى أن معاهدة ١٩٣٦ لا تقر مبدأ دخول الحـرب .

---

(٨٤) الوثائق البريطانية برقية رقم ١٥٤ من لامبسون الى هاليفاكس ١٥ نوفمبر ١٩٤٠م . F.O. 407 - 224

(٨٥) د. المسدى وآخرون ، مرجع سبق ذكره ص ٢٤٠ .

(٨٦) الوثائق البريطانية برقية رقم ١٤٩ من لامبسون الى هاليفـاكس ٢٦ اكتـوبر ١٩٤٠ .

ويلاحظ ان ردود الفعل البريطانية بخصوص دخول مصر الحـــرب قد اتسمت بالتردد وعدم وضوح الرؤيا ولذا فقد تباينت وجهات النظـــر البريطانية حول تلك القضية الهامة ، وكان من الأولى أن تقتنع الســلطات البريطانية برغبة مصر فى عدم اعلان الحرب والاكتفاء بما تقدمه مصر مـــن معونات اقتصادية وسياسية وعسكرية الا ان هذا التردد قد تفسره المواقف العسكرية المتباينة فى الصحراء الغربية فبينما تتقدم قوات المحـــور تطفـــو قضية دخول مصر الحـــرب على الســـطح وتحتل المكانة اولى فى المطـــالب البريطانية أما فى حالة تقدم القوات البريطانية محققة بعضا من الانتصارات فان القضية تتراجع لتأخذ المرتبة الثابتة فى المطالب البريطانية وهكذا .

وما لبثت وزارة حسين سرى أن واجهت أزمة تموينية حادة نجمت عن الصعوبات التى احاقت بمصر بسبب الحصار الذى فرضته ظـــروف الحرب مما أدى الى اضطراب فى الحياة الاقتصادية المصرية ، ورغم ما عرضـــته بريطانيا من استعدادها لشراء محصول القطن المصرى ، ورغم ما بذلتـــه الحكومة من مجهودات للمحافظة على بقاء المعدل الطبيعى للمواد التموينية الا ان اوجه النقص التى كان لابد منها سواء فى المواد التموينية أو غيرهـــا من ضرورات الحياة قد جعل وزارة حسين سرى هدفا لنقد الاحزاب ومحاولة اظهار الحكومة فى صورة من العجز وعدم القـــدرة على استيعاب المرحلة الراهنـــة (٨٧) .

وعلى الرغم من أن القوات البريطانية قد احرزت بعض الانتصـــارات فى الفترة من ديسمبر ١٩٤٠ وحتى فبراير ١٩٤١ الا ان القوات الالمـــانية بقيادة الجنرال روميل قد استطاعت أن تحـــرز نصرا كبيرا حتى اجتازت حدود مصر واحتلت السلوم ثم وصلت الى مرسى مطروح (٨٨) ، فى الوقت الذى امتدت الحرب لتشمل اليونان ويوغسلافيا ، وبدا وكأن انهيار الحلفاء مسألة وقت فقط ، وفى نفس الوقت كانت ثورة العراق بقيادة رشـــدى على الكيلانى وفى سوريا قد حدثت انتفاضات متكررة مما حدا بقوات فرنســـا

---

(٨٧) د. صلاح العقاد . الحرب العالمية الثانية ص ٢٣٠ .
(٨٨) مارسيل كولومب . مرجع سبق ذكره ١٢٥ .

الحرة أن تطلب المساعدة والامدادات من بريطانيا فى الوقت الذى اضطرت فيه بريطانيا الى احتلال ايران خوفا من أن يمتد الاحتلال الالمانى لمنابع البترول الايرانية (٨٩) .

وهكذا بدأ واضحا أن بريطانيا تواجه صعوبات بالغة الخطـورة ، ومما لاشك فيه أن كل هذه الأحداث تركت انعكاساتها على السـاحة المصرية وخصوصا بعد القبض على عزيز على المصرى فى محاولة منه لمغادرة مصر على متن طائرة حربية ، وفى الاسكندرية كانت الغارات الجـوية تبث الرعب فى نفوس المواطنين مما حدا بأعضاء مجـلس النواب المصرى الى مطالبة الحكومة بممارسة مسئوليتها بوضع حد اوقف الاعتداءات على مدينة الاسكندرية التى يذهب ضحيتها مئات المصريين كل يوم (٩٠) ، وبلغ توتـر الأعصاب فى العاصمة مداه وانقسم الوزراء فيما بينهم مما اضطر الملك الى دعوة زعماء الأحزاب للالتقاء بهم حيث جرت المباحثات حول الموقف الدولى والاعتداءات المتكررة على مدينة الاسكندرية وعرض الملك فى هذا الاجتماع فكرة تشكيل حكومة قومية برئاسة النحاس باشا الذى اشترط حـل مجلس النواب واجراء انتخابات جديدة (٩١) .

الا أن هذه المحادثات قد فشلت بسبب مناورات القصر والتى قصـد من ورائها نوعا من التمويه على بريطانيا واثبات حسن نية القصر وعـدم مسئوليته عن الاضطرابات الكثيرة التى انتشرت فى العاصمة ، وبفشـل هذه المحادثات سعى رئيس الوزراء (حسين سرى) الى التقـارب مـع السعديين بالرغم من تعثر هذه المساعى فى البداية الا انه انتهى أخـيرا بتشكيل وزارة جديدة عرفت « بالوزارة السرية الثانية » وغضب الوفـد الذى رأى أن ضم السعديين الأعداء الألداء هو خيـانة كبرى قام بهـا

---

(٨٩) المرجع السابق ، لوكاز هيرزويز المانيا الهتلرية والمشرق العربى ٣٠٣ ، مذكرات حسن يوسف ص ١١٥ .

(٩٠) مضابط مجلس النواب ــ دور الانعقاد العادى الرابع ــ الجلسـة الثانية والأربعين ٢٦ مايو ١٩٤١ ص ١١٧٣ .

(٩١) مذكرات ابراهيم عبد الهادى ، مجلة روز اليوسف ٩ أغسـطس سنة ١٩٨٢ ؛ د. يونان لبيب ، تاريخ الوزارات المصرية ص ٤٢٩ .

القصر (٩٢) . فى الوقت الذى بدأ فيه البرلمان المصرى بمجلسيه (النواب والشيوخ) فى احراج الحكومة عن طريق العديد من الاسئلة والاستجوابات والتى اظهرت مدى التردى الذى وصلت اليه الأوضاع المصرية (٣٩) . وفى محاولة من الحكومة البريطانية لاعادة الاستقرار والطمأنينة الى نفوس المصريين فقد أوفد وزير خارجية بريطانيا وفدا الى مصر برئاسة « أوليفر لتلتلون » مندوب وزارة الحرب بهدف ابلاغ الحكومة المصرية الى أن بريطانيا مصممة على النصر مهما كانت الوسائل بالاضافة الى تخفيف عبء المسؤليات التى يضطلع بها رؤساء الأسلحة البريطانية وتزويدهم بالارشادات السياسية العامة واخيرا التنسيق بين بريطانيا العظمى وأقطار الشرق الأوسط (٩٤) .

ولعل اختيار القاهرة بالذات لكى تكون مقرا للوزير البريطانى باعتبارها مركزا وسطا لدول الشرق الأوسط وعلى اعتبار أن مصر تشهد على جبهتها الغربية اهم معركة يتوقف عليها حسم النفوذ فى منطقة الشرق الأوسط .

واخذ الوفد فى شن حملة عنيفة على الوزارة الجديدة وعلى الانجليز ايضا بداها النحاس بخطبة عنيفة — ١٤ أغسطس ١٩٤١ — اتهم فيها الانجليز بخرق المعاهدة وتحطيم استقلال البلاد (٩٥) .

فى نفس الوقت فان النكسات المتكررة التى واجهها البريطانيون آنذاك بالاضافة الى اشتداد الغارات الجوية على المدن المصرية قد اعطى وقودا للحملة ضد الانجليز وتحمل تقارير السفير البريطانى مع نهاية ١٩٤١ صورة كئيبة للاحداث الجارية حيث يقول لامبسون فى أحد تقاريره :

---

(٩٢) الوفد المصرى ٥ يونية ١٩٤١ ، د. يونان . مرجع سبق ذكره ص ٤٢٩ .

(٩٣) مضابط مجلس النواب — دور الانعقاد العادى الخامس ١٥ نوفمبر سنة ١٩٤١ ص ٥ — ١٠٠ ، ومضابط مجلس الشيوخ مجموعة مضابط دور الانعقاد العادى السابع عشر ١٥ نوفمبر سنة ١٩٤١ ص ٣ — ٣٠ .

(٩٤) الوفد المصرى ١٦ يونية ١٩٤١ .

(٩٥) الوفد المصرى ١٥ أغسطس ١٩٤١ .

« ان هيبتنا قد تدهورت الى حد كبير والوفد يضاعف من حملاته ضد الحكومة المصرية وفاروق يغذى كل هذه الاتجاهات والأحزاب تجـد فى حملاتهـا على الحكومة هدفا وطنيا يكسبها قدرا من الشعبية ، وعودة الوفـد قضية هامة تتعلق بمستقلنا فى مصر (٩٦) .

وتشير الوثائق الامريكية الى ان ما يحدث فى مصر من سوء الاحوال وتفاقم فى المشاعر المعادية لبريطانيا مرجعه الى الملك فاروق والسـفير البريطانى حيث تحول العداء بينهما الى قضية ثأر فكل منهما يريـد ان يقتص من الآخر بطريقته الخاصة (٩٧) .

ومع نهاية ١٩٤١ ازدادت المتاعب البريطانية بسبب الارتفـاع الملموس فى أسعار الحاجيات الضرورية وما صاحبه من اعتقاد بين الراى العام المصرى بأن مرده الى عمليات النهب التى تمارسها السـلطة البريطانية فى مصر لحساب جيوشها والقوات المتحالفة معها وصـاحب كل ذلك فشل الحكومة فى أن توقف موجة الكراهية ضد بريطانيا وظهرت طبقة من المرابين والمضاربين الذين قاموا بتخزين المؤن أملا فى ارتفـاع اسعارها وانتشرت السوق السوداء فى كل مكان (٩٧) ، ويلاحظ أن كـل الصحف المصرية كانت تشير من طـرف خفى الى مسئولية بريطـانيا عن حدرث تلك الأزمات نظرا لاعتماد جيوشها على المواد التموينية المخصصة للشعب المصرى ؛ ولقد اعلن اسماعيل صدقى باشـا (رئيس الوزراء السابق) أن وجود قوات الحلفاء هو احد الأسباب الرئيسية فى عجـز المواد الغذائية على اعتبار ان الجنود البريطانيين يستهلكون فى أجازاتهم بالاضافة الى ما يستهلكونه فى ثكناتهم ما يقرب من ٥٠٠ر٥٠ أردب شـهريا من القمح يصل الى ٦٠٠ر٠٠٠ الف أردب فى العام الواحد (٩٩) .

---

(٩٦) الوثائق البريطانية تقـرير رقم ٩٣١ من لامبسون الى هاليفاكس F.O. 371 ٣ يناير ١٩٤٢ .

(٩٧) وثائق الخارجية الأمريكية تقرير رقم ٨٨٣ من السفير الأمريكى فى القاهرة الى الخارجية الأمريكية ٢ ابريل ١٩٤١ .

(٩٨) الوفـد المصرى ، والسياسة ، الأهرام اعـداد ٢٠ ، ٢١ ، ٢٥ F.W. 833-00/1167 ديسمبر سنة ١٩٤١ .

(٩٩) مضابط مجلس النواب ـــ الجلسة الثامنة والأربعون لدور الانعقاد العادى ٢١ ديسمبر سنة ١٩٤١ ص ١٨٨ .

ولقد أحدث هذا القول دويا واسعا فى كل الأوساط الشعبية والرسمية وانتشرت الأقاويل حول النهب البريطانى لمصر وعن المجاعة والفوضى وسوء الادارة ، وتضاعف موقف الحكومة حرجا حينما تقدم وزير المالية باستقالته لأسباب غامضة (٢ يناير ١٩٤٢) فى الوقت الذى كانت الأحوال العسكرية فى الجبهة الغربية تمر بأدق واخطر مراحلها ، ومن هنا فقد كان على بريطانيا (مدفوعة الى الحفاظ على مصالحها) أن تتدخل تدخلا حاسما لتعيد الأوضاع الى الاستقرار مهما كان شكل هذا التدخل وكانت عودة الوفد تمثل مطلبا حيويا بالنسبة لبريطانيا .

* * *

تعطش الوفد الى الحكم :

فى أوائل سنة ١٩٤١ تجمعت عدة عوامل دفعت بالوفد الى اتخاذ سياسة نشطة فيما يختص بالعلاقات المصرية البريطانية فقد تفاقمت مشكلة القطن المصرى ، وفى محاولة من بريطانيا لاستغلال الموقف لصالحها ، فقد عرضت على الحكومة المصرية شراء جانب من المحصول بسعر اقل من السعر المعروض فى الأسواق بما يقدر بخمسين فى المائة (١٠٠)، يضاف الى ذلك تردى الحالة الاقتصادية والمالية وثقل الأعباء التى فرضتها ظروف الحرب وزيادة الضرائب وارتفاع الأسعار مما اثقل كاهل المصريين وخزانة الدولة ، حينئذ نشط الوفد لتصدر الصف الوطنى مطالبا بريطانيا بتحديد موقفها من بعض القضايا التى تشغل الرأى العام وتقدم مصطفى النحاس بمذكرة باسم الوفد الى السفير البريطانى (أوائل ابريل سنة ١٩٤٠) متضمنة عددا من المطالب الاتية : —

١ — جلاء القوات البريطانية عن مصر بعد انتهاء الحرب .

٢ — اشتراك مصر اشتراكا فعليا فى مفاوضات الصلح .

---

(١٠٠) الوفد المصرى ١٨ مارس ١٩٤٠ ، السياسة ، الأهرام ٢٠ مارس ١٩٤٠م .

٣ — الدخول فى مفاوضات مع مصر بعد انتهاء مفاوضات الصلح يعترف فيها بحقوق مصر كاملة فى السودان .

٤ — التنازل عن الأحكام العرفية التى أعلنت بناء على طلب بريطانيا.

٥ — حل مشكلة القطن المصرى وذلك بتمكين مصر من تصديره الى البلاد المحايدة أو أن تشتريه بريطانيا بالأسعار والشروط المناسبة (١٠١) .

والملاحظ على مذكرة الوفد أنها مست مشاعر المصريين جميعا لأنها قد تناولت قضايا غالبية الشعب المصرى وبلورت مطالب كل المصريين وابرزتها ولذا فقد تصدر الوفد حركة النضال الوطنى بعد أن اعتقدت الجموع الغفيرة من المصريين أن الوفد قد ألقى بأسلحته منذ توقيعه على معاهدة ١٩٣٦ ، كان لذلك كله أكبر الاثر على القوى السياسية المختلفة فى مصر ، فالحزب الوطنى ومصر الفتاة قد أيدا موقف الوفد على اعتبار أن تلك المطالب تمثل الحقوق المشروعة لكافة المصريين على اختلاف اتجاهاتهم الحزبية (١٠٢) .

أما القصر وعلى ماهر والسعديون فقد شككوا فى تلك المطالب وأعلنوا اعتراضهم على أساس أنه ما كان يجوز للوفد أن يتقدم بمطالب الى دولة أجنبية مدعيا أنه وحده يمثل الشعب الا أنهم أعلنوا اتفاقهم من حيث المبدأ على هذه المطالب لأنها تتفق ورغبات الشعب المصرى (١٠٣).

أما الدستوريون فقد أعلنوا موافقتهم بلا تحفظ على الرغم من اعتراض زعيمهم محمد محمود باشا مبديا عدم موافقته متهما الوفد بالانتهازية واستغلال الفرص ، واقترح بعض زعماء الحزب اصدار بيان يطابق مطالب الوفد على اعتبار قومية المطالب التى أعلنها الوفد .

---

(١٠١) مجموعة مضابط الشيوخ — دور الانعقاد الخامس عشر جلسة ٣٠ أبريل سنة ١٩٤٠ (خطاب يوسف الجندى) ص ٥٨١ .
(١٠٢) الوفد المصرى ٢٠ ابريل ١٩٤٠ ، آخر ساعة ٧ أبريل سنة ١٩٤٠م .
(١٠٣) مضبطة الجلسة الستين لمجلس النواب ١٤ مايو ١٩٤٠ ص ٢١٦٢ .
(١٠٤) السياسة ٧ أبريل ، آخر ساعة ٧ أبريل ١٩٤٠ .

ويبدو ان تلك المطالب قد سببت قدرا كبيرا من الاحراج للحكومة المصرية سواء امام الراى العام أو امام بريطانيا ، ولذا فقد تقدم احد اعضاء مجلس النواب باستجواب الى رئيس الحكومة حول موقف الحكومة من مذكرة الوفد ، واعتقد ان هذا الاستجواب كان بايعاز من الحكومة بهدف ان تستصدر قرارا من مجلس النواب بطرح الثقة بها من جديد على امل ان تقوى من موقفها سواء امام الانجليز او امام الراى العام المصرى .

ولما كان نفس الاستجواب معروضا على مجلس الشيوخ للنظر فيه فقد تحدث النائب — عبد الحميد عبد الحق — متهما رئيس الحكومة بأن هدفه من مناقشة الاستجواب فى مجلس النواب هو الحصول على اغلبية تؤيد الحكومة حتى تتمكن من مواجهة مجلس الشيوخ والانجليز معا ..

واعترض احد اعضاء الحزب الوطنى على مناقشة الموضوع باعتباره امرا غير دستورى وتقدم العديد من النواب بعدة اقتراحات واخيرا وافقت الأغلبية على الاقتراحات التالية :

اولا : يعلن المجلس استنكاره لكل عمل فيه محاولة لاقحام دولة اجنبية فى شئون البلاد الداخلية ولو كانت تلك الدولة صديقة أو حليفة .

ثانيا : استنكاره ايضا لمعالجة المسائل المصرية وبخاصة علاقتنا بحليفتنا بغير الطريق الدستورى .

ثالثا : استنكاره أيضا لكل اجراء يقلل من الثقة القوية القائمة بيننا وبين حليفتنا فى وقت فيه التعاون والتآزر واجبان لمصلحة البلدين والمجلس يؤيد الحكومة ويعلن ثقته بها .

وقد علق النائب محمد بهى الدين بركات على قرار المجلس السابق بقوله : افهم ان يستنكر المجلس عملا من أعمال الحكومة اما استنكاره عمل هيئة او شخص خارج هذا المجلس فلا علاقة له بالأعمال

البرلمانية (١٠٥) ، وهكذا تحول الاستجواب من سياسة الحكومة تجاه تصريح الوفد الى طلب منح الثقة للحكومة وهو ما كان يقصده على ماهر.

وعلى الرغم من موقف مجلس النواب من مذكرة الوفد الا أن الوفدين قد هزوا الراى العام هزة عنيفة وأيقظوه من سباته ولذا فقد كسبوا جميع الاراضى التى كانوا قد فقدوها عقب توقيع معاهدة ١٩٣٦ ، ولما قيل لهم انكم بهذه القرارات قد كسبتم الراى العام فى مصر وولكنكم قد تخسرون صداقة الانجليز قالوا وبلسان زعيم وفدى كبير : فقد كسبنا شيئا لم يكن كله موجودا وخسرنا شيئا لم يكن كله مضمونا (١٠٦) .

وتشير احدى التقارير الهامة الى ان طلبة المدارس والجامعات كانوا اكثر قوى الشعب اهتماما بمذكرة الوفد حيث عقدت العديد من التجمعات الطلابية ودار النقاش حول الأسلوب الأمثل لمعارضة الوفد فى موقفه وهتف الطلبة بسقوط الانجليز وسقوط المعاهدة (١٠٧) .

على أية حال فان موقف الوفد بتقديمه تلك المذكرة لم يكن خالصا لوجه الله والوطن وانما قصد به هذا الموقف احراج بريطانيا واستغلال الأوضاع العسكرية المتردية على الجبهة الغربية وكذلك سوء الأوضاع الداخلية فى مصر لكى يثبت لبريطانيا أن الوفد هو القوة الوحيدة القادرة دوما على خدمة الحليفة وخصوصا وقت الشدائد والمهام الصعبة بدليل ان حكومة الوفد بعد ان تراست البلاد فى ٤ فبراير ١٩٤٢ لم تحاول أن تعيد تلك المطالب وانما هادنت الاحتلال بصورة لم تشهدها مصر منذ توقيع المعاهدة .

ومع أن هذه المذكرة كما يقول احد المؤرخين : تعبر بكل تأكيد عن نوع من اليقظة السياسية من جانب الوفد (١٠٨) . الا انها تعتبر

---

(١٠٥) مضابط مجلس النواب — الجلسة الستين ١٤ مايو سنة ١٩٤٠ ، مجموعة مضابط دور الانعقاد العادى ص ٢١٦٢ — ٢١٦٣ .
(١٠٦) الوفد المصرى ٢٠ ابريل ١٩٤٠ .
(١٠٧) تقرير السرايات الملكية — تقرير بتاريخ ٢ ابريل سنة ١٩٤٠ دار الوثائق القومية محفظة رقم ١٨ .
(١٠٨) د. محمد انيس . دراسة عن فبراير ص ٥٢ .

سابقة خطيرة حيث انها جعلت من — حق اى هيئة سياسية — أن تلجأ الى السفير الذى يمثل الدولة المحتلة على اعتبار أنه صاحب الراى النافذ ، والقول الصائب فى كل ما يتعلق بقضايانا القومية والوطنية . ومما يضاعف من اعتقادنا بأن الوفد قد لجأ الى المناورة بهدف الوصول الى السلطة أن تلك المذكرة لم تتعرض لمسألة اعلان الحرب على اعتبار أنه لو اقرها فى مذكرته فقد يغضب جمهرة الشعب ، وان هو عارض اشتراك مصر فى الحرب أغضب الانجليز فاختار طريق السلامة ولم يشر فى تلك المذكرة الى تلك المسألة الشائكة بكلمة واحدة وتشير الوثائق الامريكية الى أن بقاء الوفد بعيدا عن الحكم سيضاعف من مشاكل بريطانيا ، ومن الافضل وفقا لراى السفير الأمريكى أن يعود الوفد الى الحكم ، واذا لم تعجل بريطانيا بتلك العودة فان الامور ستزداد تعقيدا (١٠٩) . اما عن موقف الحكومة البريطانية من مذكرة الوفد .

فلقد حمل الرد البريطانى على تلك المذكرة نوعا من الذكاء والبراعة فى تحليل المواقف والاحداث حيث عكس الرد فهما اكيدا بأن المذكرة كانت مناورة من جانب الوفد بهدف احراج بريطانيا فى الظروف الدقيقة ومن جانب آخر فلقد حمل الرد البريطانى نوعا من احراج النحاس بين القوى السياسية والشعبية باعتبار أن هذه المذكرة — تؤدى الى تدخل بريطانيا فى السياسة الداخلية المصرية (١٠٩) .

ولعل بريطانيا قد قصدت الى أن تفوت على النحاس فرصة الاستفادة من الموقف ، وكانت مقابلة لامبسون رئيس الوزراء المصرى وتسليمه رد الحكومة البريطانية على مذكرة الوفد مما يؤكد أن بريطانيا قد قصدت احراج الوفد أمام الرأى العام المصرى ، وأمام الحكومة المصرية أيضا واعتراف واضح على أن الوفد لا يمثل الهيئة الرسمية التى تتعامل معها بريطانيا .

---

(١٠٩) الوثائق الامريكية برقية رقك ٢١١٢ بتاريخ ٢١ مايو سنة ١٩٤٠ من السفير الامريكى فى القاهرة الى الخارجية البريطانية .

Ligation of the U.S.A. 141. 83 - 255

(١١٠) جريدة المصرى ١٢/٤/١٩٤٠ ، والاهرام ، وآخر ساعة ١٤/٤/١٩٤٠ .

ويمكن القول على وجه العموم أن الرد البريطانى كان سلبيا وانـــه فى جملته يستند الى ان مذكرة الوفد كانت تفتقر الى العنصر النظامى والسند القانونى ، وايمانا من بريطانيا باهمية العلاقات المستقبلية مع الوفد فقد نوهت المذكرة البريطانية بأن الحكومة البريطانية يسرها أن يدرك زعماء مصر حقائق الموقف الدولى الحاضر وخطورة النتائج التى سوف تسفر عنها هذه الحروب القائمة ، وأن الحكومة البريطانية تنتظر من أصدقائها قدرا كبيرا من التعاون والاخلاص فى هذه المرحلة الحاسمة (١١١) .

ووفقا لمـــا جاء فى الرد البريطانى فقد عقدت الهيئة الوفدية اجتماعـــا انتهى بارسال مذكرة أخرى لبريطانيا حرص الوفد على نفس المطالب التى ذكرها فى مذكرته الاولى مبديا أسفه الشديد على تأويل القرارات بما لا يتفق مع ما وضعت من أجله بل يناقضه وطالبت الهيئة الوفـدية بتبليغ هـذا الاحتجاج الى وزير خارجية بريطانيا (١١٢) . ؟

ويبدو أن النحاس قد وجد نفسه وقد تورط فى تصعيد الموقف بمـــا لا يتفق والهدف الذى كان يقصده لذا فقد زعمت بعض الدوائر السياسية ــ وهى ليست وفدية ــ أنه لمـــا اجتمع السفير البريطانى مع النحاس ليتسلم الاخير رد الحكومة البريطانية ، قال السفير للنحاس باشا انه يسمح لنفسه كصديق شخصى أن ينصح صديقه بالعدول عن هذا الموقف فى الظـــــروف الحاضرة ، وتزعم نفس الدوائر ايضا أن النحاس تمنى لو استطاع العدول الا أن الهيئة الوفدية قد قطعت شوطا يصعب التراجع عنه (١١٣) .

وبصرف النظر عن الدوافع التى كانت وراء هذه المطالب الا أن الوفد قد اكد قدرته على الشغب واحداث قدر كبير من القلق والاضطراب فى العلاقات المصرية البريطانية ، ولاشك فقد انعكس هذا على الشارع المصرى الذى تحرص بريطانيا على بقائه هادئا ضمانا لحماية ظهر القوات المحاربة .

---

(١١١) انظر : نص الرد البريطانى : الاهرام ، المصرى ١٩٤٠/٤/١٢ .
(١١٢) المصرى ١٩٤٠/٤/٢٩ ، والاهرام ١٩٤٠/٤/٣٠ ، آخر ســاعة ١٩٤٠/٤/١٤ .
(١١٣) آخر ساعة ١٤ ، ١٩٤٠/٤/٢١ .

وتحمل تقارير لامبســون عن هـذه الفترة : أن الاحزاب السياسية تتبارى فى اظهار وطنيتها حتى تكسب ارضا جديدة على حساب الوفد فى الوقت الذى يتمتع فيه الوفد بشعبية كاسحة ليس فى مصر وحدها وانما فى العــالم العربى كله (١١٤) . ومن هنا فقد حرصت الحكومة البريطانية على ارضاء الوفد باعتباره الحزب الذى يحظى بشعبية كاسحة ، وان ابعاده من الحكم لحساب الاحزاب التى تفتقر الى قاعدة شعبية يتعارض مع مبدأ بريطانيا والتى تعلن دوما انها تحارب من اجل الديمقراطيات فى العالم كله بالاضــــافة الى ان عودة الوفد تعنى استقرار الشارع المصرى وهو ما تحرص عليه الحكومة البريطانية ولذا فقد أعلن لامبسون صراحة : « بأن الوفد سيظل يمثل عامل شغب واضطراب ومن الافضل عودته الى الحكم » (١١٥) .

ووفقا للمصالح البريطانية فقد درس السفير البريطانى الموقف المصرى جيدا ووقف على اتجاهات الاحزاب ودسائس القصر واستطلع الرأى العام من كل جوانبه وتأكد من أن عودة الوفد تعنى استقرار الاوضاع المصرية وأن التطرف الوطنى الذى يمارسه الوفـد وهو خارج الحكم يختلف تماما عن موقفه وهو فى الحكم وفى نفس الوقت فان الوفد لم يتردد فى اعلان ارتباطه بقضية الديمقراطية مؤكدا على أن مصر تمد يدها للشعب الحليف (بريطانيا) وأن الشرف يقتضى من كل مصرى أن يساعد الدولة الحليفة ويشد أزرها وأن نتجنب بوجه عام كل مايمكن أن يؤخذ على أنه « طعنة فى الظهر » (١١٦) .

وما لبث الوفد أن تناسى مذكرة ابريل سنة ١٩٤٠ وظل يعلن أن الوقوف بجانب الحليفة هو قضية مبدأ اقتنع بها الوفد وسيظل يدافع عنهـــا على اعتبار ان معاهدة ١٩٣٦ تحتم هذا الموقف الاخلاقى (١١٧) . وهكـــذا خففت هذه السياسة من شكوك السفارة البريطانية كما جعلتها تأخذ فى الاعتبار رغبات الشعب المصرى والذى يميل الى عودة الوفد .

---

(١١٤) وثائق الخارجية البريطانية تقرير رقم ٤٦٤ من لامبسون الى هاليفاكس ٤ مايو سنة ١٩٤٠ م . F.O. 407 . 224

(١١٥) نفس المصـــــدر الســـابق .

(١١٦) جريدة المصرى ١٥ ، ١٨ أبريل سنة ١٩٤٠ ، آخـــر ســـاعة ٢١ أبريل سنة ١٩٤٠ .

(١١٧) المصرى اول مايو سنة ١٩٤٠ .

وهكذا تمكن الوفد من أن يلعب بمهارة وان يستغل الموقف البريطانى المتازم أفضل استغلال ولذا فقد تداركت بريطانيا الموقف على اعتبار أن الحكومة التى لاتملك المساندة البرلمانية لن تستطيع أن تحكم بروح المعاهدة مع الوضع فى الاعتبار بأن أى جهد يبذل فى هذا الطريق لابـد وان يصطدم بمعارضة القصر ولن تستطيع أى حكومة بدون المساندة الشعبية أن تحارب القصر (١١٨)·ومعنى هذا أن بريطانيا تريد حكومة تحد من نفوذالقصر سواء النفوذ الرسمى أو الشعبى فى الوقت الذى كانت فيه وزارة حسين سرى تتعرض لاكبر هجوم شنه الوفد على اعتبار ان الوزارة قد فشلت تماما فى حل اى مشكلة بل تفاقمت المشاكل والحكومة عاجزة عن اتخاذ أىموقف(١١٩)

وللحقيقة التاريخية نقول : « أن موقف الوفـد من بريطـانيا منـذ قيام الحرب العالمية الثانية كان موقفا غير ثابت على الاطلاق ففى بعض الأحيان يعمد الوفد الى أن يلقى بكل ثقله وراء الحليفة لتنتصر الديمقراطية ، وفى أحيـان أخرى يكون حرص الوفد على تحقيق الديمقراطية من وجهـة نظره فى الداخل أكثر من حرصه على تحقيق الديمقراطية فى العالم بانتصـار بريطانيـا وفرنسا كما أن موقف الوفـد من الوزارات القومية التى تشترك فيها كل الاحزاب يكون متأرجحا مرة يقبل الوفـد تشـكيل تلك الوزارة ومرات أخرى يرفضها ، مرة يمـد يده لاحزاب الاقلية ومرات أخـرى يقبضـها .

وهناك من يقول أن الوفـد كان يقبل بفكرة الوزارة القوميـة عندما يشـعر بضعف موقفه ، وعندما يكتشف أن الظروف تجرى فى غير صالحة او عندما يتعب من البقاء فى المعارضة وكان يرفض فكرة الوزارة القوميـة عندما يرى ضعف بريطانيا فى أوربا أو على الحدود الغربية (١٢٠) .

الا أن الوفـد كان حريصا على أن يذكـر بريطانيا بين حين وآخـر بأن قضية الديمقراطية فى مصر هى جزء من قضية الديمقراطية التى تدافع

---

(١١٨) د. يونان لبيب رزق ، تاريخ النظارات المصرية ص ٤٤١ .
(١١٩) جريدة المصرى أول يناير سنة ١٩٤١م .
(١٢٠) المصور ٦ مارس ١٩٨١ بقلم صبرى أبو المجد .

عنها بريطانيا وتحارب من أجلها فى العالم كله مما سبب لبريطانيا كثيرا من المشاكل التى تمثلت فى العديد من الاضـطرابات والمظاهرات والعديد من مظاهر الاستياء العام .

ومزيدا من استغلال الموقف فقد تقدم الوفد ــ ٢ ينـاير ١٩٤١ ــ بمذكرة الى الملك فاروق استعرض فيها أثر الحرب على أحوال مصـر الداخلية والخارجية وطالب باجراء انتخابات لوضع الأمور فى نصـابها الصحيح من حيث الرجوع الى الأمة باعتبارها مصدر السلطات انقـاذا للبلاد من المصير المجهول (١٢١) .

واعلنت الهيئة الوفدية عدة قرارات كان الهدف منها هو القضـاء على البقية الباقية من هيبة الوزارة وتمثلت هذه القرارات فيما يأتى :

أولا : أن الوفد لا يرتبط بأية نتائج أو مفاوضات تتخذها الوزارة الحاضرة ويكون فيها مساس بمصير البلاد واستقلالها أو حقوقها وأمنها .

ثانيا : ينسحب حضرات الشيوخ والنواب الوفديين من جلسات المجلسين (النواب والشيوخ) ولجانهما الى يوم ٧ مايو ١٩٤١ ــ يوم انتهـاء المدة الدستورية لعضوية الشيوخ المقترع على خروجهم ــ على أن يقدم استجواب اثر عودتهم يطالبون فيه بموقف الحكومة من المخالفات الدستورية التى قامت بها وعلى ضوء ما يسفر عنه هذا الاستجواب يحـدد مركز الشيوخ والنواب فى المجلسين (١٢٢) ، ومن السهل أن يفسر هذا الموقف من الوفد على اعتبار ان الوفديين يعتبرون أنفسـهم موكلين بالنيابة عن الشعب المصرى وأن أى التزام من أى حكومـة اخرى يعتبر من وجهة نظرهم مخالفة صريحة للدستور من هنـا نرى أن الوفد لم يكن موضوعيا حيث حمل الحكومة اكثر من طاقاتها مستغلا بعض الأحداث التى هى بلا شك خارج مقدرة الحكومـة فمثلا يحمل الوفـد حملة عنيفة على الحكومة بسبب الغـارات الجوية

---

(١٢١) المصرى ٣ ينير ١٩٤١م .

(١٢٢) مضابط مجلس النواب ــ الجلسة الثلاثون ــ دور الانعقـاد العـادى الثامن ٦ ابريل سنة ١٩٤٠ ص ٣٠١ .

التى تقع على مدينة الاسكندرية ويحمل الحكومة المسئولية كاملة (١٢٣) ، على الرغم من أن الوفد حينما عاد الى الحكم فى فبراير سنة ١٩٤٢ لم يستطع أن يفعل شيئا امام هذه المسألة بالذات بالرغم من ان القصف قد تضاعف وأصبح عدد الضحايا يعدون بالمئات فى اليوم الواحد ، وهكذا عمل الوفد على الاستفادة من الظروف القائمة بانتهاز الفرص المناسبة التى أوجدتها الحرب ليجعل منها مناورة سياسية تقربه يوما بعد يوم من الحكم .

وفى الوقت الذى أدركت فيه بريطانيا أهمية عودة الوفد كان القصر واعوانه يقومون بسياستهم المعهودة وهى محاولة النيل من سمعة الحلفاء عن طريق الاشاعات التى كانت تتردد ومنها ان الحرب ما هى الا مشكلة وقت فقط وأن النصر فى جانب المحور لا محالة .

وعلى ما يبدو فقد كان هناك ما يدعو الى كثرة الاشاعات وتضخيمها وخصوصا فيما يتعلق بمعنويات الجيش البريطانى فى مصر حيث يذكر احد المعاصرين قائلا : « لقد كانت قيادة الجيش البريطانى فى يد الجنرال (ريتشى) والذى كان يدير المعركة بالتليفون تارة من القاهرة وتارة من الأسكندرية والى جواره صديقته المصرية الحسناء » ، يضيف صاحب هذه الرواية : « لقد اشترى أحد الفلاحين فى مركز منيا القمح مدفعا رشاشا من الجنود البريطانيين ، وان مصطفى أمين كان يسير فى الشارع بينما أحد الجنود الهنود يدفع أمامه فردتى « كاوتش » للسيارة وقد عرضهما عليه بجولارين اثنين وان حسين أو أبو الفتح ذكر أن بعض الضباط البريطانيين ابدى استعداده لان يورد له أى عدد يشاء من سيارات الجيش البريطانى بسعر مائتى جنيه للسيارة الواحدة (١٤٢) .

وعلى الرغم من المبالغة فى رواية الرواه الا ان هذا يعطى مؤشرات اكيدة على ان معنويات الجيش البريطانى كانت هابطة لدرجة كبيرة

---

(١٢٣) جريدة المصرى ٦ فبراير سنة ١٩٤٠ .

(١٢٤) محمد التابعى ــ أسرار الساسة والسياسة ص ٢٨٦ ، ويضيف الاستاذ التابعى العديد من الأمثلة على تدهور معنويات الجيش البريطانى مما احدث ارتباكا شديدا فى الدوائر السياسة الانجليزية .

وخصوصا بعد الانتصارات الكاسحة التي كان يحرزهـــا الالمان على جبهات القتال مما حمل وزير الحربية البريطانية الى الحضور الى مصر وقابل معظم الزعماء المصريين واحدا بعد الاخر وخرج من مقابلاته الى أن الملك فـــاروق هو سبب كل المشاكل فى مصر ، وبشهادة كل من قابلهم من الزعماء (١٢٥) .

ولقد اقتنعت الحكومة البريطانية بنتيجة واحدة وهى — طـــرد الملك فاروق — ويضيف السفير البريطانى قائلا : « ما دام هذا الغلام جالســــا على العرش فاننا لن نلقى تعاونا حقيقيا وسيبقى لدينـــا الاحساس بأنه متى ساءت الأحوال فاننـــا سنطعن من الخلف (١٢٦) .

وأمام هـــذا الكم الهـــائل من المشـــاكل أبدى حســين سرى رئيس الوزراء) عزمه على الاستقالة حيث اعلن صراحة بأن الموقف يقتضى قيام وزارة قومية تضم كل الأحزاب ويرأسها النحاس باشـــا وأبدى الأحـــرار الدستوريون موافقتهم تفـاديا لأى خطـر يمس سـيادة البلاد وأبدى النحاس باشا موافقته حينما فوتح فى الامر بل انه قبله مسرورا (١٢٧) . ويضـــيف ابراهيم عبد الهادى — عضو مجلس الوزراء — أن السفير البريطـــانى قد فاتح حسين سرى بضرورة عودة الوفـــد وهذا ما يؤكده الدكتور هيكل فى مذكراته أيضـــا (١٢٨) .

واضطرب الجو السياسى وعرف الناس حقيقة ما يجرى وراء الستار وما أسـهل اثارة الاضطرابات والمظاهرات فى القاهرة والتى تنادى بسـقوط الوزارة وشجعت أنباء الحرب وتقدم الألمان فى أرض مصر على خلق جـــو ملائم لعناصر الاضطراب ، حيث قامت المظاهرات ترفع شـعارات عدائية ضد انجلترا وذهب بعضها الى السفارة البريطانية يسبون الانجليز بالفـــاظ

---

(١٢٥) الوثائق الأمريكية برقية رقم ٢٠٠٦ من الســـفير الأمريكى فى القاهرة الى الخارجية البريطانية ٢٣ فبراير سنة ١٩٤٠ .
140.0011 European War 1939-1887

(١٢٦) محسن محمد : التاريخ السرى لمصر ص ١٤٦ .

(١٢٧) مذكرات ابراهيم باشا عبد الهادى — روز اليوسف ٩ أغسطس سنة ١٩٨٢ .

(١٢٨) المصدر السابق ، مذكرات فى السياسة المصرية ج٢ مصـــدر سبق ذكره ص ٢٢٤ .

مهينة — تقدم يا روميل — الى الامام يا روميل — ولم يكتفوا بترديدهـــا بالعربية بل كانوا يتولونها بالانجليزية أيضا (١٢٩) .

ومن المرجح أن الســفير البريطـانى لم يكن خالص النية فى معـالجة تلك الأزمة ، ويبدو أنه باصراره على عودة الوفـد الى الحـكم كان يرمى الى رد الاعتبار الى نفسه فى نظـر حكومته اذ كان وزير الخـارجية مستر « ايـدن » قد وجه اليه نوعـا من اللوم لفشلة فى الوسـاطة بين الوفـد والقصر سنة ١٩٣٧ ، وهى الأزمة التى انتهت باقـالة النحـاس باشـا فى ديسمبر من نفس العام .

والعجيب أن تقف وزارة حسين سرى موقفا سلبيا من المظـاهرات التى اندلعت لتشـمل القاهرة كلها والحرب قائمة والأحكام العـرفية معلنة ولم تحرك ساكنا وكان بامكانها تفريق هذه المظاهرات وهذا ما لم يحـدث مما يجعلنا نشك فى أن حسين سرى كان ضليعا فى مؤامرة اتفق عليهــا مــع الانجليز حتى يبرروا ما هم مقدمون عليه فى مساء ٤ فبراير وتشير مراسلات السفير البريطانى الى حكومته اثناء تفاقم تلك المظاهرات الى رغبة السفير فى استغلال الموقف والتدخــل فى الوقت المناسب بهـدف عزل الملك وفـرض حكومة الوفــد (١٣٠) .

ويضيف أحد المعاصرين فى محاولة لالقاء اللوم على الوفــد باعتباره كان ضليعا فى تلك المظاهرات فيقول : « أن الجماهير التى كانت تهتف الى الأمام يا روميل انقلبت لتحيى الوزارة الجديدة وتظهر من الابتهاج بولايتهـا الحكم ما أثار عجب الأجانب واعجاب السفير البريطانى والجالية البريطانية بأسرها فقــد دلت مظاهرات الابتهاج هذه على أن للوفــد من القــدرة على توجيه المظاهرات ما مكنه من أن يقلب المأساة عيدا وأن يحـــول التيـار

---

(١٢٩) مذكرات ابراهيم عبد الهادى المصدر السابق ، مذكرات الدكتور هيكل جـ٢ ص ٢٢٥ ، مذكرات حسن يوسف ، مصدر سبق ذكــره ص ١٢٧ .

(١٣٠) مجلة المصور ٦ مارس ١٩٨١ ، دراسة عن سنوات ما قبــل الثورة أعدها صبرى أبو المجــد .

المتدفق المعادى لانجلترا فيجعله بين عشية وضحاها تيارا متدفقـــا يظاهر انجلترا ويناصرها (١٣١) .

والسؤال الذى يفرض نفسه عند معالجتنا لتلك القضــــــية الهامة : لمـــاذا وقع اختيار بريطانيا على الوفــد بالذات ؟..

تؤكد كل المصادر الهامة بما فيها زعماء الوفــد أنفسهم أن الملـــك فاروق قد حاول فى أواخر حكومة سرى الاتصال بالوفد بهدف تأليف وزارة ائتلافية أو قومية يرأسها النحاس وبالفعل فقد ابدى الوفــد موافقته على الفكرة ورحب بها (١٣٢) ، فاذا كان القصر يحرص على مبدأ التضـــامن مـــع الوفد معنى هــذا أن كل القوى السياسية فى مصر أصبحت مواليــة للملك فاروق لأن كل أحزاب الأقلية كانت تدور فى فلك القصر ـ من هنــا فقــد حرصت بريطانيا على فصم كل رابطــة بين الوفــد والقصر فلا يستطيع الوفد أن يصل الى الحكم مهما كانت شعبيته الا بواسطة الانجليز وتضيف الوثائق البريطانية ـــ أن لامبسون قد بذل قدرا كبيرا من الجهــد فى محاولة لعــدم تمكن الوفد من العودة الى الحكم عن طريق القصر حتى لا يتحــول الوفـــد الى أداة تدور فى فلك القصر مما يضاعف من حجم المشــاكل التى تواجههــا بريطـــــانيا (١٣٣) .

اما بريطانيا فقد كانت تحرص جيدا على عودة الوفــد وبطريقتهــــا الخاصة الأمر الذى يعنى ارتباط الوفــد بها وليس بالقصر ، ويبدو أن هذه القضية كانت تحكمها عدة اعتبارات استراتيجية هامة من أهمها : ـ

---

(١٣١) د. هيكل ، مصدر سبق ذكره جـ٢ ص ٢٤٧ .

(١٣٢) مذكرات ابراهيم عبد الهــادى ، روز اليوسف ٩ اغســطس ١٩٨٢ ، د. هيكل جـ٢ ص ٢٢٠ ـــ ٢٢٥ ، مذكرات حسين يوســف ص ١٢٦ .

(١٣٣) الملف السرى لحادث ٤ فبراير من لامبســون الى الخــارجية البريطانية برقية رقم ٢٤٠ ١٨ يناير ١٩٤٢ ، الأهرام ١١/٥/١٩٧٣ ، التابعى ، مصدر سبق ذكره ص ١٤٨ ـــ ١٥٠ ، مذكرات كريم ثابت المستشار الصحفى للملك فاروق ، الجمهورية ١٣ يونية سنة ١٩٥٥م

اولا : الشعبية الكاسحة التى يتمتع بها الوفـــد بخلاف غيره من الاحزاب الأخرى وهذا ما يؤهل الوفـــد للقيام بأدق الأمور واخطرها اعتقادا بأن أى معارضة لن يكون لها أهمية طالما بقى الوفـــد فى الحكم .

ثانيا : ان التدخل البريطانى بهدف فرض حكومة وفدية سيقطع خط الرجعة بين القصر والوفـــد وهو ما تحرص عليه بريطانيا وفقـــا لخططهـــا الاستراتيجى .. —

ثالثا : أن اختيار الوفـد صاحب الأغلبية الكاســـحة لتمثيل الدور الذى أعدته بريطانيا لتتفذه فى ٤ فبراير لم يكن بهدف المصلحة العامة للوفـــد بقدر ما كانت تهدف اليه بريطانيا من أن هذا الموقف سيكون بداية النهـــاية للشـعبية الكبيرة التى يحظى بها الوفد ، وهذا ما تحقق بالفعل .

رابعا : لقد كان هذا الاختيار — ومن وجهة النظـــر البريطانية تدعيمـــــا لفكرة الديمقراطية حيث أن عودة الوفد أمر تقـــره الديمقراطيات التى تحارب بريطانيا من أجلها كما أن هذا التصرف سيحظى بتأييد حلفـــاء بريطانيا الذين يحاربون دفاعا عن الديمقراطية .

وهكذا تجمعت العديد من الاسـباب لتخلق ما يسـمى بحـادث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢م .

قطع العلاقات المصرية مع حكومة فيشى :

لم تعد حكومة حسين سرى موضـــع ثقـــة الملك فاروق بسبب أزمـــة حكومة فيشى فقد طلبت بريطانيا من حسـين سـرى قطع علاقات مصر بحكومة فيشى التى قامت اثر انهيار الجمهورية الفرنسية الثالثة وتقسيم فرنسا الى شـطرين شـطر احتله الألمـان وفيـه باريس ، وشطر يخضـــع لحـكومة بيتان وعاصمة فيشى وكان طبيعيـــا أن تكـون حكومة فيشى موالية للمحـور وعلى أثر ذلك انقسـم الفرنسـيون الى فريقين : جماعة ديجـول الذى فـر الى لندن ليقـود حركة « فرنسـا الحـرة » وجماعة فرنسـية أخرى مؤيدة لحكومة فيشى وتتبعها سـلطات فرنسية فى بعض منـــاطق الشـــرق العربى سوريا ولبنـــان — وفى ٦ ينـــاير ١٩٤٢ أقـــدمت وزارة حسين سرى على

قطع العلاقات مع حكومة فيشى بناء على طلب تقدم به السفير البريطانى(١٢) ، ولقد ترتب على تعيين الجنرال « كاترو » مندوبا عاما للجنرال « ديجول » فى أواخر نوفمبر سنة ١٩٤٠ قيام تمثيليين متناقضين لفرنسا فى مصر أحدهما يرأسه جان بونتى ، يمثل حكومة فيشى المتعاونة مع المانيا وكان على صلة وثيقة بدوائر القصر ، والآخر يرأسه « كاترو » ويمثل ديجول وتسانده الحكومة البريطانية ومن ثم كان من الطبيعى أن تضغط بريطانيا على حكومة حسين سرى لقطع العلاقات المصرية مع حكومة فيشى ٠

وبناء على رغبة الحكومة البريطانية فقد اجتمع مجلس الوزراء المصرى فى ٥ يناير سنة ١٩٤٢ لمناقشة قطع العلاقات مع فيشى واعترض مصطفى عبد الرازق وزير الأوقاف وطلب ارجاء النظر فى قطع العلاقات لمزيد من الدراسة على اعتبار أن اهمية الموضوع تقتضى مزيدا من التأنى . أما الدكتور هيكل وزير المعارف فقد طلب التريث حرصا على مستقبل الطلاب المصريين الذين يدرسون فى فرنسا الا أن رئيس الوزراء أصر على طرح الموضوع للتصويت ، ويصف الدكتور هيكل الموقف بقوله : « لقد تولتنى الدهشة حين رأيت جميع الوزراء يوافقون على قطع العلاقات مع فيشى وقد امتنعت وامتنع مصطفى عبد الرازق عن التصويت (١٣٥) ٠

ومن الواضح أن رئيس الوزراء قد أقدم على هذه الخطوة باتفاق مع السفير البريطانى وباتفاق سابق ايضا مع غالبية اعضا مجلس الوزراء ، ولذا فقد أحدث هذا القرار دويا هائلا واندلعت الأزمة لأن القرار السابق قد اتخذ فى غيبة الملك فاروق الذى كان يقوم برحلة على ساحل البحر الأحمر ، وما أن عاد حتى سعى على ماهر ورجاله الى تصوير الموقف له على اعتبار أن الوزارة قد تجاوزت اختصاصها

---

(١٣٥) د. محمد حسين هيكل مصدر سبق ذكره جـ٢ ص ٢١٩ ، مذكرات حسن يوسف ص ١٣١ ٠

وتعدت على حقوق الملك التى أقرها الدستور والقانون باعتبار أن السفير هو نائب الملك الأمر الذى دعا الملك فاروق الى استدعاء رئيس الوزراء ووزير الخارجية (صليب سامى) وعنفهما تعنيفا شديدا ، وفى اليوم الثانى صدرت الأوامر لوزير الخارجية بأن يلزم داره (١٣٦) .

ويلاحظ أن ما أقدمت عليه الحكومة يعد تجاوزا خطيرا فى العلاقات مع القصر وخصوصا وان التقاليد المتبعة كانت تقضى بأن يرسل الى القصر صورة من الموضوعات التى ستعرض على مجلس الوزراء قبل انعقاده بوقت كاف الا أن هذا الموضوع الخطير قد اسقط من « الرول » الذى ارسل الى القصر (١٣٧) ، وهذا يؤكد تواطؤ حسين سرى مع الانجليز فى هذا الأمر فى وقت كانت فيه الحكومة تترنح من الأزمات الاقتصادية الخطيرة التى وصلت الى حد أن الناس كانوا يختطفون الخبز فى الشوارع (١٣٨) ، وعجزت الحكومة عن وضع حلول سريعة لكثير من المشاكل التى بدت وكأنها معقدة ثم ما كان من الهجمات التى يشنها الوفديون وأحزاب الاقلية ضد الوزارة فلم يكن من المعقول والموقف هكذا ان تقدم الحكومة على اتخاذ هذه الخطوة الخطيرة الا اذا كان هناك اتفاق مبيت بين سرى باشا والسفير البريطانى على اعتبار أن هذا الموضوع سيكون بمثابة القشة التى قصمت ظهر البعير وانه سيعجل بالمواجهة المباشرة بين السفير والملك فاروق وتصفية كافة الحسابات القديمة .

ويعلق أحد أعضاء مجلس الوزراء بقوله : لم أتوقع ان يكون لهذا القرار من الاثار العميقة والبعيدة بعض ما حدث ولم يخف على احد أن انجلترا هى التى أصرت عليه (١٣٩) .

---

(١٣٦) الملف السرى لحادث ٤ فبراير الأهرام ١٩٧٣/٥/٤ ، مذكرات كريم ثابت الجمهورية ١٣ يونية ١٩٥٥ ، مذكرات حسن يوسف ص ١٣٠ .

(١٣٧) مذكرات كريم ثابت المستشار الصحفى للملك فاروق ، الجمهورية ١٣ يونية ١٩٥٥ .

(١٣٨) د. محمد أنيس ، دراسة عن ٤ فبراير ص ١٠٧ .

(١٣٩) د . هيكل ، مصدر سبق ذكره جـ ٢ ص ٢٢٠ .

وعقب عودة الملك من رحلته فى الصحراء والبحر الأحمر — بعد ثلاثة أيام — اذ نشرت الصحف أن صليب سامى وزير الخارجية اعتكف فى منزله لوعكة صحية (١٤٠) .

ولا غرابة ان يكون الموضوع الرئيسى فى الصحف المصرية فى تلك الايام هو قطع العلاقات مع فرنسا نظرا للعلاقات الثقافية الوطيدة التى كانت تربط مصر بفرنسا ، ولقد أحدث هذا الموقف دويا داخل البرلمان المصرى حيث تقدم عدد كبير من أعضاء مجلس النواب باستجوابات الى الحكومة تحمل نوعا من الاستنكار الشديد وعجزت الحكومة المصرية عن ايجاد رد مقنع لتساؤلات الاعضاء مما دعا وزير الخارجية الى تأجيل مناقشة الموضوع بعد اسبوعين أو ثلاثة مما دفع بعض الاعضاء الى القول : « أنا لا أفهم معنى لتأجيل الاجابة ، فهل عندما أوقفت العلاقات فعلا ، وصدر قرار الحكومة بذلك لم تكن قد تجمعت لدى الجهات المسئولة أسباب الوقف » (١٤١) .

ونظرا لان قرار الحكومة قد قوبل بموجة من الاستنكار داخل مجلس النواب فقد اقترح وزير الخارجية — صليب سامي — أن يناقش الموضوع أمام لجنة الشئون الخارجية باعتبارها جهة الاختصاص فى الامر وقد قوبل هذا الرأى بعاصفة من الرفض على اعتبار أن هذا يعد تقليدا جديدا فى الحياة البرلمانية المصرية (١٤٢) .

ووفقا لمحاضر مجلسى النواب والشيوخ فان تأجيل أحد الاستجوابات قد يكون بسبب حاجة الحكومة الى بعض بيانات يطلبها المجلس أو غيرها من المعلومات التى يصعب على الحكومة الاجابة عنها فى الحال اما الموقف هذه المرة والحكومة تعلم كل الظروف والملابسات التى دعت الى قطع العلاقات مع فيشى ، ولذا يمكننا القول : أن موقف صليب سامى — وزير

---

(١٤٠) الاهرام ، المصرى ١٥ يناير سنة ١٩٤٢ م .

(١٤١) مضبطة مجلس النواب — الجلسة التاسعة ١٤ يناير ١٩٤٢ ص ٢١٦ .

(١٤٢) المصدر السابق .

الخارجية — كان نوعا من المراوغة والاستفادة بعامل الوقت حتى يتـــأكد من مصير الوزارة التى بدا مؤكدا انها على وشك الاستقالة .

وعلى الرغم مما لجأت اليه الحكومة من اصدار بيان فى ٨ ينـــــاير سنة ١٩٤١ ذكرت فيه : أن الحكومة البريطانية تلقت انباء خطيرة دفعتهـــا الى المطالبة باتخاذ قرار سريع من الحكومة المصرية حول هذا الموضوع (١٤٣) الا أن وقع هذا القرار على المصريين كان سيئا نظرا للعلاقات التاريخيـــة التى تربط مصر بفرنسا ولان غالبية الساسة المصريين كانوا متشـــبعين بالثقافة الفرنسية ولذا فاننا نرجع عدم موافقة الدكتور هيكل لهذا السبب ، وكذلك كان لبوتسى الوزير المفوض من قبل حكومة فيشى — والذى كـــان يمثل الجمهورية الفرنسية الثالثة قبل سقوطها — صلات واسعة جـــــدا بالساسة المصريين وصلات اجتماعية بالارستقراطية المصرية كما كان مقربا الى حد بعيد من فاروق (١٤٤) .

وعرف البريطانيون ما حدث مع وزير الخارجية — صليب سامى — واعتبروه عملا غير ودى وأبلغوا رأيهم الى سرى باشا الذى شعر بجسامة التبعة الملقاة على عاتقة وتذكر ما لحدث من قبل لشاه ايران رضا بهلـــوى وخشى أن تفاجأ مصر بمثل هذه المفاجأة التعسفية وهو رئيس وزرائها ولقد افضى سرى باشا بكل هذه المخاوف الى الملك وأشار عليه بقبـــول الامــــر الواقع (١٤٥) ، الا أن الملك قد تمسك بموقفة من ضرورة اقالة صليب سامى وبينما كان حسين سرى يرى أن اقالة وزير الخارجية بسبب قرار مسئول عنه هو ايضا لابد وأن يصحبه استقالة الوزارة ، والسفارة البريطانيـــة ترى أن اجراء قد اتخذ بناء على طلبها لا يجوز تحديه من جانب القصر على اعتبار أن استقالة الوزارة لهذا السبب سيدفع الانجليز مباشرة الى المواجهة الفعلية مع الملك فاروق باعتبارهم طرفا من أطراف الازمة (١٤٦) .

---

(١٤٣) الاهرام ٩ يناير ١٩٤٢ ، اخر ساعة ١١ يناير ١٩٤١ .
(١٤٤) د . انيس مرجع سبق ذكره ص ٨ .
(١٤٥) مذكرات فى السياسة المصرية جـ ٢ ص ٢٤٤ ، مذكرات حســـن يوسف ص ١٣٠ .
(١٤٦) د . يونان لبيب ، تاريخ الوزارات المصرية ص ٤٤١ .

وفى محاولة من بريطانيا لاستثمار الموقف بهدف حسم الصراع الدائر بين القصر والانجليز فقد بالغ الانجليز فى طلباتهم من حيث طــرد جميــع الايطاليين الذين يعملون فى القصر وكل أذناب على ماهر (١٧٤) .

وأمام استعمال العصــا الغليظة فقد تراجع الملك فاروق وطلب من أحمد حسنين (رئيس الديوان) التوسط لدى البريطانيين حتى يتنازلوا عــــن مطالبهم بشأن استبعاد من طلبوا استبعاده من القصر مقابل أن يبقى وزير الخارجية فى منصبه (٤١٨) ، وبينما الازمة فى طريقها الى الانتهاء اذا بقــوات روميل قد نجحت فى احراز انتصار كبير فى الصحراء الغربية وتقدمت صوب مصر ، وبدا أن القوات الالمــانية لن يعوقها عائق أمام هدفها الكبير وهــو سحق القوات البريطانية واحتلال مصر ، ومن هنا فقد اضطربت الحياة فى مصر وانطلقت المظاهرات تنادى نداءات عدائية ضد الانجليز ومــن القاهرة امتدت لتشمل باقى المدن الكبرى كالاسكندرية وطنطا وغيرهما ، وفى الوقت نفسه انفتح باب الامل أمام الانجليز حيث أعلن هتلر قراره الذى أحــــدث دويا عالميــا وهو اعــلان الحرب على روســـيا (١٤٩) .

وقد ابتهج الحلفاء حيث أن فتح جبهة جــديدة تحارب فيها المانيــا من شأنه ان يخفف الضغط على قوات انجلترا وفرنسا فى مصر ، ولذا فاننى اعتقد أن القرار الالمــانى بغزو الاتحاد السوفيتى يعد المقدمات المباشرة لحادث ٤ فبراير ١٩٤٢ فلقد كان قطاع كبير من المصريين ومن ورائهم القصر يعتقدون ان هزيمة السوفيت ستؤدى الى اضطراب موقف بريطانيا كله فى الشرق الاوسط وسينتهى بانسحابها تماما من المنطقة .

الا أن الانتصارات الكاسحة التى أحرزها السوفيت قد اثارت قلقــا كبيرا خشية انتصار التحالف السوفيتى الانجليزى لذلك لم يكن غريبا أن يعلن اسماعيل صدقى باشا ان ايطاليا تهاجم مصر لابقصد غزوها ولكــن لان

---

(١٤٧) الملف السرى لحادث ٤ فبراير ، الاهرام ٢٧ يناير ١٩٤٢ .

(١٤٨) وثائق الخارجية البريطانية برقية ٣٨٩ من لامبسون الى ايدن ٢٧ يناير ١٩٤٢ . F.O. 371

(١٤٩) جى ديبورين . الحرب العالمية الثانية من وجهة النظر السوفتية ترجمة خيرى خماد ، القاهرة ١٩٦٧ ص ١٦٢ .

بريطانيا تحتلها (١٥٠) . وهكذا اندفعت مصر لكى تكون جزءا من الصراع الدائر بين القوى الكبرى فى الوقت الذى كان الالمان ينتصرون فى الجبهة السوفيتية كما تضاعفت قوة الالمان فى ليبيا وكذلك دخول اليابان الحرب فى ديسمبر ١٩٤١ بهجومهم المفاجىء على بيرل هاربر كل هذه الانتصارات من جانب المحور دفعت بريطانيا لكى تجعل من مصر « القاعدة الرئيسية » فى الموقف وهذا لن يتحقق ما بقى القصر يلعب بمشاعر الحلفاء ، وعلى الرغم من أن جذور الصراع بين القصر والانجليز يمتد لسنوات طويلة الا أن تردى الاوضاع العسكرية لقوات الحلفاء وعلى كل الجبهات قد دفع بريطانيا الى الموقف الذى يمثل مصالحها الفعلية على اعتبار أن عودة الوفد وخلع فاروق كفيلان باستقرار الاوضاع المصرية ، وأيقن سرى باشا أن لا مفر من أن يستقيل : بعد أن فقد ثقة البرلمان وثقة فاروق أيضا كما أن الانجليز أنفسهم على الرغم من صداقتهم لسرى باشا الا أنهم قد أيقنوا جيدا أن حكومة سرى قد أصبحت عاجزة تماما عن مواجهة الموقف (١٥١) .

والحقيقة أن هنك ما يدعو الى الاعتقاد بأن الملك فاروق كان يهدف الى بقاء الموقف برمته كما هو نظرا للظروف العسكرية غير المرجحة لكفة الحلفاء فى الصحراء الغربية حتى اذا ماتمكن روميل من أن يخترق وادى النيل فان فاروقا يمكنه الاحتفاظ بعلى ماهر لكى يتولى رئاسة الحكومة ويكون قادرا على التفاهم مع المحور بعكس اى شخص اخر نظرا لما عرف عن على ماهر من خلافات مستمرة مع الانجليز لم تكن خافية على الألمان او الايطاليين .

وهكذا تفاقمت الأزمة وتعددت اسبابها فى الوقت الذى يقوم فيه لامبسون بتسجيل كل الأحداث أولا بأول ويبعث بها الى حكومته ونظرا لتصاعد الموقف بشكل ينذر بالمخاطر فقد طلب من حكومته أن تعطيه تفويضا كاملا لحسم الموقف مع الملك فاروق(١٥٢) .

---

(١٥٠) الاهرام ١٩ ديسمبر ١٩٤١ ، اخر ساعة ٢٢ ديسمبر ١٩٤١ .
(١٥١) هد - هيكل ، مصدر سبق ذكره ص ٢٢٥ .
(١٥٢) الوثائق البريطانية برقية رقم ٤٦٧ من لامبسون الى الخارجية البريطانية ٢٧ يناير ١٩٤٢ . F.O. 371

وادرك احمد حسنين (رئيس الديوان الملكى) خطورة الموقف وفى محاولة منه لتهدئة المشاعر الملتهبة تقديرا لما يحيق بالعرش من اخطار فقد حاول اقناع لامبسون بترك وزير الخارجية « صليب سامى » يخرج من الوزارة من أجل الصالح العام ويحاول اقناع السفير بان مصر كلها وراء الملك الذى يحظى بشعبية كبيرة الا أن السفير يرفض التضحية بوزير الخارجية بسبب اجراء قام به تنفيذا لقرار من مجلس الوزراء المصرى وبناء على طلب من بريطانيا ولهذا أعلن السفير : أننا سنقف وراء صليب سامى حتى ولو تخلى عنه رئيس الوزراء (١٥٣) .

وهكذا تجمعت العديد من الاسباب التى دفعت حسين سرى الى تقديم استقالته . ووفقا للوثائق البريطانية . فان لامبسون قد ادرك أهمية استقالة سرى باشا ويعلق لامبسون على هذا الموقف قائلا : « لقد طلبت من سرى باشا أن يرشح بعض الاسماء التى تصلح لمنصب رئيس الحكومة الا أنه اقترح اسماء مثل : بركات باشا . أحمد ماهر باشا أو الدكتور هيكل باشا الا أننى أعرف أن هذه الاسماء غير مناسبة لسبب أو لأخر ولذا فان عودة الوفد أصبحت ضرورة تحتمها مصالحنا العليا »(١٥٤).

وتشير الوثائق الامريكية الى مسئولية حسين سرى عن تأزم الموقف بين فاروق والسفير البريطانى ففى الوقت الذى كانت تبذل فيه العديد من المحاولات لحل مشكلة « فيشى » كان رئيس الوزراء المصرى يقوم بمحاولات مكثفة لدفع بريطانيا الى تأديب الملك فاروق وتضيف نفس المصادر : « لقد حاولنا اقناع السفارة البريطانية بخطورة المضى فى هذا الطريق الذى يتناقض تماما مع مشاعر المصريين ولكن يبدو اننا لم نحقق أى هدف (١٥٥) .

---

(١٥٣) الملف السرى لحادث ٤ فبراير ، برقية من لامبسون الى حكومته ، الأهرام ١٩٧٣/٤/٢٣ .
(١٥٤) المصدر السابق وثيقة رقم ٤٩٨ .
(١٥٥) الوثائق الأمريكية برقية رقم ٢٠٧٦ من السفير الأمريكى فى القاهرة الى حكومته ٢٨ يناير ١٩٤٢ .

ووفقا لهذه الحقيقة فان الوثائق البريطانية تؤكد أن حسين سرى كان على علم بتطور الاحداث ولم يخف كراهيته الشديدة لفاروق وكان من رأيه دائما — تأديب الولد — الذى يلعب بالنار على حد تعبيره (١٥٦) .

ولما كان لامبسون قد بعث الى حكومته يطلب تفويضا فى حسم الموقف فقد وافقت الحكومة البريطانية على أن تترك الأمر برمته لكى يعالجه لامبسون بما يتفق وسياسة بريطانية العظمى الا أن هذا لم يمنع من أن تقف الخارجية البريطانية على تطور الأحداث أولا بأول وتمضى رسائل لامبسون الى حكومته حول اهمية عودة الوفد وفى احدى البرقيات يقول السفير : « قابلت حسنين باشا وقال : ان هناك محاولات تجرى لتشكيل وزارة قومية ولما كان هناك خطر واضح من أن نواجه بوزارة يراسها مرشح لعلى ماهر فلقد عقدت اجتماعا لمناقشة الموقف برمته وحضره وزير الدولة لشئون الشرق الأوسط والقائد العام للجيوش البريطانية فى المنطقة وتردد بوضوح فى هذا الاجتماع أن الأزمة الحالية قد ايدت بواسطة العناصر المعادية لبريطانيا لاستغلال مصاعبنا الحالية فى الشرق الأقصى وفى ليبيا واننا اذا أخفقنا فى اظهار الشدة فقد تحدث مخاطر أخرى وأوضح القائد العام للشرق الأوسط أنه يفضل تجنب حدوث مواقف قد تؤدى الى اضطرابات عامة وقد يتحرك الجيش المصرى لحماية الملك وقد قمت من جانبى بالرد على هذه المخاوف بحكم معرفتى بالاحوال العامة .. وتم الاتفاق على أن أقابل الملك فاروق فى الواحدة بعد ظهر اليوم (٢ فبراير ١٩٤٢) وابلغه بالاتى : —

١ — يجب أن تقوم وزارة تحرص على الولاء للمعاهدة وتقدر على تنفيذها نصا وروحا .

٢ — أن تكون وزارة قوية وقادرة على الحكم وتحظى بتأييد شعبى كاف .

---

(١٥٦) الملف السرى لحادث ٤ فبراير ١٩٤٢ وثيقة رقم ٣٣٣ الأهرام ١٩٧٣/٤/٢٧ .

٣ — ان هذا يعنى الارسال فى طلب النحاس باشا بصفته زعيما لحزب الأغلبية والتشاور معه بقصد تشكيل الوزارة .

٤ — يجب ان يتم ذلك فى موعدا اقصاه ظهر غد .

٥ — ان الملك سيكون مسئولا بصفته الشخصية عن اى اضطرابات قد تحدث خلال ذلك (١٥٧) .

وفى خلال الواحدة من بعد ظهر ٢ فبراير ١٩٤٢ توجه لامبسون الى الملك فاروق وشرح له انه بصفتة ممثلا للحلفاء فى مصر فمن الضرورى الا يعين خلفا لسرى باشا لا تكون له المؤهلات المشروطة للوفاء بالتزامات المعاهدة ، ووافق الملك على عودة النحاس باشا ليتولى وزارة قومية باعتباره زعيما للاغلبية ، وبخصوص الاضطرابات داخل العاصمة فقد اظهر الملك موافقته على عدم احداث اى نوع من التظاهر واكد السفير ان غدا — ٣ فبراير — هو آخر موعد لدعوة النحاس باشا (١٥٨) .

ولعل وجهة نظر الملك فاروق والتى ابداها دون تحفظ هو استدعاء النحاس لتشكيل وزارة قومية حيث كان الملك يعتقد أن النحاس لن يرفض هذا العرض على اساس التحسن الذى كان قد بدا فى العلاقات بينهما (١٥٩) .

واعتقد بعض رجالات القصر (أحمد حسنين) بضرورة التمهيد لتأليف هذه الوزارة القومية بوزارة انتقالية على اساس أن الوفد سيكتسح كل الأحزاب الاخرى فى الانتخابات مما قد يترتب عليه عدم قيام

---

(١٥٧) المصدر السابق برقية ٤٤٨ من لامبسون الى حكومته ٢ فبراير ١٩٤٢ ، الأهرام ١٩٧٣/٤/٢٧ .

(١٥٨) المصدر السابق ١٩٧٣/٥/١١ من لامبسون الى حكومته برقية F.O. 371 ٤٤٩ ، بتاريخ ٢ فبراير ١٩٤٢ .

(١٥٩) دراسة عن سنوات ما قبل الثورة أعدها صبرى أبو المجد واعتمد فيها على كثير من الوثائق البريطانية وشهادة الزعماء المعاصرين ، جريدة المصور ١٩٨١/٢/٦ .

معارضة قوية لتكون بمثابة « فرملة » متى تشكلت الوزارة فى آخـــــر الأمـــــر (١٦٠) .

وبينما كانت الاتصالات قائمة بين القصر والسفير البريطـــــانى بخصوص عودة الوفد كانت نفس الاتصالات قائمة بين الســـــفارة البريطانيه والنحاس باشـــا بواسطة أمين عثمان لنفس الهدف مع فارق بسيط وهو أن الانجليز عرضوا على النحاس تشكيل وزارة وفدية خالصة، وأصبح الوفـد أمام خيارين أما أن يقبل حكومة قومية وفقا لرغبة القصـر أو يقبل حكومة وفدية لحما ودما وفقا لرغبة الانجليز واختار النحـــاس وجهة النظر البريطانية التى كلفت مصر ثمنا غاليا من استقلالها وكرامتها وكلفت الوفد نفســه ثمنا باهظـا من شعبيته وتاريخـه الوطنى الطويل . وبنى الوفد رفضه لفكرة الوزارة القومية أو الائتلافيه على عـــدة اعتبـارات

أولها : أن الشعب المصرى قد فقد ثقته فى حكومات الاقلية واذا قبـــــل الوفد الارتباط بهذه الحكومات فسوف يفقد ثقة الشعب .

ثانيهما : ما كان يعرفه الوفد جيدا من الدسائس التى سيحدثها القصر ومدى ما يمكن أن يقدم عليه من اقالة الحكومة بحجة تصـــــدع الائتلاف (١٦١) .

ولذا فقـــد فرضت وجهـة النظـر البريطانية نفسها على الاحـداث واعطت بريطانيا لنفسها الحق فى تنفيذها بقوة السلاح وتحولت القضيـة الى تصفية حسابات قديمة بين القصر والسفارة حيث اعتبرت بريطـــــانيا ان اقامة حكومة قومية يعد انتصارا لصالح القصر وهذا ما ترفضــــــه بريطانيا تماما (١٦٢) .

ويلاحظ أن الملك فاروق كان حريصا على تجاوز هذه الأزمــــــة وعـــدم الاصطدام مع الانجليز اكثر من ذلك الا أن السفير قد اعتبرهـــــا

---

(١٦٠) الأهرام ١٩٧٣/٥/٢٥ — الملف السرى لحادث ٤ فبراير برقيــة رقم ٤٢٩ من لامبسون الى الخارجية البريطانية ٣ فبراير ١٩٤٢ .
(١٦١) المصدر السابق وثيقة ٤٤٦ .
(١٦٢) مذكرات حسن يوسف وكيل الديوان الملكى ص ١٣١ — ١٣٨ .

فرصته التى يستطيع من خلالها ان يحجم من دور القصر حتى لا يعـــاود أعماله العدوانية ضد بريطانيا مرة أخرى حتى لو كان الثمن هــو عــزل الملك نهائيا ، وفى الوقت نفسه فان عودة الوفــد بهذا الشكل يحمل بعض الاعتبارات التى حرصت بريطانيا على اقرارها ومن بينها :

أولا : ضمان عدم قيام أى نوع من التعاون بين القصر والوفــد ممــــا يضاعف من حجم التدخل البريطانى .

ثانيا : اطلاق يد الوفــد فى كبح جماح القصر اذا ما ثبت انه غير متعاون مع الحليفة .

ثالثا : لقــد حرصت بريطانيا على أن يتعهد النحاس باشـــا بأن يقف مع الحليفة وأن يرجىء كل مطالبة الى ما بعد الحرب (١٦٣) .

وهكذا تفاقمت عوامل الصراع بين القصر والانجليز فى الوقت الذى تمكنت فيه الدسائس البريطانية من استقطاب حزب الوفــد ســــــواء بقصد أو بغير قصد وقبل أن ننتهى من هذا الفصل يمكننا أن نســــــجل عدة نتائج يمكن استخلاصها من الدراسة السابقة وتعتبر جميعها تمهيدا لحادث ٤ فبراير ١٩٤٢ : ـــ

أولا : انعدام الثقة بين بريطانيا والملك فاروق وهذا ما أشارت اليــــه الوثائق البريطانية فى أكثر من وضع .

ثانيا : تأسيسا على الحقيقة الأولى فقد رغبت بريطانيا من خلال أحداث الحرب فى التخلص من فاروق على اعتبار أن مصر لن تتحــول الى قاعدة أساسية لخدمة الحلفاء ما دام الملك على عرشه .

ثالثا : لقــد ادركت بريطانيا ضعف حكومات أحزاب الأقلية التى تعاقبت على الحكم منذ اقالة الوفــد سنة ١٩٣٧ على الرغم من تعاونهـــا

---

(١٦٣) الملف السرى لحادث ٤ فبراير ـــ الأهرام ١٨/٥/١٩٧٣ ، برقية رقم ٤٦٢ من لامبسون الى حكومته ٣ فبراير ١٩٤٢ . F.O. 371

الكامل الا أنها افتقدت دائما الى قاعدة شعبية وظل مركزها دائما ضعيفا على اعتبار أن حكومة لا تملك التأييد الشعبى لن تستطيع أن تحكم بروح المعاهدة المصرية الانجليزية ، أعتمادا على الحقيقة القائلة بأن أى جهد يبذل فى هذا السبيل لابد وأن يصطدم بمعارضة القصر ولن تتمكن أى حكومة بدون التأييد الشعبى أن تحارب القصر ..

رابعا : أن احدى عناصر الصراع بين الانجليز والقصر كان قائما على أساس أيهما يستطيع أن يتضامن مع الوفد وبدت القضية وكأنها تسابق مع الزمن وكلما تفاقم الوضع العسكرى لبريطانيا كلما ضاعفت من جهودها لعودة الوفد وعلى ضوء الدراسة السابقة فان قضية عودة الوفد كانت تمثل المطلب الأول فى العلاقات المصرية البريطانية منذ نشوب الحرب العالمية الثانية .

وهكذا تجمعت العديد من الأسباب لتخلق فى النهاية مأساة ٤ فبراير ١٩٤٢ والتى تركت اثارا كبيرة على تاريخ مصر السياسى والاقتصادى ليس فقط الى نهاية الحرب العالمية الثانية ، وانما الى قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م .

* * *

الفصل الثانى

وقائع ٤ فبراير

ـــ شـــكل التدخل البريطانى

ـــ الدبابات البريطانية حول القصر

ـــ مسئولية الوفد عن حادث ٤ فبراير

شكل التدخل البريطانى

فكرت بريطانيا فى عزل اللملك ناروق أكثر من مرة كان أولها سنة ١٩٣٧ (ديسمبر) حين أقدم على اقالة حكومة الوفد دون اخذ رأى السفير البريطانى وكان الاخير قد بذل جهداً فى محاولة الاقناع فاروق بعدم الاقدام على مثل تلك التصرفات التى تناقض مبدأ الديمقراطية على اعتبار أن حزب الوفـد هو القوة السياسية التى تحظى بالاغلبية البرلمـانية ، وكان فشل السفير فى تلك المهمة موضع لوم من حكومته (١) وقد ترددت فى تلك الازمة فكرة تنحية الملك فاروق عن عرش مصر ولكن أنطونى ايدن وزير خارجية بريطانيـا لم يوافق على تلك الفكرة بحجة أن الظروف الدولية لا تشجع على الاقـدام على مثل هذا النوع من التدخل . (٢)

ثم تجددت نفس الفكرة فى سبتمبر ١٩٣٩ حين تأكد السفير (طبقـا لمـا يتوله) أن هناك عناصر فى القصر تميل نحو الالمـان وان الملك فاروق يشجع هذا الاتجاه وان مصلحة الحرب تقضى باخراج على ماهر من الحكم فاذا عارض فاروق وجب أن يعتزل العرش ٠ (٣)

ثم عادت الازمة مرة أخرى الى الظهور فى يونيه ١٩٤٠ حين دخلت ايطاليا الحرب ويومئذ اقترح السفير على حكومته تغيير الوزارة فان عارض الملك فعليه أن يتخلى عن العرش (٤) . ووجه السفير انذارا الى الملك بضرورة استدعاء النحاس والعمل بمشورته ووافقت حكومة لندن على تنازل فاروق عن العرش بناء على اقتراحات لامبسون الا أن فاروق قد أحس

---

(١) وثائق الخارجية البريطانية الاهرام ١٩٧٣/٤/٢٧ — الملف السرى لحادث ٤ فبراير وثيقة رقم ٣٥٣ .

(٢) المصدر السابق وثيقة رقم ٢ من الخارجية البريطانية الى سفيرها فى القاهرة ٢٨ ديسمبر ١٩٣٧ . F. O. 407 - 223

(٣) نفس المصدر السابق وثيقة رقم ٣٣ من لامبسون الى هاليفا كس ٢٩ سبتمبر ١٩٣٩ .

(٤) نفس المصدر وثيقة رقم ٦٠ من لامبسون الى هاليفاكس ٢٢ يونيه ١٩٤٠ .

بخطورة الموقف بناء على نصائح كبار مستشاريه واستدعى النحاس باشــا لكن ليس من أجل عودة الوفد وانما لكى يشـاوره فى الموقف عموما واخـذ الترضيه المناسبة على حكومة حسن صبرى . وقد أشار السفير البريطانى فى نهاية تقييمه للازمة بقوله « قد نخرج من الازمة الحالية دون حاجة الى تغيير الملك ولكنى أشك كثيرا فى أنه سيبقى طويلا (٥) .

وهكذا فان التفكير فى عزل فاروق وفرض وزارة مصرية معينة وزعيــم مصرى معين ليتولى الحكم كان موضع تفكير واهتمام دائمين من جانب الحكومة البريطانية ، ومن ثم يمكن القول ان حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ لم يكن نتيجة قرار او سياسه اتخذت نجأة وتحت ضغط الاحداث الخطيره وانما كان الفصل الاخير أو الخاتمة لسياسة مرسومة كان قد بدأ تنفيذها . وهكذا تحققت مشورة لامبسون والتى تقدم بها الى حكومته فى يونيه سنة ١٩٤٠ وهى ان تتولى الحكم وزارة يؤيدها الوفد وكان الاعتقاد السائد ــ كما يقــول بعض المعاصرين ــ أن الدوائر البريطانية تـرى أن النحـاس باشـا هـو وحده الزعيم الشعبى القادر على تحويل الدفة ــ دفة عواطف الشعب ــ من الاتجاه الى المـانيا الى الاتجاه نحو بريطانيا وحلفائها (٦) وتعد استقالة حسين سرى ــ ٢ فبراير ١٩٤٢ ــ والتى قدمها بناء على طلب بريطانيـا هى بداية لمرحلة خطيره وناصلة فى تاريخ مصر السياسى (٧) . حيث اتصل السفير البريطانى (لامبسون) برئيس الديوان الملكى (أحمد باشا حسنين)

---

(٥) الملف السرى لحادث ٤ فبراير لاهرام ١٩٧٣/٤/٢٧

(٦) مذكرات حسن يوسف وكيل الديوان الملكى . القاهرة ١٩٨٢ صــ ١٢٤ ، محمد التابعى . اسرار الساسة والسياسة صــ ١٩٠ ، د . هيكل . مرجــع سبق ذكره صــ ٢٤٧ ، مجـلة المصـــور ١٣ مارس ١٩٨١ دراسة عن سنوات ما قبل الثورة اعدها صبرى أبو المجـــد .

(٧) مذكرات حسن يوسف مصدر سبق ذكره صــ ١٢٥ ، عبد الرحمن الرافعى فى اعقاب الثورة المصرية جـ٣ صـ ١٠٠ ، جلال الدين الحمامصى معركة نزاهة الحكم ص ١٢ ، ١٣ ، محمد التابعى مرجع سبق ذكره صـ ١٩٤ .

وابلغه ان الحكومة البريطانية تحرص على أن تعرف اسم من سيعهد اليه بتأليف الوزارة الجديدة قبل اعلانها وعلى الرغم من أن رئيس الديوان أجاب بأن الشخص الذى يؤلف الوزارة سيكون صديقا لبريطانيا الا أن السفير قد أكد على أن الحكومة البريطانية حريصة على أن تعرف سلفا من سيعهد اليه بتأليف الوزارة قبل أن يكلف بهذا التأليف رسميا (٨) .

ومن الواضح أن لامبسون قد حرص هذه المرة على أن يمسك بزمام المبادرة حتى لا يفاجأ بفرض حكومة لا تتفق ومصالح بريطانيا كما حدث من قبل سواء فى تعيين على ماهر (١٨ أغسطس ١٩٣٩) أو حسن صبرى (٢٧ يونيه سنة ١٩٤٠) أو حسين سرى (١٥ نوفمبر ١٩٤٠) حيث فوجىء السفير فى كل تلك الحالات دون أن يكون له الرأى الاول فى هذا الاختيار ولما كان موقف بريطانيا العسكرى قد وصل الى درجة كبيرة من السؤ امام الانتصارات الساحقة التى تحرزها القوات الالمانية ولما كانت مشاعر المصريين قد بدأت تميل نحو الجانب المنتصر فى الحرب فان لامبسون قد ادرك خطورة المواقف هذه المرة ومن هنا فقد حرص جيدا على أن يكون فى حالة من التيقظ الدائم حتى لايفاجأ بغير ما يتوقع . وانطلاقا من هذا المفهوم فقد تقدم الى الملك فى الساعة الواحدة من بعد ظهر يوم ٢ فبراير بمجموعة من الطلبات حددها فى ثلاث نقاط :

اولا : أن الشخص الذى سيعهد اليه بتأليف الوزارة يجب أن تتوافر فيه المؤهلات المطلوبة للوفاء بالتزامات بريطانيا العظمى فترة الحرب .

ثانيا : ان هذا يعنى دعوة النحاس باشا بوصفه زعيما لحزب الاغلبية فى البلاد والتشاور معه بقصد تشكيل الوزارة على أن يتم ذلك فى موعد اقصاه ظهر غد (٣ فبراير)

---

(٨) د . هيكل . مرجع سبق ذكره صـ ٢٣١ ، مذكرات حسن يوسف صـ ١٢٥ .

ثالثا : أن الملك فاروق شخصيا سيكون مسئولا عن أى اضطرابات قد تحدث خلال تلك المدة (٩) .

وعلى الرغم مما بذله احمد حسنين (رئيس الديوان) من محاولات لاقناع لامبسون بأن عودة الوفد بمثل هذه السرعة يؤدى الى عدم قيام معارضة قوية من الاحزاب الاخرى وفى نفس الوقت فقد وعد حسنين باشا باستبعاد العناصر المرتبطة بعلى ماهر من الحكومة المؤقتة (المقترحة) وخروجا من هذا الموقف وافق السفير بشرط استدعاء النحاس وضرورة موافقته باعتباره ممثلا للاغلبية فى البلاد (١٠) .

وتحرك لامسون مخاطبا حكومته فى نفس اليوم (٢ فبراير) ليصف لها الخطة التى بحثها واقرها كل من وزير الدولة البريطانى فى الشرق الاوسط (وليفرليلتون) وقائد القوات البريطانية فى مصر للتعامل مع فاروق اذ ما رفض طلبات انجلترا على اعتبار أن هذا الموقف تفسره المادة الخامسة من معاهدة ١٩٣٦ . (١١)

ووفقا لما اقره مجلس الحرب البريطانى قد وضعت خطة عسكرية تضمنت محاصرة قصر عابدين بالدبابات ومقاومة الحرس الملكى فيما لو اضطر لاستخدام القوة وعلى ضوء هذا الاجراء يتقدم السفير مطالبا فاروق باعتزال العرش واذا رفض يكتفى بابلاغه بأنه قد خلع عن عرش مصر ثم دعوة الامير محمد على لكى يتولى مهام الملك فاروق واذا ما رفض الامير محمد على فان بريطانيا ستحكم مصر عسكريا بمقتضى الاحكام العرفيه حتى تستقر الامور بقبول احد الامراء ولاية العرش او باعداد نظام آخر (١٢) .

وعلى ما يبدو فان مجلس الحرب البريطانى قد ووجه بمشكلة حيث لا يوجد نص فى الدستور بخصوص خلع الملك وعلى حد تعبير لامبسون « مهما

---

(٩) وثائق الخارجية البريطانية الاهرام ١٩٧٣/٥/١١ — الملف السرى ٤ فبراير وثيقة رقم ٤٤٩ بتاريخ ٢ فبراير ١٩٤٢ .

(١٠) المصدر السابق .

(١١) د . محمود حلمى مصطفى دراسات فى تاريخ مصر السياسى صـ ٢٥٣

(١٢) وثائق الخارجية البريطانية برقية رقم ٤٥١ من لامبسون الى الخارجية البريطانية ٢ فبراير ١٩٤٢ — F. O. 371 31568

حاولنا أن نظهر كحماة الدستور بينما نخرقه بالقوة فان ذلك يقودنا الى المتاعب وعلينا أن نضع ملكا جديدا على العرش ونصر على أن يعلن أن ما جرى كان دستوريا وفى نفس الوقت فقد وافق مجلس الحرب على عـدم عزل فاروق اذا ما وافق على دعوة النحاس فورا (١٣) .

وتشير الوثائق البريطانية الى أن قضية عزل فاروق قد شغلت حيزا كبيرا من اجتماعات وزارة الحرب البريطانية فى الوقت الذى كان الموقف يقتضى قدرا كبيرا من السرعة والحسم معا ، لذا فقد وافق مجلس الوزراء البريطانى على تفويض المستر ايدن وزير الخارجية لمعالجة الموقف على ضوء ما يراه السفير البريطانى فى القاهرة (١٤) .

ويرى بعض المعاصرين أن النحاس باشا قد فوتح فى فكرة تأليـــف الوزارة القومية والتى تضم كل الاحزاب وقبل الفكرة بل ورحب بها الا أن الانجليز قد أرسلوا رسولا الى النحاس باشا وكان يمضى أياما فى الاقصر يطلبون اليه أن يتولى الوزارة ويتركون له الحرية المطلقة فى تأليفها . أما قد خوطب النحاس من قبل القصر فى تأليف وزارة قومية فقد أصبح لـــه الخيار بين قبول هذا العرض المصرى وبين هذه الحرية التى تركها له الانجليز (١٥) .

وانصافا للحقيقة التاريخية فاننا نعتقد أن الوفد قد قبل من قبل وفى مناسبات مختلفة قيام وزارة قومية بشرط أن يحل مجلس النواب وتجرى انتخابات جديدة ووفقا لرأى النحاس فليس من الممكن أن يتعاون الوفد مع مجلس غالبيته من أحزاب الاقلية ولقد طرحت احدى صحف الوفد هـذه الفكرة بقولها : (ان الوفديين على اتم استعدادت لعقد اتفاق مع الاحزاب الاخرى لاجراء انتخابات هادئة ، أما اذا كان اجراء الانتخابات متعذار فهم فى هذه

---

(١٣) الوثيقة السابقة .

(١٤) الوثائق البريطانية برقية رقم ٤٨٠ من ايدن الى لامبســـون ٢ فبراير ١٩٤٢ . F. O. 371

(١٥) د . محمد حسين هيكل . مرجع سبق ذكره جـ٢ صـ ٢٢٣ ، مذكرات حسن يوسف . مصدر سبق ذكره صـ ١٢٥ ، والتابعى صـ٢٠٨ .

الحالة يقبلون أن تحكم الوزارة القومية بدون برلمـــان الى ان يحين الوقت المناسب لاجراء الانتخابات واضافت نفس الصحيفة على لسان النحاس باشـا : اننا نرحب بالوحدة على أن يكون أساسها أن لا تتحكم الاغلبية فى الاقلية والا تتحكم الاقلية فى الاغلبية وأن تحقيق الوحدة يتم بطرقتين احدهما تاليف وزارة محايدة والاخرى تاليف وزارة قومية وأنه يجب فى الحالتين حل مجلس النواب (١٦) .

وفى اطار المساعى التى بذلت لايجـــاد نوع من المصالحة بين القصر والوفد فقد اعلن النحاس صراحة بأنه موافق على قبول وزارة محايدة تقوم باجراء انتخابات نزيهة (١٧) .

وهكذا فقد وافق النحاس على قيام حكومة يترأسها بنفسه سواء كانت حكومة قومية أو ادارية وفى كلتا الحالتين فان اجراء الانتخابات يعد أمرا استراتيجيا يتفق تماما مع ســـياسة الوفد على اعتبـار أنه الحـــزب الذى يحظى بالاغلبية التى تمكنه من الوصول الى الحكم وفى هذه الحالة فانه ليس لاحد الفضل فى عودة الوفد مما يمكنه بلا شك من الحفاظ على استقلاله سواء من جانب القصر أو من جانب الانجليز .

وانطلاقا من هذا المفهوم فقد استدعى الملك رؤســـاء الاحـــزاب والشخصيات العامة بما فيهم النحاس باشا والذى كان فى رحلة الى الصعيد وتم استدعاؤه على عجل وفى محاولة من الملك فاروق لحسم الموقف فقـــد عرض على النحاس أن يترأس حكومة قومية الا أنه رفض رفضا قاطعا متذرعا بعدم وجود أى نوع من التفاهم مع أحزاب الاقلية (١٨) .

وهكذا تعقد الموقف فقد كان الملك فاروق حريصا على أن لا يترك للوفد من الحرية الا بالقدر الذى يمكن الملك من توجيه السياسة العامة للدولة

---

(١٦) جريدة الوفد المصرى ٣ مايو ، الاهرام ٥مايو سنة ١٩٤١
(١٧) تصريح لأحمد حسنين باشا رئيس الديوان مجلة آخر ساعة ٤ يناير ١٩٤٢ .
(١٨) مذكرات حسن يوسف صـ ٢٦ ، د . أحمـــد فؤاد مصطفى . العلاقات المصرية البريطانية ١٩١٤ ـ ١٩٥٣ صـ ٥٦٠ ، د . هيكل ، مذكرات فى السياسة المصرية جـ٢ صـ ٢٣٢

وهذا لن يتحقق الا باشتراك احزاب الاقلية الموالية للقصر والحريصـــه على ارضائه حتى ولو كان الثمن هو توسيع سلطاته على حساب الوزارة .

ولمــا كان اجتماع فاروق بالزعماء السياسيين قد انتهى الى لا شىء فقد طلب السفير البريطانى مقابلة عاجلة مع رئيس الديوان الملكى (احمد حسنين) واخبره بأن يرفع الى الملك النصيحة بأن يكلف النحاس باشـــا بتأليف وزارة وفدية لان بريطانيا ترغب فى ذلك (١٩) .

وعلى ما يبدو فان السفير البريطانى قد تمسك بفكرة الوزارة الوفدية بعد أن استطلع وجهة نظر كل من حسين سرى (رئيس الوزارة الاسبق) والنحاس باشا على اعتبار أن تشكيل حكومة انتقالية يعد مضيعة للوقت وفرصة لتآمر القصر وأن الموقف السياسى والاقتصادى غـــاية فى الســوء وأن اعضاء الائتلاف سيكونون من رجال الملك وان النحاس لن يستطيع أن يكون مخلصا لقضية الديمقراطية التى تحارب بريطانيا من أجلها الا اذا اطلقت يده تماما فى التعامل مع القصر وهذا لن يتحقق الا بقيام حكومـــة وفدية خالصة (٢٠) .

وعلى الرغم من أن لامبسون كان يعمل وفقا لتفويض كامل من الحكومة البريطانية الا أنه قد بعث الى حكومته مسترشدا برايها فى تلك القضية وحملت برقيات وزير الخارجية البريطانية كل الرضا عن سياسة لامبسون على اعتبار أن قيام حكومة وفدية خالصة يعد أفضل الوسائل لتحجيم دور القصر والذى يلعب لعبة خطيرة (٢١) .

ويبدو من تسلسل الاحداث أن موقف بريطانيا ومساندتها للوفد قد دعم موقف النحاس باشا مما جعله يتمسك بفكرة الوزارة الوفدية

---

(١٩) وثائق الخارجية البريطانية برقيه رقم ٤٦٨ من لامبسون الى ايدن ٣ فبراير ١٩٤٢ F. O. 371 / 31568

(٢٠) وثائق الخارجية البريطانية برقية رقم ٤٦١ من لامبسون الى ايدن ٣ فبراير سنة ١٩٤٢ . F. O. 371 , 568

(٢١) نفس المصدر السابق وثيقة رقم ٤٨٢ بتاريخ ٤ فبراير ١٩٤٢ .

ضاربا عرض الحائط برغبة الملك فاروق من قيام الحكومة الائتلافية والتى سبق للنحاس باشا الموافقة عليها مرارا ، وهذا الموقف يعد تراجعا فى سياسة الوفد مما يدفعنا الى القاء مزيد من التساؤل ؟ كيف يمكن لبريطانيا أن تفرض رئيس حكومة وهى لا تعرف مسبقا وجهة نظره . الا أن هذا السؤال يمكن الاجابة عليه سواء من خلال الدراسات السابقة أو اللاحقة .

وعندما حمل احمد حسنين (رئيس الديوان) رسالة لامبسون الى فاروق بضرورة دعوة النحاس لتشكيل وزارة وفدية خالصة اعترض الملك ورأى أن الموقف يعد تدخلا فى أخص خصائصه الدستورية وعلى ذلك لم يجب السفير الى رغبته(٢٢) .

ولعل فاروق ومن ورائه احمد حسنين لم يدركا خطورة الموقف على اعتبار أن هذا التصادم فى العلاقات لم يكن الأول من نوعه وانما سبقته العديد من مظاهر الخلافات والتى توصل الطرفان الى حلها عن طريق الالتقاء فى منتصف الطريق . وتعددت الاجتماعات والمشاورات والسفير ينتظر ما تسفر عنه من نتائج مما ضطره اخيرا الى الاتصال بأحمد حسنين لمعرفة ما أسفرت عنه هذه المقابلات ولما أجاب بأن المشاورات لاتزال جارية مع رؤساء الاحزاب بهدف تأليف وزارة قومية وانه واثق من وطنيته الزعماء والتى سوف تتغلب على كل شىء (٢٣) أدرك السفير خطورة ما قد تسفر عنه هذه الاجتماعات والمشاورات والتى قد تنتهى الى نتائج مخالفة للمخطط الذى رسمته الدوائر البريطانية وهكذا تباينت وجهات النظر بين القوى الثلاثة المتصارعة ــ القصر والوفد والانجليز ــ

فلقد كانت وجهة نظر القصر الموافقة على استدعاء النحاس لرئاسة الوزارة الجديدة بشرط أن تكون وزارة قومية ، وكان القصر واثقا من موافقة النحاس بناء على استطلاع وجهة نظره فى مناسبات عديدة .

---

(٢٢) جلال الدين الحمامصى معركة نزاهة الحكم ص ١٤ ، مذكرات حسين يوسف ص ١٢٦

(٢٣) محمد النابعى . أسرار الساسة والسياسة ص ٢٠٤ ، والدكتور هيكل مرجع سبق ذكره ص ٢٣٣

أما عن وجهة نظر الوفد والتى تكشفت فى الاونة الاخيرة سواء فى لقاء النحاس مع الملك فاروق أو فى اتصالات النحاس مع السفير البريطانى والتى تمت من خلال أمين عثمان هو رفض فكرة الوزارة القومية والتمسك بوزارة وفدية خالصة وذلك لسببين :

أولهما : أن المصريين قد فقدوا ثقتهم فى حكومات الاقلية واذا ما قبل الوفد الارتباط بهذه الاحزاب فسوف يفقد شعبيته العريضة ولن يتمكن من تحقيق أية مكاسب بسبب الاتجاهات المتضاربة .

ثانيهما : المكائد الحزبية التى ستحدث نظر لقيام حكومة تفتقد الى الالفة والوئام وهو شرط لقيام أية حكومة . (٢٤)

وحتى لا يبدو الوفد وكأنه فى صورة المتشدد ضد الآخرين فقد تقدم النحاس باقتراحين

أولهما : بتخصيص بعض المقاعد لاحزاب الاقلية فى مجلس النواب المزمع اجراء انتخابات لتكوينه .

ثانيهما : بتشكيل مجلس استشارى يختار أعضاؤه من سائر الاحزاب كرمز للاتفاق بين الاحزاب ويكون رايه استشاريا فى جميع المسائل العامة (٢٥) .

أما عن وجهة النظر البريطانية — وهى التى فرضت نفسها بقوة السلاح — فكانت تعنى بناء على تعليمات ايدن عدم قبول أى مرشح لايستند الى قاعدة شعبية لان هذا يعنى انتصارا اكيدا لوجهة نظر الملك فاروق

---

(٢٤) الملف السرى لحادث ٤ فبراير الاهرام ١٩٧٣/٥/٢٥ وثيقة ٢٤٦٦ فبراير ١٩٤٢

(٢٥) لقاء مع فؤاد سراج الدين فى منزله بجاردن سيتى صباح ١٩٨٢/١١/١٢ ، د . يونان لبيب رزق تاريخ الوزارات المصرية القاهرة ١٩٧٥ ص ٤٤٢

والموقف يقتضى بالضرورة عودة حزب الوفد باعتباره الحزب القادر فى الظروف الراهنة على كبح جماح الملك وارغامه على تحقيق وجهة النظر البريطانية حتى ولو وصل الامر الى حد خلع فاروق عن العرش بل والى أكثر من ذلك وهو اعادة النظر فى النظام الملكى نفسه (٢٦) .

ومن المرجع أن السفير لم يكن خالص النية فى معالجة تلك الازمة ويبدو أنه باصراره على عودة الوفد الى الحكم كان يرمى الى رد الاعتبار الى نفسه فى نظر حكومته ، اذ كان وزير الخارجية قد وجه اليه نوعا من اللوم لفشلة فى الوساطة بين القصر والوفد فى أزمة ديسمبر ١٩٣٧ والتى انتهت باقالة النحاس باشا (٢٧) وفى الوقت نفسه كان فاروق كان يسيطر عليه حماس الشباب وحيوته واستهوته فكرة أن يظل (يشاغب) ممسكا بطرف الحبل بينما لامبسون ممسكا بطرفه الاخر (٢٨)

وهكذا بدأت الاحداث تتطور بشكل خطير للغاية بينما تشير الوثائق البريطانية الى الدور الهام الذى لعبه أمين عثمان والذى ورد اسمه فى معظم مراسلات السفارة البريطانية والذى وصفة السفير بأنه المفاوض المصرى لصالح الانجليز ويذكر لامبسون (لورد كليرن) (٢٩) . أن أمين عثمان قد حمل اليه رغبة النحاس باشا فى التعاون مع السفارة بغض النظر عن أن معاهدة ١٩٣٦ تعنى التعاون التام بين الجانبين ويضيف لامبسون فى برقيته : اذا كان النحاس قد تعاون معا لسفارة فى زمن

(٢٦) الملف السرى لحادث ٤ فبراير ١٩٧٣/٥/١١ وثيقة رقم ٤٥٣ بتاريخ ٢ فبراير ١٩٤٢ .

(٢٧) مذكرات حسن يوسف وكيل الديوان الملكى مصدر سبق ذكره ص ١٢٦ .

(٢٨) مجلة الشرق الاوسط دراسة وثائقية عن حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ أعدها جبريل ويربرج لندن ١٩٧٥ ص ٣٠ .

(٢٩) أما مكافأة لامبسون فقد وضحت فى برقية مستر (ايدن) بالانعام عليه برتبة لورد من أول فرصة (يناير ١٩٤٣) بمناسبة اعلان الرتب والنياشين فى بريطانيا ويعد هذا الانعام مكافأة سخية لنجاحة فى ٤ فبراير ١٩٤٢ وصار يعرف بلورد كليرن .

السلم مرة فانه مستعد أن يتعاون معها فى زمن الحرب عشر مرات وكـــل مأيطالبه هو أن تطلق يده فى التعامل مع القصر (٣٠) وهكذا استوثق لامبسون من الارضر التى يقف عليها بعد أن وعـــد أمين عثمان بأن كل اطـــــراف القضية أصبحت فى متناول السفـــير وما عليه الا أن يبدأ الخطوة الاولى ·

وفى صباح ٤ فبراير ١٩٤٢ طلب السفير مقابلة رئيس الديوان وسلمه انذارا نصه (اذا لم اعلم قبل السادسة من مساء اليوم (٤ فبراير) أن النحاس باشا قد دعى لتاليف الوزارة فان الملك فاروق يجب أن يتحمل تبعة ما يحدث) (٣١) .

وعلى الرغم من أن الملك فاروق قد اجتمع بزعماء الاحزاب وقـــادة الراى وتناقش معهم فى الموقف فى محاولة للخروج من تلك الازمة الا أن كل المحاولات قد انتهت بالفشل نظرا لاصرار النحاس على تشكيل حكومة وفدية خالصة بينما تمسك الملك بوجهة نظره و لتى تعنى قيام حكومة قومية·

وظهر الملك بمظهر المتحدى للمطالب البريطانية وفى اعتقادى أن هدف الملك من ذلك هو الحصول على مساندة الرأى العام المصرى والظهور بمظهر المحايد بين الانجليز والالمـــان حتى يظل الباب مفتوحا اذا ما تبدلت الاحوال وانتصر الالمـــان فى حربهم ضد بريطانيا .

وعلى الرغم من أن بريطانيا كانت قد اعدت كل الترتيبات اللازمة لمحاصرة قصر عابدين واجبار فاروق على التنازل عن العرش اذا ما رفض عودة الوفـــد الا أن الشخص الذى يخلف فاروق كان موضـــع خلاف لدى الدوائر البريطانية ، فبينما يشير أحد المؤرخين المعاصرين الى أن بريطانيا قد وقع اختيارها على الامير محمد على باشا لكى يخلف فاروق على عرش مصر (٣٢) . الا أن الوثائق البرطانية كانت متضاربة فى هذا الراى فبينما

---

(٣٠) مذكرات لورد كليرن ترجمة كمال عبد الرؤف القاهرة ســـنة ١٩٧٤ صـ ٧٧ .

(٣١) الملف السرى لحادث ٤ فبراير الاهرام ١٩٧٣/٥/٢٥ .

(٣٢) عبد الرحمن الرافعى : فى أعقاب الثورة جـ ٣ صـ ١٠٣ .

تشير احدى الوثائق الى ان محمد على باشا هو الشخص الوحيد المناسب لهذا المنصب (٣٣) ، تشير بعض الوثائق الاخرى الى التقليل من شأنه على اعتبار أنه طاعن فى السن وغير مرغوب من الشعب المصرى بالاضافة الى أنه ليس لدية أبناء مما يسبب مشكلة بعد وفاته التى قد تحدث قريبا ولكل هذه الاسباب بدأت الدوائر البريطانية تعيد النظر فى الشخص الذى يخلف فاروق (٣٤) .

ثم يعاود وزير الخارجية البريطانى الكتابة الى لامبسون مقترحاً قيام مجلس وصاية يرأسه الامير محمد على ويؤكد فى نفس البرقية على ضرورة الاتصال بالنحاس باشا وأخذ رأيه فى هذا الموضوع الحيوى على اعتبار أنه زعيم الاغلبية ويضيف وزير الخارجية قائلا : ومن الافضل أن نسمح بفترة للراى العام المصرى يعلن خلالها موقفه عما اذا كان من الضرورى استبقاء الملكية على الاطلاق أو التفكير فى النظام الجمهورى كبديل يفضله الشعب المصرى (٣٥) .

ويذكر محمد التابعى رواية أخرى مضمونها ان فؤاد حمزة الوزير المفوض للملكه العربية السـعودية قال : انه لما كان فى زيورخ — سويسرا — فى عام ١٩٤٢ قابله اللورد الذى كان يدير قسم المخابرات البريطانية فى سويسرا وقال له أن الحكومة البريطانية هالها ما يجرى فى مصر وفكرت فى عزل فاروق والصعوبة كانت فى اختيار الذى يخلـفه وفكرت الحكومة البريطانية فى عباس حلمى (الخديو السابق) واتصلوا به فى سويسرا ثم سافر الى استانبول لكى يكون قريبا من مجرى الحوادث ولكن المخابرات الالمـانية احست أن هناك شيئا مريبا وأحس الخديو أن الالمـان يشكون فيه وأن عيونهم ترقبه فخشى على نفسه وأسرع بالعودة

---

(٣٣) وثائق الخارجية البريطانية الاهرام ١٩٧٣/٥/١٨ الملف المصرى لحادثة ٤ فبراير وثيقة رقم ٤٥١ ٣ فبراير ١٩٤٢ .

(٣٤) المصدر السابق وثيقة رقم ٦١٨ ٤ فبراير ١٩٤٢ .

(٣٥) وثائق الخارجية البريطانية وثيقة رقم ٦١٨ من الخارجيــة البريطانية الى لامبسون ٤ فبراير ١٩٤٢ . F.O. 371

الى سويسرا وعندما سأل التابعى فؤاد حمزه لمـــاذا لم يرشح الانجليز محمد على : أجاب : أن الانجليز يعرفون أنه مكروه من الشعب المصرى وطاعن فى السن أما عباس حلمى فقد كان محبوباً من الشعب المصرى ومن هنا رأوا أن يعيدوه الى عرشه ترضية للشعب المصرى (٣٦) .

وعلى الرغم من أهمية هذاالرأ ى الا أننا لا نميل الى الاخذ به لسبب بسيط وهو ان المخابرات البريطانية كانت تعلم جيدا أن عباس حلمى يتعامل مع المخابرات الالمـــانية وانهم يرشحونه ملكا على مصر (٣٧) . ولم تكن هذه الحقيقية خافية عن السياسة البريطانية فليس من المعقول أن يقع اختيارهم عليه الا اذا كان من باب كشف نواياه لـــــدى المخابرات الالمـــانية مما يضاعف من صعوبة موقفه .

ووفقا للتفسير التاريخى فاننا نعتقد أن بريطانيا لم تكن عازمة على تولية محمد على باشا خلفا لفاروق حيث تجمعت العديد من تقارير المخابرات البريطانية وبعد استطلاع راى العديد من الشخصيات السياسية سواء مصرية او انجليزية واتفقت كل الآراء على أن محمد على بتربيته التركية وتعاليه على الشعب المصرى وبعده عن الشارع السياسى لا يصـــــلح بأى حال لكى يكون ملكا على مصر . ولذا فاننا نعتقد أن الاكثر احتمالا أن بريطانيا كانت تفكر فى اعلان الجمهورية وتنصيب النحاس باشا رئيسا لاول جمهورية مصرية وهذا يتفق مع راى فتحى رضوان والذى عاصر كل هذه الاحداث (٣٨) .

وعلى الرغم من خطورة الاحداث وتطورها بشكل سريع الا ان فاروق قد تمسك بوجهه نظره وأسرع ازاء هذا الانذار بدعوة الزعماء السياسيين

(٣٦) محمد التابعى : اسرار الساسة والسياسة صـ ٢١٣

(٣٧) لوكاز هيرزويز المـــانيا الهتلرية والمشرق العربى ترجمة الدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى القاهرة ١٩٧١ صـ ٣٠٨

(٣٨) لقاء مع فتحى رضوان فى منزله بمصر الجديدة مساء ٩ اغسطس ١٩٨٢ .

بكل شيء فلا شيء يعنيني غير مصلحة مصر وكرامتها (٣٩) ويبـدو ان فاروق لم يكن صادقا فيما يقول وانما أراد أن يعد بهؤلاء الزعماء السياسيين مظاهرة للضغط على بريطانيا على اعتبار أن الشعب المصرى كله ممثـلا فى هذا الاجتماع وبالرغم من كل هذا فلم يكن فاروق واثقا من ان بريطـانيا ستمضى فى تهديدها الى آخر الطريق ومن هذه الناحية فان أحمد حسنين باشا ـ رئيس الديوان ـ يتحمل التبعة الكبرى حيث كان يعلم أن بريطانيا كانت جادة فى عزمها مصممة على المضى فيما أعتزمته وهذا ما يؤكده على ماهر باشا(٤٠)

ويذكر الدكتور هيكل فى مذكراته عن اجتماع الملك بالزعماء بعد ظهر ٤ فبراير فيقول عندما فرغنا من مداولتنا طلب النحاس باشا الكلمـة وقال : (انه ساعة أن حضر هذا الاجتماع لم يكن يعرف شيئا مما حدث وجاء ذكره فى الرسالة الملكية فهو لم يكن يعلم أن الانجليز طلبوا اليه تأليف الوزارة ولم يكن يعلم بهذا الانذار الاخير ولم يسمع به الا وهو فى طريقه الى القصر . أما وذلك موقفه فانه لا يرفض تأليف الوزارة اذا عهد اليه الملك بتأليفها (٤١) .

ويعلق الدكتور هيكل على كلمات رئيس الوفد بقوله (لقد سمـــع الحاضرون عبارات رئيس الوفد وعلى ثغر بعضهم ابتسامة ذات مغزى معناها (يكاد المريب يقول خذونى) فلو أن النحاس لم يكن يعرف شيئا من هذا الذى قال أنه لا يعلمه لكانت النتيجة المترتبة عليه أنه وقد عرف ما كشفت عند الرسالة الملكية فانه يرفض أن يؤلف الوزارة ولو دعاه الملك لتأليفها حتى لا يكون الملك قد أكره على ذلك من جانب بريطانيا أما أن يقول انه لم يكن يعرف هذه الوقائع وانه مستعد بعد أن عرفها أن يؤلف الوزارة اذا عهد اليه الملك بتأليفها فمعنى ذلك فى أيسر صورة انه لا ينكر على الانجليز حقهم

---

(٣٩) د . هيكل مرجع سبق ذكره جـ ٢ صـ ٢٣٣

(٤٠) لطفى عثمان : المحاكمة الكبرى فى قضية الاغتيالات السياسية القاهرة سنة ١٩٤٨ صـ ١٤٢ ــ ١٤٥ .

(٤١) د . هيكل مرجع سبق ذكره جـ ٢ صـ ٢٣٥ .

فى هذا التدخل ولاينكر توجيههم الانذار وأنه غير مستعد لاية تضحية فى سبيل رد هذا الانذار هذا ان صح أنه لم يكن يعرف (٤٢) .

وتدخل الحاضرون فمنهم من نصح النحاس باشا برفض الوزارة ومنهم من طلب اليه أن يشكلها وزارة قومية وبعضهم طلب اليه أن يشكلها ادارية لاجراء الانتخابات وعرض آخرون وزارة محايدة الا أن النحاس قد رفض كل هذه الحلول وأصر على أن تكون وزارة وفدية لحما ودما (٤١) .

ويلاحظ وفقا لهذا الاجتماع أن الزعماء السياسيين قد وقعوا جميعا فى مغالطة شديدة حيث أنهم تصوروا أن تشكيل وزارة قومية أو محايدة سوف يخرجهم من دائرة الانذار البريطانى ومن الطبيعى أن رئاسة النحاس باشا للوزارة سواء كانت وفدية أو قومية بعد تطبيقا عمليا للانذار مهما كان شكل ولون الوزارة الا أنها العصبية الحزبية والرغبة فى الحكم فالكل يجتهد كى يكون له نصيب من الوزارة المقترحة .

وبعد أن تأكد المجتمعون أن النحاس لن يقبلها الا وفدية خالصة بدأ التفكير فى رفض الانذار وعدم العمل به من حيث المبدأ واقترح اسماعيل صدقى الرد على الانذار بانذار مماثل هذا نصه : ان فى توجيه التبليغ البريطانى اعتداء على استقلال البلاد ومساسا بمعاهدة الصداقة ولا يسع الملك أن يقبل ما يمس استقلال البلاد ويخل بأحكام المعاهدة . ووافق الحاضرون جميعا بما فيهم النحاس باشا على التوقيع على هذا الرد وحمله احمد حسنين الى السفير البريطانى . (٤٤)

ويبدو أن النحاس باشا قد وقع على هذا الاحتجاج حتى لا يقع فى مزيد من الحرج وهذا ما ذكره النحاس باشا نفسه فى حديثه مع رئيس محكمة النقض (زكى على باشا) (٤٥) .

---

(٤٢) المصدر السابق صـ ٢٣٥
(٤٣) محضر اجتماع جلستى ٤ فبراير ١٩٤٢ الاهرام ١٩٤٥/١١/١٢
(٤٤) المصدر السابق نفسه
(٤٥) مجلة المصور ٦ مارس ١٩٨١ من شهادة زكى على باشا فى قضية أمين عثمان .

واعتقد ان فاروق لم يكن ينوى الخضوع للانذار البريطانى فى بداية الامر ولعله يقصد من وراء ذلك ارتداء ثوب البطولة ، كما انه كان واثقا من امكانيه الوصول الى حل للموقف ويذكر الدكتور هيكل ان الملك قال له اثناء المقابلة التى تمت مع رؤساء الاحزاب فى ٣ فبراير — كل على حده — لاتبالغ فى مخاوفك يادكتور هيكل فستمر هذه الازمة كما مرت غيرها من قبل وسنجد رئيس الوزارة الجديدة على نحو ما وجدنا حسن صبرى وحسين سرى ولعل فاروق كان يفكر فى محمد محمود خليل رئيس مجلس الشيوخ ليشكل الوزارة ومما يؤكد هذه الرواية ما ذكره صليب سامى فى مذكراته حيث يقول : انه فى نفس اليوم الذى حدثت فيه احداث ٤ فبراير واسناء مقابلة الملك للسفير البريطانى والقادة العسكريون فى ذلك اليوم كان محمد محمود خليل بالسراى لابسا بدلته (الرد نجوت) فى انتظار الملك لتسليمه الامر بتشكيل الوزارة (٤٧) .

وعموما فلقد كان فاروق يرفض أن يؤلف النحاس وزارة وفدية خالصة لا من اجل أن يقال انه خضع للانذار وانما لانه كان لا يريد أن يجعل مقاليد الامور فى يد خصومه الوفديين والاحتفاظ بقدر كبير من السلطة فى يده عن طريق احزاب الاقلية وهذا لن يتحقق فى حالة وجود حكومة وفدية .

وعلى ما يبدو فان فاروقا أراد أن يحدث نوعا من المناورة الجارعة وذلك برفض الانذار البريطانى حتى يتطاير الخبر الى اصدقائه الالمان حيث أن البيانات التى كانت تصله من جبهات الحرب كانت تبالغ فى انتصارات المحور مؤكد على أن المعركة قد حسمت ولم يبق الا عامل الوقت فقط (٤٨) .

وعلى ضوء المقابلات التى جرت بين الملك والنحاس وغيره من الزعماء السياسيين وبين لامبسون وأمين عثمان كان الخلاف ينحصر فى نوعية الوزارة الجديدة وكيفية تشكيلها واعتقد أن كل هذه الخلافات والمصادمات

---

(٤٦) د . هيكل . مرجع سبق ذكره جـ ٢ صـ ٢٥٩ .

(٤٧) مذكرات صليب سامى . ذكريات صـ ٢٧٥

(٤٨) مجلة الشرق الاوسط لندن سنة ١٩٧٥ . دراسة وثائقية عن حادث ٤ فبراير صـ ٣١

لم ترق الى حجم الازمة التى انتهت اليها بل ان الامر فى حقيقته كان صراعا على السلطة بين قوتين متعارضتين الاولى تتمثل فى حزب الاغلبية يسانده الانجليز والثانية تقوم على احزاب الاقلية يساندها القصر فكان لابد من انتصار احدى القوتين على الاخرى .

الدبابات البريطانية حول قصر عابدين .

وفى الوقت الذى كانت تبذل فيه السفارة البريطانية قدرا كبيرا من الجهد لعودة النحاس باشا فان لامبسون كان يعد العدة لاجبار فاروق على التنازل عن العرش اذا ما رفض المطالب البريطانية .

وتم الاتفاق فى مجلس الحرب (٤٩) على انه اذا لم يصل رد فاروق حتى الساعة السادسة (من مساء ٤ فبراير) فسوف يتوجه لامبسون الى قصر عابدين وبصحبته قائد القوات البريطانيـــة فى مصر « الجنرال ستون » وستتخذ كافة الاجراءات العسكرية وتم الاتفاق ايضا على وضـــع الخطة النهائية لمحاصرة القصر واجبار الملك على التنازل واصـــطحابه الى خارج القصر واقترح اميرال البحرية اعتقال فاروق فى احدى ســـفن الاسطول البريطانى حتى يتقرر مصـــيره من قبل وزارة المســـتعمرات البريطانية (٥٠) .

ولعل امتناع فاروق عن التنازل عن العرش كان من بين المســـائل التى شغلت حيزا كبيرا من تفكير الدوائر البريطـانية على اعتبـــار ان معاهدة ١٩٣٦ لا تتضمن مثل هذا النوع من التدخل ولا يوجد نص فى الدســـتور

---

(٤٩) تكون مجلس الحرب من السفير وقائد القوات البريطانية فى منطقة الشرق الاوسط ووزير الدولة لشئون الشرق الاوسط وقائد منطقة القاهرة العسكرية وقواد الاسلحة المختلفة .

(٥٠) مذكرات لورد كلين ترجمة كمال عبد الرؤف صـ ٨٠ ، وثائق الخارجية البريطانية برقية رقم ٤٨٦ من لامبسون الى الخـــارجية البريطانية بتاريخ ٤ فبراير ١٩٤٢ .

المصرى يمكن أن تتزرع به بريطانيا لعزل الملك ولقد اشار السفير الى ذل هذه المخاوف بقوله : « واذا ما اصر فاروق على عدم التنازل فان خلعه من جانبنا يعد عملا غير مشبوع وان أية محاولة ونحن نبدو كحماة للدستور وفى الوقت نفسه نخرقه بانفوه فان هذا سيضاعف من متاعبنا امام الـرأى العام المصرى . (٥١)

وعلى ما يبدو فقد انقسم مجلس الحرب البريطانى ازاء تلك القضية الشائكة الا ان تطور الاحداث والخوف من حدوث أية مفاجأة غير متوقعة وخصوصا من الراى العام المصرى قد جعل فريق المترددين وعلى راسهم « الجنرال ستون » ينضمون الى فكرة لامبسون والتى تحبذ اجبار فاروق على التنازل بالقوة .

وبدأ التفكير فى المكان الذى سينتقل اليه الملك واختلفت وجهات النظر أيضا فبينما رأى البعض أرسـاله الى كينيا أو سيشل فقد رأى البعض الاخر أن ينزل به الى أحدى سفن الاسطول البريطانى حتى يتقرر مصـيره من قبل وزارة المستعمرات (٥٢) .

ووضعت الصيغة النهائية لوثيقة التنازل عن العرش : « نحن فاروق ملك مصر اذ نضع فى اعتبارنا مصالح بلادنا ، نتخلى من ثم بالنسبة لانفسنا وبالنسبة لورثتنا عن عرش مملكة مصر وجميع الحقوق الملكية والميزات والسلطات على جميع أنحاء المملكة المذكورة واعفاء رعايانا المذكورين من ولائهم لشخصنا » (٥٣)

ولما كانت السلطات البريطانية تعلم جيدا أن اجتماع الملك بالزعماء المصريين لن يحقق أى نوع من الاتفاق بالرغم من الانذار الصريح بدعـوة

---

(٥١) المصدر السابق وثيقة رقم ٤٥١ بتاريخ ٤ فبراير ١٩٤٢ .

(٥٢) المصدر السابق وثيقة رقم ٤٥١ من لامبسون الى حكومته .

(٥٣) المصدر السابق وثيقة رقم ٤٩٠ ، الاهرام ١٩٧٣/٥/١٨ ، مذكرات حسن يوسف ص ١٢٧

مصطفى النحاس لتشكيل الحكومة لجأ الانجليز الى تنفيذ الخطة المرسومة والتى تقضى بمحاصرة قصر عابدين وجميع الطرق المؤدية اليه وعدم دخول أو خروج أحد (٥٤) .

وفى جميع الازمات التى مرت بمصر كانت الحكومة البريطانية تأخذ فى الاعتبار موقف الجيش المصرى الى جانب الرأى العام ، فعندما طلبت بريطانيا من مصر اعلان الحرب على دولتى المحور قالت انها تقدر الاهمية البالغة للقوات المسلحة المصرية وعندما أنذرت فاروق بتغيير وزارة على ماهر أصرت على أن تجىء الوزارة الجديدة حائزة لولاء الجيش (٥٥) . وعند الاستعداد لمحاصرة عابدين (٤ فبراير) احتفظت السلطات العسكرية بأسرار العملية الى ساعة الصفر واتخذت جميع الاحتياطات لكيلا يقع تصادم بين الجيش المصرى والقوات البريطانية ووفق رواية المسئول عن أمن القوات البريطانية فى مصر « الماجور سانسوم » حيث قال : لقد كانت الحكومة البريطانية قد أصدرت أوامرها الى « سيرمايلز لامبسون » بأن يوجه انذارا الى الملك وكنت مرتبطا بهذه العملية عن طريقتين:

الأول : كان استشاريا فوفق معلوماتى عن الوضع داخل الجيش المصرى ما هى الخطوات التى يجب اتخاذها لتحول بين الجيش المصرى والتدخل المسلح فى العملية المزمع القيام بها ؟ وبصدد هذا الاجراء فقد اقترحت أن توصد كل الطرق والشوارع المؤدية الى قلب القاهرة، ان الضباط الصغار لا يحبون الملك ولكنهم يكرهوننا لكثر وسيكون رد الفعل عندهم عنيفا لمثل هذه الاهانة وبالفعل أغلقت جميع الطرق الموصلة بين المناطق والقاهرة وقبل ساعة الصفر مباشرة قامت فصيلة من قواتنا بالهجوم على ثكنات الحرس الملكى فى ميدان عابدين وقبضت على كل الموجودين وكذلك تم القبض على الحراس الذين كانوا يقفون عند باب القصر وحل محلهم جنود بريطانيون ، ثم دخل لامبسون بسيارته الى داخل القصر وكانت تصحبه مجموعة من العربات المصفحة والدبابات ويمضى سانسوم فى روايته قائلا ولم تكن القاهرة

---

(٥٤) أخبار اليوم الاول من نوفمبر ١٩٤٤

(٥٥) مذكرات حسن يوسف مصدر سبق ذكره صـ ١٢٧ .

تعلم شيئا عن الحادث وكان عدد من المارة يحملقون فى الجنـــود البريطانيين ، الذين احتلوا مكان الحرس الملكى وكان المارة ينظرون الى العربات المصفحة التى دخلت فناء القصر دون استغراب اول الامر غير ان البعض بدأ يدرك أن ثمة شيئا غير طبيعى يحدث وأخـذ الناس يتجمعون حتى اضطر الجنـــود البريطـــانيون الى اقامة كردون من انفسهم لابعاد الناس عن القصر فى الوقت الذى كان السفير يقـدم انذاره لفاروق •

اما المهمة الثانية : هى التأكد من أن السفير لن يصيبه ضرر وكانت اعتقد أن الخطر الرئيسى قد يصدر من ضابط ثائر من ضباط الحرس الملكى الذى قد يدفعة غضبه الى اطلاق رصاصة على السفير ولذلك قبضنا على جميع الضباط المصريين داخل القصر ابان عقد المؤتمر بين السفير وفاروق (٥٦) •

ووفق رواية السفير والتى ضمنها أحد تقاريره الى حكومته قائلا : لقد وصلت الى قصر عابدين فى التاسعة تماما وفى الطريق مررنا بطـوابير المصفحات وناقلات الجنود والدبابات والتى كانت تبدو كأشباح فى الشوارع المظلمة وهى تأخذ مواقعها حول القصر ، وكنت استطيع وأنا بالطابق العلوى داخل القصر ان [illegible] أصوات الدبابات والمدرعات مما أحدث جوا [illegible] وشك أن أصبح فى رجال الديوان أننى غير مستعد للانظار اكثر من ذلك ونتيجة لذلك تأخر استدعائى الى غرفة الملك لمدة خمس دقائق وكانت على عندما دعيت للمثول امام الملك وحاول كبير الامناء ان يمنع الجنرال ستـــون « قائد القوات البريطانية » من الدخول الى القاعة التى تم فيها لقائى مـــع الملك ولكنى نحيتـــه جانبـــا ودخلت والجنرال ستـــون معـــا الى الملك (٥٧) .

وفى رواية لاحد المعاصرين أن القوات البريطانية قد هاجمت حراس

---

(٥٦) د . محمد انيس . ٤ فبراير فى تاريخ مصر السياسى بيروت ١٩٧٢ ص ٢٩ ، مجلة الشرق الاوسط Middle Eastern Studies عدد ١١ يناير ١٩٧٥ دراسة وثائقية عن حادث ٤ فبراير . ص ٣١

(٥٧) وثائق الخارجية البريطانية وثيقة رقم ٤٩١ ٥ فبراير ١٩٤٢ من لامبسون الى الخارجية البريطانية . F.O. 371/31568

القصر وجردتهم من سلاحهم مما اضطر بعض أفراد الحرس الى المقاومة ولكن البريطانيين تكاثروا عليهم بعد أن صدرت التعليمات الملكية بعدم المقاومة حتى لا تحدث مذبحة أمام قصر عابدين وكان قد أصيب بعض أفراد الحرس بكسور فى العظام وبجروح مختلفة وفى نفس الوقت كانت الطائرات البريطانية تقف على أهبة الاستعداد للتحليق فوق ثكنات الجيش المصرى ومعسكراته وتقذفها بالقنابل اذا ما بدت من الجيش أية مقاومة وحاصر الجنود الانجليز أقسام البوليس فى القاهرة وقطعوا جميع الاسلاك التليفونية بين قصر عابدين وخارجة كما حاصروا محطة الاذاعة المصرية لكى يحولوا دون وصول الخبر الى الشعب المصرى . (٥٨)

ويلاحظ أن الروايات الثلاث السابقة تتفق مع بعضها فى الاطار العام الا انها تختلف عن بعضها فى كثير من التفصيلات فبينما يذكر الماجور سانسوم (مسئول الأمن فى القاهرة) أن القوات البريطانية قامت بقطع الطرق المؤدية الى القاهرة بواسطة العديد من الفصائل العسكرية وكذلك القبض على جنود وضباط الحرس الملكى فهو لم يذكر الاجراءات التى قامت بها القوات البريطانية فيما يتعلق بالطيران وكذلك محاصرة أقسام البوليس وقطع الاتصالات التليفونية عن قصر عابدين وكذلك محاصرة مبنى الاذاعة المصرية ..

الا أننا نعتقد أن الرواية الأخيرة والتى ذكرها بعض المعاصرين تعد أقرب الروايات الى الحقيقة لعدة أسباب :

أولا : تطابق رواية محمد التابعى مع رواية حسين الشافعى والأول قريبا من دوائر القصر بحكم عمله الصحفى والثانى كان أحد الضباط الشبان والذى كانت تربطه صداقات وطيدة بعدد من ضباط الحرس الملكى

---

(٥٨) لقاء شخصى مع السيد / حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية السابق وأحد أعضاء سلاح الفرسان فى ذلك الوقت — الدقى القاهرة صباح الاثنين ١٩٨٣/٤/١١ ، محمد التابعى . أسرار الساسة والسياسة مرجع سبق ذكره ص ١٩٨ .

والروايتان فى مجلهما تتفقـــــــان مع روايات كثير من الساســـة المصريين (٥٩) .

ثانيا : لقد استقى التابعى معلوماته عن احمد حسنين والذى شاهد كـــل هذه الاحداث بحكم عمـــله كرئيس للديوان الملكى .

ثالثا : ووفقا للمصادر البريطانية فان قادة كل الاسلحة قد اشتركوا فى كل المؤتمرات التى عقدها السفير وهو بصدد وضع الخطة الهائية للتدخل ومن الطبيعى أن يتولى قادة الاسلحة كل فى موقعه ترتيبات الامـــن اللازمة سواء فى مجال الطيران او الشرطة او القوات البرية او غـــير ذلـــــك ..

الا ان هناك بعض الروايات التى لم نجد لها سندا فى اى رواية اخرى حيث يذكر صاحب هذه الرواية أن السفير وهو فى طريقه الى مكتب الملك وبصحبته الجنرال ستون قد فتح غرفة الملك ضاربا اياها بقدميه (٦٠) .

وعلى كل فان لامبسون قد دخل على فاروق وبصحبته الجنرال ستون بينما الضباط الانجليز يحرسون الباب وفى أيديهم المسدسات ووفقا لبرقيات لامبسون الى حكومته فقد كان فاروق ينتفض من الخوف بينما أحمد حسنين كان يبتسم بقدر لا بأس به من الشجاعة (٦١) .

ويضيف لامبسون فى احدى برقياته والتى تتسم بقدر كبير من التشفى (كان من من الواضح أن الملك قد أخذ على غـــرة واقترح بقاء حسنين باشا أثناء المقابلة فوافقت على ذلك ودخلت فى الموضوع مباشرة حيث قلت : لقـــد كنت أتوقع ردا بنعم قبل الساعة السادسة مساء على رسالتى التى بعثت بها هذا الصباح وبدلا من ذلك فقد بعثت الى حسنين باشا فى الســـادسة

---

(٥٩) من شهادة أحمد ماهر فى قضية مقتل امين عثمان . المحاكمة الكبرى فى قضية الاغتيالات السياسية . لطفى عثمان ص ١٤٤ ـــ ١٤٨ . .

(٦٠) أحمــــد مرتضى المراغى غرائب من عهـــــد فـــاروق بيروت ١٩٧٦ ص ٥٤ .

(٦١) وثائق الخارجية البريطانية وثيقة ٤٩١ ٥ فبراير ١٩٤٢ من لامبسون الى ايـــــدن . F.O. 371/31568

والربع برسالة لا استطيع الا ان اعتبرها رفضا . ويجب ان اعرف الان ودون اية مواربة ما اذا كان معنى هذه الرسالة هو لا . وحاول الملك ان يجادل ولكنى قطعت عليه الطريق بقولى :

« انى اعتبر الجواب بالنفى وقرات عليه البيان الذى اعددنــــاه فى السفارة (٦٢) . وفى النهاية قدمت اليه خطاب التنازل عن العرش وطلبت اليه التوقيع فورا . ويمضى لامبسون قائلا : لقد تردد الملك قليلا وقد كنت اظنه سيوقع الخطاب « وثيقة التنازل » الا ان حسنين باشا قد تدخل محـدثا اياه بالعربية وبعد فترة من الاضطراب الشديد الذى بدا على الملك سألنى بشكل يدعوا للرثاء عما اذا كنت على استعداد لاعطائه فرصة اخــــرى مبديا موافقته الشديدة على دعوة النحاس باشا لتشكيل الحكومة فورا . ثم ترددت (عمدت الى التردد) واخيرا وافقت على اعطائه تلك الفرصـــة تحدونى الرغبة فى تجنب أى تعقيدات محتملة فى البلاد (٦٣) .

وهناك العديد من التفصيلات التى لاتتفق والغرض الحقيقى من هذه الدراسة ومنها على سبيل المثال ان السفير قد وضع وثيقة التنازل أمـــام فاروق وقت قراءة البيان ومن المحتمل أن يكون الملك قد قراها ومن المحتمل ايضا انه لم يرها (٦٤) .

---

(٦٢) لقد وضح منذ وقت طويل انكم تتعرضون لتأثير مستشاريين غــير مخلصين للتحالف مع بريطانيا . وان مسلككم يعد خرقا للمادة الخامسة من معاهدة التحالف والتى يتعهد فيها كل طرف بعدم اتخاذ أى مسلك فى العلاقات مع الدول الاجنبية يتعارض مع التحالف بالاضافة الى ان جلالتكم قد اثرتم بشكل متعمد قيام ازمة بشأن قرار اتخذته الحكومة المصرية بناء على طلب منا الامر الذى يعد مخالفا للمعاهدة واخــيرا رفضتم قيام حكومة تحرص على تنفيذ المعاهدة وان مثل هذا التهــور وعدم المسئولية من جانب الملك يعرض امن مصر وأمن القوات الحليفة للخطر ويؤكد ان جلالتكم لم تعد مناسبا لشغل العرش . الاهــرام فى ١٩٧٣/٦/١ .

(٦٣) وثيقة رقم ٤٩٢ . وثائق الخارجية البريطانية من لامبســون الى ايدن ٥ فبراير ١٩٤٢ .

F.O. 371

(٦٤) د. البس . مرجع سبق ذكره ص ٣٦ .

« وببساطة شديدة فاننا نعتقد أن فاروقا قد قرأ وثيقة التنازل لسبب بسيط وهو انه قد هم بالتوقيع عليها لولا تدخل احمد حسنين والذى حثه بالعربية « وفقا للوثائق البريطانية » طالبا منه عدم التوقيع .

وهناك رواية اخرى تقول : ان السفير قد قدم الى الملك وثيقة التنازل عن العرش وطلب اليه توقيعها وبعد أن قرأ الملك الوثيقة ، نظر الى قائد القوات البريطانية (المصاحب للسفير) وقال له « كنت أود لو انك مازالت فى خدمة جيشى » ثم قال للسفير : « اننى مستعد لتوقيع هذه الوثيقة الا انك توافقنى على أنها وثيقة تاريخية خطيرة ولا يجوز أن تكتب على ورق عادى ومن اللائق أن اكلف من يقوم بكتابتها على ورق يليق بشخصى . وعجب السفير لهذا الهدوء والذى يبدو على الملك . ثم أضاف الملك فاروق هل لى أن اسألك عن السبب الذى دعا الى كتابة هذه الورقة ؟ .. أنا من ناحيتى موافق على أن يشكل النحاس باشا وزارته كما يراها (٦٥)

ويبدو ان الرواية السابقة لا تتفق بأى حال مع الحالة النفسية التى سيطرت على فاروق والتى وصفها السفير فى برقياته . من أن الملك كان يرتعد من الخوف ومن غير المعقول ان يبدو فاروق على هذه الصورة فى وقت يعلم أن عرشه ومستقبله معرضان للضياع والأمل فى اقناع السفير بالعدول عن هذا المسلك يبدو ضعيفا وتلك الرواية تتسم بعدم الموضوعية مما يجعلنا لنعتقد انها تحتمل تخريجات اجتهادية لا ترق الى مرتبة التفسيرات التاريخية الجادة . وعلى هذا فرواية السفير والتى ذكر فيها ان فاروقا قد استمع اليه وبلا اى اضافات هى اقرب الروايات الى المنطق الصحيح واقرب فى تصورنا الى العقل .

وهكذا استسلم فاروق بعد ان انكشف الوجه الحقيقى لمعاهدة ١٩٣٦ ولم يكن من باب الشجاعة أن يمضى فاروق فى عناده الى آخر الطريق حيث تأكد تماما ان مصيره ومصير اسرة محمد على بأكملها مرهونة بموافقة

---

(٦٥) د. محمد حسين هيكل . مرجع سبق ذكره جـ ٢ ص ٣٦ .

بريطانيا ، ولذا فانني أعتقد أن الاثار النفسية التى تركها هذا الحادث على حياة الملك الشاب كانت خطيرة ويمكن القول بأنها كانت مدمرة .

وبمجرد أن انصرف لامبسون بعد أن اصدر اوامره الى الدبابات والمصفحات بالانصراف من حول القصر صدرت الاوامر الملكية بدعوة الزعماء الذين حضروا الاجتماع الأول (فى نفس اليوم) وتراس الملك هذا الاجتماع ويصف الدكتور هيكل ما حدث فى هذا اللقاء بقوله : لقد وجه الملك كلامه الى النحاس باشا قائلا : انى أكلفك يا نحاس باشا بتأليف الوزارة واطلب اليك أن يكون حكمك قوميا لا حزبيا كما اطلب اليك حين انصرافك من هنا ان تمر بالسفارة البريطانية فتبلغ السفير بأننى عهدت اليك بتأليف الوزارة . وقال النحاس لدى سماعه هذه العبارة . اننى اتلقى الأمر من جلالتكم ولا ارى ضرورة لابلاغ السفير . فكرر الملك : لكننى أرى ضرورة فى أن تمر بالسفارة وتبلغ ما طلبت اليك أن تبلغه اياه (٦٦) .

ولعل اصرار فاروق على ذهاب النحاس الى قصر الدوبارة يعد نوعا من الدبلوماسية الماكرة بهدف احراجه والتنويه على أن عودته كانت بناء على ضغط السفارة البريطانية ولقد افصح الدكتور احمد ماهر عن هذا المعنى بقوله : انك يا نحاس باشا تؤلف الوزارة على اسنة الحراب البريطانية بعد أن رايت الدبابات بعينى راسك . واجاب النحاس : أنا لم ار دبابات ولا حرابا . فقال اسماعيل صدقى باشا . نعم يا باشا انك جئت متأخرا بعد انصرفت الدبابات حتى لا تراها أما نحن جميعا فقد رايناها ساعة جئنا الى القصر (٦٧) .

وهو ما كرره احمد ماهر بعد ذلك فى الرسالة الشهيرة التى أرسلها للسفير احتجاجا على الانذار البريطانى وقد قال فيها مخاطبا لامبسون . « انكم لا تستطيعون أن تقنعونا بحال أن النحاس باشا لم يكن على علم بالنيات الخفية التى اعتزمتموها ، والا فهل كان من المعقول أن تحتموا تشكيل

---

(٦٦) المرجع السابق ص ٢٤٢ .

(٦٧) المرجع السابق ص ٢٤٢ ، الاهرام ١٩٤٥/١١/٢٢ ، مذكرات حسن يوسف مصدر سبق ذكره ص ١٢٨ .

وزارة ومندية بذلك الالحاح البالغ وتجازنوا فى هذا السـبيل بتقديم انذار تؤيدونه بالقوة المسلحة لو لم تكونوا على يقين سابق وتأكيد صريح باتفاق النحاس باشا معكم اتفاقا تاما على تلك الخطة المبيتة (٦٨) .

ونشرت احدى الصحف ما يسمى بمحضر اجتماع ٤ فبراير وذكرت هذه الرواية : وبعـد ان انتظم الاجتماع فى الساعة التاسعة مساء . حضر جلالة وقال . أرجو أن تنسوا ما دار بينكم من الحديث وما قررتموه بعد ظهـر اليوم وانى أكلف النحاس باشا بأن يشكل الوزارة واطلب اليه عند انصرافه من هنا أن يمر على دار السفير حيث أن هذه هى رغبة السفير الخ اما باقى المحضر فلا يختلف عما ذكرناه من قبل .

ولقد اعتبر النحاس باشا أن ما نشرته الصحيفة يعد مخالفـا لمحضر الجلسة (مساء ٤ فبراير) وذكر فى روايته والتى بعث بها الى نفس الصحيفه ما يأتى ؟ ذكرت الصحيفة أن جلالة الملك طلب الى أن أمر بعد انصرافى مـن القصر على دار السفير وابلغه انى كلفت بتشـكيل الوزارة لأنه طلب ذلك الى جلالته . وهذا لا يطابق الواقع اذ لم يقل جلالة الملك أن السفير طلب ذلك اليه وقد كنت معارضا فى الذهاب ليلا الى دار السفير ولكن جلالته أمرنى بذلك فقد كان من المتعين معالجة الموقف مع الانجليز (٧٠) .

وبصدد دراسة الروايات السابقة فاننا نشير الى عدة اعتبارات ؟..

أولا : ان مانشر تحت عنوان « محضر اجتماع ٤ فبراير » لم يكن محضـرا بالمعنى الوثائقى وانما هو عبارة عن تصوير للاحداث التى وقعت مساء ٤ فبراير من وجهة نظر محمود حسن باشا كبير المستشارين الملكيين والذى حضر الاجتماعين وعلى الرغم من أنه لم يوقع على هذا المحضر الا أن المناقشات التى تلت ذلك فى الصحف وردود الفعـل الكبيرة التى احدثها نشر هذا الموضوع كشفت عن اسمه وعرفه الجميع .

(٦٨) محمود ابراهيم أبو رواع . أعمال أحمد باشا ص ٢٨٤ ، أخبـار اليوم ١٩٤٥/٥/٣ .
(٦٩) الاهرام ١٩٤٥/١١/٢٢ .
(٧٠) المصدر السابق ٢٣ /١٩٤٥/١١ .

ثانيا : يختلف محضر اجتماع ٤ فبراير عما ذكره الدكتور هيكل فى روايته التى اشار فيها الى أن النحاس باشا قد اعترض على ذهابه الى السفارة باعتبار أن الأمر بتشكيل الوزارة صادر من الملك وليس من السفير الا أن الملك كرر طلبه بضرورة ذهاب النحاس الى السفارة .

وهذه الرواية تمثل اضافة لم ترد فرواية محمود حسن باشا حيث يذكر أن الملك قد طلب من النحاس أن يمر على السفارة ولم يذكر أن النحاس قد اعترض على هذا المطلب .

ثالثا : أن رواية الدكتور هيكل تتفق مع رواية النحاس باشا فى عدم ذكرها قول الملك للنحاس باشا « اطلب منك أن تمر على السفارة البريطانية حيث طلب السفير الى ذلك . ومن مقارنة رواية النحاس بما ذكره الدكتور هيكل ومطابقتها بما ذكره محمود حسن باشا تظهر أن رواية هيكل اقرب الى رواية النحاس ولما كان هيكل يعد خصما سياسيا للوفد فليس هناك ما يدعو الى الاعتقاد بأنه عمد الى الدفاع عن مصطفى النحاس .

رابعا : لم يذكر الدكتور هيكل ولا محمود حسن باشا أن النحاس كرر رفض قبول الوزارة وأن فاروقا قد بذل قدرا كبيرا من المحاولات لاقناع النحاس فى الوقت الذى كان يعتقد ان عدم تشكيل الوزارة يعد نوعا من الالتزام بما اتفق عليه فى الاجتماع الأول حيث وقع الجميع على الاحتجاج المقدم للسفير البريطانى ، امام اصرار الملك فقد اضطر النحاس أخيرا للموافقة (٧١)

والتزاما بالموضوعية التاريخية فاننا نعتقد أن النحاس قد تردد كثيرا فى قبول الوزارة وخصوصا بعد ما علم من حصار قصر عابدين ولذا

---

(٧١) المصدر السابق ٢٠ مارس ١٩٨١ من شهادة النحاس باشا فى قضية امين عثمان ، لطفى عثمان مرجع سبق ذكره ص ٢٢١ .

فقد تضمن خطاب قبول الوزارة (لقد تفضلتم جلالتكم وعهدتم الى تأليف الوزارة وأمرتم بلسانكم الكريم المرة بعد المرة والكـرة بعد الكرة الخ)(٧٢)

ولما كان خطاب النحاس باشا بقبول تأليف الوزارة بعد وثيقـــة عامة نشرت فى كثير من الصحف الوفدية وغير الوفدية وليس من المعقول أن تتضمن اضافات لم تحدث والا كان القصر أول من بادر بتكذيبها فاننـــا نعتقد أن النحاس قد حاول مرارا أن يرفض قبول الحكم فى مثـل هـــذه الظـــروف الدقيقة والخطيرة ووفقاً لما ذكره أحد زعماء الوفد من أن رفض النحاس للوزارة كان يعنى بالضرورة خلع فاروق من منصبه ولذا فقـــد ضحينا ببعض من سمعتنا فى سبيل انقاذ الملك (٧٣) .

ويبدو أن الملك فاروق قد أراد أن يستنجد بالسفارة الأمريكية لحمايته من التعنت البريطانى ولذا فقد استدعى مستر كيرك (السفير الأمريكى) لمقابلته فى منتصف الساعة السابعة من مساء ٤ فبراير ليخبره بالانـــذار البريطانى الا أن السفير الأمريكى قد طيب خاطره بسبب الحالة النفســية التى كانت تسيطر على الملك وقد حاول فاروق أن يطلب من السفير الأمريكى الضغط على لامبسون لكى يحول دون عودة الوفد الا أن اجابات (كيرك) قد اتسمت بالتعقل الشديد مطالبا فاروق بتنحية الخلافات الداخلية جانبـا لأن ما يشغل أمريكا وانجلترا فى الوقت الحاضر هو هزيمة هتلر وانه يأمـل أن يكون الملك عاملاً فى هذا الاتجاه (٧٤) .

وتؤكد الوثائق الأمريكية أن موضوع عزل الملك فاروق قد ترك اثـــر سيئا لدى وزارة الخارجية الأمريكية على اعتبار أن تلك الخطوة ستجعل من فاروق شهيدا فى نظر الشعب المصرى وقد يترتب عليها حدوث اضطرابات فى المنطقة مما يضاعف من نشاط المحور ولذا فقد أعدت ادارة الشرق الأدنى

---

(٧٢) صحيفة المصرى ، الأهرام ٧ فبراير ١٩٤٢ .

(٧٣) لقاء مع فؤاد سراج الدين فى منزله بجاردن سيتى القاهرة صباح الجمعة ١٩٨٢/١١/١٢ .

(٧٤) وثائق الخارجية الأمريكية وثيقة رقم ٨٦٢ من السفير الأمريكى الى حكومتـــــه . F.W. 862-20283

بوزارة الخارجية الأمريكية تقريرا لتقديمه الى الحكومة البريطانية تطلب منها: أن يظل الملك فاروق محتفظا بعرشه . ووفق المصدر « اننا نأمل أن لا تؤدى هذه الاحداث الأخيرة الى انصراف جزء من القوات البريطانية عن تضحيتها الاساسية فى المنطقة » (٧٥) .

الا أن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية لم تر أن مصالحها تتطلب مثل هذا التدخل المقترح لأن مصر تقع فى دائرة النفوذ البريطانى ، كما اننا لا نسمح لحكومة بريطانيا أن تتدخل فى الشئون الداخلية لاحدى دول أمريكا اللاتينية فاننا لن نتدخل فى تلك القضية على اعتبار أنها مشكلة بريطانية مصرية بحتة وان تدخلنا سيحملنا قدرا كبيرا من المسئولية اذا ما تضاعفت الاحوال سوءا فى مصر (٧٦) .

وهكذا امتنعت الولايات المتحدة الامريكية من أن تقحم نفسها فى تلك القضية على اعتبار أن مصر تقع فى دائرة النفوذ الامريكى ولا اعتقد أن بريطانيا ما كانت لتسمح لحليفتها بالتدخل فعلى الرغم من التحالف بينهما الا أن نوعا من التوجس قد بدأ يراود وزارة الخارجية البريطانية بسبب التفوق العسكرى الأمريكى من جانب والمطامع الامريكية التى قد تبدو مؤكدة اذا ما انتهت الحرب (٧٧) .

وعلى العموم فقد هدأت الأمور بعد أن صدرت الأوامر الملكية بدعوة مصطفى النحاس ليشكل حكومة وفدية خالصة وعلى الرغم من الهزيمة الساحقة التى لحقت بالملك فاروق الا ان رسالته التى بعث بها الى مصطفى النحاس بتأليف وزارة ٤ فبراير تعد تراجعا اكيدا أمام التسلط البريطانى وقد يبدو هذا المعنى من نص تلك الوثيقة والتى ورد ذكرها كالاتى :

---

(٧٥) المصدر السابق وثيقة رقم ٩٢٣ من الخارجية الأمريكية الى « كيرك » السفير الامريكى ٥ فبراير ١٩٤٢ .

(٧٦) المصدر السابق ..

(٧٧) وثائق وزارة الخارجية البريطانية برقية رقم ٩٩٣ من ايدن الى لامبسون .

F.O. 371/31568

(عـــزيزى مصطفى النحاس يسرنى وقد عرفت فيكم أصـالة الراى وســـداد التدبير وقوة الاخلاص أن أسند اليكم رياسة مجلس وزرائنا ؛ ان مصـــــر وطننا العزيز لأحوج ما تكون فى هذه الأونة الدقيقة الى تضـــافر الجهـــود وضم الصفوف وجمع القوى وبذل التضحية وانكار الذات فى ســـــبيل حفظ كيانها واعلاء شأنها ورفاهية شعبها وذلك ما أرجو أن يكون بتوفيــق الله وعظيم تأييده .. الخ (٧٨) .

والملاحظ على خطاب الملك الى مصطفى النحاس انه يشير وبأسلوب رقيق الى اصالة راى النحاس وسداد تدبيره واخلاصه سواء للعـــرش او للشعب وعلى ما نعتقد فان هذه الوثيقة تحمل قدرا كبيرا من النفاق السياسى والذى حكمته الظروف الموضوعية والملابسات التى احاطت بتشـــــكيل الوزارة وعلى الرغم من المعاناة النفسية التى احدثها هذا الموقف فى نفسية الملك الا أنه قد أراد للازمة أن تمر بعد أن أقسم بالايمـــان المغلظـــة أن ينتقم لشرفه ولكرامته (٧٩) .

وبالنظر الى « وثيقة » اقالة الوفد سنة ١٩٣٧ والتى تؤكد وجهـــة نظرنا السابقة حيث اشارت الى العداء التقليدى بين القوتين المتصـــارعتين – القصر والوفد – « نظرا لما اجتمع لدينا من الادلة على أن شعبنا لم يعـد يؤيد طريقة الوزارة فى الحكم وانه يأخذ عليها مجافاتها لروح الدســـــتور وبعدها عن احترام الحريات العامة وحمايتها وتعذر ايجاد ســـبيل لاستصلاح الامور على يد الوزارة لتى ترأسونها لم يكن بد من اقالتها تمهيـدا لاقامة حكم صالح يقوم عل يتعرف راى الأمة الخ (٨٠) .

ويبدو من الخطـابين السابقين الى اى حد وصل التناقض فى سياسة القصر ومن المؤكد ان الخطاب الأول والخاص بعودة حكومة ٤ فبراير كان يعكس قدرا كبيرا من الحالة النفسية التى انتابت الملك اثر حصـــــــار

(٧٨) الأهرام ، المصرى ٦ فبراير ١٩٤٢ .
(٧٩) مذكرات كريم ثابت المستشار الصحفى للملك فاروق صـــحيفة الجمهورية ١٩٥٥/٦/٨ .
(٨٠) الأهرام والسياسة ، المصرى الأول من يناير ١٩٣٨ .

الحبابات وبعد ان تأكد الملك أن بقاءه ملكا على مصر كان رهنـــا بعـــودة حكومة الوفد بالاضافة الى أن فاروقا كان فى حاجة الى استرداد أنفاســـه حيث كان يلهث من اثر الصدمة التى بلا شك لم يكن يتوقعها وكان مـــن الضرورى أن يهادن الوفــد ولو لفترة حتى يسترد بعض المواقع الـــتى فقدها اثر هذا الحادث ، من هنا كان خطاب فاروق الى النحاس لا يحمـــل اى اشارة ولو من بعيد الى أن الوفــد قد انتقــد الطريقة الشرعيـــة فى عودته . أمـــا الخطاب الثانى والخاص باقالة الوفــد سنة ١٩٣٧ فقـــد تضمن أحكاما مطلقة تعبر بلا شك عن المشاعر الحقيقية التى تتسم بهـــا العلاقة بين القصر والوفــد وأن النحاس باشا صاحب مبدأ الانتقـــاص من الحقوق الملكية لصالح الحكومة وقد رسخ فى ذهن فاروق أن الوفد بقيـــادة النحاس يخطط الى عزل فاروق وأن خطة الوفد قائمـــة على استراتيجية ثابتة غايتها التخلص من النظام الملكى عموما وكان فاروق دائم الاســـتماع الى مستشاريه من امثال على ماهر واحمد حسنين واللذين تمكنـــا مـــن اقناعه بوجهة النظر السابقة (٨١) .

ولما كانت عودة الوفد فى ٤ فبراير قد قوبلت بردود فعل متفاوتة ليست فى مجملها لصالح الوفد فان طريقة العودة هذه المرة تعد سابقة خطـــيرة لا تتناسب وتاريخ الوفد .

ووفق تطور الاحداث بشكل افقد الكثيرين من الزعماء المقدرة على التفكير الصحيح واتخاذ القرار المناسب الا أن النحاس بحكم علاقته الوطيـــدة بجماهير حزبه قد اراد أن يحدث مناورة سياسية تصحح المعلومات لـــدى الرأى العام والذى بدأ يعرف حقيقة حصار القصر منذ اليوم الثانى على الرغم من أن الصحف لم تتناول هذا الموضوع حيث كانت الأحكام العرفيـــة والرقابة الشديدة على الصحف .

الا أن كلمات الدكتور أحمد ماهر « لقد قبل النحاس الحكم عـــلى أسنة الحراب البريطانية » كانت قد انتشرت وتطايرت وسط جموع الشعب

---

(٨١) مذكرات كريم ثابت المستشار الصحفى للملك فاروق ــ الجمهورية ١٥ يناير ١٩٥٥ .

المصرى : ومن المؤكد أن هذا الشعور قد أزعج النحاس باشا قبــــل أى انسان آخر على اعتبار ان الوفد يستند الى جماهيرية شبه مطلقــة وأن سريان هذا الأثر قد يحدث ردود فعل خطيرة لدى الرأى العام ومن هنـــا فقــــد توصـل النحـــاس باشا الى فكرة ارتضـــاها الطرفان ــ الوفد والسفارة ــ وفى اللقاء الأول بين النحاس ولامبسون ــ مساء ٤ فبراير تــم الاتفاق على تبادل خطابين رسميين بين الوفد والسفارة يبدى النحـــاس اعتراضه على التدخل فى شئون مصر الداخلية وتبدى بريطانيـــا رغبتها فى عدم التدخل فى الشئون المصرية والالتزام بمعاهدة ١٩٣٦ ، ولأهمية هاتين الرسالتين فاننا نذكرهما لأهميتهما فى العلاقات بين الوفد والانجليز ولأنهما دليل واضح على التناقض فى العلاقات المصرية البريطانية .

رسالة النحاس الى السفير البريطانى :

« يا صاحب السعادة لقد كلفت بمهمة تأليف الوزارة ، وقبلت هــذا التكليف الذى صدر من جلالة الملك بمـــا له من الحقـــوق الدستورية ، وليكن مفهوما أن الأساس الذى قبلت عليه هذه المهمة هو انه لا معاهدة ١٩٣٦ ولا مركز مصر كدولة مستقلة ذات سيادة يسمحان للحليفة بالتدخل فى شـــئون مصر الداخلية وبخاصة فى تأليف الوزارات او تغييرها ، واتمنى يا صاحب السعادة أن تتفضلوا بتأييد ما تضمن خطابى هذا من معانى . وبذلك تتوطد صلات الود والاحترام المتبادلين (٨٢) .

وكتب السفير البريطانى ردا على خطاب النحاس باشا بقوله :

« يا صاحب المقام الرفيع : لى الشرف أن أؤيد وجهـة النظـــر التى عبر عنها خطاب رفعتكم وأن أؤكد لرفعتكم أن سياسة الحكومة البريطانية قائمة على تحقيق التعاون باخلاص مع حكومة مصر مستقلة وحليفة فى تنفيـــذ المعاهدة البريطانية المصرية من غير أن نتدخل فى شئون مصر الداخلية ولا فى تأليف الحكومات أو تغييرها الخ (٨٣) .

---

(٨٢) الأهــرام ، المصرى ٧ فبراير ١٩٤٢ .

(٨٣) صحيفة المصرى والأهرام ٧ فبراير ١٩٤٢ .

واعتقد أن هاتين الرسالتين تفتقدين و مجلهما الى الصدق وهما من قبيل الدعاية فقط بهدف تهدئة المشاعر الثائرة . ويبدو ان الشعب المصرى قد ادرك بفطرته حقيقة تلك المناورة ، واذا كان الوفد قد اتفق عليهما مع السفير البريطانى لتبديد الاثر الذى أحاط بمجيء حكومة ٤ فبراير الا أننى اعتقد انها قد احدثت اثرا عكسيا . ولعلها كانت فرصة استغلتها القوى السياسية الاخرى حيث عملت على التشكيك فى صدق هاتين الرسالتين على اعتبار انها مناورة سياسية « مكشوفة » تهدف الى ارضاء الراى العام الثائر ضد الوفد والوجود البريطانى معا(٨٤) .

ووفقا لما أحاط هاتين الرسالتين من ملابسات فاننا نسجل بعض الاعتبارات ؟

اولا : أن هاتين الرسالتين قد تم الاتفاق عليهما بين النحاس باشا واللورد كليرن (لامبسون) فى اللقاء الذى تم بينهما مساء ٤ فبراير وان كان أحد أقطاب الوفد لا ينكر هذا الاتفاق الا انه يعده من منطلق تمسك الوفد بحقوق مصر الوطنية واهمية التأكيد على أن الوفد لا يتولى الحكم الا برغبة الملك وحده وان هذه نقطة لا تؤخذ على الوفد بل تسجل له(٨٥) .

ثانيا : لقد نجحت بريطانيا وحققت رغبتها فى عودة الوفد على اعتبار انه الحزب الشعبى الكبير والقادر على استتباب الأمن واعادة الهدوء الى البلاد حتى تتفرغ الحليفة الى قضيتها الأولى وهى الحرب ؛ فلا مانع لديها من أن تتبادل مع النحاس هاتين الرسالتين تقديرا منها للاثر الذى أحاط بعودة الوفد وحرصا منها على ان يظل الحزب قويا مؤثرا فى المجتمع المصرى .

---

(٨٤) مجلة Middle Easteen Studies عدد يناير ١٩٧٥ لندن . دراسة وثائقية عن ٤ فبراير ١٩٤٢ .

(٨٥) لقاء ع فؤاد سراج الدين فى منزله بجاردن سيتى القاهرة صباح ١٩٨٢/١١/١٢ .

ثالثاً : لقد حرصت بريطانيا على أن تبدو أمام الرأى العام المصرى وكأنها الدولة الحريصة على قضية الديمقراطية وفى نفس الوقت فان عودة الوفد باعتباره الحزب المتمتع بالشعبية الكبرى يعد انتصارا أكيدا للديمقراطية التى يرضاها الشعب المصرى الحليف .

ولكن لماذا فوت الوفد على نفسه فرصة التخلص من الملكية والملك ولاسيما وقد كانت الظروف مواتية فى ظل احداث ٤ فبراير ؟..

من المؤكد أن هذه الفكرة قد راودت زعماء الوفد وخصوصا وأن رسائل الخارجية البريطانية الى سفيرها فى القاهرة قد اشارت الى هذا المعنى (٨٦) ويمكن الاجابة على هذا السؤال من خلال عدة نقاط :-

أولا : على الرغم من الخلافات التى لم تتوقف بين فاروق والوفد منذ اعتلاء فاروق عرش مصر سنة ١٩٣٧ الا ان الوفد لم يكن من سياسته الغاء الملكية أو التفكير فى عزل فاروق (٨٧) . ومن المؤكد أن الوفد لم يكن حريصا على الملكية كمبدأ وانما اعتقادا بأن فاروق يحظى بشعبية من الصعب تجنيب آثارها لدى الرأى العام المصرى وقد يتهم الوفد بأنه ضليع مع الانجليز فى الاتفاق على خلع فاروق . ولقد بنى الوفد سياسته دوما على مبدأ أن العبرة ليست فى النظام الملكى أو الجمهورى وانما الاساس هو الشكل الدستورى الذى من الممكن لو طبق تطبيقا فعليا لجنب البلاد كل الاخطار التى مرت بها (٨٨)..

ثانيا : على ضوء الوثائق البريطانية فان بريطانيا قد فكرت بالفعل فى اقامة نظام جمهورى وحاولت استطلاع وجهة النظر المصرية الا أن هذه الفكرة لم تجد استجابة سواء لدى الوفد أو الرأى العام

---

(٨٦) الملف السرى لحادث ٤ فبراير الاهرام ١٩٧٣/٥/٢٥.
(٨٧) لقاء مع فؤاد سراج الدين فى منزله بجاردن سيتى القاهرة ١٩٨٢/١١/١٢
(٨٨) المصدر السابق .

المصرى (٨٩) . وهذا يدفعنا الى الاعتقاد بأن بريطانيا لم يكن يعنيهـا بأن يكون النظام ملكيا أو جمهوريا وانما كان حرصها بالقدر الذى يمكنها من تحقيق رغباتها ، ويبدو أن بريطانيا قد بدأت تراودها هذه الفكرة ــ الغاء الملكية ــ ابتداء من يناير ١٩٤٢ بعد ان تأكد لها عدم اخـلاص فاروق لقضية الحلفاء الا أن هذه الفكرت ما لبثت أن تلاشت سـواء بسبب رفض الوفد أو لأن تجربتها سنة ١٩١٤ حين اقدمت على عزل الخديو السابق عباس حلمى كانت ماثلة امام أعينها حيث عبر الشعب المصرى عن غضبه فى العديد من المناسبات ولعل محاولة اغتيـال السلطان حسين كامل (والذى نصب سلطانا على مصر بعد خلع الخديوى عباس حلمى) كانت ماثلة امام أعين الانجليز ومن هنا فقد ترددت بريطانيا كثيرا فى محاولة عزل فاروق ولو استطاعت ان تقدم على تلك الفكرة لكانت قد احدثتها الا ان السياسة البريطانية كانت حريصـة وخصوصا فى تلك المرحلة الراهنة على التوفيق بين رغباتها ورغبات الشعب المصرى بالرغم من تجاوزات ٤ فبراير الا انها كانت الضرورة التى تحتم « من وجهة نظرها » الاقدام على مثل هذه التجاوزات .

ثالثا : ووفقا للظروف الموضوعية التى احاطت بالموقف فقد كان من الممكن أن يؤيد الوفد عزل فاروق لو أن هناك بديل مناسب بدلا من الامـير محمد على والذى يفتقد الى قدر من الشعبية بل بالعكس فقد عرف عنه انه دائم التشكيك فى الشعب المصرى وغالبا ما كان يفتخر بعرقة التركى الذى يميزه عن بقية المصريين (٩٠) بالاضافة الى كبر سنه . كل هذه العوامل قد دفعت الوفد الى التمسك بفاروق لكن بشرط ان يبقى رمزا للسلطات وليس مصدرا لها .

وخلاصة القول يمكن أن نسجل بعض الدوافع التى دفعت بريطانيا الى ارتكاب حادث ٤ فبراير فيما يأتى :

---

(٨٩) وثائق الخارجية البريطانية وثيقة رقم ٦١٨ من ايدن الى لامبسون F.O. 371 ٤ فبراير ١٩٤٢

(٩٠) لقاء مع فتحى رضوان فى منزله بمصر الجديدة القاهرة ١٩٨٢/٩/٨

١ ـ رغبة بريطانيا فى قيام حكومة مصرية موالية تكون اكثر اخلاصا لمعاهدة ١٩٣٦ وتتمتع بثقتى بريطانيا والشعب المصرى معا خاصة بعد ان تدهور موقف الحلفاء فى ميادين اوربا والشرق الاقصى والشرق الاوسط

٢ ـ لقد كانت بريطانيا فى ذلك الوقت تفكر فى اعداد خطتها لما بعد الحرب ولما كان اساس هذه الخطة يدور حول احكام سيطرتها على الشرق الاوسط الذى صار مركز الثقل فى السياسة العالمية ولما كانت مصر من اهم بلدان الشرق الاوسط وتضم اكبر قاعدة عسكرية بريطانية فقد كان من الضرورى قيام حكومة موالية لبريطانيا حتى يمكن التعاون على نجاح هذه الخطة .

٣ ـ لما كانت مصر هى اكبر الدول العربية عددا وعدة واكثرها تقدما رات بريطانيا ان قيام حكومة برئاسة النحاس باشا قد يساعد فى قيام شكل من أشكال الوحدة العربية لكى ترتبط فى النهاية مع بريطانيا بصورة او بأخرى .

مسئولية الوفد عن حادث ٤ فبراير :

قبل الحديث عن مسئولية الوفد عن حادث ٤ فبراير ينبغى ان نذكر بعض الملاحظات كمدخل لهذا الموضوع :

اولا : ان قيام الحكم فى الفترة من ١٩٣٨ وحتى ١٩٤٢ لم يتم على اساس من الشرعية الدستورية بل كان ابعاد الوفد عن الحكم ١٩٣٧ يعد تحديا واضحا من القصر نحو مشاعر الجماهير ولعل انتخابات ١٩٣٨ تعد اكثر تحديا لمشاعر الجماهير حيث زيفت ارادة الامة فى تلك الانتخابات (٩١) .

ثانيا : لقد قدرت بريطانيا اهمية عودة الوفد منذ اندلاع الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ومنذ هذا التاريخ وحتى ٤ فبراير ١٩٤٢ مرت العلاقات

---

(٩١) مذكرات حسن يوسف صـ ١٢٠ ، لقاء مع فؤاد سراج الدين ١٩٨٢/١١/١٢ ، لقاء مع فتحى رضوان ١٩٨٢/٩/٨ .

بين بريطانيا والوفد بعدة مراحل اتسمت فى معظمها بالتصادم ويبدو هذا من خلال الدراسة السابقة الا ان ما أقدمت عليه الحكومـــة البريطانية فى ٤ فبراير يعد بداية جديدة وصفت بأنها اقصى ما وصل اليه التفاهم بين الوفد والانجليز (٩٢) .

ثالثا : لقد كان اندلاع الحرب على الجبهة المصرية ودخول ايطاليا طرفا فى هذا الصراع بجانب المــانيا من العوامل التى أدت الى فزع الجماهير المصرية بسبب الانتصارات الكاسحة التى كان يحرزها المحــــور وخصوصا بعد القصف المتكرر على مدينة الاسكندرية والذى راح ضحيته مئات من المصريين وعجزت حكومة حسين سرى عن السيطرة على زمام الموقف فى الوقت الذى اندلعت فيه المظاهرات فى معظـم انحاء المدن المصرية تنادى بسقوط الانجليز وبلغ موقف الحكومة حدا من التدهور بسبب أزمة الخبز حيث أضيف الى قائمة الهتافات التى يرددها الناس فى الشوارع « نريد الخبز قبل الكساء » (٩٣) .

وعجزت الحكومة المصرية عن حل العديد من المشاكل اليومية والتى كان يعانى منها المواطن المصرى . وبســـبب كل ذلك فقد ادركت السياسة البريطانية أن عودة الوفد تعنى استقرار الشارع المصرى ووضع حد لمؤامرات القصر على اعتبار أن عودة الوفد تعنى تهدئة المشاعر الثائرة (٩٤) .

وتأسيسا على هذه الحقائق يمكن القول أن مصطفى النحاس ليس مسئولا عن تصور بريطانيا ورغبتها فى المجىء به فقد بنى الانجليز تصورهم هذا على اعتبار أن عداء الوفد للفاشية والنازية يعتبر من أهم الاسس التى تقوم عليها سياسة الوفد واندفع الانجليز يمدون أيديهم للوفد انطلاقا من

---

(٩٢) مذكرات اللواء ابراهيم امام رئيس البوليس السياسى صــحيفة الجمهورية ١٨ يناير ١٩٥٦ .

(٩٣) مضابط مجلس النوب ــ مجموعة مضابط دور الانعقــاد العـــادى الأول من يناير سنة ١٩٤٢ صـ ١٣٠ .

(٩٤) لقاء مع فؤاد سراج الدين ١٩٨٢/١١/١٢ .

الضيق الشديد بسبب النشاط المالىء للمحور والذى كان القصر يعد بؤرته الاولى وهو ما كان يعرقل نشاط الحلفاء العسكرى او يعرضه للخطر وعلى الرغم من قيام الوفد بالعديد من المؤامرات السياسية والتى سببت قدرا كبيرا من الاحراج لدى الدوائر البريطانية سواء فى مذكرة ابريل ١٩٤٠ أو فى خطبة النحاس باشا فى مدينة الاسكندرية فى صيف ١٩٤١ — الا أن بريطانيا كانت تدرك جيدا ان كل هذه المواقف تعد من باب المناورات السياسية بهدف تمكين الوفد من العودة باعتباره الحزب الحائز على ثقة الجماهير . لهذا الاعتبارات رأت بريطانيا الارتباط بالوفد وهو الذى يعنى من وجهة نظرهم الارتباط بالشعب المصرى كله .

ومجمل القول أن ما حدث فى ٤ فبراير كان مظهرا للصراع بين القصر والوفد فى اطار الصراع العالمى بين الحلفاء والمحور وبالتالى فان قبول الوفد للحكم فى هذه الظروف يعد اسهاما من الوفد فى خدمة الحلفاء .

اما القضية القائلة بحدوث اتصال بين النحاس والانجليز وان النحاس باشا قد تآمر بليل مع الانجليز على ما حدث فى ٤ فبراير وعبر هذا التصور لمقولة خيانة النحاس باشا يقدم خصوم الوفد العديد من الدلائل ولعل الدكتور أحمد ماهر كان أكثر الزعماء السياسيين ادانة للنحاس حيث وجه احتجاجه الشديد على الانذار البريطانى مخاطبا لامبسون : « انكم لا تستطيعون بحال أن تقنعونا بأن النحاس لم يكن على علم بالنيات الخفية وليس من المعقول أن يشكل وزارة وفدية بذلك الالحاح البالغ وبهذا التمسك العنيف من غير أن يكون له يد فى الامر (٩٥) .

ويبدو أن هذا الاعتقاد كان موجودا لدى معظم زعماء المعارضة وكذلك القصر حيث ان الملك فاروق عندما رأى اصرار النحاس على رفض كل اقتراح

---

(٩٥) وثائق الخارجية وثيقة رقم ٢٠٧٦ من كيرك الى الخارجية الامريكية ٢٨ فبراير ١٩٤٢ ، جريدة الكتلة ١٠ نوفمبر ١٩٤٥ ، محمد التابعى مرجع سبق ذكره ص ٢٠٨ .

(٩٦) محمد التابعى . مرجع سبق ذكره ص ٢٠٨ ، الاهرام ١٩٤٥/١١/١٢ محضر اجتماع ٤ فبراير ١٩٤٢ .

لا يتضمن انفراد الوفد بالحكم قال لحسنين باشا « بالانجليزية » من المؤكـد أن النحاس باشا واثق من الارض التى يقف عليها (٩٦) .

وقد عبر الدكتور هيكل عن نفس هذا المعنى حيث يشير فى مذكراته (لقد كان أمين عثمان فى استقبال النحاس باشا فى محطة السكة الحديد عند عودته من الاقصر فى ٣ فبراير .

ثم يتساءل الدكتور هيكل عما اذا كان امين عثمان قد ابلغ النحـــاس رسالة السفير والتى دفعته الى التشدد فى موقفه • وابدى هيكل شكه من أن يكون النحاس على علم بخطة السفارة فى الاقصر . (٩٧)

حتى أن مكرم عبيد والذى كان ما يزال وقت وقـــوع الحادث يمثل الرجل الاول فى الوفد بعـد النحاس باشا ثم انشق عليه بعد الحادث بقليل فقد شنت صحيفة الكتلة حملة ضارية مؤكدة أن النحاس كان على علم بمخططات السفارة واعتمدت فى روايتها على شهادة — زكى ميخائيل بشارة — والذى كـــان وفديا ثم انشق مع مكرم عبيد ، ذكر فيها أنه رأى النحاس فى الاقصر فى يناير ١٩٤٢ وهو يلتقى ببعض كبار الانجليز وعلق مكرم عبيد على هذا الراى من أن النحاس كان بأسوان فى نفس الوقت الذى كان يزور فيه الجنرال ستون — قائد القوات البريطانية فى مصر — أسوان وأن عدة لقـــاءات تمت بينهما . (٩٨) .

أما موقف الحزب الوطنى فقد عبر عنه عبد الرحمن الرافعى بقـــوله : أن مسئولية النحاس باشا تبدأ من يوم أن علم برغبة الانجليز فى اسناد رئاسة الوزارة اليـه وقد كان ولا ريب عالما بهـذه الرغبة قبل يوم ٤ فبراير راضيا عنها بل مغتبطا بها متلهفا على تنفيذها وتدل الظروف والملابســات على أن أمر هذا الانقلاب قد دبر بليل وكان السفير بين الانجليز والوفد هو أمين عثمان الذى كان موضع ثقتهما معا (٩٩) •

---

(٩٧) د . هيكل . مرجع سبق ذكره جـ ٢ صـ ٢٤٢

(٩٨) صحيفة الكتلة ١٣ نوفمبر ١٩٤٥ .

(٩٩) عبد الرحمن الرافعى فى أعقاب الثورة المصرية جـ ٣ صـ ١٠٧

ويشير فتحى رضوان الى العديد من الدلائل التى يفهم منها ان النحاس باشا كان ضليعا فى المؤامرة مع الانجليز (١٠٠) ويقول على ماهر من خلال شهادته فى قضية مقتل امين عثمان : ان العملية كلها دبرت من داخل القطر المصرى وان السفير البريطانى لم يأت بها وحده بل لا بد أن اشترك معه فى تدبيرها بعض المصريين والنحاس باشا لا يمكن أن يشترك فى هذه المسألة بأكملها وجزئياتها وان الذى دبر ذلك من الجانب المصرى هو امين عثمان (١٠١)

أما موقف بقية الاطراف المعادية للوفد فقد كان اتهامها للنحاس قائما على الاستنتاج اذ ليس من المعقول ان يتقدم السفير البريطانى الى القصر يطلب منه استدعاء النحاس وتكليفه بتشكيل الوزارة الا اذا كان هذا متفقا عليه مسبقا بين السفير ومصطفى النحاس ، كان هذا هو منطق عباس العقاد واسماعيل صدقى (١٠٢) .

أما ابراهيم عبد الهادى باشا فقد خرج على هذا الاجماع مؤكدا أن النحاس برىء من كل تلك الاتهامات ووفق اعتقاده فان النحاس باشا كان صادقا ومخلصا وليس من المعقول أن يقدم على هذا العمل الشنيع (١٠٣) .

وعلى ضوء العديد من شهادات خصوم الوفد يلزم أن نتعرف على وجهة النظر الوفدية ثم نتبع ذلك بما نعتقد انه الحقيقة على ضوء الوثائق البريطانية

ويؤكد النحاس باشا فى اكثر من بيان واكثر من مناسبة عدم معرفته بما كان يرتبه الانجليز حيث يقول : يشهد الله أنى لم اسع الى الحكم ولم تكن مظاهرة لتستهوى نفسى ولكنى تقبلته فى ساعة عصيبة تلبية لصوت الضمير وطاعة لامر الملك واجابة لداعى الوطن فلقد كانت المهمة ثقيلة ودقيقة ولكن الحمل يخف مادام هذا لوجه الله والوطن (١٠٤) .

---

(١٠٠) لقاء مع فتحى رضوان فى منزله بمصر الجديدة مساء ١٩٨٢/٨/٩
(١٠١) لطفى عثمان المحاكمة الكبرى فى قضية الاغتيالات السياسية مرجع سبق ذكره ص ١٤٠ ، ١٤٣ ، مجلة المصور ١٣/مارس ١٩٨١
(١٠٢) صحيفة الكتلة « لسان حال حزب الكتلة الوفدية » ٢٣ نوفمبر ١٩٤٥ ، ٣٠ نوفمبر ١٩٤٥ .
(١٠٣) مذكرات ابراهيم باشا عبد الهادى مجلة روز اليوسف ١٩ اغسطس ١٩٨٢ .
(١٠٤) جريدة المصرى ٨ مارس ١٩٤٢ .

وفى محاولة من النحاس باشا لالقاء التبعة على أحزاب الاقلية قال : ان المسئولية تقع على خصوم الوفد لانهم زيفوا ارادة الامة سنة ١٩٣٨ وظلوا يتعاقبون على الحكم ضد ارادة الشعب حتى أوائل فبراير ١٩٤٢ حيث تفاقمت الاحوال واضطربت الامور ولم تكن لى أية صلة بما كان بل كنت فى أسوان خالى الذهن تماما عما يحدث ولما تطورت الاحداث كنت اول الموقعين على رفض التبليغ البريطانى ولما طلب منى الملك تشكيل حكومة ابديت عدم رغبتى بعد أن اتفق رأينا على الاحتجاج ولكن جلالته لم يقبل اعتذارى (١٠٥) .

اما عن شهادة النحاس باشا فى قضية مقتل امين عثمان فقد جاء فيها انا كنا فى الاقصر حين دعيت لمقابلة الملك وكان برنامج زيارتى للصعيد سيستمر لمدة شهرين او ثلاثة الا أن دعوة الملك ادت الى ارتباك فى نظام الرحلة وعدت الى القاهرة واكتشفت انني تركت مفاتيح منزلى وكانت المشكلة هى الحصول بدلة المناسبات « الرد نجوت » التى سأتشرف بمقابلة الملك بها وقام الحسينى زعلوك بجمع الملابس من كل مكان الى أن أعد لى بدلة الرد نجوت (١٠٦) .

ولما كانت قضية أمين عثمان قد تحولت الى قضية سياسة تفجرت فى اطارها مأساة ٤ فبراير فقد حاول النحاس باشا أن يتخذ من هذه المحاكمة ما يقوم دليلا على براءته من تلك التهمة ، ولعل ما ذكره سواء من تركه مفاتيح منزله أو ما كان معدا من برنامج للرحلة سيستمر شهرين او ثلاثة ما يؤكد سواء لهيئة المحكمة أو للرأى العام المصرى خلو ذهن النحاس باشا من اى شكل من أشكال التآمر مع الانجليز على اعتبار انه ليس من المعقول أن يترك الوفد مدينة القاهرة فى رحلة الى الصعيد قد تستمر شهرين أو ثلاثة فى الوقت الذى تحاك فيه مؤامرة بهدف عودة النحاس رئيسا للحكومة .

ويبدو أن التناقض الذى وقعت فيه أحزاب الاقلية قد اتاح للوفد مزيدا من فرص الدفاع عن نفسه حيث يضيف النحاس : لقد اتفقنا على كتابة احتجاج

(١٠٥) الاهرام ١٩٤٥/١١/١٤ — خطبة النحاس باشا فى مناسبة عيد الجهاد الوطنى .

(١٠٦) المصدر السابق ، المصور ١٣ مارس ١٩٧١ دراسة عن سنوات ما قبل الثورة .

ثم عاد الزعماء ليقترحوا من جديد تشكيل حكومة من بين كل الاحزاب ويعلق النحاس باشا على هذا الموقف قائلا : لقد اعترضت على هذا الموقف لان هذا يعد قبولا لرأى لانجليز وتنفيذا لامرهم فقالوا : مادام معنا كلنا لا يعتبر تنفيذا لامرهم . (١٠٧)

وهكذا تمكن النحاس باشا من أن يحمل المعارضة قدرا كبيرا من المسئوليه على اعتبار انهم لا يمانعون فى التدخل البريطانى شريطه ان يكون هذا لصالحهم اما اذا استقل النحاس بتشكيل حكومة وفدية فان هذا من وجهة نظرهم يعد تنفيذا للانذار ويستشهد النحاس باشا برفضه تشكيل الحكومة عندما طلب اليه الملك ذلك وواصل النحاس دفاعه ؟.. لقد طلب منى الملك تشكيل الوزارة فقلت ما هى الظروف التى دعت لتغيير الموقف قال (فاروق) آمرك قلت (النحاس) : لقد تعهدنا انه اذا ما دعى أحدنا الى تأليف الوزارة لا يقبل ولو كان ذلك من جلالة الملك : قال (فاروق) : أنا صاحب الشأن وآمرك وقال أحمد ماهر : ان قبل يكون على أسنة الرماح الانجليزية قات (النحاس) : اخرس انتم الذين جئتم على اسنة الرماح الانجليزية ووصلتم بالبلد الى هذه الحالة (١٠٨) .

ويضيف فؤاد سراج الدين (سكرتير حزب الوفد) قائلا : لم تكن فكرة الوزارة الائتلافية واردة فى سياسة الوفد فلقد جربها النحاس باشا سنة ١٩٢٨ وكانت سببا من أسباب تصدع الوزارة ثم اقالتها بحجة تصدع الائتلاف ولقد كان النحاس صريحا مع الزعماء فى اجتماعه معهم صباح ٤ فبراير حيث القى كل المسئولية على حكومات الأقلية فهى التى أوصلت البلاد الى هذه الحالة من الفوضى ، وبناء على ذلك فلم يكن النحاس على استعداد لكى يشترك مع شخصيات أسهمت فى وقوع هذه الحالة لان وجودهم سيعرقل المهمة ويضيف فؤاد سراج الدين قائلا : ومن الغريب انهم كانوا متقبلين للانذار البريطانى بشرط أن يشتركوا فى الوزارة

---

(١٠٧) لطفى عثمان . مرجع سبق ذكره صـ ٤٠ ــ ٤٥ ، مجلة المصور ٢٠ مارس ١٩٨١ ، لقاء مع فؤاد سراج الدين ١٩٨٢/١١/٨ .

(١٠٨) لطفى عثمان المصدر السابق ، فؤاد سراج الدين المصدر السابق السابق ايضا .

والا يعتبر قبول الحكم خيانة وعلى اسنة الرماح البريطانية وبالرغم من كل هذا فان النحاس باشا قال لهم : اذا قررتم الرفض فسوف أكــون أول الموقعين وبالفعل كان أول الموقعين .

ويؤكد فؤاد سراج الدين أن الوثائق البريطانيـــة التى نشرت أخيرا لا تتضمن أى اتفاق مسبق سواء بين الســفير والنحاس مباشرة أو بواسطة أمين عثمان (١٠٩) .

ووفقا لرأى فؤاد سراج الدين فلو أن النحاس باشا صمم على رفض الوزارة وهو بالفعل كان مصمما على ذلك وخصوصا بعد حصار الدبابات وقال للملك فاروق أنا كنت موافق لكن بعد حصار القصر وحكاية الدبابات أنا أرفض تماما فتوسل اليه الملك وكرر عليه الرجاء وعد النحاس أن يذكر ذلك فى كتاب تشكيل الوزارة حتى يسجل على الملك هذا الرجاء (١١٠)

ويجيب فؤاد سراج الدين بأنه لو رفض النحاس وصمم على الرفض لكانت النتيجة الحتمية هى عزل الملك ولقد اكد السفير ذلك فى مذكراته حيث يقول : لقد شعرت بيأس وخيبة أمل حيث ضاعت منى فرصة اخراج فاروق عن العرش (١١١) ولو أن فاروقا كان قد عزل الا نكون متهمين وقتها بــأن هناك مؤامرة بين النحاس والنجليز ليرفض الاول الحكم حتى يعزل فاروق وكان على النحاس ان يقبل الوزارة وينقذ العرش (١١٢) .

ويؤكد فؤاد سراج الدين أن رحلة الوفد الى الصعيد برئاسة النحاس باشا والتى كان مقــررا لها شــهرين أو ثلاثة بدأت من منتصف ينــاير ١٩٤٢ ما كان لها أن تقــوم فى هذا الوقت بالذات لو أن هناك اتفاقا مــع الانجليز وأن عودة النحاس بهذه السرعة وتركه زوجته ومفاتيح منزله كلتلك الدلائل تؤكد على صــدق ما نقول ، واذا ما نحينا كل الادلة المادية جانبا

---

(١٠٩) فؤاد سراج الدين المصدر السابق لقاء ١٩٨٢/١٢/١١ .

(١١٠) الاهرام ، المصرى ٧ فبراير ١٩٤٢ .

(١١١) كمال عبد الرؤف • مذكرات لورد كلين عن ٤ فبراير ص ١٠١

(١١٢) لقاء مع فؤاد سراج الدين ١٩٨٢/١٢/١١ •

فانَ الدليل العقلى دائماً هو أقوى الأدلة حيث أن الصاق هذه التهمة للوفد من غير النظر للقرائن والملابسات التى اقترنت بالاحداث يعتبر خروجا على بديهيات يقرها العقل ويتقبلها المنطق السليم .

واعتقد ان الوثائق البريطانية لم تحسم تلك القضية الهامة والخطيرة ومن هنا فقد اختلفت وجهات النظر بين الباحثين والمؤرخين كل يدلى بدلوه على قدر اجتهاده فمنهم من يعتقد أن النحاس باشا حين استدعى من الصعيد لم يكن يعلم شيئا عن نية الانجليز وهنا يأتى دور امين عثمان عميل الانجليز المعروف والذى اطلق عليه لورد ويلسون « المفاوض المصرى لحساب السفارة البريطانية وقت الازمات السياسية » ومن المعروف ان أمين عثمان قد التقى بالنحاس باشا اكثر من مرة عقب عودته من الصعيد وانه هو الذى ابلغه تصميم الانجليز على تكليفه بالوزارة ولعل أمين عثمان هو الذى شجع النحاس باشا على تمسكه بفكرة الوزارة الوفدية (١١٤) .

ويعتقد احد المؤرخين اليساريين ان العبرة ليست فى مشاركة النحاس فى الاعداد لحادث ٤ فبراير أو عدم مشاركته لان الهدف كان واضحا وهو ضرب مخططات المحور والعناصر الموالية له فى مصر وذلك فى فترة تتطلب شجاعة خاصة من أى زعيم سياسى (١١٥) فى حين يبدو أن عدم علم النحاس بمخططات الانجليز يعد أكثر ادانة له حيث يبدو انهم واثقون من التزامه فى تنفيذ مطالبهم فى اى وقت يطلب منه هذا والبعض الآخر من المؤرخين المعاصرين قد ترك الخوض فى هذا الموضوع بالرغم من تناوله هذه الفترة بالدراسة (١١٦) وبصدد تحديد مسئولية الوفد عن أحداث ٤ فبراير ١٩٤٢ يلزم أن نناقش أولا تلك المقولة التى تتهم الوفد بأنه كان على اتصال بالانجليز اثناء رحلة النحاس باشا الى الصعيد والتى بدات منذ يناير ١٩٤٢

---

(١١٣) المصدر السابق نفسه .

(١١٤) د . محمد أنيس . ٤ فبراير فى تاريخ مصر السياسى صـ ٩٣

(١١٥) د . رفعت السعيد . تاريخ المنظمات اليسارية فى مصر ١٩٤٠ — ١٩٥٠ . القاهرة ١٩٧٦ صـ ٢٨٠ .

(١١٦) د . يونان لبيب رزق تاريخ الوزارات المصرية . د محمد جمال المسدى وآرون . مصر والحرب العالمية الثانية .

ووفقا للمصادر البريطانية فان السفير البريطاني لم يكن على علم باتجاهات النحاس باشا هل يفضل وزارة وفدية او من الممكن قبوله لفكرة الوزارة القومية وأن الذى اقترح دعوة النحاس لرئاسته الوزارة وإرغام الملك على قبوله هو حسين سرى نفسه والذى قال للسفير « ارغموا الملك على ان يرسل فى طلب الوفد وهو ما توصل اليه السفير بالفعل » (١١٧) ·

وعلى ما يبدو فان الانجليز كانوا يريدون وزارة وفدية منذ نشوب الحرب ولعل هذا كان معروفا للوفد ولاحزاب المعارضة وللقصر ايضا ولم يكن هذا حبا فى الوفد ولا رضاء عن النحاس ، ولكن لاعتقادهم أن حكومات الاقليات السياسية مكروهة من الشعب وهذا لا يكفل هدؤ الجبهة الداخلية فى مصر مما يهدد الخطوط الخلفية لجبهات القتال ومن جانب آخر فقد اعتقدت السياسة البريطانية أن الموقف يقتضى المجيء بالرجل الذى وقع معاهدة ١٩٣٦ ليلتزم بتنفيذها والاهم من هذا لمجابهة الميول المحورية لدى فاروق وبعض وزرائه وكثير من الشخصيات السياسية لقد كانت استقالة حسين سرى (٢ فبراير ١٩٤٢) مدخلا عمليا لوضع حد للصراع القائم بين القصر والانجليز ولذا فقد كان لامبسون فى غاية اليقظة حتى لا يفاجأ بأن فاروقا قد اصدر أمرا بتعيين أحد اتباعه رئيسا للوزارة وبما أن النحاس باشا كان فى الصعيد ولم يحضر الاصباح ٣ فبراير فوفق رواية السفير : « اننى أشك كثيرا فى حكمة اتصالى مباشرة بالنحاس قبل مقابلته للملك ولست اعتقد انه سيكون راغبا فى لقائى فى الوقت الحاضر لأن ذلك قد يحرجه بل قد يمنعه من الذهاب للقاء الملك اذا ما علم أننا ندفعه مقدما للاتفاق معنا (١١٨) .

ومن الواضح أن السفير لم يكن قد توصل بعد الى أى اتفاق مع النحاس ولعل هذا واضحا من حرص السفير على عدم اتصاله بالنحاس مخافة ان يتراجع حتى لايتهم بالاتفاق مع الانجليز .

اما الراى القائل بان الاتصالات كانت قائمة بين السفير والنحاس عن طريق أمين عثمان طوال ازمة قطع العلاقات مع حكومة فيشى (٨ يناير ١٩٤٢) فان برقية السفير الى حكومته صباح ٣ فبراير تنفى هذا الاعتقاد

---

(١١٧) وثائق الخارجية البريطانية برقية من لامبسون الى ايدن F.O. 371 . no. 469.

(١١٨) المصدر السابق من لامبسون الى ايدن ٢ فبراير ١٩٤٢ .

« لقد طلب امين عثمان ان يقابلنى هذ الصباح وكنت قد تجنبت عن عمد لقاءه خلال الاشهر الثلاثة الماضية لامنع اى اساس للشائعات ، أما الآن فقد تغير الموقف تماما وقد أصبح الان من جديد ذا قيمة بوصفه موضع ثقة النحاس كما وافقنى على أنه من الخطأ مقابلة النحاس قبل مقابلته مع الملك وبعثت من خلاله برسالة الى النحاس بأن عليه أن يرفض الاقتراح القائل بتشكيل وزارة انتقالية لكن عليه أن يعرض بكل ما فى وسعه لتشكيل وزارة ائتلافية وهذا من شأنه أن يدعم موقفه بالنسبه للشعب المصرى وبالنسبة الينا (١١٩) .

ومن الواضح وفقا للوثائق البريطانية ان مصطفى النحاس لم يكن بينه وبين الانجليز أى اتصال قبل ٢ فبراير ولعل هذا يهدم تماما أى اعتقاد بأن الرجل قد جاء الى القاهرة صباح ٣ فبراير ولديه علم بالمؤمرة أو أن الانجليز قد اتصلوا به أثناء رحلته الى الصعيد ولا يبقى سوى أن يكون هذا التواطؤ قد حدث فى وقت ما بين صباح ٣ فبراير وبين الساعة التاسعة والنصف من مساء يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ وهى الساعة التى كانت ختام هذا اليوم العاصف .

واعتقد أن أول اتصالات جرت بين السفير البريطانى ومصطفى النحاس كانت صباح ٣ فبراير وكان أمين عثمان هو الواسطة بينهما حيث اتفق الطرفان على رفض الوزارة الائتلافية واتفقت وجهة نظر حسين سرى معو جهة نظرا لنحاس فى أن الحكومة الائتلافية نوع من تضييع الوقت وفرصة لتآمر القصر . وعاد أمين عثمان بعد أول رسالة حملها الى مصطفى النحاس ومعه القرائن الاتية :

١ — النحاس باشا سيرفض عند مقابلته للملك رفضا قاطعا تشكيل وزارة ائتلافية على اعتبار أن الوضع فى البلاد سيىء جدا وأن قيام حكومة ائتلافية ستكون عرضة لمؤامرات القصر .

(١١٩) وثائق الخارجية البريطانية من لامبسون الى ايدن ٣ فبراير ١٩٤٢ . F.O. 371 - No. 40

٢ — ان النحاس باشا سيكون مخلصا لقضية الحلفاء بكل جوارحه فقد عمل ذلك دائما من قبل وسيفعل هذا سواء وجدت المعاهدة ام لم توجد
٣ — يرغب النحاس باشا فى مزيد من الوعود بأن بريطانيا ستظل على مساندتها له ولن تحيد عن ذلك . (١٢٠)

وعلى ما اعتقد فان المساندة التى كان يطمع فيها النحاس لا يمكن أن تكون الا مساندة معنوية تتمثل فى الضغط على الملك فاروق وفى محاولة من النحاس لتقريب الهوة بين القوتين المصارعين — الانجليز والقصر — فقد اعلن انه على استعداد لتخصيص بعض المقاعد لسائر الاحزاب الاخرى ولا مانع من قيام مجلس استشارى يختار أعضاؤه من سائر الاحـــــزاب كرمز للائتلاف (١٢١) .

وعقب اللقاء الذى تم بين فاروق والنحاس صباح ٣ فبراير استوثق كل من الطرفين — الوفد والانجليز — من موقف الاخر حيث رفض النحاس فكرة الوزارة القومية واصر على رفضه وبناء على ذلك قلم السفير باستدعاء احمد حسنين رئيس الديوان واخبره بأنه علم برفض النحاس وطلب اليه ان يرفع الى الملك نصيحه السفير بدعوة النحاس باشا لتأليف الوزارة الوفدية (١٢٢) . الا ان احمد حسنين قد لجأ الى اسلوب المناورة السياسية فى محاولة لكسب مزيد من الوقت حتى يتمكن فاروق من اقناع مصطفى النحاس بالعدول عن موقفه .

ومن هنا فقد بدات الخطوة العملية فى المخطط البريطانى حيث تقدم لامبسون بالانذار البريطانى والذى يتضمن :

اذا لم اعلم قبل الساعة السادسة من مساء اليوم (٤ فبراير) أن النحاس باشا قد دعى لتأليف الوزارة فان جلالة الملك فاروق يجب أن يتحمل ما يترتب على ذلك من نتائج . (١٢٣) .

---

(١٢٠) المصدر السابق وثيقة رقم ٤٦٢ ، ٣ فبراير ١٩٤٢ .
(١٢١) المصدر السابق .
(١٢٢) المصدر السابق وثيقة رقم ٤٦٦ بتاريخ ٣ فبراير ١٩٤٢ .
(١٢٣) المصدر السابق وثيقة رقم ٤٨٢ بتاريخ ٤ فبراير ١٩٤٢ من لامبسون الى ايدن

ومن المؤكد أن النحاس باشا قد ادرك مدى الحرج الذى وقع فيه وفى محاولة من لامبسون لتبديد هذاالا حساس من جانب النحاس فقد حمل أمين عثمان بعض الاقتراحات الى النحاس باشا لكى يتمكن من الرد على الملك فاروق أثناء اجتماعه به فى نفس اليوم ومما يضاعف من مسئولية النحاس « من وجهة نظرنا » أن المبررات التى ساقها النحاس للرد على فاروق (١٢٤) هى نفس المبررات التى حملها امين عثمان والتى اقترحها لامبسون وبخصوص هذه الاقتراحات بعث لامبسون الى حكومته قائلا : لقد اقترحت على النحاس باشا من خلال أمين عثمان ان يرد على الملك اثناء اجتماعه به اليوم بأنه لا علم له بوجود تدخل بريطانى وأن الشخص الوحيد الذى يمكن أن يعين رئيس الوزارة هو الملك وأن الموقف فى البلاد قد بلغ مرحلة خطيرة لانهـــا لا تحكم بواسطة حزب ديمقراطى حقيقى وانه — النحاس — باعتبـــاره ممثلا للاغلبية فلا مانع لديه من قبول رئاسة الحكومة وانقاذ الموقف اذا عهد اليه جلالة الملك بذلك (١٢٥) .

ولعل هذا التطابق الغريب قد يبدد المقولة التى أوردها احد زعمـــاء الوفد والتى تعنى أن امين عثمان لم يكن يعمل لحساب الوفد او بتكليف منه وانما كان يعمل لحساب نفسه فقط (١٢٦) .

وعلى ضوء كل ما تقدم يمكننا أن نسجل بعضا من الاعتبارات ؟

أولا : أن عدم مقابلة لامبسون للنحاس باشا لا يقيم دليلا على عدم وجـــود اتصالات بينهما لان رسولهما فى ذلك كان أمين عثمـــان والذى لعب دورا خطيرا طوال اليومين اللذين سبقا الحادث (٣ ، ٤ فبرايـــر ١٩٤٢) .

ثانيا : وفى محاولة من احد زعماء الوفد لتبديد تلك الاتهامات (١٢٧) فقد ساق فى احدى مبرراته من أن الوثائق البريطانية قد نصت صراحة على عدم

---

(١٢٤) محضر اجتماع ٤ فبراير ١٩٤٢ الاهرام ١٩٤٥/١١/١٢ .

(١٢٥) وثائق الخارجية البريطانية وثيقة ٤٨٢ بتاريخ ٤ فبراير ١٩٤٢ F.O. 371 من لامبسون الى ايدن .

(١٢٦) لقاء مع فؤاد سراج الدين ١٩٨٢/١٢/١١ .

(١٢٧) المصدر السابق .

قيام اى نوع من الاتصالات الشخصية بين النحاس ولامبسون الا اننا نعتقد أن ما ذكره الزعيم الوفدى جاء على ما ذهب « ولا تقربوا الصلاة » من غير أن يكمل بقية الاية حيث أن نص برقية السفير الى حكومته قد وردت على النحو التالى : عندى تحذير واحد وهو أنه لم يحدث فى أى وقت خلال هذه القضية سواء فى تشكيل الوزارة الجديدة أو فى فكـــرة عـزل الملك أن أجـــريته اتصـــالا شخصيـــا مع النحــــاس والنتيجـــة أنه لم يعد متـــاحا فقط للنحـــاس أن ينكر علنـا ـ وهو بالقطـــع سينكر ـ أن لنـــا يدا فى مســاعدته بشىء ، أو أنه ملتزم بشىء ما تجـاهنا ، وليس معنا فى الحقيقـــة ما نلوح به فى وجهه ولو بصفة سرية ، اننى لا أعتبر الرسائل التى تبودلت عن طريق أمين عثمان بمثابة بديل مرض على الاطلاق لان مثل هذه الرسائل ربما لا تكون قد سلمت أو على الاقل قد سلمت فى شكل مخالف تماما لما أرسلت به (١٢٨) تلك هى نص الوثيقة التى يسوقها أحد زعماء الوفد ليقيم بها دليلا على عدم وجود اى نوع من اتصـالات بين الإنجليز والنحاس باشا وعلى الرغم من أنها تنفى وجود اى اتصال شخصى بين النحاس ولامبسون الا أنها تؤكد أن الاتصالات قد تمت عن طريق أمين عثمان والذى كانت تعتبره الدوائر البريطانية المفاوض المصرى لصالح الانجليز .

ثالثا : ومن خلال هذه الدراسة يمكننا القول أن النحاس باشا لم يكن مسئولا مسئولية مطلقة حيث أن الظروف الموضوعية والملابسات التى أحاطت بالقضية قد دفعت الوفد تلقائيا الى التضامن مع الانجليز ، واذا كان هذا التضامن يمثل نقطة التقاء اعتقد أنها جديرة لكى يتضامن الوفد من أجلها وهى تحقيـــق الشرعية الدستورية وأن عودة الوفد تعنى التجسيد الحى لتلك الشرعية باعتبار أن حزب الوفد هو الحـــزب الذى يحظى بالاغلبية البرلمـــانية ، وبالنظر الى ظروف العصر وفهم العلاقات المصرية البريطانية من منطلق معاهدة ١٩٣٦ وما تلا ذلك من قيام الحرب العالمية الثانية والمواقف الصعبة التى كانت تواجهها بريطانيا ووجهة النظر الوفدية التى تعنى أن لتعاون مع الحليفة فى

---

(١٢٨) وثائق الخارجية البريطانية وثيقة رقم ٦٢١ من لامبســـون الى ايدن ٥ فبراير سنة ١٩٤٢ .

F.O. 371

تحققها تعتبر نوعا من الوفاء وتقديرا للمسئولية . اذا نظرنا الى كل هذه الاعتبارات وقيمناها تقييما موضوعيا يبدو انه من الطبيعي جدا أن يتضامن الوفد مع الانجليز طالما أن هذا التضامن يعد فى اطار من الشرعية الدستورية ، واذا ما وضعنا فى الاعتبار أيضا أن كل احزاب الاقلية ما كانت تنكر هذا التضامن لو أنه جاء لمصلحتها .

القضية الهامة والتى اعتبرها لب الموضوع هى حصار قصر عابدين بالدبابات لانها السبب المباشر فى كل ما ترتب على هذا الحادث فوفقا لكل المصادر التى تناولت هذا الموضوع وفى مقدمتها الوثائق البريطانية فلم اجد ما يشير ولو من بعيد الى أن النحاس كان على علم بما يجده مجلس الحرب البريطانى ومن خلال المراسلات التى حملها امين عثمان كواسطة التقاء بين الطرفين المتصارعين — الانجليز والقصر — لم أجد ما يفهم من أن النحاس باشا كان ضليعا فى تلك المؤامرة ولعله كان يتصور أن الموقف سيتف عند حد الضغط المعنوى على الملك فاروق وعند هذا الحد يكون التضامن مع الانجليز أمرا يبدو الى حد كبير قضية عادية ولذا فاننى أعتقد أن المسئول الاول هو السفير البريطانى ثم تتعدد المسئوليات بعد ذلك كل على قدر دوره .

وعلى الرغم من انتهازية الوفد ورغبة الكثير من اعضائه فى الوصول الى الحكم الا ان هناك عدة عوامل موضوعية دفعت الوفد الى مسلكه الذى سلكه فى ٤ فبراير .

١ — العداء التاريخى بين الوفد والقصر ثم تحمس القصر المتزايد للمحور — كان يحدث أثر مضادا داخل دوائر الوفد ويضاعف من حدة الصراع القائم بينهما .

٢ — لم يكن أمام النحاس الا ان يلقى بكل ثقله تجاه الحليفة بسبب علاقة القصر بالمحور فى الوقت الذى يعتقد فيه الوفد أن قضية الحروب التى يدافع من أجلها الحلفاء هى قضية الديمقراطية فى العالم كله والتى هى أساس التضامن بين الوفد والاحتلال .

٣ — لقد اعتمدت كل أحزاب الاقلية على القصر واعتنقت فكرة « الحقوق الدستورية للقصر » والتى كانت تعنى من وجهة نظرهم أن القصر

بملك ويحكم واصبح الوفد هو الهيئة السياسية الوحيدة التى تفتقد معاضدة القصر .

وهو عامل لا يمكن التقليل من شأنه حيث أن قضية الديمقراطية كانت تفسر تفسيرات خاطئة تؤدي فى النهاية الى الاطاحة بحزب الاغلبية ، ومن هنا نفتقد قدر الوفد المقولة القائلة ـــ حرام علينا حلال على غيرنا ومن هنـــا ايضا كان اعتماد الوفد على الانجليز هذا الاعتماد الذى ادى الى نتـــائج خطيرة ليس على سياسية الوفد وشعبيته فقط وانما على تاريخ مصر السياسى عموما .

الفصل الثالث

سياسة حكومة ٤ فبراير

- اعــادة الانتخابات البرلــمانية
= سياسة الوفد تجاه بريطانيا عقب ٤ فبراير
= اســــتبداد الاغلبيـــــــة

= اعادة الانتخابات البرلمـــانية

لقد كان السؤال الوحيد الذى وجهه تشرشل لأنتونى ايدن فى اجتماع حكومة الحزب عند نظر موضوع تكليف النحاس بتولى الوزارة : هل سيؤدى ذلك الى انتخابات جديدة ؟ وكانت لندن لا ترى ضرورة من اجراء الانتخابات الجديدة فى ظل الجو السياسى المضطرب وفى جو عسكرى يميل ميزانـــه لصالح الالمــــــان (١) .

الا أن النحاس باشا على ما يبدو قد استطاع أن يقنع الدوائـــــر البريطانية بأهمية اعادة الانتخابات البرلمـــانية على اعتبار أن الوفد لم يعط ثقته للبرلمـــان القائم منذ انتخابات سنة ١٩٣٨ والتى قاطعها الوفد والنتيجة المنطقية أن حكومة الوفد لا يمكنها ان تمارس سياستها فى ظـــل برلمـــان يميل فى سياستة الى احزاب الاقلية وقد تحدث عملية سحب الثقة من الحكومة وهذا أمر يضاعف من حرج الوفد الوفد ويقلل من هيبته ويفقده الشرعية فى البقاء وعلى ضوء كل ذلك فقد وافقت وزارة الخارجية البريطانية وعبرت عن وجهة نظرها بأن هذا الاجراء يدعو للاسف ولكن لا بد لنا من احتماله والانتخابات التى يجريهـــا الوفـــد أقل تزويــــــرا من الانتخابات التى يجريها خصومه (٢) .

وهناك دلائل تشير الى أن الحكومة البريطانية كانت تود أن يترك الوفد عددا من المقاعد البرلمـــانية لاحزاب المعارضة وهى بذلك ترمى الى غرضين أولهما : حتى لا تترك الساحة خالية أمام الوفد وبذلك تكون بريطانيا قد القت بكل أوراقها فى جبهة واحدة وهو أمر لا تضمن عواقبه ، ثانيا : لقـــد ارادت بريطانيا أن يظل الباب مفتوحا أمام احزاب المعارضة حتى لا تتعرض المصالح البريطانية لهجمات المعارضة والقصر معا ولقـــد عبر ايدن عن هذا المعنى بقوله : اننا لا نستطيع أن نقترح تزوير الانتخابات ولكننا نطالب بتخصيص عدد من المقاعد فى مجلس النواب للمعارضة أى لا يرشح الوفد أحدا من أعضائه فى تلك الدوائر وهذا يعد أفضل طريقة حيث لا يستطيع الوفد اثارة نشاط سياسى فى البلاد اذا اقتصر البرلمان على الوفديين وهـــذا يضاعف من قوة خصوم الوفد فى البلاد (٢) .

---

(١) محسن محمد « التاريخ السرى لمصر القاهرة ١٩٧٩ ص ٢٦٨ .
(٢) المرجع السابق .

ومن المؤكد أن حرص بريطانيا على قيام معارضة من نوع ما لم يكن خدمة لقضية الديمقراطية فى مصر بقدر ما كانت تحرص عليه من استقرار الاوضاع وهو ما كانت ترمى اليه من وراء أحداث ٤ فبراير ١٩٤٢ .

وعلى ضوء هذا المعنى بدأت عدة اتصالات مع حزب الاحرار الدستوريين وكان مكرم عبيد هو واسطة الاتصال (٣) الا أن النحاس قد اشترط قبل الاتفاق على عدد المقاعد التى سوف تترك خالية للاحرار الدستوريين أن يعلنوا أن مصطفى النحاس قد أدى خدمة جليلة للعرش وللبلاد بقبوله الوزارة فى ٤ فبراير وهذا ما رفضه الاحرار الدستوريون رفضا قاطعا (٥) .

ولما كانت هذه الاتصالات تتم من غير علم الهيئة العامة للحزب ولم يكن هناك تفويض لاجراء مثل تلك الاتصالات فقد اجتمعت هيئة الحزب واتفق الاعضاء على الدخول فى مفاوضات مع الوفد بشرط أن تترك للمعارضة ثلث مقاعد النواب بلا اى مناقشة من الوفد (٦) .

الا أن النحاس باشا لقد رفض هذا الاقتراح حرصا على بقاء الاغلبية المطلقة للوفد وحتى لاتثار احداث ٤ فبراير فى البرلمان . وعاد الاحرار الدستوريون ليقترحوا رفع الاحكام العرفية أثناء الانتخابات ليقول المرشحون ماشاءوا وضربوا مثلا بما حدث فى ٤ فبراير مما جعل النحاس يصر على رفضه الا أن الدكتور هيكل قد أراد أن يسجل على الوفد هذا الموقف فأرسل الى رئيس الوزراء كتابا يطلب اليه فيه التصريح بحرية الخطابة والنشر والاجتماع خلال فترة الانتخابات (٧) . الا أن كل هذه المحاولات قد باءت بالفشل حيث رفض النحاس رفضا قاطعا متهما احزاب الاقلية

---

(٣) وثائق الخارجية البريطانية وثيقة رقم ٣١٥٦ من ايدن الى لامبسون F.O. 371

(٤) أخبار اليوم الاول من نوفمبر ١٩٤٥ ، الكتلة الوفدية ٤ فبراير ١٩٤٥

(٥) مذكرات ابراهيم عبد الهادى مجلة روز اليوسف ٩ أغسطس ١٩٨٢، آخر ساعة أول اكتوبر ١٩٤٥ .

(٦) مذكرات ابراهيم عبد الهادى المصدر السابق .

(٧) صحيفة السياسة ٢ ديسمبر ١٩٤٥ نص كتاب الدكتور هيكل الى مصطفى النحاس ، المصرى ٢٣ فبراير ١٩٤٥ .

بمحاولة ايقاظ الفتنة ، وتجديد الازمة والتحريض على الاخلال بالنظـــام وتعكير الامن العام ويضيف النحاس قائلا : تطلبون وقف الاحكام العـرفية والرقابة الصحفية لتهيىء لكم الحكومة بايديها جوا تفرخ فيه الدسيسة وتشب الفتنة ويمهد السبيل للكارثة التى لها تعلمون ؟ فهل تحسبون انكم توقعوننا فى الحرج وتلزموننا الحجة بذلك العبث المفضوح ؟ اننا لو حققنا لكم غرضكم باجابتكم ما تطلبون ؟ اننا اذن شركاؤهم وزملاؤكم فى العبث (٨) .

وهكـذا لم تحقق تلك الاتصـالات اى نوع من التفاهم مما اضطر الدستوريون الى الاعلان عن مقاطعة الانتخابات . ولعل هـذا الموقف من الدستوريين كان يحمل قدرا كبيرا من التناقض فلم يكن موقفهم نابعا من مبدأ أو فلسفة فهم مستعدون لدخول الانتخابات بشرط الاتفاق على الدوائر الانتخابية أو رفع الاحكام العربية ، متناسين تماما انتخابات ١٩٣٨ وأن الوفد قـد طلب منهم التفاهم ضمانا لحيدة الانتخابات (٩) . الا انهم قـد رفضـوا أن يكون للوفد أى وجود فى البرلمان ولذا فقد أجمع أصـدقاء المعارضة بأنها كانت انتخابات مزيفة صادرت رأى الشعب وجردته مـن هويته سواء فيما يتعلق بتعديل الدوائر الانتخابية لصالح احزاب الاقلية او فى نقل رجال الادارة بما يتفق وأحزاب الاقلية (١٠) .

أما عن موقف حزب السعديين . فلم يختلف كثيرا عن موقف الدستوريين حيث بادر الدكتور احمد ماهر رئيس الحزب بارسال خطاب الى النحاس يطلب اليه فيه رفع الاحكام العرفية بما يتفق وحرية الانتخابات على اعتبار أن هذا مطلبا طبيعيا اتفقت عليه كل الامم (١١) . وحمل رد النحاس باشا على خطاب الدكتور أحمد ماهر الرفض القاطع على اعتبار أن الحرية التى تعنيها المعارضة هى العبث الضار بأمن الوطن وسلامة الدولة (١٢) .

---

(٨) صحيفة المصرى ٢٣ فبراير ١٩٤٢ . نص كتـاب مصطفى النحاس الى هيكـل باشا .

(٩) صحيفة السياسة الاول من فبراير ١٩٣٨ .

(١٠) مجلة آخر ساعة ٢٢ فبراير ١٩٤٢ ، المصرى ١٥ فبراير ١٩٣٨ .

(١١) صحيفة المصرى ٣ فبراير نص خطاب الدكتور احمد ماهـر الى النحاس باشا .

(١٢) المصرى ، السياسة ، الاهرام ٢٣ فبراير ١٩٤٢ نص خطـاب النحاس الى الدكتور احمد ماهر .

وأصدر الاحرار الدستوريون والسعديون قرارا بمقاطعة الانتخابات ولعل غرضهم من وراء ذلك هو المزيد من احراج حكومة الوفد وتبـــــريرا لموقفهم الذى ارتضوه من احداث ٤ فبراير ٠

والجدير بالذكر أن موضوع الانتخابات ومنذ صبيحة يوم ٥ فبرايــــر كان الشغل الشاغل للاحزاب المصرية التى تعودت أن نعطى لموضـــــوع الانتخابات الاولوية على غيره من الموضوعات الهامة والخطيرة حتى فيما يتعلق بالقضايا المصرية كقضية الاستقلال والتحرير ٠ وقد كان الاستعمار ورجاله قد تعودوا على أن يشغلوا الاحزاب المصرية بفكرة الانتخابات لينشغلوا بها عما عداها من الامور بالغة الخطورة حدث هذا فى عام ١٩٢٣ عندما رأت بريطانيا تصفية ثورة ١٩١٩ وحدث هذا عندما التأمت الاحـــزاب بعد « نصدع » فى نوفمبر ١٩٢٥ وحدث هذا أيضا لامتصاص ثورة الشعب المصرى سنة ١٩٣٦ ثم هذا ما حدث بالضبط عقب ٤ فبراير ١٩٤٢ ٠

وبالرغم من أن بريطانيا كانت حريصة هذه المرة على ارجاء عمليـــة الانتخابات نظرا لتدهور الاوضاع العسكرية على الجبهة المصرية الا انها تدرت فى النهاية أهمية الانتخابات كوسيلة لانصراف الشعب عن التدخــل المهين الذى اهان كرامة مصر وهز من كبريائها واستقلالها بهدف أن تنشغل الاحزاب المصرية بمعارك جانبية ٠

واعتقد أن انتخابات ١٩٤٢ قد شهدت أكبر مهزلة فى تاريخ الانتخابات البرلمانيـــة حيث تسابق الناس فى اظهار وفديتهم حتى أولئك الذين أوقفوا جهودهم للنيل من الوفد وتجريح زعمائه ، سرعان ما تحولوا بقدرة عجيبة وغريبة الى مناصرة الوفد ومحاولة التقرب الى زعمائه بكل الوسائل المكنة بما فيها اراقة مياه وجوههم (١٣) ٠ وسرعان ماامتلأ النادى السعدى بمرضى السياسة وهواة الانتخابات وخلت أندية الاحزاب الاخرى الا من أعضـــاء مجالس ادارتها بل ان الكثيرين من أعضاء مجالس الادارات لم يكونوا — فى كل حزب — وحدة واحدة بل كانوا منقسمين على أنفسهم بعضهم يدعو الى التقرب من الوفد للحصول على نسبة محترمة من المقاعد وبعضـــهم يرفض هذه « الصدقة » من الوفد ويصر على الانتخابات حرصا على كرامة الحزب (١٤) ٠

---

(١٣) فتحى رضوان — لقاء شخصى ١٩٨٢/٨/٩ ٠

(١٤) مجلة روز اليو سف ٩ أغسطس ١٩٨٢ ، مذكرات ابراهيم عبد الهادى

وعلى الرغم من اتفاق الدرستوريين والسعديين على مقاطعة الانتخابات الا أن مواقف كلامن الحزبين لم تكن أبدا متفقة حيث أن بعض قادة الاحرار الدستوريين قد حاولوا الاتفاق مع الوفد من وراء ظهر حلفائهم السعديين كرد على اتفاق أحمد ماهر من وراء ظهر الدستوريين ولكن قادة آخرين من الاحرار الدستوريين أصروا على الاتفاق مع السعديين فيما يتعلق بموقفهم من الانتخابات ذلك لان اختلاف الحزبين المعارضين يضعفهما معا واتفاقهما يكتب لهما القوة وبالرغم من قرار المقاطعة الذى اتخذه الحزبان المعارضان الا أن عدد المرشحين من الحزبين قد زاد على المائة كان منهم من حارب الوفد يوم أن كانت محاربة الوفد جواز المرور الى السلطان (١٥) .

وكان من بين الذين خرجوا على قرار حزبهم بمقاطعة الانتخابات من السعديين ـ على أيوب ومن الدستوريين عبد المجيد ابراهيم باشا ورشوان محفوظ باشا وعبد الجليل أبو سمرة باشا وسيدر خشبة باشا وقد علق الدكتور احمد ماهر بأن حزبه لن يتخذ أى اجراء ضد من يرشح نفسه (١٦) رغم أن قرار مقاطعة الانتخابات كان باجماع أعضاء الهيئة السعدية .

أما الدكتور هيكل زعيم الدرسنوريين فقد صرح بأن قرار حزبه بمقاطعة الانتخابات لم يكن بالاجماع بل كان بالاغلبية وكل من رشح نفسه من الاحرار الدستوريين له مكانته فى الحزب وله رأيه أيضا (١٧) .

ولقد اختلف موقف بعض القوى الاخرى ذات التاثير الفعال فى المجتمع المصرى ومنها جماعة الاخون المسلمين والتى اكدت من خلال مبادئها على مبدأ الشورى فى الاسلام ولكنها اعترضت على الشكليات الفارغة والتقليدية والتى جربتها الاحزاب السياسية فى مصر خلال عشرين عاما ولم يترتب عليها الا الفرقة والخوف ، وتساءل الشيخ حسن البنا هل البلاد التى ليس فيها احزاب ليست بلادا دستورية نيابية (١٨) .

---

(١٥) مجلة المصور ١٩٨١/٥/١٥ دراسة عن سنوات ما قبل الثورة .
(١٦) صحيفة السياسة الاول من مارس ١٩٤٢ .
(١٧) نفس الاصدر السابق .
(١٨) مجلة النذير يناير ١٩٣٩ مقال تحت عنوان « الدستور » « والقرآن » بقلم حسن البنا .

وعلى الرغم من موقف حسن البنا من فكرة الاحزاب وعدم ايمانه بمبدأ الحزبية الا أنه قد نزل على رغبة الجماعة وقرر ترشيح نفسه فى الانتخابات لكن ليس من خلال حزب وانما من خلال الدعوة الى اصلاح المجتمـــع بتطبيق مبادىء الشريعة الاسلامية ومن المؤكد أن هذا الموقف الاستراتيجى الجديد قد أزعج النحاس باشا مما اضطره الى استدعاء حسن البنا حيث طلب منه العدول عن فكرة الانتخابات بشروط وعد الوفد بتنفيذها ومن بين هذه الشروط اهتمام حكومة الوفد بمشروع فرض الزكاة ومشروع تحسين الصحة والغاء الدعارة (١٩) .

ويبدو أن قرار الشيخ حسن البنا بالعدول عن فكرة الانتخابات كان صدمة لاعضاء جماعة الاخوان ومن المؤكد أن حسن البنا قد عدل عن فكرة ترشيح نفســـة بعد أن اتخذ معة النحاس سياسة الترهيب قبل الترغيب حيث يشير أحد تقارير الامن العام الى ان النحاس قد هدد باتخاذ اجراءت قاسية ضد الاخوان ولمـــا استوضح الشيخ البنا عن تلك الاجراءات : قال النحاس : انها حل جماعة الاخـــوان ونفى زعمائها خارج القطر وتلك هى رغبة هـــؤلاء الناس ــ بقصد الانجليز ــ فوافق البنا على التنازل لا خوفا من النفى ولكن حرصا على قيام الجماعة واستمرارها وذهب الشيخ البنا وقدم التنازل بعد أن أخذ وعدا بعدم التعرض لاعضاء الجماعةأو لنشاطاتهم وعدم مراقبتها أو التضييق عليها ووعده النحاس بذلك (٢٠) .

وأعتقد أن النحاس قد قرر خطورة أن يرشح الشيخ البنا نفسة من خلال الدعوة لمبادىء الشريعة الاسلامية حيث سيضاعف من احراج حكومة الوفد بالاضافة الى ما عرف عن الشيخ البنا من صراحة فى القول ستؤدى بلا شك الى زعزعة ثقة الجماهير فى حكومة الوفد لهذا كان موقف النحاس ومساومتة للشيخ حسن البنا وقد لخص البنا أسباب تنازله فيما يأتى ؟

١ ــ الحرص على قيام الجماعة فى مختلف البلاد .

٢ ــ كسب ثقة النحاس باشا بوصفة رئيس الحكومة وزعيم الاغلبية

---

(١٩) الاخوان المسلمون ١٩٤٢/٢/٩ .

(٢٠) من تقارير الامن العام التى تسجل حركات خصوم الوفد عقب ٤ فبراير « بوليس سرى ١٠٤ » محفظة ٣٨ .

٣ – عدم الاطمئنان الى نتيجة الانتخابات خوفا من التلاعب واستغلال خصومهم ذلك لتشوية سمعتهم (٢١) .

وعلى الرغم من أن السعديين والدستوريين بالاضافة الى الاخوان المسلمين قد قرروا جميعا مقاطعة الانتخابات الا أن حكومة الوفد خشيت أن يكون من بين المستقلين من ينافس مرشحيها وقد يفوز عليهم لذلك لجأت الى تعديل الدوائر الانتخابية تعديلا يلائم أهواء أنصارها (٢٢) .

ويعترف الدكتور هيكل بأن تعديل الدوائر الانتخابية من الوسائل التى لجأت اليها الوزارات المختلفة متذرعة بحجة أو بأخرى وغايتها الحقيقية « اغلاق » الدوائر على مرشح بذاته (٢٣) .

ويؤكد أحد زعماء الوفد أن ما قامت به الحكومة لا يعنى تعديل الدوائر الانتخابية وانما يعنى اعادة الدوائر الى ما كانت عليه قبل انتخابات ١٩٣٨ حيث لجأت حكومة محمد محمود الى تمزيق الدوائر الانتخابية أو اضافة بعضها الى بعض بما لا يتفق والحدود الجغرافية والتوزيعات السكانية للاقاليم وكان هدف حكومة محمد محمود هو توزيع الدوائر على الاصدقاء والمحاسيب (٢٤) .

وانصافا للحق فان وزارة محمد محمود والتى أجرت انتخابات سنة ١٩٣٨ قد زيفت ارادة الامة عن طريق العديد من الاجراءات ويعترف الدكتور هيكل بأن ما أقدمت عليه الحكومة سنة ١٩٣٨ كان مما لا يسيغ العقل اقراره لبعد البلد الذى يراد اضافته لدائرة أخرى أو لان السلخ أو الضم يجعل شكل الدئرة غير مقبول جغرافيا وهذا يدل على ان أحزابنا وهيئاتنا السياسية لا تفرق بين الاعتبارات القومية والمصالح الحزبية (٢٥) .

---

(٢١) المصدر السابق .

(٢٢) مضابط مجلس الشيوخ مجموعة مضابط دور الانعقاد العادى السابع عشر ١٢ مايو ١٩٤٢ ص ٤٠٨ .

(٢٣) د . هيكل مرجع سبق ذكره جـ ٢ ص ٢٥٢ .

(٢٤) لقاء مع فؤاد سراج الدين ٨ ، ١٩٨٢/١١/١٢ ، صحيفة المصرى ١٧ فبراير ١٩٤٢ .

(٢٥) د . هيكل مرجع سبق ذكره جـ ٢ ص ٧٤ ، ٧٥ .

ولم تقتصر حكومة محمد محمود ١٩٣٨ على تعديل الدوائر فقط بل لجأت الى اجراء الانتخابات على مرحلتين الوجه القبلى فى يوم والوجه البحرى بعد ثمان وأربعين ساعة ويعترف الدكتور هيكل أيضا بأن المحافظة على الأمن والنظام كانت الحجة الرسمية لتسويغ اجراء الانتخابات فى يومين بدلا من اجرائها فى يوم واحد ، ولعل محمد محمود كان أكثر اطمئنانا الى الوجه القبلى فاذا جرت فيه الانتخابات وظهرت نتيجتها وكانت الاغلبية الكبرى فيها لانصار الحكومة أثر ذلك فى مجرى الانتخابات فى الوجه البحرى تأثيرا كبيرا (٢٦) .

واذا كان تعديل بعض الدوائر الانتخابية له ما يبرره من وجهة النظر الوفدية الا أن ما اقدمت عليه حكومة الوفد من فصل بعض العمد والمشايخ الذين يؤازرون خصومها وتعيين العمد والمشايخ الذين يناصرونها ، هذا الاجراء لا يتفق ومبدأ الديمقراطية التى يزعم الوفد أنه ما جاء الى الحكم الا من أجلها ، وتشير مضابط مجلس النواب الى انه قد تم فصل سبعة عشر عمدة من مركز اسنا وحده (٢٧) . ويبدو أن هذا الاجراء قد أثار ردود فعل متباينة مما أضطر أحد أعضاء مجلس النواب الى أن يتقدم باستجواب أجابت عليه الحكومة مستندة الى المادة الخامسة من الامر العالى الصادر فى ١٦ مارس ١٨٨٥ والتى أجازت رفت العمد والمشايخ بقرار من وزير الداخلية وانها لم تعلق هذا الحق على اجراءات أو بواعث بل تركت ذلك لمجرد تقدير الوزارة التى ليست مكلفة بأن تدون الباعث على الرفت فى قرارها (٢٨) ، وكان هذا الرأى فى صراحته قاطعا بأن رفت العمد من أخص خصائص السلطة التنفيذية التى ليست مسئولة أمام البرلمان الا فيما يتعلق بالامن العام أو مخالفة للاوضاع التى تقرها القوانين وثم خطوة أخرى كان لها أكبر الاثر فى الحركة الانتخابية وكانت موضع عناية الوزارة وهى رؤساء اللجان التى تتولى الاشراف على عملية الانتخابات والتى اختارتهم من الموظفين أنصارها (٢٩) ، حيث أن رؤساء اللجان هم الذين يقضى اليهم الناخبون

---

(٢٦) المصدر السابق ص ٧٠ ، ٧١ .

(٢٧) مضابط مجلس النواب — الجلسة الثانية والعشرون ٨ ابريل ١٩٤٣ ص ٩٤٠ — ٩٥٢ .

(٢٨) المصدر السابق .

(٢٩) مضابط مجلس الشيوخ — دور الانعقاد السابع عشر ١٣ يونيه ١٩٤٢ ص ٣٣٧. ، د . هيكل مرجع سبق ذكره ص ٢٥٣ .

الذين لا يعرفون القراءة والكتابة وهؤلاء يكادون يبلغون السبعين فى المائة من مجموع الناخبين (٣٠) ٠

ونشرت جريدة التيمز مقالا علقت فيه على انتصار الوفد فى الانتخابات فقالت ان مما ساعد الوفديين أن الحزبين الرئيسيين اللذين يعارضان الوفد وهما الحزب السعدى والاحرار الدستوريين قررا عدم الاشتراك فى الانتخابات ولو فرض وقرر الحزبان دخول معركة الانتخابات فانهما كانا لا يستطيعان الفوز بعدد من المقاعد يزيد كثيرا على ما نالته المعارضة الآن ٠ وقد حرم الحزبان من أى تأييد واسع النطاق من جانب الشعب المصرى بسبب اتحادهما فى سلسلة من الوزارات كانت لا تمثل أكثر من اقلية يسيرة ، بل لسبب اهم من ذلك وهو فشل لسلطات المصرية فى العهود السابقة فى حل مشاكل أجور العمال ومسألة التموين ويبدو أن الصعوبات التى تواجه حكومة النحاس باشا اقتصادية أكثر منها سياسة وقد يضطر الوفديون الى اتخاذ قرارات حماسية لتقريب الهوة الكبيرة بين الطبقات الاجتماعية فى مصر (٣١) ٠

وكذلك أجريت انتخابات أعضاء مجلس الشيوخ فى الدوائر التى خرج أعضــاؤها بالقرعة فى مارس ١٩٤١ بمناسبة التجديد النصفى للمجلس فأسفرت أيضا عن اغلبية وفدية كبرى (٣٢) ٠

واستصدرت الوزارة ومرسوما فى ٢٢ فبراير ١٩٤٢ بابطال مرسوم ٢٤ مارس ١٩٤١ الصادر فى عهد وزارة حسين سرى فيما قضى به من تعين أعضاء لمجلس الشيوخ خلفا للاعضاء المعينين الذين خرجوا بالقرعة وكانت حجة الحكومة فى اسقاط عضوية أعضاء الشيوخ أن تعيينهم كان يجب الا يحدث الا بعد اجراء الانتخابات فى الدوائر التى خرج أعضاؤها بالقرعة فى التجديد النصفى (٣٣) ٠

وعينت الوزارة بدلا من الذين أبطلت تعيينهم شيوخا ، آخرين معظمهم من الوفديين أو من الذين عرفوا بصداقة الوفد . وافتتح البرلمان بمجلسيه

---

(٣٠) مضابط مجلس النواب الجلسة الثانية والعشرون ١٨ ابريل سنة ١٩٤٣ ص ٩٦٠ .

(٣٢) عبد الرحمن الرافعى ، مرجع سبق ذكره حـ ٣ ص ١٠٩ .

(٣٣) جريدة المصرى ٢٣ فبراير ١٩٤٢ ، الرافعى . مرجع سبق ذكره حـ ٣ ص ١٠٩ .

(النواب والشيوخ) يوم الاثنين ٣٠ مارس ١٩٤٢ والقى النحاس خطبة العرش والتى خلت تماما من الظروف والملابسات التى احاطت بتشكيل وزارة ٤ فبراير (٣٤) . وهكذا أسدل ستار كثيف على مسرح السياسة المصرية حول أحداث ٤ فبراير فلم يسمح لاحد بمناقشته أو التعرض اليه ، فالصحافة نظرا لقيام الاحكام العرفية لم تذكر شيئا على الاطلاق سوى الامر الملكى بدعوة مصطفى النحاس لتاليف الوزارة ولما قدم أحد أعضاء مجلس الشيوخ استجوابا عن الظروف والملابسات التى ادت الى تاليف الوزارة ثارت ضده ضجة من الشيوخ الوفديين فى المجلس فقبر الاستجواب فى الحال (٣) . حيث دفعت الحكومة بعدم جواز مناقشة لاعتبارات متصلة بالدستور وبامتيازات العرش وحين زج بالعرش فى المناقشة قال مقدم الاستجواب : انا لا اريد أن أنعرض لهذا الحق لأنه حق مسلم به ولكن اريد أ نأتعرض لصحة الاختيار وهل كان هذا الاختيار حرا صحيحا — أم ان هناك ضغوطا قد وقعت هذا هو موضوع الاستجواب .

وقد أثار ذلك ضجة من مقاعد الوفديين قال على أثرة رئيس المجلس « ان قولك هذا يعتبر ماسا بالعرش ومخالفا لنص الوستور ولا أسمح بالاستمرار فيه » (٣٥) .

ويبدو أن الحكومة قد أغلقت كل المنافذ التى من الممكن أنيثار من خلالها حادث ٤ فبراير فعلى الرغم من أن موضوع الاستجواب قد اثير داخل مجلس الشيوخ وهى الهيئة النيابية الوحيدة الكفيلة بحماية نوابها من ديكتاتورية الاغلبية الا أن هذا الحق قد سلب أيضا من الاعضاء وحرصا من الحكومة على عدم تداول هذا الموضوع لدى المعارضة فقد صدر امر عسكرى فى ٢٤ أكتوبر ١٩٤٢ بتشديد العقوبة المنصوص عليها فى المرسوم بقانون رقم ٢٢ لسنة ١٩٢٩ والتى جعلت عقوبة الحبس اجبارية لمن يحرض الطلبة على القيام بالمظاهرات أو تاليف لجان أو جماعات

---

(٣٤) مضابط مجلس لشيوخ — الهيئة النيابة الثامنة — دور الانعقاد ١٩٩ قدم الاستجواب محمود غالب .

(٣٥) المصدر السابق — الجلسة الخامسة عشر ٢٩ ابريل ١٩٤٢ ص العادى السابع عشر جلس ٣٠ مارس ١٩٤٢ ص ١٤٠ — ١٤٨ .

أو الاشتراك بأية طريقة فى تحرير أو توقيع أو طبع أو نشر أو توزيع محاضرات سياسية أو اجتماعات موجهة الى السلطات بشأن مسائل أو أمور ذات صبغة سياسية أو الامتناع عن تلقى الدروس أو مغادرة معاهد التعليم أو الانقطاع عنها (٣٦) .

وعلى الرغم من قرار مقاطعة الانتخابات والذى تم بالتضامن بين حزبى الدستوريين والسعديين الا أن الدكتور هيكل زعيم الدستوريين قد خرج على هذا الاتفاق وقبل التعيين فى مجلس الشيوخ على اعتبار أن الحزبية ليست اشخاصا وانما هى فكرة وعقيدة وما دام رجال الحزب متمسكين بالفكرة التى انشى من أجلها فان خروج فرد أو أفراد على قرار من للقرارات لا يعتبر خروجا من الحزب أو خروجا على فكرته فليس من الضرورى أن يكون جميع رجال الحزب الواحد متفقين على رأى واحد فى كل مسألة من مسائل بل ان حرية الرأى هى أول مظهر من مظاهر قيام الاحزاب ، وأهم ميزة من ميزات الحياة الديمقراطية ويواصل الدكتور هيكل الدفاع عن مواقفه قائلا : « ان نظريتنا فى قبول تعين الوزارة القائمة لنا عضوا فى مجلس الشيوخ هى أن وزارة سرى اصدرت فى ٢٧ مارس ١٩٤١ ، مرسوما بتعين ٢٩ عضوا فى مجلس الشيوخ على أن تبدأ مدة عضويتهم فى ٨ مايو من تلك السنة وقد أقر مجلس الشيوخ عضوية كل من هؤلاء المعينين بعد عرضهم واحدا واحدا على لجنة الطعون فاصبح حق فصل هؤلاء من حق المجلس بمقتضى المادة ٩٥ من الدستور وليس من حق الوزارة فاذا كانت الوزارة اعتبرت المرسوم الذى أصدرته وزارة حسين سرى باطلا فان هذا الاعتبار ليس من حقها ولذلك فان تعينى تكرار للتعيين الذى حدث فى عهد الوزارة السابقة . ثم يضيف الدكتور هيكل سببا آخر فيقول : ان لى آراء سياسية أحرص على ابدائها والرقابة الصحفية تمنعنى من ذلك فأى مكان آخر يمكننى أن ابدى فيه رأيى غير مجلس الشيوخ . (٣٧)

---

(٣٦) المصدر السابق ، أمر عسكرى رقم ٢٢ معدل الى ٨٨ — مجموعة مضابط دور الانعقاد الثامن عشر ٢٤ أكتوبر ١٩٤٢ ص٣٣٠ ، د.محمد عصفور المحامى . فلنحطم الاغلال ص١٠٧ .

(٣٧) مجلة آخر ساعة ٥ ابريل ١٩٤٢ حديث للدكتور هيكل .

ومن الصعب أن نتقبل وجهة نظر الدكتور هيكل استنادا على أن هذا التعين لا يعتبر خروجا على فكرة الحزبية أو لأن قرار التعيين أمر ملكى واجب الطــاعة (٣٨) .

أما القول بأن هذا التعين لا يعتبر خروجا على فكرة الحــزبية على اعتبار أن حرية الرأى هى أول مظهر من مظاهر قيام الاحزاب فلا اتصــور أن تكون حرية الرأى : الا من خلال الهيئة السياسية والتى يعبر عنهــا بالحزب ، أى أن من حق الأعضاء أن يختلفوا على موضوع ما الا انه من الضرورى أن يكونوا متفقين على اتخاذ سياسة وليس من الضرورى أن يتفق جميع الاعضاء على فكرة واحدة انما المهم أن تخضع الأقلية لــرأى الأغلبية وهو ما يعبر عنه بموقف الحزب . أما أن يخرج الدكتور هيكــل على الاجماع بحجة أن القرار لم يكن جماعيا فهو قول مردود من عــــدة وجـــوه :

أولا : على اعتبار أن الدكتور هيكل من بين الزعماء البارزين فى الحزب فكان من الضرورى أن يكون قدوة لحزبه .

ثانيا : أن قرار مقاطعة الانتخابات لم ينص فيه على هذا الاســتثناء والذى يعنى التزام الحزب بوجهة نظــر الاقلية وهو ما يعتبر موقفا متناقضا فى سياسية الحزب .

ثالثا : أن وجهة نظر الدكتور هيكل تعتبر خروجا طبيعيا على تضــامن السعديين والدستوريين وهو مــا يضعف من جبهة المعارضة . ولعــل القرار الذى اتخذه الحزبان كان يعنى مقاطعة كل شكل من اشــــكال الانتخابات سواء منها ما يتعلق بمجلس الشيوخ او النواب .

أما القول بأن التعيين أمر ملكى واجب الطاعة : فيرد عليه بأن القواعد المرعية تحتم على الجهة التى تعين أن تأخذ فى البداية رأى من يصــدر المرسوم بتعيينه قبل اصدار المرسوم واذا كان الملك هو الذى يصــدر المرسوم فان الحكومة هى التى تعد قائمة الاسماء ومن غير المعقول أن ترفع

---

(٣٨) مجلة كلام الناس ـــ العدد الثانى ٤ مارس ١٩٤٣ .

القائمة الى الملك من غير أن تأخذ الحكومة رأى من وقع عليهم الاختيار وأعتقد أن هذا الموقف يؤكد من جديد تهافت زعماء أحزاب الاقلية على الفوز بمقاعد البرلمان مهما كانت الوسيلة .

ونود ونحن بصدد الحديث عن قضية الانتخابات أن ننوه الى ما أشيع من أن حكومة الوفد زيفت الانتخابات لصالح الوفديين (٣٩) ونظرا لاهمية هذا الادعاء على اعتبار انه يعد سابقة خطيرة فى تاريخ الوفد فقد أعطيت اهتماما خاصا بهذه القضية وعلى ضوء العديد من المصادر وثيقة الصلة بهذا الموضوع يمكننى أن أقرر عدة اعتبارات ترقى الى درجة الحقائق ؟..

أولا : اذا كان الوفد قد لجأ الى تعديل الدوائر الانتخابية فان هذا الاجراء فى مجمله كان عودة الى التقسيمات الادارية التى كانت قائمة قبل سنة ١٩٣٨ (٤٠)

ثانيا : لم يثبت بالدليل المادى أن حكومة الوفد زيفت الانتخابات بمعناها المعاصر وانما كل الطعون التى قدمت سواء للبرلمان أو للقصر لم تستند الى دليل واضح وانما اعتمدت على أدلة ظنية لا ترقى الى قوة الدليل وقد عرضت جميع الطعون على لجان مخصصة لفحص الطعون وثبت عدم صحتها جميعها (٤١) .

ثالثا : لقد لجأ الوفد الى العديد من التجاوزات وخصوصا ما يتعلق منها بالعمد والمشايخ ومديرى الاقاليم لكن الوفد كانت له حجته التى يدافع عنها ووفق المصادر الاصلية فان حكومة الوفد كانت أقل الحكومات التى لجأت الى هذا الاسلوب كوسيلة لضمان نجاح انصارها (٤٢) .

---

(٣٩) مضابط مجلس النواب دور الانعقاد العادى الأول ٢٨ يولية ، ٩ سبتمبر ١٩٤٢ .
(٤٠) صحيفة المصرى ١٧ فبراير ١٩٤٢ ، لقاء مع فؤاد سراج الدين ١٩٨٢/١١/٨ .
(٤١) مضبطة مجلس النواب ـ المصدر السابق ص ١٤٥٠ .
(٤٢) مضابط مجلس الشيوخ ـ دور الانعقاد السابع عشر جلسة ٩ سبتمبر ١٩٤٢ ص٧٤٥ .

الاعتقالات السياسية :

لقد عرف عن الوفد معارضته الشديدة لفكرة اعلان الاحكام العرفية وحملت مذكرة الوفد — ابريل ١٩٤٠ (٤٣) — حملة شديدة على هذا الاجراء وطالبت بريطانيا بالغائها بل أن أهم ما طالب به النحاس باشا فى خطابه الشهير والذى ألقاه فى رأس البر هو أن اعلان الاحكام العرفية قد فرض فى غير ضرورة وهاجم وزارة على ماهر بسبب اتخاذها الاحكام العرفية وسيلة لاضطهاد خصومها (٤٤) .

ولم يكد النحاس يتولى الحكم فى ٤ فبراير حتى استند الى الاحكام العرفية واتخذ منها وسيلة لاضطهاد خصومه وخصوصا فيما يتعلق بالاعتقالات السياسية والنفى الادارى حتى بات زعماء الاحزاب وقادة الرأى فى البلاد فى غير مأمن على حياتهم من استخدام هذا السلاح الخطير ولم يقتصر الامر على تكميم الافواه من خلال الصحافة فقط بل بات البوليس السياسى يتعقب كل صاحب رأى أو فكرة فى الاجتماعات الخاصة وفى الاحزاب السياسية (٤٥) .

واتخذت حكومة الوفد من قضية — الحفاظ على المصالح العليا للبلاد — ذريعة لاعتقال خصومها السياسيين وشهدت قاعات مجلس النواب والشيوخ العديد من الاجتماعات وتقدم عدد كبير من نواب المجلسين — النواب والشيوخ — بالعديد من الاستجوابات حول المبرارات التى تسوقها الحكومة لاعتقال الخصوم السياسيين (٤٦) . الا ان الاغلبية الوفدية قد قبرت هذا الاستجواب فى محاولة منها للقضاء على صوت المعارضة داخل المجلسين ، ولما كان جواب الحكومة لم يقنع المعارضة فقد تكررت تلك الاستجوابات فى محاولة يائسة لاحراج الحكومة الا أن رد

---

(٤٥) الاهرام ١٩٧٥/٢/١٤ صور من تقارير الامن العام والتى تسجل تحركات القوى السياسية عقب ٤ فبراير ١٩٤٢ .

(٤٦) مضبطة مجلس الشيوخ — الجلسة التاسعة عشرة ٢٠ مايو — ١٩٤٢ — مجموعة مضابط دور الانعقاد السابع عشر ص٣٠٤ ، ٣١٣ .

الحكومة كان مزيدا من الاستهانة بالمعارضة فى محاولة لتبرير أمر الاعتقال بحجة دواعى الامن التى تتعلق بالمصلحة العليا للبلاد (٤٧) ٠

وامتد أمر الاعتقال ليشمل طلاب الجامعة وايداعهم فى السجون من غير تحقيق معهم مما حمل النائب عبد السلام الشاذلى الى اتهام الحكومة بأنها تزج الشباب فى السجون بناء على تقارير يعدها البوليس السياسى من غير أن يتحرى الحقيقة (٤٨) ٠

والحق أن وزارة على ماهر التى أعلنت الاحكام العرفية لم تتخذ من سلاح الاعتقال ذريعة لمعاقبة خصومها (٤٩) حتى أنه حينما استسلمت ألمانيا وأشرفت الحرب على نهايتها أعلن النحاس باشا أن الاحكام العرفية باقية حتى تنتهى الحرب مع اليابان (٥٠) ٠

وفى خلال الشهور الثلاثة الاول من عمر وزارة الوفد فقد وصل عدد المعتقلين لدواعى الامن ٢١٣٦ أما المعتقلون السياسيون فقد بلغ عددهم ٧٢ معتقلا(٥١)

وأمتد الاعتقال ليشمل عددا كبيرا من الشخصيات العامة مثل على ماهر ، احمد حسين ، عزيز المصرى ، النبيل عباس حليم ، طاهر باشا وصالح حرب وهؤلاء جميعا تم اعتقالهم لاعتبارات سياسية وكان اعتقال على ماهر اول مطلبه من السفير البريطانى الى النحاس يوم ٧ فبراير حيث أشار لامبسون الى ضرورة ابعاد على ماهر الى السودان او اى جهة نائية أخرى (٥١) ٠ وبالفعل فقد قام النحاس بمقابلة على ماهر وبعد ان شرح له الموقف ترك له الخيار بين أن يعتكف فى ادارة بالقصر الاخضر

---

(٤٧) مضابط مجلس النواب — الجلسة السابعة والعشرون ١٠ أغسطس ١٩٤٢ ص ١٢٥٦ استجواب من النائب كامل يوسف .

(٤٨) المصدر السابق . الجلسة السادسة والعشرون ٣ أغسطس ١٩٤٢ ص ١١٥٧ .

(٤٩) وثائق الخارجية الامريكن وثيقة ٢٠٦٥ ، ١٧ أبريل سنة ١٩٤٠ من كيرك الى الخارجية الامريكية . 140. OOL. European

(٥٠) الرافعى مرجع سبق ذكره ص ١١٧ ٠

(٥١) مجلة روز اليوسف ٢٦ اكتوبر ١٩٤٤ .

(بضواحى الاسكندرية) أو يعين سفيرا فى احدى دول أمريكا الجنوبية أو أن يرسل الى الخرطوم . وقال النحاس ان الوزارة مستعدة للاشراف على أملاك على ماهر وشئونه المالية اثناء غيابه عن مصر . ولما رفض على ماهر كل هذه العروض اعتقله النحاس وصدر بذلك بيان رسمى من رياسة مجلس الوزراء فى ١٨ ابريل ١٩٤٢ (٥٢) .

ووفق المصادر البريطانية فقد تم اعتقال عدد كبير بناء على نصائح بريطانية (٥٢) ويشير رئيس قلم البوليس السياسى الى أن قضية الاعتقالات كانت تحتل المرتبة الاولى فى العلاقات المصرية البريطانية فقد تعددت قوائم الاعتقال حتى اختلطت الاسماء وأصبحت مهمـــة البوليس السياسى غاية فى الصعوبة (٥٤) ، وتحولت مصر الى مستودع اعتقال حيث جيء بأعداد هائلة من المعتقلين من الدول المجـــاورة أودعوا جميعا فى الســـــجون المصرية (٥٥) وتتابعت طلبات الانجليز حتى وصل الامر الى اعتقال بعض أقارب الملك فاروق بتهمة أن لهم ميولا محورية (٥٦) .

ويبدو أن معظم الذين اعتقلوا لدواعى الامن تم اعتقالهم لاســــباب سياسية حتى لا تقع الحكومة فى مزيد من الحرج . ولم يقتصر أمر الاعتقال على الرجـــال فقط بـــل تعـــداه الى اعتقـــال بعض الســـيدات وفى مقـــدمتهن الســـيدة / نبـــوية موسى حيث لقيت فى عهـــد حكومة النحـــاس أشد أنواع العسف والطغيـــان فأغلقت مدارســـــها ومنع عنها الاعانة السنوية ولاول مرة فى تاريخ مصر تعتقل سيدة حيث قبض

---

(٥٢) مذكرات حسن يوسف . القصر ودورة فى السياسة المصريـــة ١٩٢٢ ــ ١٩٥٢ ــ ص ١٣٦ .

(٥٣) الوثائق البريطانية وثيقة رقم ٥٢٥ من لامبسون الى ايدان بتاريخ ٤ فبراير ١٩٤٢ .
F.O. 371

(٥٥) مذكرات اللواء ابراهيم امام رئيس البوليس السياسى . صحيفـــة الجمهورية ٦ يناير ١٩٥٦ .

(٥٦) نفس المصدر

عليها وأودعت فى السجن لا لشىء الا لانها كتبت مذكرة تدافع فيها عن المدارس الاسلامية ، وبالرغم من قرار النيابة الافراج عنها الا ان النحاس قد استخدم سلطته كحاكم عسكرى وأصدر امرا عسكريا باحالتها الى المحكمة العسكرية حيث بقيت فى السجن لمدة عشر شهور تحت التحقيق وافرج عنها حيث لم يثبت ادانتها (٥٧) .

ويبدو أن الملك فاروق لم يكن يملك ان يحول دون اعتقال أقاربه فقد كانت أحداث ٤ فبراير ماتزال عالقة بذهنه وتأكد أن بقاءه ملكا على عرش مصر مرهون بالرغبة البريطانية ولعل ما حدث فى ٤ فبراير كان حدا فاصلا بين شخصية فاروق المتقدة بالحيوية والنشاط والاهتمام بالقضايا السياسية وبين شخصية أخرى قد تملكته بعد ٤ فبراير ــ كان من أبرز سماتها اليأس ، واللا مبالاة والانصراف نحو العبث واللهو وفقد ان الثقة فى الشعب المصرى حيث كان يتصور أن الشعب المصرى سيثور لكى يثأر لما اصاب ملكه من جرح للكرامة واهدار للحقوق الشرعية والدستورية ، الا أن الشىء الذى لم يستطع فاروق أن ينساه أو أن يتناساه هو موقف النحاس باشا حيث اعتقد فاروق أن النحاس كان ضليعا فى أحداث ٤ فبراير وهذه القضية لاهميتها سوف نتعرض لها فى فصل آخر .

وامتد امر الاعتقال ليشمل عددا من موظفى القصر كان على رأسهم عبد الوهاب طلعت وكيل الديوان الملكى (٥٨) ٠ والذى كانت تربطه علاقات وطيدة بالنحاس الذى تمكن من اقناع السفير بالعدول عن أمر الاعتقال وأن يكتفى باحالته على المعاش ٠

ونظرا لان قضية الاعتقالات السياسية كانت على رأس القضايا التى شغلت الرأى العام المصرى ــ حينذاك ــ ولأن شخصية على ماهر والطريقة التى تم اعتقاله بها قد شغلت جانبا كبيرا من الرأى العام بالاضافة الى منافاتها للدستور والقانون فاننا سوف نتناولها بقدر من التفصيل لتقف

---

(٥٧) نفس المصدر السابق .

(٥٨) مذكرات حسن يوسف ــ القصر ودوره فى السياسة المصرية ١٩٢٢ ــ ١٩٥٢ ص ١٣٦ .

حجة اكيدة على ما يزعمة البعض من أن اعتقال على ماهر هو اجــــراء قانونى اتخذته حكومة الوفد لحماية أرواح الملايين من الشعب المصرى (٥٩)

ان قضية اعتقال على ماهر لم تكن مطلبا بريطانيا جديدا وانما سبقته العديد من المحاولات حيث طلبت السفارة البريطانية الى حسن صبري ثم حسين سرى ان يعتقلا على ماهر وأن الرجلين لم يستجيبا لهذا الطلب على خلاف فى الطريقة التى اتبعها كل منهما (٦٠) .

ولعل السفارة البريطانية كانت واثقة من أن طلبها لن يرد هــذه المرة نظرا للكراهية الشديدة التى يكنها النحاس باشا لعلى ماهر ولأن بريطانيا كانت واثقة من أن النحاس متفهم لابعاد هذه القضية مقــدر خطورتها ولن يتردد فى اعتقال على ماهر (٦١) .

وحتى لا ينفرد النحاس باتخاذ مثل هذا القرار الخطير فقد حـــاول استئذان الملك قبل الاقدام على أمر الاعتقال الا أن فاروق كان غاضـــبا أشد الغضب واتهم النحاس صراحة بأنه ينفذ تعليمات بريطانيا من غـــير تقدير لصالح مصر وأشار من طرف خفى الى ان بريطانيا لن تظل بجانبة وانما ستتخلى عنه فى الوقت الذى ترى أن مصالحها تحتم عليها البحث عن حليف جديد (٦٢) .

ويلاحظ ان فاروقا قد أصاب لب الحقيقة . ولعل النحاس كان يقصد من وراء استئذانه الملك ان يتخذ من ذلك حجة لمواجهة الخصوم السياسيين على اعتبار ان اعتقال على ماهر قد تم بنـاء على اوامر الملك الا ان فاروقا كان يقظا لهذا المعنى وعلى الرغم من رفضه الا ان النحاس قد أقدم على

---

(٥٩) مضبطة مجلس الشيوخ — الجلسة الخامسة عشرة ٢٩ ابريـــل ١٩٤٢ ص ١٩٠ ، ١٩٢ لقاء مع فؤاد سراج الدين ١٩٨٢/١١١٨ — صحيفة المصرى ٣ مايو ١٩٤٢ .

(٦٠) مذكرات ابراهيم باشا عبد الهادى روز اليوسف ١٦ اغســطس ١٩٨٢ ، د . هيكل مرجع سبق ذكره ص ٢٥٦ ، مذكرات اللـــواء ابراهيم امام الجمهورية ١٦ يناير ١٩٥٦ .

(٦١) وثائق الخارجية البريطانية وثيقة رقم ٧٢٥ من لامبسون الى ايدن ٥ مارس ١٩٤٢ . F.O. 371

(٦٢) المصدر السابق .

اعتقال على ماهر فى قريتة بالقصر الاخضر — قرب الاسكيدرية — لم يطق على ماهر أن يذعن لهذا الامر وأعد عدته للخلاص من هذا الاعتقال ولما كان عضوا فى مجلس الشيوخ فقد اعتقد ان الحصانة البرلمانية تحميه وانه لو استطاع أن يصل الى المجلس وأن يرفع اليه أمره فسوف تقف الحصانة البرلمانية حائلا بينه وبين الاعتقال ولهذا تمكن من أن يفلت من حراسه وجاء الى القاهرة ونزل فى منزل مصطفى الشوربجى عضو مجلس الشيوخ وعلم النحاس بما حدث الا انه آثر الحيطة حتى لا يعتدى على حصانة منزل الشوربجى وقبل موعد اجتماع مجلس الشيوخ بوقت مناسب خرج على ماهر وركب مع مصطفى الشوربجى فى سيارته واتجها الى مجلس الشيوخ ، وبينما على ماهر قد وصل الى فناء مجلس الشيوخ فقد استوقفة رجال البوليس فى محاولة لمنعه من دخول المجلس الا أن على ماهر قد اندفع مسرعا ودخل حرم مجلس الشيوخ (٦٣) .

واغلب الظن ان مهابة على ماهر وماضية الطويل حال بين رجال البوليس والتشبث بالقبض عليه بالاضافة الى أن حرمة المجلس من الداخل كانت مسئولية بوليس البرلمان (٦٤) .

ومما يلفت النظر ان رئيس مجلس الشيوخ — محمد محمود خليل — قد عرف ما حدث الا انه تجاهل الامر بحجة ان ما يراد الحديث عنه لم يرد فى جدول الاعمال (٦٥) . وعلى الرغم من أن على ماهر قد وقف مرارا فى محاولة مستميته لكى يلفت نظر المجلس الا أن رئيس المجلس قد منعه بعنف محذرا اياه بالطرد اذا ما حاول مرة ثانية (٦٦) .

وهذا الموقف من رئيس المجلس يضاعف من قناعتنا بانه كان ضليعا فى هذه المؤامرة حيث لم يتخذ من الاجراءات ما يحول دون القبض على عضو يتمتع بالحصانة البرلمانية وعندما انتهت أعمال المجلس لم يبرح على ماهر موقعة بل ظل محتميا بحرمة المجلس وأسرع أحد الاعضاء — عبد

---

(٦٣) د . هيكل مرجع سبق ذكره حـ ٢ ص ٢٥٦ .
(٦٤) مذكرات اللواء ابراهيم امام صحيفة الجمهورية ١٦ يناير ١٩٥٦ .
(٦٥) مضبطة مجلس الشيوخ — دور الانعقاد السابع عشر ٢٩ ابريل ١٩٤٢ ص٢٣٠ ، هيكل مرجع سبق ذكره ص٢٥٧ .
(٦٦) مضبطة مجلس الشيوخ المصدر السابق .

القوى أحمد — الى محمد محمود فى غرفته وقص عليه ما أصاب على ماهر وطلب اليه بوصفه رئيس المجلس أن يحمى الرجل الا أن محمد محمود خليل قد تذرع بأنه لا يملك شيئا خارج حدود المجلس .

واطفئت الانوار فى قاعات المجلس مما اضطر على ماهر ان يغادر المجلس فلما غادره قبض عليه البوليس ليذهب به الى معتقل جديـــــد لا يستطيع مغادرته كما استطاع مغادرة القصر الاخضر (٦٧) .

ويبدو أن رئيس المجلس انما أعطى الحصانة البرلمانية فسحة من الوقت لان مدة رياسته للمجلس كانت تنتهى بعد اسابيع من هذا الحـــادث وحرصا منه على ان تجدد الحكومة مدة رياسته هو الذى دفعه الى ان يتصرف هذا التصرف الذى يتعـــارض وأبسط القـــواعد الدستورية ومع الأسف الشديد فقد سيطرت المصالح الشخصية على المبـــادىء العـــامة والتقاليد البرلمانية ولذا فاننا نحمل محمد محمود خليل قدرا كبيرا مــــن المسئولية بسبب هذا الموقف الذى وقفه مع أحد أعضاء المجلس والــذى يفتقد الى أى تقاليد برلمانية ونظر لاعتقال على ماهر بهذه الصورة المنـــافية لكرامر المجلس واعضائه فقد تلقت رئاسة مجلسى النواب والشيوخ العديد من الاستجوابات وتحدث عدد كبير من النواب مؤكدين على أن الحرية فى مصر أصبحت لا وجود لها وان الدستور أصبح لا قيمة له بعد أن اهـــدرت حصانة عضو من أعضاء البرلمان البارزين فضلا عن كونه رئيس وزراء سابق ورئيس ديوان وصاحب مقام رفيع (٦٨) .

ويلاحظ أن اجابة النحـــاس باشا كانت أكثر تحديا للمجلسين — النواب والشيوخ — مؤكدا على أمر الاعتقال بصرف النظر عن مركز المعتقل وأنه لن يتردد بوصفه الحاكم العسكرى والقائم على تنفيذ الاحكام العرفية من اعتقال أى شخص يرى أن له نشاطا ضارا بالامن والنظام مهما كـــان مركزه (٦٩) . والمدهش فى الامر ان رئيس الوزراء قد اعطى لنفسه حقوقا لم تقرها اجراءات الطوارىء القائمة لان حق الاعتداء على الحريات محدود فيما يختص بالحرية الشخصية حيث أن قانون الاحكام العرفية قد اطلــق يد الحاكم العسكرى فى عدة مسائل :

---

(٦٧) مذكرات الدكتور هيكل حـ ٢ ص ٢٥٨ ،، مذكرات حســـن يوسف ص ١٣٦ .

(٦٨) مضبطة مجلس النواب الجلسة السادسة ٣٠ ديسمبر ١٩٤٢ دور

أولا : سحب الرخص باحراز السلاح وحمله والامر بتسليم الاسلحة على اختلاف انواعها .

ثانيا : الترخيص بتفتيش الاشخاص او المنازل فى اية ساعة من ساعات النهار أو الليل .

ثالثا : الامر بمراقبة الصحف والنشرات الدورية قبل نشرها وايقاف نشرها من غير اخطار سابق ، هذا فيما يتعلق بالاشخاص العاديين . أما أعضاء البرلمان فيجب أن تصان كل حقوقهم لأن الحصانة هى للبرلمان وهذه الحصانة لها مثيل فى القضاء فاستقلال القضاء يفيد القاضى

ولكن لمصلحة العدل ولمصلحة نزاهة القضاء (٧٠) .

وشهدت قاعات مجلس النواب والشيوخ أهم مرافعة قانونية قامت بها المعارضة مؤكدين على أهمية الحصانة البرلمانية وانها الزم كثيرا أثناء قيام الاحكام العرفية وهذا ما أقره علماء الفقه الدستورى . وتساءل أحد الاعضاء : اذا كانت الصحافة مكممة لا تستطيع أن تقول شيئا لانها تحت الرقابة والاجتماعات ممنوعة والاندية مغلقة كل ذلك حاصل أثناء قيام الاحكام العرفية فمن اذن يستطيع ان يعمل فى هذا الجو ؟ فاذا سلب البرلمان أيضا الحصانة . ضاع استقلاله . واذا كان النائب وسيف الاحكام العرفية فوق رأسه فأى شىء فى البلد يمكن للناس أن يتنفسوا منه . واذا كان الرأى العام لايستطيع أن يتكلم أو يتنفس وكذلك الهيئات النيابية فكيف نستطيع أن نرشد الوزارة (٧١) .

---

(٤٩) الجلسة الخامسة عشرة من مضابط مجلس الشيوخ ٢٩ ابريل ١٩٤٢ الجلسة الخامسة عشرة ٢٩ ابريل ١٩٤٢ ص ١٩٢ .
١٩٤٢ ص ١٩٦ .

(٦٩) الجلسة الخامسة عشرة من مضابط مجلس الشيوخ ٢٩ ابريل

(٧٠) مذكرة تفصلية تفسير قانون الطوارىء أعدها النائب مصطفى الشوربجى ملحقة بمضبطة مجلس الشيوخ دور الانعقاد السابع عشر ص ٢٠٠ .
ص ١٤٢ وحتى ص ١٩٢ .

(٧١) المصدر السابق — الجلسة الخامسة عشرة ٢٩ ابريل ١٩٤٢

ولان الموقف كان يتعلق بمستقبل الحياة البرلمانية فقد أصرت المعارضة على أن تعرف موقف الحكومة من التقاليد البرلمانية المتبعة وفى محاولة لتبديد نشاط المعارضة فقد عاد مصطفى النحاس ليلخص أسباب اعتقال على ماهر بما يأتى :

اولا : أن الاسباب التى كانت تقضى اتخاذ اجراءات مع على ماهر باشا والتى ادت فى آخر الامر الى اعتقاله تتعلق بأمور خطيرة وأن هذه الامور ذات مساس بأمن الدولة وسلامتها ومن الصعب الا فصاح عنها .

ثانيا : لقد تحدثت مع على ماهر واتفق معى على أن يترك كل نشاط ويلزم منزله تجنبا للاضرار بمصالح البلاد الا أنه أخل بتعهده .

ثالثا : وامام الاخلال بالوعد واصراره على أن يذهب لأبعد الحدود فلم أر بدا من اعتقاله وأضاف النحاس أن ما ذكره من أسباب الاعتقال هو ما تسمح به المصلحة العامة (٧٢) . وعلى الرغم مما بذله النحاس باشا ليبدد الآثار الناجمة من اعتقال على ماهر الا أن المعارضة قد ضاعفت من نشاطها فى محاولة للفت نظر الرأى العام الى أن قضية اعتقال على ماهر قد تمت وفقا لرغبة بريطانيا . وهذا مما دفع المعارضة الى أن تسلك طرقا أخرى لتعميق هذا المفهوم حيث اجتمع زعماء المعارضة وكتبوا خطابا الى مصطفى النحاس يطلبون فيه التحقيق مع على ماهر واذا ما أسفر التحقيق عن ادانته فيكون هذا مبررا لاعتقاله واذا ما ثبتت براءته تطمئن البلاد الى أنها غير مهددة فى أمنها وسلامتها (٧٣) .

---

(٧٢) المصدر السابق — الجلسة السادسة عشرة ٥ مايو ١٩٤٢ ص ٢١٠ الى ص ٢١٨ .

(٧٣) مجلة آخر ساعة ٢٦ ابريل سنة ١٩٤٢ ، الاهرام ٢٨ ابريل سنة ١٩٤٢ « لقد وقع على مذكرة المعارضة كل من اسماعيل صدقى ، على المنزلاوى ، عبد الملك حمزة ، عطا عفيفى (عن المستقلين) ، د. هيكل ، ابراهيم دسوقى أباظة ، أحمد عبد الغفار ، عبد المجيد صالح ، عبد الجليل ابو سمرة » (الأحرار الدستوريين) ، أحمد ماهر ، النقراشى ، ابراهيم عبد الهادى ، حامد جودة ، محمود غالب ، ممدوح رياض (السعديين) ، محمد حلمى عيسى (الاتحاد الشعبى) ، حافظ رمضان (الحزب الوطنى) .

ولعل الهدف من وراء تلك المذكرة كان مزيدا من احراج حكومة الوفد أمام الرأى العام ومن المؤكد أن النحاس كان يقظا لكل تلك المحاولات حيث أجاب على خطاب المعارضة بالرفض مبديا اسفه لان التحقيق مع على ماهر يمس سلامة الدولة وأمنها (٧٤) .

وهكذا اتخذ النحاس من سلامة الدولة وأمنها ذريعة لصرف المعارضة عن غرضها الحقيقى والذى يعنى معرفة الاسباب الحقيقية فى أمر الاعتقال وهذا مما دفع أحد الاعضاء الى أن يعلن صراحة من أن جهة أجنبية هى التى أوحت باعتقال على على ماهر (٧٥) .

ووفق مضابط مجلس النواب والشيوخ فان قضية اعتقال على ماهر قد أحدثت دويا هائلا ليس داخل البرلمان فقط وانما امتد ليشمل الطلاب والعمال ويلاحظ أن المعارضة قد نجحت فى استغلال هذا الحادث أكبر نجاح وتمكنت من أن تنقل القضية من داخل مجلس النواب الى الرأى العام باعتباره قضية قومية تتعلق بمستقبل الديمقراطية فى مصر .

وتحدث صيحة فى مجلس النواب عندما يقول النائب عبد العزيز الصوفانى أن النحاس باشا بينه وبين ضميره لا يقر مطلقا ما نسب الى على ماهر وان ديكتاتورية النحاس ستنقلب الى ديكتاتورية برلمانية وهذا شر الديكتوريات فى العالم ويحذر الصوفانى قائلا : اعلموا أن الذى تسنونه اليوم قد يتخذه غيركم سلاحا ضدكم فى الغد (٧٦) . ويقول النائب فكرى أباظة : لقد أعلن على ماهر الاحكام العرفية ولكنها مع الاسف الشديد انقلبت عليه ونحن نخشى يا رفعة النحاس باشا أن تكونوا انتم الفريسة وان يكون تشريعكم هذا هو السيف لأن هذه الدولة منيت مع الأسف بالزلازل والبراكين لا فى أرضها بل فى دستورها وان غدا لناظره قريب (٧٧) .

---

(٧٤) مذكرات ابراهيم عبد الهادى — مجلة روز لليوسف ٢ اغسطس ١٩٨٣ ، الاهرام ، المصرى ٢٧ ابريل ١٩٤٢ .
(٧٥) الجلسة الثالثة من مضابط مجلس النواب ١٣ ابريل ١٩٤٢ ص ٢١٠ .
(٧٦) المصدر السابق .
(٧٧) نفس المصدر .

وهكذا كان حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ وعودة الوفد الى الحكم على أسنة الحراب البريطانية — كما يذكر الدكتور احمد ماهر — سببا فى العديد من التجاوزات حيث مضت حكومة الوفد تتحدى المشاعر الوطنية مؤكدة من خلال سلوكها أن بقاءها فى الحكم مرهون برغبة بريطانيا . وبالرغم من الرقابة الشديدة على الصحف والاجتماعات الا أن صوت المعارضة داخل مجلس النواب والشيوخ كان يصل الى مسمع رجل الشارع حيث تناقل الناس العديد من القضايا التى تثار داخل المجلسين ولم تستطيع الحكومة أن تكمم أفواه الناس بالرغم من أن سيف الاعتقال كان مسلطا على رقاب المواطنين حيث ملئت السجون بالمعتقلين والذين كانوا يؤخذون اليها زرافات ووحدانا ولا تسمح الرقابة على الصحف بذكر اسمائهم ولعل قضية اعتقال على ماهر كانت البداية ثم تبعها اعتقال محمد طاهر باشا عضو مجلس الشيوخ (٧٨) . وفى هذه المرة لم يعترض أحد ولم يستجوب أحد لأن القضية لم تعد تمثل أى مفهوم للديمقراطية وانما الذى يحكم هو الذى يعتقل بصرف النظر عن أى اعتبار آخر .

وبالرغم من أن حكومة الوفد لم تأخذ بانتقادات المعارضة فيما يتعلق بأمر اعتقال المدنيين سواء من الشخصيات العامة أو من المواطنين العاديين الا أن النحاس باشا فى محاولة لكسب ضباط الجيش المصرى عقب العديد من حالات الاستنكار التى أعقبت ٤ فبراير من هنا كان قرار الحكومة بالافراج عن عزيز المصرى وزميلاه — عبد المنعم عبد الرؤف ، حسين ذو الفقار — واصدر مجلس الوزراء بيانا أعلن فيه أن مصطفى النحاس (صاحب المقام الرفيع) رئيس الوزراء والحاكم العسكرى العام قابل عزيز باشا المصرى والضابطان حسين ذو الفقار ، عبد المنعم عبد الرؤف واعلنهم بأنهم منذ الان احرارا فى الذهاب الى منازلهم على أن يكونوا تحت الرقابة المؤقتة لحين الانتهاء من اتخاذ ما يلزم من الاجراءات التى عهد الى وزير الدفاع ورئيس هيئة أركان الحرب فى اتمامها (٧٩) .

---

(٧٨) آخر ساعة اول ابريل ١٩٤٢ ، د. هيكل مرجع سبق ذكره جـ٢ ص ٢٦٠ .

(٧٩) محمد نجيب رئيس الجمهورية السابق — كلمتى للتاريخ ص ١٣ القاهرة ١٩٨١

وبالرغم من أننى لم أتمكن من تحديد الجهة التى طلبت الافراج عن عزيز باشا المصرى وزميلاه ، هل هى قوى اجنبية أم أن النحاس قد بادر من نفسه لاتخاذ هذه الخطوة تهدئة للنفوس الثائرة سواء داخل الجيش أو خارجه . الا أنى أعتقد أن حكومة الوفد قد أقدمت على هذه الخطوة بسبب العديد من حالات الاضطراب التى وقعت عقب ٤ فبراير ١٩٤٢ لدرجة ان بعض القادة العسكريين قد تقدم باستقالته من الجيش احتجاجا على الانتهاكات الصارخة التى حدثت وجاء فى صيغة الاستقالة ما يؤكد أن الملك كان يتمتع بشعبية كبيرة لدى ضباط الجيش : وحيث أنى لم استطع أن أحمى مليكى وقت الخطر فأنى لاخجل من ارتداء بذلتى العسكرية والسير بها بين المواطنين ولذا أقدم استقالتى (٨٠)

ويبدو ان النحاس باشا قد وجد فى الافراج عن عزيز المصرى ورقة رابحة ليكسب بها أرضا جديدة من تحت أقدام المعارضة ، وليس من المعقول أن يقدم النحاس من تلقاء نفسه على اتخاذ هذه الخطوة من غير اخذ رأى الانجليز لأن قضية عزيز المصرى ، وزميلاه كانت موضع اهتمام خاص من السلطات البريطانية حيث كان قرار احالة عزيز المصرى الى التقاعد — فى عهد حكومة على ماهر — بايعاز من بريطانيا ولنفس السبب الذى قدرته حكومة النحاس للافراج عن عزيز المصرى فقد كانت موافقة بريطانيا ايضا .

وعموما فقد كان قرار الافراج عن عزيز المصرى ، وزميلاه له وقع طيب لدى جماهير الشعب المصرى عموما والجيش على وجه الخصوص حيث كانت حركة الضباط الاحرار والتى كانت ماتزال فى مهدها تعتبر عزيز المصرى الأب الروحى للحركة الوطنية المعاصرة وكان موضع تقدير واعتزاز من الضباط الشبان (٨١)

وايمانا من حكومة الوفد بعدم شرعية الحكومات التى تعاقبت على البلاد ابتداء من ديسمبر ١٩٣٧ وحتى ٤ فبراير ١٩٤٢ فقد أصدرت الحكومة قانونا بالعفو عن الجرائم التى وقعت فى نفس المدة ولعل الغرض هو كسب مؤيدين ومناصرين للوفد .

---

(٨٠) محمد نجيب (رئيس الجمهورية السابق) ، كلمتى للتاريخ ص ١٣

(٨١) لقاء مع السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية السابق وعضو حركة الضباط الاحرار الدقى فى ١١ ابريل ١٩٨٣ ، فتحى رضوان لقاء شخصى ١٩٨٢/٨/٩ مصر الجديدة .

سياسة الوفد تجاه بريطانيا عقب ٤ فبراير :

لقد حرص النحـــاس منذ اليوم الاول لتوليه الحكم على أن يوضح للسفارة البريطانية وللرأى العام المصرى أنه « لا المعـــاهدة المصـــرية البريطانية ولا مركز مصر كدولة مستقلة يسمحان بالتدخل فى شـــــئون مصر وبخاصة فى تاليف الوزارات أو تغييرها (٨٢) . ورحب اللــــــورد « كلـرن » عن طيب خاطر بهذه المناورة التى كانت تهدف الى تنــــاسى عمل القوة الذى حدث بالامس فى قصر عابدين ، كما أوضح الســـــفير البريطـانى فى نفس اليوم وفى تصريح نشر فى الصحف أن الســــياسة البريطاينة تهدف الى ضمان تعاون كامل مع حكومة مصر باعتبارهـــا بلدا مستقلا وحليفا وذلك بتنفيذ بنود المعاهدة البريطانية المصرية دون التدخل فى الشئون الداخلية لمصر أو فى تشكيل الوزارات أو تعديلها (٨٣) .

أما على الحدود الليبية فقـــد كانت المعـــارك تدور بشراســـة وبدأ روميل يواصل تقدمه الى الامام حتى وصل الى طبرق (٢١ يونيـــة ١٩٤٢) . وبسقوط طبرق تم أسر ٢٥ الف أسـير فى ايدى القـــوات الالمانية ثم تقدمت القوات الالمانية واجتازت الحـدود المصرية واصبح من المؤكد أن الحرب ستحسم لصالح المحور .

وعلى الرغم من كل ذلك فلم يتردد الوفـد فى اعلان ارتبـــاطه ببريطانيا بحجة أن الارتباط بها يعنى الارتباط بالديمقراطية فى العـــالم كله ، وان مصر ستظل تمـد يدهـا للشعب الحليف وســـتقدم كـل امكانتها لصالح بريطانيا (٨٥) .

---

(٨٢) مضبطة مجلس الشيوخ ـ الجلسة الثامنة عشرة ١٢ مـــايو ١٩٤٢ ـ دور الانعقاد السابع عشر ص ٢٨٦ .

(٨٣) الأهـرام ، المصرى ٧ فبراير ١٩٤٢ .

(٨٤) لقاء مع حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية الســابق وعضو الضباط الاحرار الدقى ١١ ابريل ١٩٨٣ ، مارسيل كولومب : تطور مصر ١٩٢٤ ـ ١٩٥٠ ترجمة زهير الشايب القاهرة ١٩٧٢ ص١٣٨ .

(٨٥) مضابط مجلس الشيوخ ـ دور الانعقاد العـادى الســـابع عشر ـ الجلسة الخامسة والعشرون ٢٩ يونية ١٩٤٢ ص ٤٤٠ .

وعلى مايبدو فان موقف الحكومة المصرية قد ازداد صعوبة وخصوصا بعد أن أعلنتا كلا من ألمانيا وايطاليا التزاماتهما باحترام وضمان استقلال وسيادة مصر . بل انهما قد اكدتا أن قواتهما لن تدخل مصر « كبـــــلد معاد وانما ستدخلها بهدف طـــرد الانجليز من الاراضى المصرية وتحـــرير الشرق الاوسط من السيطرة البريطانية وتلقت مصر تأكيدا بأنها بعـــد أن تتحرر من قيودها ستتبوأ مكانها بين الدول المستقلة ذات السيادة (٨٦) .

وأمام الدعاية المحورية الماكرة والتى وجدت صداها لدى قطـــاع كبير من المثقفين المصريين ونظرا لأن عودة الوفـــد الى الحكم فى ٤ فبراير كانت جرحا غائرا فى قلوب المصريين فقد كان من الصـــعب على الحكومة المصرية ان تجد مبررا معقولا لكل ما يمكن أن تقدم عليه لخدمة الحـــلفاء . وكان من الصعب على الوفد ان يخلق حوارا ديمقراطيا مـــع أحـــزاب الأقلية ليحدد من خلاله موقع مصر من هذا الصراع القـــائم وحتى لو أراد الوفد ذلك فقد كان من الصعب اقناع بريطانيا بهذا النوع من الحوار على اعتبار انه قد يفسر بأن الوفد يتراجع عن مناصرة الحليفة بسبب تـــردى موقفها العسكرى ، هذه واحدة أما الثانية ، فان سياسة بريطانيا فى ٤ فبراير قد البست الوفد ثوبا يصعب الخلاص منه ، من هنـــا كان قـــرار الوفد القاطع بانتهاج سياسة التعاون المطلق وتأجيل أى نوع من المطـــالب القومية ريثما تنتهى الحرب (٨٧) .

وعلى ما أعتقد فقد كان هنـــاك عامل آخر دفع الوفـــد الى عـــدم التردد فى سياسته تلك وهو أن الوفـــد قد قطـــع شـــوطا فى علاقتـــه ببريطانيا تلك العلاقة التى كانت موضع اهتمام خـــاص من المحـــور عبر عنها « كلين » فى مذكراته بقوله : « اما ان نغـــرق معـــا واما ان نطفـــو معـــا (٨٨) » .

---

(٨٦) مارسيل كولومب . مرجع سبق ذكره ص ٢٤٠ ، مذكـــرات كريم ثابت . الجمهورية ١٧ يونية ١٩٥٠ .

(٨٧) المصرى ، الاهرام ، مجلة آخر ساعة الأول من يولية ١٩٤٢ — من بيان النحاس باشـــا امام مجلس النواب .

(٨٨) مذكرات لورد كلين — الدبابات حـــول القصر ، ترجمـــة كمال عبد لرؤف ص ٨٨ .

ويبدو أن تلك السياسة التى اختطها الوفد لنفسه لم تكن على قدر كبير من الصواب ، فقد كان من الممكن ووفقا للاوضاع المتردية لبريطانيا على كل الجبهات العسكرية أن تحصل مصر على تأكيدات وثائقية تقرر حقها فى الاستقلال الكامل بكل ابعاده . الا أن العلاقة بين الوفد والانجليز عقب ٤ فبراير ظلت قائمة على احترام رغبات بريطانيا وسوق العديد من المبرارات للدفاع عن سياستها . وقد يقال أن هذا الموقف كان تامينا لقضية الديمقراطية ضد الفاشية والنازية ، وبالرغم من سوق كل المبررات الا اننا نستطيع ان نقول : ان سياسة الوفد طيلة وجوده فى الحكم لم تكن تتفق والمصالح الوطنية المصرية حيث كانت الاوضاع الاقتصادية فى مصر تمضى من سيىء الى أسوأ ففى القاهرة هجم الناس على نوافذ البنوك وجرت حركة سحب جماعية للارصدة ووصلت فى يوم واحد الى ما قيمته مائة مليون جنيه ودب الفزع فى قلوب الاجانب مما دفع الكثيرون منهم الى الهروب الى فلسطين (٨٩) .

وذكر أحد شهود العيان أن أعمدة الدخان كانت تشاهد وهى تعلو فى سماء القاهرة حيث اخذت السفارة البريطانية تحرق وثائقها وملات قوافل السيارات الطرق الصحراوية حيث بدات اكبر هجرة جماعية وبدأ الناس من كل الجنسيات وهم يلوزون بفلسطين وسوريا ولبنان وجنوب أفريقيا (٩٠) .

وعلى الرغم من كل ذلك فقد قام الوفد بدور هام ورئيس فى تأمين الانجليز وتقديم كافة الضمانات المطلوبة لتأمينهم واظهار شعور الولاء والامتنان لهم فى المناسبات المختلفة فالنحاس يهنىء السفير البريطانى بمناسبة الانعام عليه بلقب لورد ويستعرض معه قوات جش الاحتلال فى ميدان الاسماعيلية (٩١) .

---

(٨٩) وثائق الخارجية البريطانية وثيقة رقم ٨٨٣ من لامبسون الى ايدن الأول من اغسطس ١٩٤٢ ، مارسيل كولومب مرجع سبق ذكره ص ١٤٠ .
(٩٠) لقاء مع فؤاد سراج الدين ٨ ، ١٩٨٢/١٢/١١ .
(٩١) عبد الرحمن الرافعى . مرجع سبق ذكره ص ١١٣ ، أخبار اليوم ١٣ نوفمبر ١٩٤٥ .

وفى الوقت الذى كانت فيه السفارة البريطانية تحزم أمتعتها وتحرق وثائقها استعدادا للرحيل كانت تصريحات النحاس باشـــــا ودعـــوته الى طمانة الرأى العـــام مؤكداً بان الاحوال العسكرية مرضية للغاية ويؤكد أحد زعماء الوفد أنه بينما كان النحاس يلقى بمثل هذه التصريحات كانت الحكومة جميعها ترقب قدوم الالمــــان بين وقت وآخر الا أن النحاس كان حريصا على ان تتملكه الشجاعة لان انهياره يعنى انهيار مصر كلها (٩٢) .

وعلى الرغم من تدهور الاوضاع العسكرية لقوات الحلفاء الا ان الانباء قد تواترت عن سعى انجلترا بالسودان نحو الحكم الذاتى وتاييدا لهذا الاتجاه فقد القى الحاكم العام فى الخرطوم خطابا بمناسبة افتتـــــاح المجلس الاستشارى للمديريات الشمالية حث فيه السودانين على الاستعداد لحكم أنفسهم (٩٣) .

وعلى الرغم من هذا التصريح الخطير والذى يهدف على ما يبدو الى توسيع دائرة الخلاف بين مصر والسودان الا أن حكومة الوفد لم تعلق على هذا البيان مما اضطر الملك فاروق الى استدعاء النحاس ولفت نظره الى تراخى الحكومة فى حماية مصالح مصر فى القطر الشقيق ، كما اســـتدعى السفير البريطانى وابلغـــة ما يشـــعر به من القلق نحو ما يجـــرى فى الســـــودان (٩٤) .

ولعل هذا الموقف من الملك فاروق قد دفع النحاس الى انشاء لجنـــة برئاسة وزير التجارة والصناعة لتعزيز العلاقات الاقتصادية والاجتماعيـــة والثقافية بين مصر والسودان وعندما حانت فرصة الاحتفال بذكرى توقيع معاهدة الصداقة بين مصر وانجلترا فى ٢٦ أغسطس ، خطب النحاس فقال انه على اتصال مستمر بالحاكم العام فى السودان والذى يمثل الحكومتين المصرية والبريطانية ، وانه طلب اليه احترام مصالح مصر وحقوقهـــــا فى

---

(٩٢) لقاء مع فؤاد سراج الدين ١٩٨٢/١١/١٢ جاردن سيتى القاهرة
(٩٣) مضابط مجلس النواب ــ الجلسة الرابعة عشرة ١٥ يونية ٩٤٢ ص ٣٣٠ .
(٩٤) مذكرات حسن يوسف . القصر ودورة فى السياسة المصريـــة ١٩٢٢ ــ ١٩٥٢ ص ١٨١ .

السودان (٩٥) . وعلى أثر هذا الخطاب هرع السفير البريطانى الى النحاس باشا وحذره من مسالة موضوع السودان فى الوقت الحاضر اذ ان ذلـــك قد يضر بالمصالح المصرية ولا يبقى لها الا ما نصت عليه اتفاقية ميــــاه النيل المعقودة فى سنة ١٩٢٩ (٩٦) .

ومن المؤكد أن تلك النصيحة كانت قاسية هدد فيها السفير بفصم العلاقة بين مصر والسودان ويبدو ان ما شجع السفير على توجية هــذا التحذير هو شعوره بأن له يدا على الوزارة القائمة منذ ٤ فبراير وهكــذا وجد النحاس نفسه فى موقف غاية فى الصعوبة وخصوصا وان العــلاقات المصرية البريطانية بدات تواجه مشكلتين .

اولهما : محاولة اقناع بريطانيا بالعدول عن اغراق الدلتا بميــــاه البحر المتوسط (٩٧) حيث استعدت القوات البريطانية الى الرحيل عــن القاهرة والاسكندرية والتمركز على الجبهة الشرقية لقناة السويس ووفقا لراى القائد العام للقوات البريطانية فان هذا الموقف يقتضى عرقلة القوات الالمـــانية لمدة يوم واحد على الاقل ولن يتحقق هــنا الا باغراق الدلتا وغمرها بمياه البحر المتوسط .

ويعلق احد المعاصرين والذى كان عضوا فى لجنة المحادثات الخاصــة بتلك القضية قائلا : لقد هاج النحاس وغضب غضبا شديدا لسماعة هــذا القول من السفير البريطانى واخذ يعدد للسفير حجم الاضرار الخــطيرة التى ستلحق بالتربة الزراعية بسبب انغمارها بالمياه المالحة وقد تمسك السفير برأيه على اعتبار ان ضرورات الحرب تقتضى ما هو ابعد من ذلك وهنا تدخل عثمان محرم « وزير الاشغال » مقترحا اغراق الدلتا بمياه النيل بدلا من مياه البحر المتوسط وذلك عن طريق بعض العمليات الهندســــية البسيطة (٩٨) .

---

(٩٥) المصدر السابق ، المصرى ٢٧ اغسطس ١٩٤٢ .

(٩٦) وثائق الخارجية البريطانية برقية رقم ٣٠٨ من لامبسون الى ايدن F.O. 371 اول سبتمبر ١٩٤٢ .

(٩٧) مذكرات ابراهيم عبد الهادى مجلة روز اليوسف ١٩ اغســطس ١٩٨٢ ، مذكرات الدكتور هيكل حـ ٢ ص ٢٦١ ، ٢٦٢ ، لقاء مــع فؤاد سراج الدين ٨ ، ١٩٨٢/١١/١٢ .

(٩٨) المصدر السابق .

ويضيف صاحب هذه الرواية قائلا : وبعد أن خرجنا من مبنى السفارة البريطانية قلت للنحاس : هل تعتقد أنهم سيستأذنونك ساعة اضطرارهم الى اغراق الدلتا ، انهم لن يستشيروا أحدا اذا ما اضطروا الى الاقـــدام على خطتهم (٩٩) .

وهذه الرواية تتفق والعـــديد من الروايات التى ذكرها كثـــير من المعاصرين (١٠٠) الا أنها تختلف عنها فى بعض الجوانب ووفق هذه الرواية فأن عثمان محرم قد قدم البديل عن اغراق الدلتا بمياه البحر المتوسط وهذه الرواية لم تذكرها الروايات الاخرى وأعتقد ان رواية فؤاد سراج الديـــن هى أقرب الى الحقيقة حيث كان طرفا فى تلك المحادثات الا أن هـــــذا الاقتراح الذى قدمه عثمان محرم ليس ذا أهمية على حد قول فؤاد سراج الدين وخصوصا اذا ما تأزمت الاوضاع أمام بريطانيا .

وعلى الرغم من أن عملية اغراق الدلتا بمياه البحر المتوسط تبدو غير ممكنة جغرافيا الا أن بعضا من المعاصرين قد أبدى امكانية تنفيذ تلـــك الخطة بواسطة اطلاق الماء المالح فى ترعة المحمودية (١٠١) .

ثانيا : ويبدو أن المحادثات بين الوفد والانجليز قد تناولت ما هو ابعـــد من اغراق الدلتا وهو تدمير جميع المرافق المدنية والعسكرية بما فيهـــا طرق المواصلات والكبارى والمطارات واشعال النيران فى آبار البترول حتى لا يستخدمها المحور (١٠٢) .

---

(٩٩) المصدر السابق .

(١٠٠) مذكرات ابراهيم عبد الهادى روز اليوسف ٢ ، ٩ اغســـطس ١٩٨٢ ، الدكتور هيكل حـ ٢ ص ٢٦١ ، محمد التابعى مرجع سبق ذكره ص ٢٩٧ .

(١٠١) فؤاد سراج الدين مصدر سبق ذكره ، محمد التابعى مرجـع سبق ذكره ص ٢٩٤ .

(١٠٢) تقارير السراى الملكية . محفظة رقم ٤٣ وثيقة ١٣ تتضمن المحادثات التى أجراها النحاس مع لامبسون ٢ أغسطس ١٩٤٢ ، فؤاد سراج الدين لقاء شخصى ١٩٨٢/١١/١٢ ، مذكرات ابراهيم عبد الهـادى روز اليوسف ١٦ أغسطس ١٩٨٢ ، و هيكل حـ ٢ ص ٢٦١ ، محمد التابعى مرجع سبق ذكره ص ٢٩٧ .

وهكذا بدأت السلطات البريطانية تفكر في تدمير وسائل الحياة في مصر حتى تقطع على المحور كل استفادة ممكنة وهذه القضية على الرغم من خطورتها الا أن الوفد لم ينكرها ومن المؤكد أن المعارضة كانت متيقظة لكل تلك المحادثات ولعلها حاولت أن تثير هذه القضية أمام مجلس النواب على اعتبار أن الخطر قد تخطى دائرة الحزبية وأصبحت مسألة حياة أو موت الا أن النحاس قد رفض أن تنتقل القضية إلى البرلمان بحجة أن المحادثات ما تزال جارية مع الجانب البريطاني (١٠٣) .

ولما كانت المحادثات مع الجانب البريطاني لم تحقق أى قدر من التفاهم فقد حاولت المعارضة أن تجمع صفوفها وأن تتخذ موقفا قوميا يتناسب وخطورة المرحلة الراهنة فاجتمع الدكتور احمد ماهر ، اسماعيل صدقى ، الدكتور هيكل ، حسين سرى وتناقشوا في خطورة الوضع وانتهى رأيهم على ابلاغ الانجليز :

« ان تدمير ما قرروه سيضرهم ضررا كبيرا لأن جلاءهم عن مصر لن يكون الا لفترة يعودون بعدها لأنهم سيكسبون الحرب في النهاية ما في ذلك شك ومن الخير ان يعودوا اليها وهي سليمة بدلا من أن يجدوها وقد انتشرت بها المجاعة والخراب وما يتبعها من انتشار الاوبئة القاتلة . وذهب الدكتور هيكل لينقل وجهة النظر هذه الى النحاس باشا الذى أكد أنه محرك لكل ماتفكر فيه بريطانيا وانه بعث بتعليماته الى محافظ الاسكندرية ليستقبل القوات الالمانية استقبالا كريما باسم الحكومة المصرية (١٠٤) .

وعلى ضوء الحالة العسكرية المتردية لقوات الحلفاء وخصوصا على الجبهة المصرية وأمام التضحيات الباهظة التى قدمتها مصر لتأمين ظهر القوات المحاربة ، ووفق ما أجمع عليه بعض المعاصرين للاحداث من أن بريطانيا بدأت تعد خطتها لتدمير كل مرافق الحياة المصرية . وعلى ضوء كل هذا

---

(١٠٣) د . هيكل ، محمد التابعي المصدرين السابقين .

(١٠٤) د . هيكل . مصدر سبق ذكره ج ٢ ص ٢٦٢ ، لقاء مع فؤاد سراج الدين ١٩٨٢/١١/٨ ، مذكرات ابراهيم عبد الهادى مجلة روز اليوسف ٩ أغسطس ١٩٨٢ ، محمد التابعي مرجع سبق ذكره ص ٢٩٨ .

فاننا نعتقد ان السفارة البريطانية قد قطعت على نفسها بعضا من الوعود مثل اقتسام غنائم الحرب مع مصر او اعادة النظر فى معاهدة ١٩٣٦ بما يحقق لمصر قدرا كبيرا من الاستقلال يتفق والتضحيات التى قدمتها مصر للدولة الحليفة (١٠٥) .

وعلى ما اعتقد فان تلك الوعود لم تكن الا من باب احلام اليقظة ولعل الهدف من وراء ذلك هو طمأنه الحكومة المصرية بأن تضحياتها لن تذهب هباء . ومما يضاعف من اعتقادنا بأن مثل هذه الوعود (أن وجدت) كانت من اختراع السفير البريطانى ، ان محادثات تشرشل مع النحاس والتى جرت بينهما فى اغسطس ١٩٤٢ قد خلت تماما من اى اشارة الى تلك الوعود وانما تناولت المباحثات قضايا اخرى من بينها ما طلبه تشرشل من انتقال الحكومة المصرية الى السودان ولم يقطع النحاس على نفسه وعدا بتنفيذ هذا المطلب بل اجاب بأن هذه مسألة متروكة للظروف ولرأى جلالة الملك والامة ، ثم تباحثا فى مسألة البترول وتدمير خطوط المواصلات واغراق الدلتا وأبدى النحاس عدم موافقته على كل تلك المطالب . ثم تباحثا فى مسألة نقل النقد الذهبى خارج مصر ولم يتفقا على أية نتائج بخصوص هذا الموضوع أيضا . ثم تباحثا فى مسائل حربية وسياسية تتعلق برعايا امريكا وجيوشها (١٠٦) .

والملاحظ أن النحاس قد اقتصر فى تلك المحادثات على مطلبين تقدم بهما الى تشرشل .

المطلب الاول :

تسهيل استيراد بعض المواد الغذائية .

---

(١٠٥) فؤاد سراج الدين لقاء شخصى ٨ ، ١٩٨٢/١١/١٢ ، المصرى الاول من نوفمبر ١٩٤٤ .

(١٠٦) تقارير الامن العام — دار الوثائق القومية — وثيقة ٤٢٧ محفظة رقم ١٨ (محافظ عابدين) وهذا التقرير أعده البوليس المخصوص بالسراى الملكية ويبدو أن مهمة هذا البوليس كانت تسجيل تحركات الحكومة ومحادثاتها مع بريطانيا .

المطلب الثانى :

شراء القطن المصرى ومقابل هذا فقد قطع النحاس على نفسه وعدا بأن مصر لن تقطع علاقاتها بانجلترا اذا ما ضطرت الى الخروج من مصر (١٠٧) ولعل هذا المطلب يبدو غريبــــا بعض الشىء لان بريطانيا اذا ما خرجت من مصر ودخلتها القوات الالمانية لن يكــون امام الحكومة المصرية فرصة للاختيار أو المفاضلة وقد بعث النحاس برسالة سرية الى الملك فاروق بنبذة فيها بنتائج تلك المحادثات (١٠٨)

ومما يسجل الحكومة الوفد انها كانت جادة فى محادثاتها مع تشرشل ولم تقدم اى نوع من الوعود التى تتعارض مع المصالح المصرية سواء فيما يتعلق باغراق الدلتا أو بتدمير المنشآت المصرية مع قناعتنا بأن هذا الموقف يبدو عديم الاثر خصوصا اذا ما دخلت القوات الالمـانية مصر وهــــذا لم يحدث .

ولعل تلك المحادثات تشير الى اكثر من دلالة اهمها ان النحاس بــدا ياخذ موقفا متشددا فى سياسته مع بريطانيا وأعتقد أن تفسير هذا الموقــف يرتبط بتدهور الحلفاء عسكريا وخصوصا فى معارك شمال أفريقيا بعــد سقوط مرسى مطروح وتقدم القوات الالمانية صوب الاسكندرية ولعل هــذا يفسر محاولة الاتصال بالألمان عن طريق محافظ الاسكندرية وتوضيح وجهــة النظر المصرية على اعتبار أن مصر لا شأن لها بهذه الحرب (١٠٩) .

وأمام تحرج موقف الانجليز على الجبهة المصرية الا أن الوفد لم يحاول المساومة على ضوء هذا الموقف فقد كان من الممكن الضغط على الانجليــز واستخلاص وعد منهم بالجلاء التام عقب انتهاء الحرب .

حتى عندما أشرفت الحرب على نهايتها لم يحاول الوفد ذلك ايضا ولم يكن هناك أثر ما لبعض التصريحات التى ألقاها النحاس باشا : « ان حوادث

---

(١٠٧) المصدر السابق .

(١٠٨) محمد صبيح . صفحات من الحرب العالمية الثانية (بدون تاريخ) ص ٤٣ وقد نشر المؤلف صورة هذه الرسالة وهى بخط النحاس نفسه.

(١٠٩) فؤاد سراج الدين مصدر سبق ذكره ، محمد التابعى مرجع سبق ذكره ص ٢٧٧ ، مذكرات حسن يوسف ص ١٣٨ .

الحرب قد غيرت الموقف كله حتى اصبح تعديل معاهدة ١٩٣٦ ضرورة لابد منها ونتيجة لامناص عنها (١١٠) .

وبدلا من ان يأخذ الوفد مواقف عملية لصالح القضية انصرف فى مواجهة خصومة وتبديد طاقاته فى مسائل فرعية لا تخدم القضية الاساسية ولو اخذ الوفد موقفا قوميا فمن المؤكد أن يجد كل الشعب المصرى من خلفة يشـــد أذره ويناصره ولعلها تكون مناسبة لعودة الوفد الى مكانته الطبيعية باعتباره حزب الكفاح الوطنى وخصوصا بعد أن فقد رصيدا هائلا من شعبيته عقب أحداث ٤ فبراير الا أنه لم يبدأ بعامل المباغتة وانما ترك الفرصة للمعارضة لكى تضع الحومة هدفا لهجمات شديدة بهدف أن تعيد الى الاذهان باستمرار ظروف مجىء الوفد الى الحكم .

ولم تستثن بريطانيا من هذه الهجمات فقد وجهت اليها الاتهامات من فوق منصه البرلـــان باعتبارها مسئولة عن الغلاء المستمر فى تكـــاليف المعيشة وسيطرتها على الاقتصـــاد المصرى فى طريق مركز تموين الشرق الاوسط (١١١).

وعلى الرغم من أن مشاعر الشعب المصرى كانت تتسم بالكراهيـــة الشديدة للاحتلال وسياسته الا اننا نعتقد أن سياسة الوفد لم تكن متطابقة تماما مع تلك المشاعر بل انصرف فى سياسته الى مزيد من الصراع مع القصر ولعـــل هـــذا الموقف قد ضـــاعف من حدة العـــداء بين القصـــر والوفد اذا لم ينس الملك فاروق قط ذلك الضغط الذى تعرض له فى ٤ فبراير ١٩٤٢ ، كما كان يضيق برئيس الوزراء بسبب جولاته فى الاقـــاليم ويحظى بمظـــاهرات ترحيب موحى بهـــا تهتف له « عاش النحاس زعيم الامة » (١١٢) .

---

(١١٠) صحيفة المصرى ١٩٤٤/٨/٢٧ من بيان النحاس الى الامة المصرية بمناسبة معاهدة ١٩٣٦ .

(١١١) مضبطة مجلس النواب الجلسة السابعة عشرة ١٦ مارس ٩١٤٣ ص ٧٣٦ .

(١١٢) صحيفتى المصرى ، الاهرام ١٩٤٤/١/٣ ، مذكرات حسن يوسف ص ١٣٩ .

ثم تحولت تلك المعارك المصلحة الى صراع عنيف لان ثلاثة من الضباط حاولوا تنظيم مظاهرة ولاء للملك احتجاجا على حادث ٤ فبراير واقتـــرح النحاس الاستغناء عن خدمتهم بينما رأى القصر تقديمهم لمحاكمة عسكرية بحيث تتاح لهم فرصة الدفاع عن أنفسهم فيما نسب اليهم (١١٣) .

ولم تتوقف سياسة الوفد عند حد القصر وانما امتدت لتشمل كل من يناصر القصر في موقفه ضد الوفد حيث اعتقلت الحكومة كلا من الشيخ عبد اللطيف دراز وكيل الازهر والشيخ أحمد حسن الباقوري والشيخ سليمان نوار من شيوخ المعاهد بدعوى أنهم يحرضون طلبة الازهر على الاضراب والسير في مظاهرة الى عابدين لتهنئة الملك بعيد ميلاده (١١٤) .

وأمام العديد من العقبات التي وضعتها الحكومة في طريق الازهر وأهمها ما قام من خلاف على رئاسة الاحتفال بالعيد الالفي والذي كان مقررا اقامته وهل توجه الدعوة باسم رئيس الحكومة أو باسم شيخ الازهر (الشـــيخ المراغي) فقد قدم الشيخ المراغي استقالته من مشيخة الازهر (١١٥) .

وقد رفض الملك استقالة شيخ الازهر وأصر مصطفى النحاس ــ ضـــد رغبة الملك ــ على تعيين خليفة لشيخ الازهر بحجة أن تعيين شيخ الازهر حق ن اختصاص الحكومة (١١٦) .

ويبدو ان هذا الموقف قد واكبه ما اقدمت عليه الحكومة من اقـــامة علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفيتي مما أثار رجال الازهر وطلابه فانطلقت المظاهرات من الازهر منددة بالوفد وسياسته (١١٧) .

---

(١١٣) المصدر السابق .

(١١٤) مضابط مجلس الشيوخ دور الانعقاد العادي الثامن عشر اول مارس ١٩٤٣ ص ٣٢٠ ، مذكرات حسن يوسف ص ١٣٩ .

(١١٥) مذكرات حسن يوسف وكيل الديوان الملكي ص ١٣٩ ، مارســيل كولوب مرجع سبق ذكره ص ١٤٣ .

(١١٦) وثائق الخارجية البريطانية وثيقة ٢١٧ من لامبسون الى ايــدن فبراير ١٩٤٣ ــ F.O. 371

(١١٧) المصدر السابق .

وتشير الوثائق البريطانية الى مسئولية بريطانيا عن عودة العلاقات المصرية مع الاتحاد السوفيتي على اعتبار انه ضمن جبهة الحلفاء وكسبان السفير البريطاني في القاهرة هو واسطة الاتصال مع الحكومة المصرية (١١٨).

وهكذا تحولت مصر الى دولة مشاركة في الحرب بالرغم من انها لم تعلن الحرب عمليا إلا انها قد قدمت للحلفاء من خلال خدماتها الاقتصادية والعسكرية والسياسية ما يجعلنا نعتقد بأن مصر قد أسهمت بدور لا يقل خطورة عن الدور الذى قامت به الدول المحاربة .

بل لقد طلبت الحكومة الامريكية الى الحكومة المصرية الاقرار لقواتها الحربية في الاراضي المصرية بنفس الميزات الممنوحة للقوات البريطانية بمقتضى اتفاقية ١٩٣٦، واستندت الحكومة الامريكية في تبرير وجهة نظرها الى أن هذه الامتيازات التى تطالب بها قد منحت لقواتها في انجلترا واستراليا والهند واعترف بها اخيرا في البرازيل (١١٩) .

وفى محاولة لايجاد مبررات لاعمال الحكومة فقد أبدت احدى صحف الوفد دهشتها بسبب موقف المعارضة من هذا الموضوع لان العرف الدولي قد أكد هذه الحقوق للقوات الامريكية في مصر حيث أن هذه الامتيازات سبق وأن منحتها الحكومة المصرية منذ بداية الحرب الى القوات المتحالفة (اليونانية واليوغسلافية والتشيكو سلوفاكية — التى سمح لها بوخول الاراضي المصرية والإقامة فيها وقد تم الاتفاق مع القوات المذكورة بعد تبادل وجهات النظر مع السفارة البريطانية . والامر فيما يتعلق بالقوات الامريكية مخالف لانها لا تعتبر جزءا من القوات البريطانية ويعتبر هذا الاتفاق تأييد لقاعدة من قواعد القانون الدولى فلا ينطوى على أى مساس بحقوق السيادة فضلا عن أنه لا يحمل الخزانة المصرية التزاما من أى نوع ، ولذا فهو ليس في حكم المعاهدات التى تقضي المادة ٤٦ من الدستور بعرضها على البرلمان ووجوب اقراره لها) (١٢٠) .

---

(١١٨) المصدر السابق وثيقة ٢٣٠ من لامبسون الى ايدن ٢٩ فبراير ١٩٤٣ .

(١١٩) وثائق وزارة الخارجية الامريكية وثيقة رقم ٦٠٠ من كيرك الى الخارجية الامريكية الاول من مارس ١٩٤٣ . 800 / 24 / 13 .3

(١٢٠) صحيفة المصرى ٣ مارس ١٩٤٣ .

ويبدو أن ما اقدمت عليه الصحيفة من تبرير لسياسة الحكومة يعد محاولة لاقناع الرأى العام بأن مثل هذا النوع من الإتفاقيات مما لا يقضى بعرضه على البرلمان ومن المؤكد أن الحكومة قد لجأت إلى تلك السياسة حتى لا تتعرض لمزيد من الاحراج داخل مجلس النواب .

ثم صدر بلاغ رسمى عن وزارة الخارجية المصرية باقرار هذا الاتفاق وجاء فى بنود الرسائل المتبادلة : « أن الحكومة المصرية قد أعطت هذه الامتيازات للقوات الامريكية رغبة فى توكيد علاقات الود والصداقة بين البلدين وجريا على سياسة مصر منذ نشوب الحرب من تيسير مهمة القوات المتحالفة الموجودة فى الاراضى المصرية وهذه الإتفاقات لا تمس حقوق السيادة المصرية بأى حال ... وقد اتفق على أن تنتهى هذه المعاهدة من تلقاء نفسها بانتهاء الحرب » (١٢١) .

وهكذا فلم يقتصر الامر على أن تقدم مصر أرضها واقتصادها وكل امكاناتها بلا ثمن وبلا اى مقابل لبريطانيا ، لم يقتصر الأمر على هذا فقط بل تعداه الى الدول الكبرى الاخرى مثل أمريكا .

وفى هذه المرة أيضا لا ثمن ، الا أن تكون الوعود والامنيات الطيبة ثمنا عظيما من وجهة نظر الحكومة المصرية . ودفعت مصر ثمنا باهظا من كرامتها وحريتها نتيجة لهذا التسرع الغريب على اعتبار أن هذا الاتفاق من النوع الذى لا يحق للحكومة أن تأخذ رأى البرلمان فيه .

ونظرا لان المادة الثانية من هذا الاتفاق قد نصت على أن افراد قوات الولايات المتحدة الامريكية الموجودون فى مصر لا يخضعون لقضاء المحاكم المصرية فى المواد الجنائية (١٢٢) . فقد تعددت حوادث الاعتداء من الجنود الانجليز والامريكان على الاهالى المصريين وتنوعت حالات الاعتداء ما بين القتل وهتك الاعراض الى اقتحام المنازل والسرقة ، وشهدت قاعات مجلس النواب اعتراضات مدوية بسبب سلبية الحكومة ازاء هذه التصرفات الغاشمة والتى اوجدتها سياسة الحكومة الخاطئة (١٢٣) .

---

(١٢١) الوقائع المصرية ، الاهرام ٤ مارس ١٩٤٣ .

(١٢٢) نص الاتفاقية المصدر السابق .

(١٢٣) مضابط مجلس النواب — الجلسة الرابعة ٣١ مايو — أول يونيه ١٩٤٣ دور الانعقاد العادى الثانى ص ١٨٥ .

ـ ويلاحظ الرغم من أن الحكومة قد استثنت هذا الاتفاق من غير الرجوع الى البرلمان الا أن المعارضة قد اعدت دراسة قانونية اعتبرت بمقتضاها أن هذا الاتفاق باطل من اساسه وارجعت ذلك الى عدة أسباب :

أولا : ورد في المذكرة الايضاحية للاتفاق انه جاء تأييدا لقاعدة من قواعد القانون الدولي فلا يخضع الاتفاق للمادة ٤٦ من الدستور ولا يعرض على البرلمان وهذا خطأ على اعتبار أن الحكومة لم تبين من أي وجه من الوجوه جاء هذا الاتفاق مطابقا لقواعد القانون الدولي .

ثانيا : الاتفاق في مجموعة وفي الامر العسكري الملحق به ماس بالسيادة المصرية وهو ما يقضي القانون بعرضه على البرلمان لاقراره .

ثالثا : سبقت هذا الاتفاق حادثه قتل فيها احد الجنود الامريكان مصريا فماذا كانت وجهة نظر الحكومة قبل الاتفاق ؟ ولماذا تغيرت وجهة النظر ؟

رابعا : ان هذا الاتفاق يشجع على الحوادث المؤلمة ، وقد كثرت . وكان المجني عليهم مصريين في مختلف بلاد القطر ، فهل عرفت الحكومة نتائج المحاكمات وهل تعقبتها ؟ (١٢٤) .

واستطاعت المعارضة أن تحرج الحكومة في هذا الموضوع لدرجة أن أحد اعضاء مجلس النواب قد وصف الحالة في مصر بأنها مخالفة لكل قانون أو دستور (١٢٥) .

وعلى الرغم من الرقابة الشديدة على الصحف والاجتماعات وعدم التعرض من قريب أو بعيد لشئون مصر السياسية او الاقتصادية أو العسكرية الا ان وقع الحيلة المريرة على الغالبية العظمى من المصريين بالاضافة الى المعارضة الشجاعة التي ابداها المعارضون داخل

---

(١٢٤) مضابط مجلس النواب — الجلسة الرابعة أول يونية ١٩٤٣— المصدر السابق ص ١٨٥٠.

(١٢٥) من كلمة النائب عبد العزيز الصوفاني (عضو الحزب الوطني) ملحق بنفس المضبطة ص ١٨٥١ — ١٨٥٣ .

مجلس النواب والشيوخ وما كان يتناقلة الناس كصدى لتلك المعارضات كل هذا قد اعطى المعارضة ارضا جديدة لصالح القصر وأحزاب الاقلية وظل النحاس مستندا الى دعم بريطانيا له مستخفا بخصومة حيث كان يتقبل الاستجوابات المقدمة اليه في مجلسي النواب والشيوخ بمزيد من الاستخفاف وكان يقبل او يرفض مناقشة اى منها حسبما يتراءى لـه ، بسبب تمرسه بمناورات الحياة السياسية ولتعلم الاحكام العرفية ولثقته ايضا في قدرته على الحصول على اصوات اغلبية المجلسين .

وعلى الرغم من كل ذلك فقد كان يحاول بكل ما أوتي من فصاحة في القول أن يلقي بكل المسئولية على معارضية على اعتبار أنهم أعداء البلاد وأعداء الدستور (١٢٦) وعن طريق رحلاته العديد التي كان يجوب بهـا القرى والمدن المصرية في محاولة لاحتواء الرصيد المتنامي لصالح خصومة الا انه لم ينجح في حصر نطاق المعارضة بل تحولت الى رصيد هائـل بانفصال مكرم عبيد والذى اقصى عن الوزارة في ٢٦ مايو ١٩٤٢ حيث كان يشغل وزير المـالية .

ولقد قدرت الحكومة البريطانية مدى التعاون الذى ظل قائما بـين الوفد والجيوش المتحالفة وكيف أن هذا كان دعامة اساسية في العلاقات المصرية البريطانية ولم يكن هذا التعاون قاصرا على النواحي العسكرية فقط بل شمل النواحي الاقتصادية والسياسية والامنية أيضا .

ونظرا لأن مشاكل التموين كانت من اهم ما واجة حكومة النحاس ، وجريا على مبدأ التعاون المطلق مع الحليفة فقد شكلت لجنة مشـتركة « انجليزية مصرية » بناء على اقتراح السفير (١٢٧) .

وفي محاولة من هذه اللجنة لوضع حد للمشاكل الاقتصادية المتفاقمة فقد تقرر ان تقوم الحكومة بشراء القمح المصري بسعد ثلاثة جنيهات للاردب وبيعة للجمهور بنصف تلك القيمة ، ثم الغاء القيود التي كانت مفروضـة على نقل الحبوب ثم شكلت لجنة انجليزية مصرية اقتصرت مهمتها على جمع القمح اجباريا من الفلاحين واعادة توزيعة بطريقة البطاقات التموينية (١٢٨)

---

(١٢٦) المصرى ٣ يونية ١٩٤٢ .

(١٢٧) الجلسة الثامنة من مضابط مجلس النواب — دور الانعقـاد الثاني ١٢ يناير ١٩٤٣ ص ٢٦٤ .

(١٢٨) المصدر السابق .

... إلا أن كل الجهود الإنجليزية المصرية لم تثمر عن أى قدر من التقدم بل تفاقمت المشكلة الاقتصادية يوما بعد يوم حتى وصل الامر أن الناس كانوا يتخطفون الخبز فى الشوارع وظهرت الطوابير على الخبز لأول مرة فى تاريخ مصر المعاصر (١٢٩) .

... ويبدو أن سياسة النحاس كان لها وقع طيب لدى الدوائر البريطانية حيث أخذت الصحف البريطانية تشيد بموقف الحكومة المصرية وكتبت « التايمز » تقول : أن الكثير من الناس لا يدركون مبلغ ما تدين به الجيوش البريطانية فى مصر للحكومة المصرية فلقد وضعت موانى البلاد وطرقها والكثير من مرافقها تحت تصرف الجيوش المتحالفة وقال المستر تشرشل حين مر بالقاهرة : أن مصر ولو أنها ما تزال بلدا محايدا فليس من الحق مطلقا أن يقال أنها لم تقم بدورها ومشرف له نتيجة لا فى دفاعها عن نفسها فحسب بل فى الصراع العالمى الذى أخذ الآن يتقدم تقدما عظيما نحو نهايته (١٣٠) .

ولعل هذه المواقف من النحاس باشا قد أدت إلى عطف الإنجليز عليه وتأييدهم له فى صراعه مع القصر حيث تدخل السفير البريطانى وفى اكثر من مناسبة ليكبح جماح القصر لصالح الوفد ووصل الامر الى حد تهديد الملك فاروق بإعادة الكرة مرة ثانية — مشيرا الى احداث ٤ فبراير — وعلى حد تعبير السفير البريطانى : « إن الوفد قادر على اثارة المتاعب فى حالة اجباره على الانتقال الى صفوف المعارضة (١٣١) .

... وهكذا بدا من المؤكد أن بريطانيا لا يعنيها من بقاء الوفد الا بالقدر الذى يحقق مصالحها ولا يعنيها أن الوفد قد دفع الثمن غاليا من شعبيته ومن رصيده الهائل .

---

(١٢٩) لقاء مع فتحى رضوان ١٢ سبتمبر ١٩٨٢ مصر الجديدة .

(١٣٠) عبد الرحمن الرافعى . فى أعقاب الثورة المصرية حـ ٣ ص ١٣١ ، ١٣٢ .

(١٣١) وثائق الخارجية البريطانية وثيقة رقم ٣٠٧ من لامبسون الى ايدن ٢٥ فبراير سنة ١٩٤٤ .

وفى ١٢ ابريل سنة ١٩٤٤ استدعى الملك فاروق السفير البريطانى وابلغه بنيته بخصوص اجراء تغيير فى الحكومة بحجة تفشى الفساد وسوء الادارة وان عناصر الامة اصبحت لا تنظر باحترام كاف للعرش .. واستطرد الملك فاروق مؤكدا عزمه على أن تكون الوزارة الجديدة قائمة على عناصر حزبية ومعروفة بعلاقتها الطيبة نحو بريطانيا (١٣٢) .

وبعث السفير الى حكومته برغبة فاروق فى اقالة النحاس باشا ، وجاء رد الحكومة البريطانية بجواز : ان رغبة الملك فى اقالة حكومة يتمع رئيسها باغلبية كبيرة فى البرلمان يعتبر محفوفا بالمخاطر ، ولكن اذا أراد الملك حل البرلمان واجراء انتخابات جديدة فان لندن لن تتدخل بشرط ان يتولى رئاسة الوزارة أحد رجال القصر أو زعيم لايحصل على الأغلبية البرلمانية (١٣٣) .

وهكذا تداعت المقولة البريطانية التى ترددت كثيرا والتى تعنى أن بريطانيا تناضل من اجل تدعيم فكرة الديمقراطية فى العالم وهى نفس المقولة التى تذرعت بها بريطانيا اثناء احداث ٤ فبراير ١٩٤٢ وفى الوقت الذى القى فيه الوفد بكل ثقلة تجاة بريطانيا لمعاضدتها فى الحرب بدأت الحكومة البريطانية تفكر فى اعطاء الضوء الاخضر للملك فاروق لكى يقيل الحكومة الوفدية بعد أن استنفذت كل إغراضهــا ويبدو أن السياسة البريطانية بدأت تفكر فى صياغة علاقاتها مع مصر من جديد على ضوء المتغيرات الجديدة .

ولعل فى انتصار الحلفاء وزوال خطر الحرب ما شجع السياسة البريطانية على بدا صفحة جديدة من العلاقات مع القصر : اى ان بريطانيا بدأت تفكر من جديد فى التخلص من الوفد بعد أن استنفذته جماهيريا وبعد أن حققت غرضها منه تماما ونجحت فى تشويه صورته الى حد كبير أمام الرأى العام المصرى حيث انفصت عنه قطاعات كبيرة من الجماهير وخصوصا الطبقة المثقفة والتى تجاذبها تيارات سياسية اخرى بعضها قديم والبعض الاخر نشأ عقب أحداث ٤ فبراير .

(١٣٢) وثائق الخارجية البريطانية برقية رقم ٣ من لامبسون الى إيدن ١٢ ابريل ١٩٤٤ . F.O. 371

وما ان اقبل الوفد في اكتوبر ١٩٤٤ حتى اخذ موقع المعارضة وبدأ يكيل الاتهامات ضد الانجليز والقصر معا على اعتبار ان هذه الخطوة لا يمكن ان يتقدم عليها القصر الا بمساعدة الانجليز (١٣٤) .

والمدهش في الامر ان الوفد اعترض على الدخول في انتخابات جديدة عندما بدأت حكومة احمد ماهر تفكر في الامر وتعلل الوفد بأن الاحكـــام العرفية تحول دون حرية الانتخابات واخذ يشن حملات هجومية ضـــد حكومة احمد ماهر (١٣٥) ، وهكذا قدر للوفد ان يذوق نفس الكـــأس الذى اذاق منه خصومة وبنفس المرارة وبنفس التجربة .

استــبداد الافنديـــة :

لقد كانت عودة الوفد في ٤ فبراير ١٩٤٢ سببا كافيا لكي تنصرف عنه قطاعات كبيرة من المصريين ولعل هذا مما ضاعف من هواجس النحاس باشا وخصوصا وان فاروق قد حظى بشعبية حقيقية واسعة النطاق ، ليس مصدرها حادث ٤ فبراير وحده بل بسبب زياراته المتتظمة لمساجد القـــاهرة والتى كان يزور احدها في كل جمعة حيث كان يختلط بجماهير المصــلين الفقراء مستكملا بذلك مظاهر تدينه وورعة .

وكان الوفد يرقب والمولجس تقاته ويلوم من محاولات الوفـــد نقل الصراع الى مجلس الدستور ـــ كما كان يحدث زمن الملك فؤاد ـــ الا ان احدا من المصريين لم تنطل عليه تلك الخدعة ومن هنا تضاعف الصراع بـــين الوفد والقصر بسبب وجود ملك ينافس الوفد نفوذه مع فارق هام هو ان غالبية المصريين كانوا يتعاطفون مع فاروق في هذه المرة .

واعتقد ان السياســة البريطانية قد اصابت مغنما بسبب سياستها في ٤ فبراير حيث نجحت الى حد كبير في زعزعة ثقة المصريين تجاه الوفد ثلـــك

---

(١٣٣) المصدر السابق برقية رقم ٩٦ من ايدن الى لامبسون الاول من مايو سنة ١٩٤٤ .

(١٣٤) محمد زكي عبد القادر . اقدام على الطريق صـ ٢١٩ .

(١٣٥) صحيفة المصرى ٣ نوفمبر ١٩٤٤ .

المؤسسة السياسية الوطنية التي اتلفت الاحتلال اكثر من عشرين عاما . ولعل الوفد في محاولة منه لاعادة ثقة الجماهير به مرة ثانية قد ضل الطريق حيث انصرفت جهوده الى خدمة انصاره وتعقب خصومه ولم يكترث بـرأى الاحزاب الاخرى أو معارضتها (١٣٦) .

واعتقد ان تلك السياسة جاءت بنتائج عكسية ضد مصلحة الوفـــد ولصالح القوى السياسية الاخرى لان العناصر الواعية من اعضاء الوفـد قد انتابها الفزع بسبب تلك السياسة التي جعلت من الوفد سندا للانجليز وتابعا لهم بعد ان كان حربا عليهم ومقاوما لهم .

وعلى الرغم من الاجراءات العديدة والتى استخدمها النحاس بوصفة الحاكم العسكري العام والتى تعد في معظمها تنفيذ لقانون الطوارىء الا أن كل ذلك لم يمنع حالة الغليان التي كانت تعم معظم فئات الشعب المصري .

وهكذا اتخذت حكومة الوفد من الاحكام العرفية والتى عارضها النحاس وطالب بالغائها سنة ١٩٤٠ سلاحا استغله اسوا استغلال .

ونظرا لأن النحاس كان يريد أن يستعيض عن افراد الطبقة الوسطى (البورجوازية) والتى لحق اغلبها ينصيف عنه بطبقة اخرى من الانصار من ذوى المصالح فقد سمح للمحامين الوفديين بالمرافعة في القضايا العسكريـــة الناجمة عن الاحكام العرفية دون غيرهم من المحامين وصارت هذه المحاكمات وما اتخذ من وساطات غير مشروعة مغنما كبيرا لهم ومصدرا جديدا لتمويله القصيد منهم (١٣٧) . وبدأت المحسوبيات والاستثناءات تتحق على الانصار والمحاسيب واصبح الاثراء بالطرق الغير مشروعة مغنما لكثير من الوفديين كما احيل كثير من الموظفين الى المعاش لا لبلوغهم السن القانونى وانمـــا لكونهم غير وفديين (١٣٨) .

---

(١٣٦) د . محمد صفوت مصر المعاصرة ص ٥٦-١٠٦ ، الرافعي مرجـــع سبق ذكره جـ ٣ ص ١٥٦ .

(١٣٧) لقاء مع فتحى رضوان ١٢ سبتمبر ١٩٨٢ ، د هيكل مرجع سبق ذكره ص ٢٤٨ ، السياسة ١٢ نوفمبر ١٩٤٤ .
معركة نزاهة الحكم ص ٤٢ .

(١٣٨) مضابط مجلس النواب ــ دور الانعقاد العادى الثانى الجلسة الثانية عشرة ١٠ من فبراير ١٩٤٣ ص ٤٥٠ ، جلال الحمامصي .

ويبدو أن كل الأحزاب المصرية التى تعاقبت على الحكم منذ العشرينيات من هذا القرن قد انتقصت من ممارساتها كل المبادىء الديمقراطية التى تتعارض ومصالحها وحدثت تجاوزات فى سياسية كل حكومة بما يتفق وظروف كل منها . فلقد تولى حزب الاحرار الدستوريين للحكم سنة ١٩٢٨ ، ١٩٣٨ فعطل الدستور وضغط على الحريات وانشا فى مصر ما يسمى بحكم البيوتات وكان مهادنا للسراى ممتثلا مع الإنجليز وحاول أن يصرف الشعب عن مطالبه الوطنية بالدعوة إلى الإصلاح الداخلى .

وفى سنة ١٩٢٥ ولى حزب الاتحاد فكان تكأة للسراى فعطل الدستور والحريات وحاول أن يصدر قانونا بتنفيذ الجمعيات السياسية .

وفى سنة ١٩٤٥ ولى حزب الهيئة السعدية فزيف الانتخابات وضغط وداوم فى الحكم مستندا الى القمع (١٣٩) . اى أن هذه التجاوزات التى وقعت فيها حكومة الوفد كانت من صنع احزاب الاقلية الا أن قناعتنا بالوفد باعتباره حزب الكفاح الوطنى تدفعنا الى إلقاء قدر كبير من المسئولية عليه حيث بدا التناقض واضحا بين موقفه من الديمقراطية قبل مجيئه الى الحكم وسياسته تجاهها بعد أن تولى الحكم فى ٤ فبراير .

وبدلا من أن يتخذ الوفد من الديمقراطية وسيلة وغاية : الا أنه ناهضها بالعديد من الإجراءات بدءا من حرية الصحافة وانتهاء بالاعتقالات السياسية .

ولم يقتصر الامر عند ما يكتب فى الصحف بل تخطاه الى تحديد عدد صفحات الجرائد اليومية الى اربع صفحات فقط دون أن تصحبها ملاحق أو تشتمل على نشرات ، ولا يجوز للصحف اليومية أن تصدر اكثر من ست مرات أسبوعيا ، ولا يجوز لها بأى حال اصدار جريدة أخرى ولو باسم آخر لتحل محلها فى اليوم الذى لا تظهر فيه ولا يجوز اصدار الملاحق الاسبوعية على ورق يزيد حجمه على ٣٠ × ٤٤ سم وكل من خالف هذه الإحكام تكون عقوبته من ٥٠ الى ٥٠٠ جنيه غرامة (١٤٠) .

ولم يقتصر الامر عند حد الصحافة انما تعداه الى الارهاب السياسى عن طريق تفتيش مقار الاحزاب بما فيه نادى سعد زغلول حيث اقتحمته قوة من البوليس وفتشته واستولت على بعض الأوراق وفى حضور صفية زغلول شاغلة مؤسس الوفد الأول سعد زغلول (١٤١) . (٢٢١)

---

(١٣٩) محمد زكى عبد القادر محنة الدستور ، ص ١٣٢ ، نقلا عن رفعت عوان ١٢ سبتمبر ١٩٨٢

(١٤٠) الوقائع ١١ ابريل ١٩٤٢ ، الاهرام ، المصرى ١٢ ابريل ١٩٤٢ .

(١٤١) مضبطة مجلس الشيوخ — الجلسة الثانية والعشرون ٣ يونية ١٩٤٢ ص ٣٢٧ .

وعندما تقدم أحد نواب الشيوخ بسؤال الى رئيس الوزراء حــول الأسباب التى استدعت هذا التفتيش أجاب بأن احــد اعضــاء النــادى المشار اليه اعتاد أن يوزع على الشبان الذين يترددون على هذا النــادى نشرات مثيرة بدون ترخيص من ادارة النشر ومن اجـل هـذا اصــدرت الأمر الى البوليس بصفتى الحــاكم العسكرى العام (١٤٢) .

وعلى الرغم من مبررات الحكومة ودوافعها الا ان النحاس كان يجب عليه ان ينــاى بنفسه عن هذه الاعمال نظــرا لمكانة زوجة سعد زغــلول في المجتمع المصرى ولان الاعتداء على مقار الأحزاب واجراءات تفتيشها يعد ردة أكيدة عن الديمقرطية مهما كان العمل بقانون الاحكام العرفية .

ووفق مضابط مجلسى النواب والشيوخ فان قضية الحرية الصحفية قد أخذت حيزا كبيرا فى مداولات الاعضــاء داخل المجلس بل تطــرق الحديث عند تناول هذه القضية الى معاهدة ١٩٣٦ حيث اعتبر احــــد الاعضــاء ان الرقابة ليست من صنع الادارة المصرية وانما هى وليـدة المعــاهدة وذهب النــائب الى المطــالبة بالغــاء معاهدة ١٩٣٦ وما يترتب عليها من اجراءات تتعلق بالحرية الصحفية (١٤٣) .

وبالنظر الى مذكرة الوفد والتى تقدم بها مصطفى النحاس الى الحكومة البريطانية فى ابريل سنة ١٩٤٠ يبدو التناقض الواضح فيما يتعلق بحرية الصحافة حيث اشار النحاس فى تلك المذكرة بانه لا معنى لأن تمتد الرقابة على الاخبار العسكرية الى الرقابة على كل الشئون المصرية حتى اصبح المصريون فى عهد الإستقلال وكانهم آلة عمياء لا يسمع لهم صوت فى تصريف شئون بلادهم ولا يدرون الى أى مصير مسوقون ولا قدرة لهم على الشكوى مما هم إليه موجهون (١٤٤) .

---

(١٤٢) نفس المصدر السابق .

(١٤٣) الجلسة الرابعة والثلاثون من مضابط مجلس النواب جلســة ٢٨ ابريل ١٩٤٣ ص ١٤٠٥ الى ١٤١٥ من كلمة النــائب (محمد فكرى اباظة) .

(١٤٤) ملحق بمضبطة مجلس النواب ضمن حديث النائب محمد فكــرى اباظة المصدر السابق ص ١٤١٠ .

والجدير بالملاحظة ان الاحكام العرفية لم تطبق فى انجلترا نفسها وقت قيام الحرب وعلى حد تعبير المستر براكن Prakn وزير الاستعلامات الانجليزى : « لن توجد فى بريطانيا صحافة تؤيد الحكومة على طول الخط ، فنحن ننظر الى حرية الصحافة بنفس النظرة التى ننظر بها الى استقلال القضاء والبرلمان » (١٤٥) .

واعتقد أن حرية الصحافة فى بريطانيا وقت قيام الحرب كانت حقيقة اكيدة ، فلقد نشرت العديد من الصحف البريطانية مقالات انتقدت فيها المستر تشرشل لأنه يحتكر لنفسه معظم السلطات وطالبت بتوزيع المناصب حتى توقف الفوضى المتفشية فى الوزارات ، ونشرت صحيفة الاحرار البريطانية مقالا انتقدت فيه جميع وزراء تشرشل وقالت : ان بقاء المستر كوبر فى الوزارة محسوبية صارخة فان العمل الوحيد الذى قام به اثناء توليه منصب وزير الدولة فى الشرق الاوسط هو حضور السهرات وحفلات الكوكتيل ، ونشرت صحيفة « الديلى ميل » خبرا قالت فيه : ان اعضاء الوفد الروسى رفضوا حضور المآدب والحفلات قائلين : نحن جئنا الى لندن لنعمل لا لنشرب الشمبانيا ونأكل الكافيار . وعلقت صحيفة المحافظين على هذا الخبر قائلة : كنا نود لو سمعنا هذا التصريح من الوزراء الانجليز (١٤٦) كل هذا وامثاله يكتب فى انجلترا زمن الحرب ولا تتعرض له الرقابة حتى قيل للمستر تشرشل : استغل الرقابة فى حماية وزارتك تأمينا لقضية الحرب . فأجاب : ان الوزارة التى تحمى نفسها بغير رضاء الشعب لا يمكن ان تعيش فى انجلترا (١٤٧) .

وبعد هذا الاستعراض يمكننا القول بأن بريطانيا وهى الدولة صاحبة المصلحة الاولى فى الحرب لم تطبق أى نوع من القيود على حرية المواطن الانجليزى سواء بالحد من حرية الصحافة او حرية الافراد

---

(١٤٥) نفس المصدر ص ١٤١١ .

(١٤٦) مجلة آخر ساعة اول نوفمبر ١٩٤٤ ، روز اليوسف ١٥ نوفمبر ١٩٤٤ .

(١٤٧) من كلمة النائب فكرى اباظة فى مجلس النواب — الجلسة الرابعة والثلاثون ٢٨ ابريل ١٩٤٣ ص ١٤١٢ .

على وجه العموم ووفقا لقول النحاس باشـــا نفسه فى اكثر من مناسبة « ان معاهدة ١٩٣٦ هى معاهدة الشرف والاســــتقلال » أى أن مصـــر وعلى حد قوله قد حصلت على استقلالها عملا بالمعاهدة وحيث انها لـم تكن طـرفا مباشرا فى الحرب حيث انها لم تعـلن الحـرب فعـــليا (الا فى عهد حكومة احمد ماهر ١٩٤٥)وبناء على كل هذه الاعتبـــارات فلم اجد مبررا واحدا لكل هذه التسهيلات التى قدمتها حكومة ٤ فبراير وبلا اى مقابل : ولعل أعـز ما قدمته مصر هو حرية المواطن المصرى الذى بات غريبا فى ارضه وعلى وطنه .

واذا كان احـد زعماء الوفـد يؤكـد أن مصر قد حصـــلت من بريطانيا مقابل كل هذه التسهيلات على وعـد يمكنها من ممارســة كافة أشكال الاستقلال وحقها فى السودان ويضيف صـــاحب هذا الرأى . ان بريطانيا عندما أوشكت الحرب على نايتها قد اعطت الضـوء الاخضـر للملك فاروق حتى يتخلص من الوفد وبالتـــالى يمكن لبريطـانيا ان تتخلص من وعودها السابقة (١٤٨) .

اذا كان هذا القول صادقا فانه يحمل كل السذاجة السياسية ، فليس من المعقول ولا من المقبول شكلا ولا موضوعا أن تقدم مصر كل مـــيزين لديها طوال فترة الحرب بما فى ذلك تعطيل الديمقراطية وتدهـور الاوضاع الاقتصادية وقتل الاف الابرياء فى الاسكندرية بسبب غارات الألمـــان ، كل هذا مقابل وعد شفوى قطعته بريطانيا على نفسها ونظـرا لأهميـــة هذا الرأى فقد بحثت عن خيط ولو رفيع يرشدنى الى توثيق هذه المطومة ، وبكل أسف لم اتمكن من ذلك سواء فى المصادر او الدراسات العديدة التى تناولت العلاقات المصرية البريطانية فى الفترة موضع البحث .

ولقد بلغ من تعاون حكومة النحاس مع بريطانيا حـدا تحدث فيه الحكومة كل مشـــاعر المصريين حتى أنه فى سنة ١٩٤٤ والحـرب قد أوشكت على نهايتها فقـد تقدم أحـد أعضـــاء مجلس النواب باقتراح

---

(١٤٨) لقاء مع فؤاد سراج الدين ٨ ، ١٩٨٢/١١/١٢ جـاردن سيتى القـــاهرة .

وجوب الغاء الأحكام العرفية على اعتبار ان الاسباب التي من اجلهـا اعلنت قد زالت ولم تعد هنـاك ضرورة حربية أو متعلقة بشـئون التموين لبقائها ، بل ان جميع الضرورات حتي الادبية والخلقية منها تقتضى المبادرة الى الغائها والغاء الاثار المترتبة عليها وفى مقدمتهـا الافراج عن جميع المعتقلين السياسيين (١٤٩) .

الا أن دكتاتورية الاغلبية وتحكمها فى قرارات المجلس قد دفعهـا الى مصادرة كل رأى أو فكرة وطنية ، ولو حدث واقدم الوفـد على الغاء الاحكام العرفية — فى مثل هذا الوقت لكان من الممكن أن تكـون مبادرة طيبة تعيد الى الوفـد بعضا من هيبته داخل صـفوف الشـعب المصرى ، الا أن الوفـد قد ارتضى لنفسه أن يأخذ موقفا مناهضـا لمشاعر المصريين جميعـا ، وبلا أى ثمن إلا الوعود والامنيات الطيبـة والتى دفع الوفد ثمنها باهظـا .

وفى العشرينات والثلاثينات من هذا القـرن كانت القاعدة العريضة من الجماهير ترتضى الوفـد حزبا لها وقيادة تتحـرك باشـارتها فقـد نشأ فى حوادث ثورة ١٩١٩ فالتفت حوله الجماهير باعتباره ممثلا لمطالبها فى الاسـتقلال والحـرية ثم كان حفـل زفافه الى السلطة سـنة ١٩٤٢ حفل الختام له كحزب ثورى حيث لم يستطع المضى فى الكفاح لانه وضع امام الاختبار الصعب الكفاح .. أو المساومة ، فاختار المساومة .

وكان تاريخ الانجليز معه هو تاريخ ترويضهم اياه حتى تعب وهدأ ، ثم كان من تخاذله عن اثارة المسـائل الوطنية وهو فى السـلطة ومن حوادث المحسوبية والاثراء والفساد واستغلال النفوذ ما نفـر منه الكثـير من العناصر الوطنية الجادة وبدات الجماهير تفقد ثقتها فيه بالتدريج وتبحث عن قيادة جديدة .

وفى محاولة من الوفـد لاعادة شعبيته فقد صدر القانون رقم ٨٥ لسنة ١٩٤٢ والذى سمح لعمال الصناعة بتأسيس نقاباتهم الأمـر الذى اتاح امام العمـل النقابى ان ينشـط حتى وصـل عدد النقابات فى عام ١٩٤٤ الى ٤١٢ نقابة (١٥٠)

---

(١٤٩) مضابط مجلس النواب — الجلسة الثامنة ٣ ، ٤ ، ٥ ، ١٠ ، ١٢ من يناير سنة ١٩٤٤ ص ٩٥ .

(١٥٠) د. رفعت السعيد : تاريخ المنظمات اليسارية فى مصر ١٩٤٠ — ١٩٥٠ ص ١٨٠ .

وشرعت حكومة الوفد تنفذ بعض الاصلاحات الضرورية الهامة بهدف تهدئة الخواطر الثائرة ولعل من بين هذه الاصلاحات اصدار قانون التأمين الاجباري ضد حوادث العمل وتحديد ساعات العمل وعلاوة غلاء المعيشة وتحديد الحد الادنى للاجور (١٥١) • وكان ابرز هذه القوانين قانون الاعتراف بنقابات العمال ، حيث اعترف القانون بحق العمال في تكوين النقابات الا انه قيد هذا الحق بعدة قيود لعل اخطرها انه اخضع النقابات للرقابة البوليسية وجعلها معرضة للتفتيش والحل الاداريين وحظر اقامة اتحاد عام لنقابات العمال (١٥٢) •

ويبدو ان الوفد كان يقدر أهمية بقاء العمال ركيزة أساسية في بناء الحزب وجريا على سياسة الوفد فقد بدأ الاهتمام بمشاكل العمال حيث صدر لأول مرة أول قانون ينظم العلاقة بين العامل وصاحب العمل ثم قانون مكافحة الأمية (١٥٣) • وبدأ الاهتمام في تكوين « رابطة النقابات » وأسندت رياستها الى محمد حسنين عضو الوفد وقامت الرابطة بعقد عدة اجتماعات عامة للعمال لتدارس شئونهم واقترح في احد هذه الاجتماعات انتخاب فؤاد سراج الدين (سكرتير عام الوفد) زعيما للعمال مدى الحياة وادى تقديم هذا الاقتراح الى نشوب انقسام بين العمال ولم يصل المجتمعون الى قرار (١٥٤) •

ويبدو ان القاعدة العريضة من العمال كانت تقدر محاولات الوفد بهدف السيطرة على الحركة العمالية ولذا فقد ظلت الحركة العمالية منقسمة على نفسها الى ان اقيلت الوفد سنة ١٩٤٤ ومع اقتراب الحرب من نهايتها بدات نذر البطالة تتجمع من جديد لأن وجود القوات المتحالفة في

---

(١٥١) ملحق بمضبطة مجلس النواب ـ مجموعة مضابط دور الانعقاد الثاني ١٩ نوفمبر ١٩٤٢ ص ١٨٠ ، جريدة المصري ٦ مارس عام ١٩٤٢ •

(١٥٢) د. رؤف عباس ، الحركة العمالية في مصر ١٨٩٩ ـ ١٩٥٢ ص ٢٠١ •

(١٥٣) لقاء مع فؤاد سراج الدين ١٢/١١/١٩٧٢ •

(١٥٤) د. رؤف عباس مرجع سبق ذكره ص ٢٠١ •

مصر، قد اوجد العديد من مجالات للعمل حتى وصل عدد العمال المصريين العاملين ضمن القوات المتحالفة ...ر٣٠٠ عامل سنة ١٩٤٣ (١٥٥) ومع زيادة الطلب على العمال وخصوصا المهرة منهم اضطرت القوات البريطانية والأمريكية الى دفع اجور سخية نوعا ما وفجاة يتوقف هذا المدخل مرة واحدة وتتحول هذه الاعداد الهائلة الى البطالة وهكذا انطلقت الموجة الشيوعية الجديدة لتجد الساحة العمالية مهياة تماما ومن هنا بدأ المد الشيوعى يعرف طريقه بصورة مكثفة نحو العمال (١٥٦) .

والحقيقة أن الانعكاسات المباشرة لحادث ٤ فبراير على الحركة العمالية يمكن استقراؤه من خلال الاستياء العام لدى الجماهير العمالية وخصوصا أمام الارتفاع الملحوظ فى حاجيات الحياة وكان من السهل على الجماهير ان تربط بين تردى الحياة عموما وما حدث فى ٤ فبراير (١٥٧) .

ويبدو أن الجماهير التى غفرت للنحاس والوفد « هنات » كثيرة لم تغفر له مطلقا احداث ٤ فبراير بما تجره من مشاعر وطنية جارحة وظهور العديد من الاتجاهات السياسية التى اثرت بشكل واضح على جماهيرية الوفد ونالت من قدرته ومكانته لدى الجماهير العمالية . واستطيع أن اقول أن الديكتاتورية التى مارستها حكومة الوفد ضد القوى المعارضة بهدف التقليل من شأن المعارضة قد اتت بنتائج عكسية تماما حيث بدأت الجموع الغفيرة من جماهير الوفد تتعاطف مع تلك القوى بل ان بعضا من القوى الوطنية بدأت تبحث لها عن زعامة جيدة وفقا لمفهوم سياسى جديد اوجدته احداث ٤ فبراير ولذا فاننى اعتقد أن ردود الفعل المتباينة داخل الوفد نفسه كانت اكبر تاثيرا على الوفد من القوى السياسية التقليدية والتى عرفت بكراهيتها للوفد وزعامته ولعل انشقاق مكرم عبيد من الوفد قد عجل بالقضاء على انهيار هذا الهرم الشامخ والذى بقى لأكثر من عشرين عاما رمزا للصمود الوطنى ..

---

(١٥٥) مجلة روز اليوسف ١٨ ديسمبر ١٩٤٣ .
(١٥٦) د. رفعت السعيد مرجع سبق ذكره ص ٥٩ .
(١٥٧) دراسة عن دور النقابات العمالية فى الحركة الوطنية اعدها اتحاد عمال مصر — القاهرة ١٩٦٥ ص ١٣ .

الفصل الرابع

القوى السياسية وموقفها من حادث ٤ فبراير

١ ــ الهيئة السعدية .

٢ ــ الاحرار الدستوريون .

٣ ــ الاخوان المسلمين .

٤ ــ مصر الفتاة .

٥ ــ قوى أخرى لعبت دورا هاما فى مجرى الاحداث .

الهيئـــة الســــعدية : (١) : ــ

لعل الدراسة السابقة توضح وبصورة كاملة مسئولية الوفـــد عن الاحـداث التى وقعت مســاء ٤ فبراير ١٩٤٢م تلك المسئوليــة التى نعتقد أنها لم تكن مطلقة وانما شاركت فيها العديد من القوى الاخرى التى ساهمت بشكل أو بآخر فى تصعيد حدة الصراع الدائر على الســاحة المصـــرية .

وبما أن حادث ٤ فبراير لم يكن وليد يومه بل تضافرت على بلوغه عوامل متعددة كان من أهمها سياسة القصر ومحاولته الاستئثار بالسلطة وعدم اكتراثه بقوة الشعب وسلك القصر فى سياسته طرقا متعددة كان من بينها احزاب الاقلية حيث اتخذها تكأة للنيل من الوفد ووجدت الأحزاب ضالتها فى القصر فقد كانت هى الأخرى تهدف الى النيــل من الوفـــد ولو سلكت فى سياستها طرقا تتنافى مع الديمقراطية .

ويبدو أن ما حدث فى ٤ فبراير لم يكن مسئولية جهة محـــددة أو شخص بذاته لأن الحوادث لا تقع اعتباطا وانحراف الامور الى المبــلغ الذى بلغته مساء ٤ فبراير يعد نتــاج سلسلة طويلة من الأخطـــاء والتجاوزات ترجع فى معظمها الى اطماع شخصية ودوافع حزبية ، ومن المؤسف أن الذين حملوا على التدخل البريطانى قبلوا وفى ظروف كثــيرة ما يشبه هذا التــدخل وارتضوه ، فتحمسهم من أجـل السيادة المصرية لم يكن تحمسا خالصا وانما لأن هذا التدخل لم يكن فى صالحهم ، ومن هنا فان تبعة ٤ فبراير أوسع دائرة مما أراد الكثيرون ان يحصروهـــا فى هيئة واحدة ، فان الرجال الذين استخدمهم القصر وقربهم واســتمع الى مشورتهم ــ وكان الملك لا يزال حدثا قليل التجربة ــ وعشرات النواب والوزراء والشيوخ الذين قبلوا أن يشتركون فى برلمان ووزارات لا شــأن ولا اعتبار لها عند الشعب ، لذا فاننى اعتقد ان المسئولية يجب ان تشمل هــؤلاء جميعـــا .

---

(١) لم تنشر الهيئة السعدية برنامجا لها باعتبارها حزبا سياسيا جديدا لأن رجالها لم يعتبروا أنفسهم خارجين على الوفـــد بل راوا ان الزعامة الوفدية هى التى خرجت على المبادىء الاساسية للوفد .

وحزب الهيئة السعدية من بين الأحزاب التى انسلخت عن الوفد (١٩٣٧) ولا يعنينا فى هذه الدراسة صور الخلاف بين احمد ماهر ومصطفى النحاس وانما الذى يعنينا فى المرتبة الأولى ابراز اثر هذا الانشقاق على مجرى الأحداث السياسية .

والجدير بالملاحظة ان خروج احمد ماهر والنقراشى من الوفد ثم ماتبع ذلك من اقالة حكومة الوفد (ديسمبر ١٩٣٧) يعد من أهم العوامل التى أثرت فى سلوك الوفد وسياسته العامة سواء فيما يتعلق بعلاقاته بالقصر او فيما يتعلق بعلاقاته بأحزاب الاقلية ، ولعل زيادة حدة الصراع بين القوى المتنافسة قد دفع الوفد الى التضامن مع بريطانيا لهدف ضرب القوى الأخرى (القصر وأحزاب الأقلية) .

أما عن اثر انشقاق الدكتور أحمد ماهر والنقراشى عن الوفد فعندما شكل محمد محمود حكومته (يناير ١٩٣٨م) وحل مجلس النواب تمهيدا لاجراء انتخابات جديدة شعر كثيرون ممن احتفظوا بولائهم للنحاس اعتقادا منهم بأن هذا الولاء يمكن أن يعيده الى منصة الحكم الا انهم تأكدوا انه لا سبيل لهم الى العودة لعضوية مجلس النواب الا اذا أنكروا هذا الولاء له فانضم كثيرون منهم الى الدكتور أحمد ماهر وانضم اليه غيرهم من الذين لم يرشحوا من قبل وكانوا يطمعون فى الوصول الى عضوية مجلس النواب وألف الدكتور ماهر والنقراشى من هؤلاء وأولئك الهيئة السعدية (٢) وبهذا التكوين خرجت الهيئة السعدية الى حيز الوجود لتأخذ موقعها على مسرح الاحداث السياسية ليس من أجل أن تكون تجمعا سياسيا ينال من هيبة الاحتلال ونفوذه وانما لكى تكون جبهة معارضة تقف على الطريق المضاد لحزب الاغلبية (الوفد) وتنضم آليا الى أحزاب الأقلية المتعاونة مع القصر بهدف الانتقام من الوفد والنيل من شعبيته لدى الجماهير ، ويبدو ان هذه كانت المهمة الاساسية لحزب الهيئة السعدية خلال فترة الحرب .

---

(٢) د. هيكل مرجع سبق ذكره ج٢ ص ٨٥ ، صحيفة السياسة ١٣ مارس ١٩٣٨م .

وتشير الوثائق البريطانية الى بعض مظاهر الصراع داخل الوفد (قبل خروج ماهر والنقراشى) ووفق رواية السفير البريطانى : « ان العناصر المعادية للنحاس لا تحظى بأية شعبية لدى الجماهير ومن ثم فلابد لها من زعامة رمزية تستطيع أن تنافس زعيم الوفد فى شعبيته لدى الجماهير ، والملك الشاب وحده الذى يستطيع أن يمثل هذه الشخصية »(٣)

وبهذا التحليل يضع لامبسون اصابعه بمهارة فائقة على حقيقة العلاقة بين الملك فاروق وحزب الهيئة السعدية وهو يشير من طرف خفى الى ان القصر كان وراء تفاقم الصراع بين القوتين المتنافستين (احمد ماهر والنقراشى من جانب ومكرم عبيد والنحاس من جانب آخر) حيث يشير لامبسون فى نفس البرقية قائلا « ان فاروقا قد استغل التنافس الدائر وعمل على تصعيده بصورة واضحة » (٤) ولعل خروج ماهر والنقراشى من الوفد يعد من اقوى الدوافع التى شجعت فاروق على اقالة الوفد سنة ١٩٣٧م على اعتبار أن شخصية أحمد ماهر والنقراشى كفيلتان باحداث خلل فى هيكل الوفد وهو ما يسمى بسياسة الاستيلاء على الوفد من الداخل (٥) .

ويبدو أن من بين الأسباب التى ضاعفت من حدة التنافس بين فاروق والنحاس أن الأخير كان يعتقد أن فاروقا ضليع فى تلك المؤامرة (٦) .

ولما كان الدكتور احمد ماهر رجلا ماكرا فى السياسة يعلم جيدا حقيقة القوى الاكثر تاثيرا فى السياسة المصرية فقد ادرك ان الوقوف بجانب بريطانيا والاعتماد عليها هو الطريق الأمثل للوصول بحزبه الى الوزارة من

---

(٣) وثائق الخارجية البريطانية برقية رقم ٢٠٩ من لامبسون الى ايدن ١٦ فبراير سنة ١٩٣٧م .

(٤) نفس المصدر .

(٥) مذكرات حسن يوسف . مصدر سبق ذكره ص١٣٨ ، مذكرات كريم ثابت صحيفة الجمهورية ٧ يونية ١٩٥٥م .

(٦) لقاء مع الاستاذ كامل زهيرى ١٩٨٣/٤/٣٠ نقابة الصحفيين القاهرة .

هنا كان قراره : « أن الحزب يرى اعلان الحرب على المـــانيا نظـــرا لأن الحرب فرصة طيبة لتقوية الجيش المصرى وتقوية لمركــز مصر السياسى باعتبارها من أكبر الدول العـــربية »(٧) .

والغريب فى الأمر ان يرى الدكتور أحمد ماهر وهو الشخصية الــتى لعبت دورا رائدا فى الحركة الوطنية المصرية منذ ثورة ١٩١٩م أن اعــلان مصر الحرب على المانيا هو الحل الأمثل لتقوية مصر عسكريا متناسيا الثمن الباهظ الذى ستدفعه مصر لو سلكت هذا الاتجاه منذ بداية الحــرب سواء فيما يتعلق بأرواح ابنائها او تدمير مرافقها العامة ، حيث ستكون مصـــر فى هذه الحالة شريك كامل فى الحرب وعليها أن تتحمل تبعة ما يحدث .

والحقيقة أن بقاء مصر بعيدا عن التورط فى اعلان احرب كان مســلكا جادا ومتفقا الى حد كبير مع مصلحة مصر القومية بالرغم من التضــحيات الباهظة التى قدمتها مصر ثمنا لارتباطها بمعـــاهدة ١٩٣٦م الا أن هذه التضحيات كانت شيئا لا يذكر أمام أهوال الحرب وأضرارها بالاضـــافة الى ان هذا الموقف المصرى كان حجة تذرعت بها الحكومات المصرية المتعاقبة خلال الحرب لكى تحول دون تنفف المدن والمرافق المصرية حتى أن حكومـــة الوفـــد ذاتها قد عملت على استغلال هذه الورقة الرابحة حينما بدأت قوات المحور تتقدم صوب الاسكندرية حيث ذود محافظها بتعليمات يرسلها بدوره الى روميل مؤكدا أن مصر لا ذنب لها وأن الوجود البريطانى داخل الأراضى المصرية يعد شكلا من أشكال الاحتلال الذى لا ذنب لمصر فيه (٨) وممـــا يضاعف من مسئولية الهيئة السعدية تجاه قضية دخول مصر الحــرب أن هذا الموقف جاء مناقضا لمشاعر الغالبية العظمى من المصريين حيث كانت قطاعات كبيرة من الرأى العام تنفر من اشتراك مصر فى الحرب على اعتبار أنها حرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل ، كما عبر عن ذلك الشيخ مصطفى المراغى شيخ الأزهر وهو يخطب فى مسجد بيبرس وكان فاروق حاضرا يؤدى صلاة الجمعـــة وكانت مشـــــاعر النـــاس غاضــبة اثر وقــوع غــــارة عنيفة على القاهرة راح ضحيتها ٣٩ قتيلا ، ٣٣ جريحا (٩) .

---

(٧) مذكرات ابراهيم عبد الهادى مجلة روز اليوسف ٢ اغسطس ١٩٨٢، مجلة المصور ١٩٤١/١/٣م تصريح لأحمد ماهر .

(٨) لقاء مع فؤاد سراج الدين سكرتير عام حزب الوفـــد القـــاهرة ١٩٨٢/١١/١٢م جاردن سيتى .

(٩) البلاغ ٢٠ سبتمبر ١٩٤١م ، مذكرات حسن يوسف مصـــدر ســـبق ذكره ص ١١٧ .

ولعل موقف الهيئة السعدية من دخول مصر الحرب كان لعبة سياسية بهدف الوصول بالحزب الى موقع الوزارة الا ان السياسة البريطانية كانت **تدرك أن هذه الدعوة لا تجد قبولا لدى الرأى العام المصرى وأن بقاء مصر** بعيدا عن هذا الصراع سوف يترتب عليه العديد من المكاسب التى تدرنهـا بريطانيا ومن هنا فقد صرفت بريطانيا نظرها عن هذه الدعوة على اعتبـار أن الحـزب السـعدى لا يمثـل واقعـا ملموسـا فى صفوف الجماهير وأن فكرة دخول مصر الحرب لا تجد من يؤيدها .

وجريا على سياسة التفاهم بين الهيئة السعدية وحزب الأحـرار الدستوريين فقد فكر البعض فى أن يندمج الحزبان فى هيئة واحدة يكـون محمد محمود باشـا رئيسا والدكتور أحمد ماهر نائبا عن الرئيس وراقت هذه الفكرة بعض الجهات فشجعت عليها ولم ير الدستوريون بالفكرة بأسا ما دام محمد محمـود سـيكون رئيسا ، لكن هذه الفكـرة لقيت مقـاومة من الهيئة السعدية اعتقادا منهم بأنهم ورثة سعد زغلول وبأنهم سيتغلبون على النحـاس ما داموا محتفظين باسـتقلالهم ، أمـا اذا انضموا الى الدستوريين فقد ضاعت عليهم الفرصة لأن النحاس سيظل عندئذ الوارث الوحيـد لسعد زغلول وتشبث أصحاب هذه الدعوة بها تشبثا لم يكـن **يسـيرا على زملائهم التغلب عليـه ، ولذلك استبعدت فكـرة اندماج** الحـزبين (١٠) .

ولعل التفاهم الذى طرأ على العلاقة بين الهيئة السـعدية والاحرار الدستوريين كان تفاهما صناعيا لم يزل ما بينهما من تنافس دل عليه وقـوع العديد من الخلافات ومحاولة كل حزب النيل من الاخر (١١) .

---

(١٠) د. هيكل مرجع سبق ذكره جـ٢ ص ١٥٢ ، فتحى رضـوان ١٩٨٢/٩/٨م لقاء شخصى .

وبيدو ان فكرة الاندماج تعد اكبر دليل على أن الحزبين لم تكن لهمـا سياسة واضحة اللهم الا اذا كان النيل من الوفـد يعتبر ارضية سياسـية من الممكن أن تقوم عليها فكرة الاندماج .

(١١) صحيفة السياسة الأول من نوفمبر ١٩٣٨م ، مجـلة المصـور ٢٣ ديسمبر ١٩٣٨م .

ويلاحظ ان محاولة النيل من الدستوريين كان مسلكا تبناه الدكتور احمد ماهر حتى يظفر بتشكيل الحكومة عن طريق التشكيك فى نزاهـــة وزارة محمد محمود وتعد مزرعة الجبل الأصـفر أكبر دليـــل على هذا المسلك (١٢) ، امـــا عن موقف الهيئة السعدية من بعض القضايا القومية .

فقد درج اليسار المصرى على وصف هذا الحزب بانه حزب البرجوازية الصناعية الكبيرة (١٣) ، وقد وصفه أحد أقطاب اليسار بانه الحـزب الذى يمثل الراسماليين الكبار (١٤) .

ومن الطبيعى أن تقوم فلسفة الحزب على الدفاع عن مصالح أعضائه حيث ضم الحزب كثيرا من كبار الاقطاعيين مثل الدكتور محمد حلمى الجيار وعائلة الاتربى ، أحمد حلمى محمود (١٥) .

وعلى الرغم من ان الحزب كان حريصا على ابراز فكرة الديمقراطيـة عن طريق توسيع دائرة اختصاص المجالس النيابية والتشريعية الا أن هذه الأفكار النظرية قد تهاوت منذ اللحظة الأولى لتكوين الحزب ولعل هـــذا راجع الى عـــدة عوامل اساسية :

أولا : لقـــد كان من بين العوامل الهامة فى انســلاخ النقراشى واحمـــد ماهر عن الوفد هو عدم موافقتهما على سياسة الوفد الليبرالية فى مجال الاصلاح الاقتصادى والاجتماعى حيث حمل الدكتور احمـــد ماهـــر حملة عنيفة على الوفد وسياسته وخصوصا فيما يتعـــلق بالعمـــال

---

(١٢) مضابط مجلس النواب — دور الانعقاد الثالث ١٣ فبرايـــــــر ١٩٣٩م ص ١٣٠ ، لقد أثار السعديون موضوع مزرعة الجبـــل التابعة لوزارة الزراعة حيث تم بيع ثمارها فى مزاد قبل بأن اجراءات المزاد لم تكن سليمة وتقدم استجواب من أحد السعديين كان سـببا فى استقالة رشوان باشا وزير الزراعة بناء على رغبة القصر .

(١٣) أنور عبد الملك مصر مجتمع جـديد يبنيه العســـكريون ص ٣٢ بيروت ١٩٦٤م .

(١٤) كمال الدين رفعت ، حرب التحـرير الوطنية ١٩٣٦ — ١٩٥٤ اعداد مصطفى طيبة ، آخر ساعة ١٢ أكتوبر ١٩٦٦م .

وكان مما ذكره : « ان الحكومة اغدقت على العمال بالعديد من النعم حتى ابطرتهم وجرأتهم على الاخلال بالنظام والتحكم فى رؤسائهم واضاف الدكتور ماهر قائلا :

« اذا انسحبت هذه الفوضى حتى تعم عمال المصانع والزراعة فانها ستحدث بلا شك فوضى اجتماعية لا يعلم مداها الا الله » (١٦) .

وكان افتقار الحزب الى الطابع الاقتصادى والاجتماعى من بين العوامل التى ادت الى انصراف غالبية الشعب المصرى عنه ماعدا فئة قليلة من طلاب الجامعات والتى انبهرت بشخصية الدكتور احمد ماهر وحجته القومية فى العديد من القضايا القومية بالاضافة الى مقدرته الفائقة على اجادة الحوار والبعد السياسى الكبير الذى كان يتمتع به (١٧) .

ثانيا : محاولة الزج بمصر فى الصراع الدولى القائم عن طريق الحرب ضد المانيا وهذه الدعوة لم تجد لها اى صدى لدى الجموع الكاسحة من المصريين بل وقد أتهم أحمد ماهر صراحة بانه ينافق الانجليز على حساب المصالح القومية بهدف الوصول بحزبه الى موقع الوزارة (١٨) .

ثالثا : لقد اشترك الحزب فى العديد من الوزارات التى افتقدت الى اى اساس ديمقراطى أو دستورى بدأ من سنة ١٩٣٨م وحتى ٤ فبراير ١٩٤٢م وكل هذه الوزارات كانت صنيعة من صنائع القصر والاحتلال ، وهكذا ارتضى الحزب لنفسه أن يتخذ من القصر والاحتلال تكأة لوجوده واستمراره مقابل العديد من اشكال المساومة التى مست فى معظمها مصالح مصر الوطنية وبدلا من أن يكون الدكتور أحمد ماهر وحزبه حربا على الاحتلال وسياسته حتى يكون جديرا بتركة سعد زغلول وحتى تتجمع الجماهير من حوله ، بالعكس من ذلك فقد بدأ العديد من أعضاء الحزب يبحثون لهم عن موقع جديد

---

(١٦) الأهرام ، المصرى ٢٤ ديسمبر ١٩٣٧م .

(١٧) مذكرات ابراهيم عبد الهادى روز اليوزف ١٦ اغسطس ١٩٨٢م

(١٨) صحيفة المصرى ١٥ اكتوبر ١٩٤٠م .

بعد أن اكتشفوا أن الجمل الانشائية والخطب العصماء لا يمكن أن تخلق نظاما دستوريا ، ولذا فقد انصرف عدد كبير من الأعضاء الى جماعة الأخوان المسلمين أو الى حركات اليسار بعد أن فقدوا الثقة فى القيادات التقليدية ، الى كانت موضع ازدراء وخصوصا وسط قطاعات الشباب المثقف ، ولم يعرف عن هذا الحزب أنه أخذ موقفا وطنيا تجاه العديد من قضايا مصر القومية والوطنية بل انه صاحب سياسة اللين ومحاولة التقرب من بريطانيا والارتباط بها باعتبارها الامبراطورية التى تناصر الديمقراطيات فى العالم .

أما عن موقف الحزب من قضية الاحكام العرفية والتى صدرت بمرسوم فى أول سبتمبر ١٩٣٩ م وبمقتضى ذلك وضعت الرقابة على الصحف والمراسلات ووسائل الاعلام فلقد اتفق السعديون على دستورية الاحكام العرفية الا أنهم طالبوا بدعوة البرلمان للتصديق على هذه الاجراءات عملا بنص الدستور (١٩) .

واعتبر الحزب أن اعلان الاحكام العرفية من أهم الالتزامات التى يجب أن تنفذها مصر لانها لو لم تعلنها لتعرضت تعرضا واضحا لخرق المعاهدة — ١٩٣٦ — على اعتبار أن المعاهدة نصت صراحة على اعلان مصر الاحكام العرفية (٢٠) .

وهكذا دخلت الهيئة السعدية دائرة احزاب الاقلية التى استخدمها الاحتلال لتحقيق أغراضه وأصبح هذا الحزب ألعوبة فى أيدى كبار الماليين المصريين المرتبطين بالشركات الاحتكارية الاجنبية وما يؤكد العلاقة الوثيقة بين هذا الحزب وبين بريطانيا ان العديد من الاعضاء البارزين لهذا الحزب كانوا أعضاء فى العديد من الشركات البريطانية (٢١) ولعل من مصلحة هؤلاء مهادنة الاحتلال حفاظا على مصالحهم وامتيازاتهم حيث انه من المسلمات انه كلما ارتفعت نسبة العناصر التى تمثل قطاعا اجتماعيا معينا فى قيادة
انه كلما ارتفعت نسبة العناصر التى تمثل قطاعا اجتماعيا معينا فى قيادة
حزب من الاحزاب كلما كان ذلك مؤشرا على اتجاه سياسة الحزب نحو تحقيق مصالح هذا القطاع .

---

(١٩) الاهرام ، المصرى ، الدستور ١٢ سبتمبر ١٩٣٩ م .
(٢٠) الدستور ١٩٣٩/١٠/١٧ م .
(٢١) مجلة الاقتصاد المصرى القاهرة ١٩٤٦ ص ١٣ .

اما عن موقف الهيئة السعدية من أحداث ٤ فبراير فلقد عبر عنه الدكتور احمد ماهر بكلمته المشهورة : « لقد قبلت العودة الى الحكم بالنحاس باشا على أسنة الرماح البريطانية » وهذه المقولة بقدر ما هى اتهام واضح للنحاس باشا الا أن النظرة الموضوعية لعمق الاحداث وتطورها تقتضى منا العودة مرة ثانية الى الاحداث التى وقعت مساء ٤ فبراير ، وبطرح كل الحلول على المؤتمر الذى عقد بقصر عابدين والذى اشترك فيه زعماء كل الاحزاب ورؤساء الحكومات فقد اجمعت الاراء على قبول الانذار البريطانى لكن كان الاختلاف فيما بينهم : هل يشكل لنحاس حكومة وفدية خالصة أو حكومة قومية من بين كل الاحزاب أو حكومة ادارية تكون مهمتها اجراء انتخابات نيابية يتولى الحكم على اثرها الحزب صاحب الاغلبية (٢٢) وأجمعت كل الاراء بما فيهم الدكتور أحمد ماهر « زعيم الهيئة السعدية » على الموافقة على أى حل من الحلول المطروحة ما عدا أن يشكل الوفد وزارة وفدية خالصة ، وفى هذه الحالة فقط يكون الوفد قد قبل المجىء على اسنة الرماح البريطانية — على حد قول احمد ماهر — اما ان يشكل النحاس حكومة سواء أكانت قومية أو ادارية على الرغم من انه يعد تنفيذا صريحا للانذار الا انه من وجهة نظرهم « قادة الاحزاب » لا يعتبر تنفيذا للانذار ويعتبر خروجا عن دائرة التسلط البريطانى .

ويبدو أن حزب الهيئة السعدية قد عمل على استغلال أحداث ٤ فبراير ١٩٤٢ لا لأسباب وطنية ولا لأن كرامة مصر قد أهينت واستقلالها قد اهدر وانما كانت الدوافع الحزبية والكراهية الشديدة التى يكنها الدكتور أحمد ماهر للنحاس باشا هى العامل الاول فى موقف الدكتور أحمد ماهر وحزبه من أحداث ٤ فبراير ، حيث اعتبرت كل الاحزاب (بما فيهم الهيئة السعدية) أن الوفد قد حكم على نفسه بالموت البطىء (٢٣) وحقا كانت فرصة مواتية لكل الاحزاب كى تنال من الوفد ومن شعبيته الكاسحة ومن تاريخه العريق فى قيادة النضال الوطنى ، والمهم أن الوفد قد اختار لنفسه هذا الطريق والذى يعد خطأ سياسيا كبيرا .

---

(٢٢) الملف السرى لحادث ٤ فبراير ١٩٤٢ الاهرام ١٨ ، ٢٥/٥/١٩٧٣م مذكرات حسن يوسف ص ١٢٥ .

(٢٣) جريدة السياسة ١٠/٢/١٩٤٤ ، اخبار اليوم ٣ يناير ١٩٤٥ م .

وعلى الرغم من أن سايسة الحزب السعدى كانت تعنى التعاون مع الحليفة « بريطانيا » الى اقصى حد حتى وصل الامر الى الاصرار على اعلان الحرب من جانب مصر ضد المسانيا الا أن الدكتور أحمد ماهر قد وصف ما حدث مساء ٤ فبراير فى مذكرته التى قدمها الى السفير البريطانى « بأنـــه عدوان صارخ على استقلال مصر يتعارض صراحة مع نص المعاهـــدة (معاهدة ١٩٣٦) ويعرض العلاقات بين الدولتين لخطر بالغ (٢٤) .

ويبدو أن الدكتور أحمد ماهر قد اتخذ هذا الموقف وفقا لعدة عوامل أساسية :

أولا : أن هذا الموقف يعد تطييبا لخـــاطر الملك فاروق والذى كانت تربطة بالدكتور أحمد ماهر علاقات وطيدة .

ثانيا مواكبة لمشاعر الرأى العام والذى صدم صدمة عنيفة من جراء ما حدث (٢٥) .

ثالثا : والاهم من كل ذلك أ نالسعديين كانوا يعتبرون أنفســــهم ورثة سعد زغلول وان ما حدث يعد فرصة اكيدة لكى يحتل الســعديون مكانة كبيرة لدى الجماهير الساخطة على الوفد والاحتلال معا .

ونظرا لان رد الفعل كان عنيفا سواء لدى الرأى العام أو لدى الاحزاب السياسية لذا فقد حرص السفير البريطانى على استقطاب الموقف عن طريق زعماء الاحزاب وكان الدكتور ماهر أول من عمل السفير على الاتصال به حيث بعث اليه السكرتير الشرقى للسفارة فى محاولة لارضاء الدكتور ماهر وحزبه وتشير الوثائق البريطانية الى موقف مغاير تماما للموقف الذى أعلنه الدكتور ماهر فبدلا من أن يمضى فى موقفه والذى يعنى أن بريطانيا قد انتهكت معاهدة ١٩٣٦ وارتكبت خطأ سياسيا لا يغتفر ، اخذ يتحدث فى لقـــائه مع السكرتير الشرقى للسفارة عن ارتباط مصر ببريطانيا واهميته وسياسة حزبه فى اعلان الحرب ضد المحور والتاكيد على ان النحاس باشا هو الذى ارتكب

---

(٢٤) وثائق الخارجية البريطانية وثيقة رقم ٢٥٢ من لامبسون الى ايدن ٥ فبراير ١٩٤٢ م . F. O. 371

(٢٥) لقاء مع فتحى رضوان ١٩٨٢/٨/٩ مصر الجديدة القاهرة ، أخبار اليوم ١٩٤٦/٤/٦ م .

كل الخطأ حيث اهان بريطانيا فى خطبة العامة ووافق مع الزعماء الاخرين فى اجتماعات القصر (مساء ٤ فبراير) على أن ما تطلبه بريطانيا يعد تدخلا لا مبرر له ومع ذلك قبل الحكومة تؤيده الحراب البريطانية (٢٦) .

وكان احمد ماهر كان يلوم بريطانيا لا لانها اهدرت استقلال مصر ، ولا لأن ما حدث يعوض العلاقات بين الدولتين للخطر ولكن لأن بريطانيا جاءت بالوفد هكذا يبدو التناقص الواضح بين ما اعلنه احمد ماهر صراحة وبين ما صرح به للسكرتير الشرقى واخذت السفارة البريطانية انطباعا بـــأن موقف الدكتور ماهر يعد مناورة موجهة الى النحاس اكثر من بريطانيا (٢٧).

وعلى الرغم مما بذله السفير من محاولات لاقناع الدكتور ماهر بالعدول عن سياسة مهاجمة الوفد الا ان المعارضة اخذت تضاعف من نشاطها علَى الرغم من الاحكام العرفية المفروضة على البلاد بهدف النيل من الوفد ، واخذت تقارير الامن العام تلاحق المعارضة فى كل مكان وخصوصا الهيئـــة السعدية حيث بدأت أكبر حركة اعتقالات فى المدن والقرى بتهمة توزيـــع صور من الاحتجاج الذى تدمه احمد ماهر الى السفير البريطانى (٢٨) .

وعلى ما يبدو فان النحاس باشا قد انزعج انزعاجا شديدا بســـبب الحملة المكثفة والتى يتزعمها السعديون لان حكومة الوفد كانت حريصة على اخفاء ما حدث فى ٤ فبراير حيث امتنعت جميع الصحف عن الاشارة الى هذا الحادث ولو من بعيد الا أن احد النواب قد فجر الموقف من خلال استجواب تقدم به الى رئيس الحكومة بخصوص حرية الصحافة ولماذا لم ينشـــر اى شىء عن أحداث ٤ فبراير (٢٩) .

---

(٢٦) الوثائق البريطانية وثيقة رقم ٥٣٥ من لامبسون الى ايدن ٩ فبراير ١٩٤٢ م . F.O. 371

(٢٧) نفس الوثيقة السابقة .

(٢٨) الاهرام ١٤/٢/١٩٧٥م م من تقارير الامن العام التى تســـــجل تحركات خصوم الوفد عقب ٤ فبراير ١٩٤٢ م .

(٢٩) مضابط مجلس الشيوخ ــ الجلسة الثانية ٨ ، ٩ ديسمبر ١٩٤٢ م دور الانعقاد الثامن عشر ص ٣٧ قدم الاستجواب الشيخ عادل جبران

ولما كان هذا الاستجواب يمثل احراجا واضحا لحكومة الوفد وان الاجابة عليه تعد اكثر احراجا للحكومة فقد اعتذر النحاس عن الاجابة بحجة أن فيها مساسا بسيادة العرش وهو ما يتعارض تماما مع الدستور (٣٠) .

ونظرا لان هذا الموقف يعد تناقضا واضحا فى سياسة الحكومة فقد حرصت المعارضة على طرق العديد من الابواب التى تشير ولو من بعيد الى احداث ٤ فبراير وشهدت قاعات مجلس الشيوخ العديد من المواقف التى تمكنت المعارضة بمقتضاها من احراج الحكومة (٣١) .

وعلى الرغم من الاحكام العرفية القاسية والرقابة الشديدة على الصحف والمطبوعات عموما الا ان الهيئة السعدية قد تمكنت من أن تنال من الوفد وأضعفت من شعبيته الى حد كبير نظرا لان الحكومة قد أخذت فى تحرى الرغبات البريطانية بصورة قوبلت باستنكار واستياء شديدين من بعض الوفديين قبل غيرهم وبشهادة أحد الوفديين « لقد كان حكم الوفد أقرب الى الديكتاتورية منه الى النظام الديمقراطى السليم (٣٢) .

ولسرفت الحكومة فى تفسير « ضرورة الحرب » فاعتقلت اعدادا كبيرة من اعضاء الهيئة السعدية دون أن يكون لهم شأن فى الاضرارا بمجهود الحلفاء (٣٣) وتساءل احد اعضاء مجلس الشيوخ : هل من حق الحاكم العسكرى أن يعتقل ما يشاء بدون ذكر الاسباب ؟ واضاف النائب قائلا : قد يكون ذلك مقبولا فى بعض الظروف بحجة المحافظة على سلامة الدولة ، أفهم أن يقول الحاكم العسكرى عندما قبض على على ماهر باشا انه يمتنع عن ذكر الاسباب لسلامة الدولة ، هذا مقبول لان على ماهر رجل متصل بشئون الدولة ولكن من غير المقبول أن يقبض على موظف فى الدرجة الثامنة لتوزيع منشورات أو لاشتراكه فى مظاهرة فاذا سئل الحاكم العسكرى عن أسباب القبض أو الاعتقال امتنع عن ذكرها (٣٤) .

---

(٣٠) نفس المصدر السابق .
(٣١) نفس المصدر .
(٣٢) محمد زكى عبد القادر محنة الدستور ص ١٢٩ .
(٣٣) روز اليوسف ١٩٤٤/٢/٢٥ م .
(٣٤) مضابط مجلس الشيوخ ـ الجلسة الثانية ٨ ، ٩ ديسمبر ١٩٤٢ م ـ دور الانعقاد الثامن عشر ص ٣٦ ، ٣٧ ـ

وفى الوقت الذى اسرفت فيه الحكومة فى تفسير « ضرورة الحرب » فانها قد اسرفت ايضا فى مكافاة انصارها من الوفديين واساءت الى الاخرين ممن ليسوا من انصارها ولم يكن لها أن تحتج بأن الحكومات الاخرى تفعل ذلك حيث أن للوفد اعتبارا آخر لانه الحزب الذى يؤمن بالدستور وينادى بالديمقراطية ويستند الى قواعد جماهيرية كاسحة ، من هنا كان لزاما على الحكومة أن تسير فى الحكم بالطريقة الديمقراطية ، واذا كان الحكم الدستورى اصلا له خصومه وله الاحزاب التى تضيق به فلم يكن من المعقول ان تتغاضى حكومة الوفد عن السلاح الذى تستغله بقية الاحزاب وتشهره فى وجه الوفد حيث أنه من المؤكد أن السلطة ستزول يوما ما عن الوفد وستذهب أيضا الاحكام العرفية وتبقى الحقيقة التى سيعجز الوفد عن مواجهتها .

ومضى الحزب السعدى متضامنا مع غيره من أحزاب المعارضة فى محاولة مستميته لاحراج الحكومة حيث اجتمع المعارضون وكتبوا خطابا الى مصطفى النحاس يطلبون فيه التحقيق مع على ماهر (٣٥) .

وكان احمد ماهر صاحب فكره أن يكون للمعارضة رأى فى الامور الخطيرة التى تتعرض لها مصر مثل محاولة اغراق الدلتا وتدمير آبار البترول وخطوط المواصلات بهدف اعاقة تقدم القوات الالمانية (٣٦) .

ولما كانت سياسة الهيئة السعدية هى كشف وتعرية حكومة الوفد بهدف التقليل من هيبتها لدى الرأى العام المصرى فقد قاد الدكتور أحمد ماهر زعماء الاحزاب السياسية فى اكبر مظاهرة سياسية توجهت الى القرى المصرية بعد ان ثبت انه لا جدوى من مواجهة الحكومة فى القاهرة ولعل الهدف من وراء تلك المظاهرة السياسية هو اطلاع الرأى العام على ما تفعله الحكومة ضد المصلحة القومية بدءا بالاستثناءات والاعتقالات واجراءات فصل الموظفين وانتهاء بأحداث ٤ فبراير . واختارت المعارضة مديرية المنوفية بالذات لكثرة ما فيها من متعلمين يسهل اقناعهم (٣٧) ، ويعلق احد

---

(٣٥) آخر ساعة ٢٦ ابريل ١٩٤٢م نص عريضة الاحزاب حول اعتقال على ماهر .

(٣٦) مذكرات ابراهيم عبد الهادى مجلة روز اليوسف ٩ أغسطس ١٩٨٢م .

(٣٧) نفس المصدر السابق .

زعماء الاحزاب على هذه الزيارة فيقول : « لقد عملت الحكومة على مضايقة الشخصيات التى استقبلتنا وانزلت بهم متاعب كثيرة ونكلت ببعض العمد والمشايخ واعتقلت بعض الطلاب والفلاحين والمدرسين الالزامى » وارجع صاحب هذه الرواية السبب فى ذلك « الى أن احترام القانون لم يصبح فى أخلاقنا ولم يستقر فى ضمائرنا بل على العكس يرى الكثيرون من الحاكمين التحايل على القانون للتخلص من أحكامه ويعتبرون ذلك « شطارة » ويغتبطون لها وقد يكون مرجع ذلك الى الاستعمار الذى حكم مصر أزمانا طويلة ، حيث غرض على المصريين أحكاما ظالمة بل بلغ منا الاغتباط بالتحايل على القانون أن أصبحنا نتحايل على أحكام الشريعة الاسلامية نفسها » (٣٨) .

ولعل الدكتور هيكل كان يشير الى فتوى وزير الاوقاف — حسين الجندى — فى وزارة النحاس حيث عقد الوزير اجتماعا حضره كثير من الفقهاء انتهى بفتوى كانت موضع سخرية وتعجب من جماهير الشعب وخلاصة الفتوى : « أن الملك فاروق ينحدر من الدوحة النبوية الشريفة عن طريق والدته الملكة نازلى حفيدة سليمان باشا الفرنسى « الكولونيل سيف سابقا » (٣٩) وقد يكون الكولونيل سيف بعد أن أسلم قد صلح اسلامه واصبح من أكرم الناس عند الله لكن أن يكون من سلالة النبى عليه الصلاة والسلام فهذا هو العجب العجاب .

ويلاحظ أن جهود المعارضة قد تركزت كلها ضد حكومة الوفد فى شكل منسق وراحت تبث الدعايات والاقاويل بهدف كسب أرض جديدة على حساب الوفد وكأن القضية المصرية قد أصبحت قضية صراع بين الوفد وأحزاب الاقلية بعيدا عن القضية الاساسية وهى الوجود البريطانى ، والملفت للنظر أيضا أن الحديث عن ٤ فبراير قد انصب على الوفد بعيدا عن الخطر الحقيقى وهو الاحتلال البريطانى ومما يسترعى الانتباه أيضا

---

(٣٨) د . هيكل مرجع سبق ذكره ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ .

(٣٩) مذكرات ابراهيم عبد الهادى مجلة روز اليوسف ٩ أغسطس ١٩٨٢ م .

ان الوفد لم يعالج تلك القضية (٤ فبراير) بذكاء وحنكة شديدين بل مضى ليسلم لمعارضيه نقطة بعد اخرى ولعل أهمها تأثيرا على الوفد هى قضـــية مكرم عبيد (٤٠) .

وبالرغم من أن السعديين كانوا يعتبرون مكرم عبيد وراء كل المشاكل والانشقاقات التى أصابت الوفد بل وكان من بين أسباب خروج أحمـــــد ماهر والنقراشى من الوفد هو مكرم عبيد نفسه الا انه وبمجرد أن انفصل مكرم عن الوفد حتى تلقفوه وصنعوا منه بطلا وطنيا نزيها وعدوه ضـــحية الانحرافات والسرقات التى ترعاها زوجة النحاس ومن ورائها اقـــاربها واصدقائها (٤١) .

وبمجرد خروج النحاس من الحكم ــ ٨ أكتوبر ١٩٤٤ م ــ شـــن الدكتور احمد ماهر حملة ضده متهما اياه بأنه كان يحكم مصر وفقا لاســاليب هتلر وموسلينى محتميا وراء برلمان جاء نتيجة انتخابات مزيفة (٤٢) .

وفى ٨ نوفمبر ١٩٤٤ م صدر مرسوم بقانون رقم ٤٨ لسنة ١٩٤٤ م يقضى بالغاء كافة الترقيات والعلاوات والمعاشات الاستثنائية التى تمت فى عهد الوزارة السابقة (٤٣) ، واعيد الموظفون الذين عزلهم النحاس الــى وظائفهم وأحيل الى المعاش كل ما عرف عنه أنه كان ضليعا مع الوفـــد ومن بين هؤلاء الدكتور طه حسين المستشار الفنى لوزارة المعارف (٤٤) .

ولعل من اهم العوامل فى تقوية الهيئة السعدية هو معاضـــــدة السيدة صفية زغلول « حرم سعد زغلول » لهذا الحزب وكراهيتها الشديدة للنحاس ، ومما يستوقف النظر أنها رفضت أن تهنىء النحاس عقب توليه

---

(٤٠) الحديث عن انشقاق مكرم عبيد ارجأناه للفصل الخاص بسياسة القصر على اعتبار ان خروج مكرم عبيد كان نتاجا لسياسة القصر عقب ٤ فبراير .

(٤١) روز اليوسف ١٧ ابريل ١٩٤٤ م .

(٤٢) السياسة والاهرام ، الدستور أول نوفمبر ١٩٤٤ م .

(٤٣) الوقائع المصرية ١٤ نوفمبر ١٩٣٣ م ، الاهرام ١٣ نوفمبـــر ١٩٤٤ م .

(٤٤) الوقائع المصرية ١٩ أكتوبر ١٩٤٤ م ، الاهرام ١٣ أكتـــوبر ١٩٤٤ م .

وزارة ٤ فبراير عندما ذهب ليلتقى تهنئة أم المصريين « كما كان يطلق عليها » وقال النحاس وهو يقبل يدها : « جئنا لنتلقى من أم المصريين تهانينا » فقالت له : « انا اعزيكم ولا أهنئكم ، ليس خليفة سعد زغلول هو الذي يتولى الحكم على اسنة الرماح البريطانية » فقال النحاس : « نحن أنقذنا العرش، وانقذنا الاستقلال » فقالت « لن تثبت الايام الا أن خليفة سعد تولى الحكم على دبابات الانجليز » (٤٥) .

ويبدو أن السيدة صفية زغلول كانت تناصر الدكتور أحمد ماهر على اعتبار أن الهيئة السعدية هى الرصيد الوطنى الباقى من تراث سعد زغلول ولذا فقد فتحت أمامهم النادى السعدى وراحت تستقبل اعضاء الهيئة السعدية وتزودهم بنصائحها وحدث فى ذكرى سعد سنة ١٩٤٣ م أن هاجم الشباب الوفديون الشبان السعديين أثناء زيارتهم لبيت الامة ، وراحوا يقولون فى مواجهة الدكتور أحمد ماهر : النحاس : النحاس . فما كان من الدكتور ماهر الا أن قال : انجليزى انجليزى . وردد السعديون هذا الهتاف فأرسلت الحكومة قوات البوليس واقتحموا بيت الامة وضربوا الشبان السعديين أمام أم المصريين (٤٦) من هنا كان اصرار أم المصريين على اعلان عدائها الصريح للنحاس وحكومته وذلك من خلال المواقف التالية :

أولا : انها طلبت من الوفد ان يبحث عن مكان اخر غير بيت الامة للاجتماع .

ثانيا : انها ذهبت عقب ٤ فبراير الى القصر الملكى واعتذرت باسم سعد زغلول عما فعله خليفة سعد وقالت لحسنين باشا (رئيس الديوان) « قل للملك انه ليس من مبادىء سعد أن يتولى الوفد الحكم على الدبابات وقد اختلف سعد كثيرا مع الملك فؤاد ولكنه لم يلجأ مرة واحدة للاجنبى وكان يقول : « الملك هو رايتنا جميعا » وأضافت السيدة صفية زغلول « اننى منذ يوم ٤ فبراير لا انام الليل واننى أعجب كيف ينام الرجال » (٤٧) .

---

(٤٥) أخبار اليوم ١٩ يناير ١٩٤٦ م .
(٤٦) المصدر السابق .
(٤٧) نفس المصدر السابق ، تقارير البوليس المخصوص محفظة رقم ١٨ وثائق عابدين وثيقة رقم ١٢ دار الوثائق القومية .

أما الوسائل التى اتبعها النحاس مع السيدة صفية زغلول فقد قاطع بيت الامة ومنع جميع وزرائه من زيارتها وصدرت الاوامر الى الرقابة بأن تحذف مقالات الثناء عليها أو حتى مجرد ذكر اسمها (٤٨) ويبدو ان النحاس قد حاول اعادة العلاقات مرة ثانية مع بيت الامة فقد حاول عثمان محرم ان يبذل الوساطة تمهيدا لعودة العلاقات الا ان السيدة صفية زغلول اجابت بانها لا تضع يدها فى يد النحاس وانها تغفر له اساءته لشخصها اما اساءته لمصر ولذلك مصر فهى لا تستطيع أن تنساه » (٤٩) .

ويبدو ان السيدة صفية زغلول قد تأثرت كثيرا من احاديث الدكتور احمد ماهر — ضد النحاس فقد كان الاول كثيرا التردد عليها وكانت تصرح دائما أن الوفد وزعامته قد خرجا على خط سعد زغلول وان الباقى من رصيده هو أحمد ماهر وهيئته السعدية (٥٠) .

وعلى الرغم من كل هذا فقد كانت صفية زغلول تعتبر النحاس ضحية للعديد من الشخصيات التى زينت له ما صنع فى ٤ فبراير وكانت تقول « اننى حزينة على النحاس الذى عرفته قبل ١٩٤٢ ولا استطيع ان انسى انه خدم مصر حتى ذلك الحين خدمات صادقة اما النحاس بعد ذلك « نمنه لله » (٥١) ولعل هذا يفسر لماذا لم يشترك النحاس فى تشييع جنازة صفية زغلول .

وهكذا تجمعت كل انواع المعارضة لكى تتخذ من النحاس وحكومته هدفا حتى تنمو الاحقاد واضغائن ضد اوفد وحمل النواب السعديون حملة شديدة على الحكومة لدرجة انهم طالبوا بالغاء ما جاء فىمعاهدة ١٩٣٦ مما يمس استقلال مصر (٥٢) وكأن الزعماء السعديون انفسهم لم يشتركوا فى توقيع هذه المعاهدة بحكم انهم كانوا اعضاء بارزين فى الوفد واصبح من الممكن

---

(٤٨) اخبار اليوم ١٩ ، ٢٠ ، ١٩٤٦/١١/٢٣ .

(٤٩) نفس المصدر .

(٥٠) الدستور اول نومبر ١٩٤٤ .

(٥١) اخبار اليوم ١٩٤٦/١١/١٩ .
ص ٣٣٧ ، ٣١٨

(٥٢) مضبطة مجلس الشيوخ — الجلسة الاربعون ٢٨ ابريل ١٩٤٤

ان نسمع فى مجلس الشيوخ أثناء مناقشات دارت حول وباء الكوليرا مثل هذه الكلمات التى يتمثل فى سخريتها المرة ذلك العداء الشديد الذى يكنه الاعضاء السعديون ضد حكومة الوفد « ان مصر **تعيش ساعات عصيبة لقد جاءتنا الملاريا كما جاءتنا الحكومة الحالية مع هذا الفارق الوحيد وهو أن** الملاريا قد جاءتنا على متن الطائرة البريطانية كما جاءتنا الحكومة الحالية على ظهر دبابات بريطانيا العظمى (٥٢) وعلى الرغم من ان هذه الكلمات لم تنشرها الصحف الا انه قد تناقلها الناس واصبحت حديث رجل الشارع فى مصر

وعموما فلم يترك السعديون فرصة الا استغلوها بهدف زعزعة ثقة المصريين فى الوفد وقيادته وما كانت مذكرة نوفمبر ١٩٤٣ الا انطلاقا من هذه السياسة تلك المذكرة التى قدمها المعارضون ومن بينهم الحزب السعدى الى قادة الدول الكبرى المجتمعون فى القاهرة (تشرشل — روزفلت — شانيج كاى شك) شهروا فيها بالوفد وسياسته وحددوا مطالب مصر فى اربع نقاط اساسية :

١ — التسليم باستقلال مصر ورفع القيود التى اوجدتها المعاهدة وجلاء جميع القوات الاجنبية .

٢ — الاعتراف بحقوق مصر فى السودان .

٣ — استرداد مصر كامل سيادتها على قناة السويس .

٤ — اشتراك مصر فى مؤتمر السلام القادم كدولة مستقلة ذات سيادة .

وقد تضمنت المذكرة أيضا الشكوى من سوء استخدام الوزارة للاحكام العرفية والرقابة الصحيفة (٥٤) وهذه المذكرة لا تختلف عن مذكرة الوفد والتى قدمها الى الحكومة البريطانية فى ابريل ١٩٤٠ حيث ان كلا منهما تعد مناورة سياسية بهدف لفت نظر السياسة البريطانية الى ان المعارضة قد ملت الانتظار .

---

(٥٣) المصدر السابق ص ٣١٨ .

(٥٤) مذكرات حسن يوسف القصر ودوره فى السياسة المصرية ١٩٢٢ — ١٩٥٢ ص ١٦٧ الرافعى مرجع سبق ذكره ص ١٣٥ .

والمهم ان هذه المناورة البارعة لم تكن من اختراع المعارضة وانما كانت بدعوة من الملك فاروق (٥٥) وهذا ما يؤكد الدافع الحقيقى من وراء تلك المذكرة او غيرها من المواقف العديدة والتى كان الهدف فى مجملها تشوية صورة الوفد بدرجة تسمح للقصر باقالته فى الوقت المناسب وبلا أى ردود فعل شعبية او بريطانية .

واستطيع ان اقول ان سياسة الهيئة السعدية لم تكن قائمة على أى اساس ديمقراطى او دستورى وان مبالغتها فى فكرة الديمقراطية تتناقض تماما مع سياسة حكومات الاقلية والتى تراست الحكم بدأ من ينـاير ١٩٣٨ وحتى ٤ فبراير وقد كانت الهيئة السعدية من بين الاحزاب التى اشتركت فى الحكم على الرغم من مخالفة ذلك صراحة لنص الدستور الذى يخول لحزب الاغلبية حق تشكيل الحكومة الا ان احزاب الاقلية قد تمكنت من تزييف الانتخابات بالعديد من الوسائل وصادرت فى ذلك حق الامة فى اختيار مرشحيها وللاسف فقد تعودت العديد من الحكومات على المضى فى هذا الطريق الذى يعد انتهاكا صريحا لابسط حقوق الانسان المصرى .

الاحـرار الدستوريون :

وهم اول تجمع خرج على الوفد سنة ١٩٢٢ وتولوا الوزارة منفردين احيانا ومؤتلفين مع غيرهم احيانا اخرى وكانت اخر زارة لهم تلك التى تولوها عقب اقالة الوفد ١٩٣٧ واستمروا فيها حتى اغسطس ١٩٣٩ ولعل من اهم الاسباب التى دعت الى تأليف الحزب الدفاع عن الدستور والعمل على سرعة اصداره وتنفيذه والحفاظ على الحياة الدستورية وتأكيدا لاهمية الدستور عند مؤسسى الحزب نعتوا انفسهم باسمه (٥٦) .

واعتمد الحزب فى تكوينه على طبقة كبار ملاك الاراضى الزراعية ذوى الثقافات الاجنبية وعلى ضوء برنامج الحزب يبدو الى حد كبير انه جـاء متفقا مع التكوين الاجتماعى والفكرى للاحرار الدستوريين .

---

(٥٥) مذكرات حسن يوسف ص١٦٦ ، د.هيكل مرجع سبق ذكره ٢٦٤ ، مذكرات ابراهيم عبد الهادى روز اليوسف ١٦ اغسطس ١٩٨٣ .

(٥٦) د . احمد زكريا الشلق حزب الاحرار الدستوريين ١٩٢٢ ١٩٥٣ القاهرة ٨٢ ص ٢٤٩ .

وبالرغم من انهم يهدفون الى استقلال البلاد الا انهم يحرصـــون على مكاسبهم الاقتصادية والاجتماعية حيث نصت المادة السادسة من برنـــامج الحزب على ضرورة تنظيم العلاقة بين العامل وصاحب العمل على اســـاس من العـــدل (٥٧) .

والعدل مبدأ اخلاقى يفهم باكثر من زاوية حيث يفهمه الراسماليـــون بانه الارتفاع بالمستوى الاجتماعى للعامل فى اطار النظام القائم ويفهمـــه الاشتراكيون على اختلاف درجاتهم بانه تغيير فى اساس ملكية وسائل الانتاج ولذا فقد ظلت مبادىء هذا الحزب مصدر شك وريبة لدى قطاعات كبيرة من العمال المصريين لان الصفة الغالبة على هذا الحزب انه تجمـــع يعتمد على العصبيات اكثر من اعتماده على مبادى سياسية حيث ضـــم العائلات ذات العصبيات الريفية ومن هنا كان اكثر الاحزاب تفككا وتعرضا للخلافات الشخصية حول زعامته (٥٨) .

ويلاحظ أن كل الاحزاب السياسية فيما عدا الحزب الوطنى انشطرت عن الوفد أو صدرت عن اشخاص اصلا من انصار الوفد فالاحرار الدستورين وحزب الاتحاد والهيئة السعدية والكتلة الوفدية كل هذه القوى تألفت من أشخاص انفصلوا عن الوفد فى هذا الوقت او ذاك .

وعلى الرغم من ان هذا الحزب يعد من اهم الاحزاب مطالبة بالدستور الا أنه ما ان ترأس محمـد محمود الحكومة (ديسمبر ١٩٣٧) حتى قامت حكومته بحركة تنقلات داخل الجهاز الادارى للدولة وشملت أيضا عمليات فصل واسعة النطاق للعناصر الوفدية واحلت الموالين لها محلهم ولعل هذا كان مقدمة لتزييف ارادة الامة حتى لقد شهد السفير البريطانى بانه بات واضحا ان الانتخابات سوف « تزيف » بواسطة الحكومة (٥٩) .

---

(٥٧) قانون حزب الاحرار الدستوريين — القاهرة ١٩٤١ ص ١٩

(٥٨) مجلة آخر ساعة ١٩٤١/١١/٢٣ .

(٥٩) وثائق الخارجية البريطانية وثيقة رقم ٢٠١ من لامبسون الى ايدن ٨ فبراير ١٩٣٨ .

وبالفعل فقد بدأت الحكومة فى القيام بالعديد من الاجراءات التى تؤكد عزمها على تزييف ارادة الامة ولعل الخطوة الاولى فى تلك العمليـــة هى اجراء الانتخابات على مرحلتين (الوجه القبلى فى يوم والوجه البحرى بعد ثمان واربعين ساعة) وتذرعت الحكومة بحجة الحفاظ على الامن والنظام وحتى يبدو هذا الاجراء وكأنه لا يتعارض مع الدستور فقد تم اصدار فتوى من قلم قضايا الحكومة بان هذا الاجراء لا يتناقض مع الدستور (٦٠) .

ولعل هذه هى المرة الاولى فى تاريخ الحياة النيابية المصرية التى تجرى فيها لانتخابات على مرحلتين بدلا من اجرائها فى يوم واحد كما كان متبعا من قبل ولا يخفى نائب رئيس الاحرار الدستوريين الهدف الحقيقى من وراء هذا الاجراء حيث يقول : (لقد كان محمد محمود أكثر اطمئنانا الى الوجه القبلى فاذا جرت فيه الانتخابات وظهرت نتيجتها وكانت الاغلبية الكبرى لانصار الحكومة اثر ذلك فى مجرى الانتخابات فى الوجه البحـــرى تأثـــيرا كبيرا) (٦١) .

ولم تكتف الحكومة بهذا الاجراء وانما اقدمت على تعديل الدوائـــر الانتخابية عن طريق فصل بعض المناطق أو ضم مناطق اخرى بما يتـــفق ومصالح مرشحى الحكومة (٦٢) .

ومن المؤكد ان ما أقدمت عليه الحكومات من تعديل الدوائر الانتخابية ادى الى الاستهانة بالقانون واقتناع الاحزاب بامكان تعديل تلك الدوائـــر على هواهم ولم تفرق الاحزاب بين المبادىء القومية الثابتة والمنافع الحزبية العاجلة ولعل ما اقدمت عليه حكومة ٤ فبراير من اعادة الدوائر الى ما كانت عليه قبل سنة ١٩٣٧ يعد مثلا واضحا لمدى الاستهانة بفكرة ثبات الحدود الجغرافية بين الاقاليم (٦٣) .

---

(٦٠) صحيفة السياسة ٢٥ فبراير ١٩٣٨ .

(٦١) د . محمد حسين هيكل مرجع سبق ذكره جـ ٢ ص ٧٢ .

(٦٢) المصدر السابق ، صحيفة المصرى ١٥ فبراير ١٩٣٨ .

(٦٣) مضابط مجلس النواب — دور الانعقاد العادى الاول ١٢ اغسطس ١٩٤٢٢ ص ١٣١٩

وهكذا سلخ الدستوريون فى الحكم اكثر من عام ونصف لم يقوموا الا بالاجراء التقليدى الذى تتبعة كل وزارة حزبية وهو سن القوانين والتشريعات بهدف التضييق على خصومها السياسيين .

ووفقا لهذا الاتجاه فقد اصدرت الحكومة مرسوما فى ٨ مارس ١٩٣٨ م — بمنع قيام الجمعيات أو الجماعات التى لها صورة تشكيلات شبه عسكرية « القمصان — الملونة » (٦٤) .

ويبدو ان الملك فاروق كان قاسما مشتركا فى حركة الصراع الدائربين القوى السياسية المختلفة بهدف أن يكون للقصر موقف الريادة أو بالمعنى المتعارف عليه أن يكون فاروق هو المصدر الفعلى للسلطات وفى المقابل فلا مانع من أن يتغاضى الملك عن أى تجاوزات تحدثها حكومات الاقلية حتى ولو كان من بين هذه التجاوزات تزييف ارادة الامة .

ويمضى احد زعماء الاحرار الدستوريين فى تصوير ما حدث عقب فوز الدستوريين فى انتخابات ١٩٣٨ فيقول « لقد كان من المتوقع الا يقبل الملك استقالة الحكومة أو يكلف محمد محمود باعادة تأليفها لكن ما حدث ان الوزارة قدمت استقالتها فاستبقاها الملك للبت فيها ومضت الايام ولم يبت فى أمر الاستقالة ولا فى الوزارة الجديدة بل ان البرلمان افتتح وألقى محمد محمود خطاب العرش وأمر الوزارة مازال معلقا وعندما صدر الامر لمحمد محمود بتأليف الوزارة قدم كشفا باسماء اعضائها فاستبقاه الملك وطلب كشفا آخر وهكذا حتى قدم محمد محمود ثمانية كشوف (٦٥) .

ويبدو أن على ماهر (رئيس الديوان الملكى) قد لعب الدور الرئيسى فى افساد العلاقات بين القصر والاحرار الدستوريين ولعل الهدف هو أن يكون كامل البندارى عضوا فى الحكومة حتى ينقل للقصر ما يدور داخل جلسات مجلس الوزراء (٦٦) .

---

(٦٤) وثائق الخارجية البريطانية وثيقة رقم ١٢ من لامبسون الى ايدن F. O. 371

(٦٥) د . هيكل مرجع سبق ذكره ص ٧٨ ، السياسة الاول من اغسطس ١٩٣٨ ، مصر الفتاة ٢٨ ابريل سنة ١٩٣٨ .

(٦٦) المصور ١٩٣٩/٤/١٤ بقلم فكرى اباظة ، مذكرات كريم ثابت صحيفة الجمهورية الاول من يوليو سنة ١٩٥٥ ، د . هيكل مرجع سبق ذكره ص ٨٨

ولم تستطع حكومة محمد محمود ان تقف فى وجه هيمنة القصر ومحاولاته المتكررة للنيـــل من استقلال الحكومة حتى وصل الامر ان على ماهر قد تخطى عمل الحكومة وقام بتمثيل مصر فى مؤتمر المائدة المستديرة فى لندن (مارس ١٩٣٩) على الرغم من أن محمد محمود كان حريصا على الذهاب الى هذا المؤتمر حتى يحظى ببعض الشعبية وخصوصا وان هذا المؤتمر (المائدة المستديرة) سيناقش القضية الفلسطينية التى تحظى باهتمام بالغ من الشعب المصرى ، وتشير الوثائق الامريكية الى أن على ماهر كان حريصا على عدم حصـــول محمد محمود على تلك الشعبية (٦٧) .

ويضيف نائب رئيس الاحرار الدستوريين قائلا : « لقد كان محمد محمود يريد ان يسافر بنفسه الى هذا المؤتمر راجيا ان يكون له فخـــر المشاركة فى تفريج ازمة العرب من اهل البلاد المقدسة وكان الرجـــل مغتبطا بما يرجو ان يقوم به من ذلك ايما اغتباط » (٦٨) .

واذا كان هذا الموقف يعد تصعيدا فى الصراع بين القصر والحكومة فانه من ناحية اخرى يعتبر مخالفة صريحة لا بسط المبادىء الدستورية فلم يكن من الطبيعى أن يسافر رئيس الديوان فى مهمة قد تترتب عليها مسئولية سياسة هى بلا شك من اختصاص الحكومة ، ولما كان على ماهر لم يحصل على تكليف رسمى من الحكومة (٦٩) حتى تتحمـل مسئوليـــة أعمـاله فان هذا الاجراء يعد مخالفة لابسط القواعد الدستورية والقانونية .

وكان الاجدر بحكومة محمد محمود ان تقدم استقالتها ولعلها بذلك قد تحظى بشعبية اكثر من اشتراكها فى مؤتمر المائدة المستديرة وهى بذلـــك تضــــع فاروق وحاشيته فى موقف غاية فى الصعـــوبة الا ان الدستوريين قد قبلوا على أنفسهم أن يكونوا تابعين للقصر على اعتبار انه مصـــدر السلطات الحقيقية وهم من هذه الناحية يتحملون القدر الاكبر فى المسئولية .

والحقيقة انه لم تكن هناك ضرورة وطنية تستدعى قبول محمد محمود تشكيل الحكومة من البداية بعدما تأكد ان الهدف من اقالة حكومة الوفـــد هو المجىء بحكومات الاقلية التى لن تقف فى وجه النفوذ المتنامى للقصر

(٦٧) وثائق الخارجية الامريكية وثيقة ١٥٢٣ من برت فيش الـــــى الخارجية الامريكية ٤ فبراير سنة ١٩٣٩ . 307 - 110
(٦٨) د . هيكل جـ ٢ ص ١٥٥ ، مذكرات حسن يوسف ص ٣٩ .
(٦٩) المرجع السابق .

والغريب ان كثيرا من المشاكل التى دار حولها النزاع بين الحزب والقصر كانت بخصوص مسائل سبق ان وقع النزاع حولها من قبل بين حكومة الوفد والقصر ويومها وقف الاحرار الدستوريون الى جانب القصر ضد الوفد (٧٠) .

وكان على الاحرار الدستوريين ان يدفعوا ثمن عدوانهم على الدستور وكان الثمن غاليا حيث نتقلت خيوط السلطة التى تبقت فى يد حكومتهم الى يد القصر وما ان حل عام ١٩٣٩ حتى كانت الحكومة قد وصلت الى درجة لم تعد متلك من السلطة الا ما تستمده من اقصر وأصبح دستور القصر هو دستور الحكومة (٧١) .

وظل الصراع قائما بين على ماهر ممثلا للقصر وبين محمد محمود الذى كان يصارع المرض حتى اضطر الى تقديم استقالته ولقد اختلفت الروايات حول ظروف الاستقالة فالبعض يعتقد بان تقديم الاستقالة قد تم بناء على اوامر القصر (٧٢) .

والبعض الاخر يعتقد ان محمد محمود قد ابلغ الملك برغبته فى الاستقالة بعد أن علم أن على ماهر يتصل ببعض الاشخاص ليعرض عليهم الاشتراك معه فى الوزارة الجديدة (٧٣) .

أما محمد محمود نفسه فيقول للسفير البريطانى غداة تقديم استقالته انه ليس من سبب سوى ظروفه الصحية (٧٤) واعتقد ان القصر هو الذى

---

(٧٠) د . عبد العظيم رمضان تطور الحركة الوطنية المصرية ١٩٣٧ — ١٩٤٨ بيروت فى سنة ١٩٧٣ ص ٢٢٥ .

(٧١) مصر الفتاة ٨ ١٠ اغسطس ١٩٣٩ ، مذكرات كريم ثابت صحيفة الجمهورية ٢٥ يونية سنة ١٩٥٥ .

(٧٢) عبد الرحمن الرافعى مرجع سبق ذكره ج٣ ص ٦٩ ، مذكرات حسن يوسف ص ١٠٥ .

(٧٣) د. هيكل مرجع سبق ذكره ص ج ٢ ص ١٦٢ ، محمد التابعى مرجع سبق ذكره ص ١٣٠ .

(٧٤) وثائق الخارجية البريطانية وثيقة رقم ١١ من لامبسون الى هاليفاكس ٢٥ اغسطس سنة ١٩٣٩ . F.O. 407 . 223

طلب من محمد محمود ان يقدم استقالته نظرا لان على ماهر كان حريصا على اقالة محمد محمود حتى تسند اليه رئاسة الحكومة ولما كانت العلاقة بين فاروق وعلى ماهر تتسم بالود المتبادل فمن الطبيعى أن يطلب فاروق من محمد محمود ان يقدم استقالته ومما يضاعف من هذا الاعتقاد ما تشير اليه الوثائق الامريكية من ان محمد محمود لم يعد موضع ثقة الملك فاروق بسبب مؤامرات على ماهر (٧٥) .

وسواء اكان القصر هو الذى اوعز الى محمد محمود بتقديم الاستقالة او ان محمد محمود هو الذى اقدم من نفسه على تقديم الاستقالة فالمحصلة واحدة وهو أن الاستقالة قد قبلت لأن الحكومة لم تعد تحظى برضاء الملك .

وهكذا سلكت احزاب الاقلية طرقا لا تتفق مع الحياة الدستورية معتمدة على القصر الذى لم يتورع عن اقالة اية حكومة حينما يجد أن الغرض من بقائها قد استنفذ وبخروج الدستوريين من الحكم انتقلوا الى صفوف المعارضة الا أن معارضتهم كانت دائما فى اطار التعاون مع بريطانيا باعتبارها الدولة الحليفة ولقد ذكر السفير البريطانى : « أن الدكتور احمد ماهر يبدى قدرا كبيرا من التعاطف مع الدول الديمقراطية وأنه يرى ضرورة خلق روح الثقة بانجلترا واعطائها حقوقا اكثر مما ورد فى معاهدة ١٩٣٦ وان الاحرار الدستوريين يشاركون الدكتور احمد ماهر فى وجهة نظره تلك » (٧٦) .

وعلى ما يبدو فان موقف الاحرار الدستوريين لم يكن متفقا فى اية قضية من القضايا القومية وانما كانت السمة البارزة لهذا الحزب هى الانقسام فبينما كان رئيس الحزب موافقا على اعلان الاحكام العرفية كانت الغالبية العظمى ترى خلاف هذا الراى على اعتبار ان مصر لم تعان الحرب فضلا عن بعدها عن ميادينها ومن ثم فلا موجب لفرض

---

(٧٥) وثائق الخارجية الامريكية وثيقة رقم ٨٩ من برت فيش الى الخارجية الامريكية ٢٢ اغسطس ١٩٣٩ .

(٧٦) الوثائق البريطانية وثيقة رقم ٤٦ من لامبسون الى هاليفاكس ١٢ يناير سنة ١٩٤٠ .

هذا القانون المقيد للحرية وإذا كان الغرض من هذا القانون هو ضمان موقف مصر بجانب انجلترا ففى استطاعة الحكومة استصدار التشريعات الكفيلة بتحقيق هذا الغرض ولقد صدرت تشريعات مشابهة تتعلق بالسفن والتموين والصحف واجهزة الاعلام وبعد مناقشة الموضوع داخل اجتماعات الحزب تمكن محمد محمود من ان يقنع الغالبية باهمية اعلان الاحكام العرفية بحجة ان الدستوريين لو كانوا شركاء فى الحكم لتضامنوا مع الوزارة فى هذا الاجراء وليس من الانصاف أن يكون للانسان فى الموضوع الواحد رايان متناقضان تبعا لوجوده فى الحكم أو كونه فى المعارضة (٧٧) .

أما عن موقف السعديين من قضية دخول مصر الحرب ضد المانيا فلقد اختلفت وجهات النظر فبينما كان محمد محمود (رئيس الحزب) يرى أن افضل وسيلة لتدعيم الصداقة بين مصر وبريطانيا هو ان تعلن مصر الحرب ضد المحور (٧٨) كان نائب رئيس الحزب (الدكتور هيكل) وغالبية الحزب يؤيدون الاتجاه القائل بضرورة تجنيب مصر ويلات الحرب (٧٩) .

وعندما تقدم الوفد بمذكرته الى السفير البريطانى — ابريل سنة ١٩٤٠ — تلك المذكرة التى وصفها السفير البريطانى بانها تعد تطرفا فى المطالب الوطنية بهدف ان يعيد الوفد هيبته وقدرته على خلق المتاعب وتعتبر نقطة تحول خطيرة فى العلاقات المصرية البريطانية (٨٠) وعلى الرغم من أن المطالب القومية التى دعت اليها تلك المذكرة كانت موضع رضاء وقبول من كل القوى السياسية الا ان محمد محمود (زعيم الدستوريين) ند وصفها بانها محاولة للحصول على شىء بالتهديد والابتزاز وانها ابعد ا تكون عن الحنكة السياسية (٨١) .

---

(٧٩) مذكرات حسن يوسف ص ١١٧ ، الدكتور هيكل مرجع سبق ذكره جـ٢ ص ١٩٧ .

(٨٠) الوثائق البريطانية وثيقة رقم ٣٢ من لامبسون الى هاليفاكس ٤ مايو ١٩٤٠ . F.O. 407. 224

(٨١) الاهرام ، السياسة ١٩٤٠/٨/٥ ، آخر ساعة ...

اما عن موقف الدستوريين من احداث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ .

فلقد انضم الدستوريون بكل قواهم الى القوى المناهضة للوفد عقب ٤ فبراير ١٩٤٢ ولا غرابة فى ذلك فقد كانوا أول الخارجين على الوفد سنة ١٩٢٢ وكان العداء بينهما يتفاقم يوما بعد يوم . ولقد راى الدستوريون فى تلك الازمة تكوين وزارة ائتلافية برئاسة النحاس فهى تضمن اشتراك الوفد وتحول دون انفراده بالحكم كما يريد القصر وتنسجم مع ما للوفد من اقلية فى البرلمان ، ولقد اعتبر الدكتور هيكل ان تأليف وزارة قومية برئاسة النحاس يعد حلا كريما للموقف ويجعل رفض الانذار مأمون العاقبة ويحافظ على استقلال مصر وسياستها (٨٢) وبعث محمد محمود رئيس الدستوريين رسالة احتجاج واستنكار للسفير البريطانى حملها « دسوقى اباظة » سكرتير عام الحزب الى « والتر سمارت » « السكرتير الشرقى للسفارة » وتضمنت تلك الرسالة العلاقة بين ما حدث فى ٤ فبراير ومعاهدة ١٩٣٦ على اعتبار ان ما حدث يعد انتهاكا خطيرا لمعاهدة التحالف والصداقة بين مصر وبريطانيا (٨٣) .

ومن المؤكد ان بريطانيا كانت تقدر اهمية العلاقة الوطيدة مع الدستوريين لذلك اوفدت والتر سمارت « السكرتير الشرقى للسفارة » الى منزل الدكتور هيكل — رئيس الحزب بالنيابة — ليحمل اليه تحيات الحكومة البريطانية وتقديرها لسياسة الحزب ومواقفه فى مناصرة الديمقراطية ومما يلفت النظر ان الدكتور هيكل لا يثير موضوع ٤ فبراير كقضية خلاف مع بريطانيا وانما يطلب من السكرتير الشرقى « والتر سمارت » ان تتوسط بريطانيا لدى الوفد لتخصيص عدد من المقاعد للمعارضة ويحاول الدكتور هيكل ان يربط بين هذا المطلب وحادث ٤ فبراير بقوله : « لابد من تخصيص نسبة من الدوائر الانتخابية لاحزاب المعارضة والا ستضطر هذه الاحزاب الى مهاجمة الوفد على اعتبار انه جاء الى الحكم على اسنة الحراب البريطانية (٨٤) .

---

(٨٢) د. هيكل مرجع سبق ذكره جـ ٢ ص ٢٢٨ — ٢٣٠ .
(٨٣) وثائق الخارجية البريطانية وثيقة رقم ٥٥٣ من لامبسون الى الخارجية البريطانية ٩ فبراير سنة ١٩٤٣ . F.O. 371 - 31268
(٨٤) المصدر السابق وثيقة رقم ١٥٣٦ ١٥ فبراير ١٩٤٢ من لامبسون الى حكومته .

ومزيدا فى ارضاء المعارضة فقد كتب السفير البريطانى الى حكومتـــه بأن توعز الى صحيفة التيمز والى الاذاعة البريطانية « ب٠ب٠س » ليقدما تعليقا على عودة الوفد الى الحكم على اعتبار ان بريطانيا تتعاطف ايضـــا مع السعديين والاحرار الدستوريين لاخلاصهم لماهدة ١٩٣٦ ولمنـــاصرتهم قضية الديمقراطية فى العالم (٨٥) .

ويبدو ان السفارة البريطانية فى محاولة منها لكسب ود المعـــارضة قد بذلت محاولات مع الوفد فيما يتعلق بتخصيص عدد من الاقاعد البرلمـــانية للمعارضة الا ان حكومة الوفد اشترطت ان يعلن الدستوريون والســعديون ان مصطفى النحاس قد ادى خدمة جليلة للعرش وللبلاد بقبوله الوزارة فى ٤ فبراير (٨٦) فاذا ما وافق الدستوريون والسعديون على هذا التصريـــح يمكن الدخول فى مفاوضات عدد المقاعد التى يمكن ان تترك للمعارضـــــة وابدى الدستوريون موافقتهم على الشرط السابق (٨٧) الا أن عدد المتـــاعد التى تترك للمعارضة كانت موضع خلاف حيث طلب الدستوريون ٢٥٪ مـــن مقاعد مجلس النواب وتمسك الوفديون بنسبة ١٥٪ فقط .

وهكذا ابدى الدستوريون موافقتهم لأن يعلنوا ان مصطفى النحـــاس بقبوله الوزارة فى ٤ فبراير قد ادى خدمة جليلة للبلاد على شرط ان يتنـــازل الوفد عن ٢٥٪ من مقاعد مجلس النواب والا فان عودة الوفد تعتبر عـــلى اسنة الحـــراب البريطانية .

وعندما فشلت المفاوضات قرر الدستوريون متضامنين مع باقى الاحزاب مقاطعة الانتخابات وهنا فان الامر يعد اكثر غرابة لان امتناعهم عن دخـــول الانتخابات لم يكن احتراما لمبدأ ولا احتجاجا على حادث وقع ولا ايمانا بعقيدة لانهم مستعدون كما راينا لدخول الانتخابات على شرط الاتفاق عـــــلى الدوائـــــر .

---

(٨٥) محسن محمد . التاريخ السرى لمصر ص٢٦٥ .
(٨٦) آخر ساعة ٢٢ فبراير ١٩٤٢ ، اخبار اليوم ١٣ فبراير ١٩٤٦ .
(٨٧) دار الوثائق القومية تقارير البوليس الاخصوص محفظة رقم ١٨ وثيقة رقم ٣ ، آخر ساعة ٢٢ فبراير سنة ١٩٤٢ .

وهكذا عادت نفس المناورات التى حدثت يوم ٤ فبراير يوم ان قالوا لمصطفى النحاس : اذا قبلت تشكيل وزارة قومية فان هذا يعد خروجا من دائرة الانذار البريطانى « وعندما اصر النحاس على رفض الحكومة القومية قالوا له : « انك جئت على اسنة الحراب البريطنية واليوم يطلبون عددا من المقاعد فى مجلس النواب ويشهدون أن النحاس قد انقذ البلاد بقبوله الحكم واذا رفض قالوا لن ندخل مجلس النواب لانه امتداد للحكومة التى جاءت على اسنة الحراب البريطانية .

ومن هنا فقد اشترك الدستوريون مع باقى القوى المناهضة الوفد فى مقاطعة الانتخابات واخذوا يعقدون الاجتماعات للتباحث فى كيفية مواجهة الوفد على اعتبار أن الوفد هو قضيتهم الاولى وجريا على سياسة النيل من الوفد فقد بعث الدكتور هيكل بخطاب الى الملك فاروق يتذمر فيه من الحكومة وسياستها واعتبارها الحكم مغنما وعاب عليها تاليفها لجنة لبحث تبعات مصر وقضايا مابعد الحرب (٨٨) .

وظل رئيس الوزراء — مصطفى النحاس — هدفا لهجمات شديدة وجهتها اليه المعارضة مشيرة الى ظروف مجيئه الى الحكم ولم تتوان كل الاحزاب عن اللجوء الى أى الطرق مهما كانت بهدف النيل من الوفد وقيادته بما فى ذلك اللجوء الى قادة الحلفاء (٨٩) وتناسى الدستوريون انهم قد اخذوا على الوفد هذا المسلك فى مذكرة سنة ١٩٤٠ حينما تقدم الى السفير البريطانى بمطالب مصر حيث اعتبرها محمد محمود مسلكا غاية فى الانتهازية وطعنة فى ظهر الحليفة (٩٠) .

---

(٨٨) صحيفة السياسة ١٤ نوفبر سنة ١٩٤٢ .

(٨٩) عبد الرحمن الرافعى مرجع سبق ذكره جـ٢ ص ١٣٥ — ١٣٦ ، مذكرات حسن يوسف ص ١٦٦ .

(٩٠) صحيفة السياسة ٢٨ ابريل سنة ١٩٤٠ .

ومرة ثانية يحاول الاعضـــاء الدستوريون فى مجلس الشيوخ اثارة مذكرة ١٩٤٠ م فى محاولة لاحراج الحكومة على أساس أن ماكان يعتبره الوفد مطلبا وطنيا سنة ١٩٤٠ قد أصبح أمرا منسيا عقب ٤ فبراير .

الا أن النحاس فى محاولة منه لتبديد تلك الاتهامات قد اعلن ان المذكرة بكل مطلب من المطالب الوطنية المدونة بها وفى مقدمتها الجلاء عن السودان هى فخرنا ولا تزال هى نفس مطالبنا نعمل لها جهد امكاننا حتى يأذن اللـــه بتحقيقها أو نفنى دونها (٩٢) .

والحقيقة ان ما اعلنه النحاس والخاص بمذكرة ابريل ١٩٤٠ لم يقترن باية خطوة عملية وانما كان من قبيل الاستهلاك السياسى لرد الهجمات المتكررة التى توجهها المعارضة بهدف النيل من الوفـد والتقليـل من قدره امـام الرأى العـام .

واستطيع أن اقول ان الاحزاب المصرية قد اضاعت قدرا كبيرا مـــن جهدها فى قضايا تعد ثانوية بالنسبة للقضية الاولى وهى الاحتـلال حيث لم تشغل هذه القضية المكانة اللائقة بها وبالتـــالى فان حـكومة الوفد قد انشغلت بالدفاع عن نفسها وسوق العديد من المبررات فى محـاولة لاقناع الرأى العام بسياستها .

وبالقدر الذى كانت تنشط به المعارضة كانت حكومة الوفـد تندفـع للارتباط بالاحتلال وتلبية كل طلباته ســواء اكان هذا نكاية فى المعارضـة أو خوفا من تسلط الاحتلال ولذا فان الوفد يعـد مسئولا مسـئولية مباشرة عن العديد من التجاوزات التى وقعت طوال فترة بقائه فى الحكم حيث اتاح لخصـــومه فرصة قوية لمعارضته حتى وصـــل الامر الى التشكيك فى وطنيتـــه (٩٣) .

---

(٩٢) مضابط مجلس الشيوخ ــ الجلسة الرابعة ــ دور الانعقـــاد العادى ٢٨ ديسمبر ١٩٤٢ ص٩٠ .

(٩٣) المصدر السابق الجلسة الثانية ٨ ، ٩ ديسمبر ١٩٤٢ دور الانعقاد الثامن عشر ص ٥١ .

وبدلا من ان تقدم الحكومة على تبديد تلك المزاعم راحت تضاعف من هذا الاعتقاد عن طريق الاجراءات الادارية التى شملت نقل وفصل العديد من المديرين وكبار الموظفين بحجة انهم يناصرون احزاب الاقلية (٩٤) .

والواقع ان الرقابة على الصحف ومنع الاجتماعات العامة والاعتقالات السياسية قد مكن الوزارة من ان تطلق يدها اكثر مما فعلت الوزارات الوفدية فى اى عهد مضى او حتى وزارات الاقلية .

وعملا بقانون للنفى الادارى باتت المعارضة تتوجس خوفا من هذا السلاح الذى استعملته الحكومة اسوأ استعمال وحتى دور الاحزاب خضعت لرقابة شديدة من جانب البوليس السياسى مما اضطر الغالبية الكبرى من اعضاء الاحزاب الى الاعتكاف فى منازلهم خوفا من الاعتقال (٩٥)

والحقيقة ان احدا لا يستطيع ان يعفى سياسيا مصريا من الاشتراك فى اتاحة الفرصة للسفير البريطانى لانتهاك حرية مصر وكرامتها واستقلالها على النحو الذى حدث فى ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ وزعماء الاحزاب كانوا يخشون دائما ان يحل البرلمان الذى يضم نوابهم مما جعلهم يخشون الاحتكام من جديد الى الانتخابات حرصا على مكاسبهم وتأليف حكومة برئاسة النحاس قومية كانت لو ادارية او وفدية لم يكن ليزيل آثار الانذار البريطانى والمسئولية عن هذا الحادث قسمة بين القصر والزعماء والاحزاب والسفير البريطانى .

أما من منهم كانت مسئولية أثقل أو أخف فلا يغير من الحقيقة فى شىء وكل الاحزاب كانت تقبل مبدأ التدخل البريطانى ولكن كل منهم يؤثر الزاوية التى تتفق مع مصلحته .

فالنحاس يريد ان تكون الحكومة كلها وفدية لمصلحته ومصلحة حزبه واحزاب الاقلية تريد ان تكون الحكومة ائتلافية حتى يكون لهم نصيب فى الحكم والقصر مرغم تحت ضغط الانجليز ولكنه يكره النحاس ويود ان تكون الحكومة مؤلفة من جميع الاحزاب لكى تتاح له فرصة المؤامرة تأييدا لسلطته وانتقاما من سلطة الوفد .

---

(٩٤) الاهرام ١٩٧٥/٢/٢٤ من تقارير الامن العام التى تسجل تحركات خصوم الوفد عقب ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ .

(٩٥) المصدر السابق .

ولم يعد الوفد ذلك الحزب الذى استطاع فى الماضى ان يحوز اجماع مصر فى ساعات الثورة العصيبة فانشقاق العديد من أعضائه قد أدى الى تغيير ملامحه الاصلية وما حدث فى ٤ فبراير كان بمثابة الضربة القاتلة لنفوذه، لقد بعد به العهد عن ذلك الوقت الذى كان من الممكن (كما حدث سنة ١٩٣٥) ان نرى شابا اصيب بجرح قاتل اثناء احدى المظاهرات فيغمس منديلة فى دمه ليرسله - حبا وتقديرا - الى مصطفى النحاس قبل ان يلفظ آخر انفاسه (٩٦) .

لقد فقدت الجماهير المصرية حماسها الذى لم يعد يدفعها للموت فى سبيل الوفد ولذا فاننى أستطيع أن أقول أن ما حدث فى ٤ فبراير كان أهم الاحداث - واعظمها تأثيرا على شعبية الوفد .

الاخوان المسلمون :

وفى الوقت الذى كانت دعوة مصر الفتاة تنتشر وتجد الانصار من بعض الشباب وتحظى بتأييد صريح او ضمنى من بعض رجال السراى والاحزاب كانت تجرى فى مصر دعوة اخرى تشابه دعوة مصر الفتاة من بعض الوجوه وتختلف عنها فى وجوه اخرى ولكن الدعوتين تتفقان من حيث انهما خروج على المألوف فى قيام الأحزاب فلم تكن الاوضاع الاقتصادية أو السياسية هى محق الارتكاز فى قيام الجماعتين وانما اتخذ كل منهما من الاسلام أساسا شاملا باعتبار أن الدعوة الاسلامية تجمع فى اطارها كل جوانب الحياة .

ولعل قيام جماعة الاخوان على هذا الاساس يعد من اهم العوامل فى شدة الاقبال عليها والاهتمام بها ولما كانت الدعوة ذات طابع دينى فقط فى بدايتها لذلك انضم اليها كثيرون من انصار مختلف الاحزاب القائمة حينئذ دون أن يجدوا فى الانضمام اليها والولاء لها ما يخالف أو يتعارض مع ولائهم لاحزابهم السياسية (٩٧) .

---

(٩٦) مارسيل كولومب مرجع سبق ذكره ص ١٥١ .

(٩٧) لقاء مع فتحى رضوان فى منزله بمصر الجديدة ١٩٨٢/٨/٩ .

وقبل ان يعلن حسن البنا نزول الاخوان الى مجال العمل لسياسى فان مؤتمر الطلبة الاخوان بجميعة الشبان المسلمين (مارس ١٩٣٨) قد ابرز فى قراراته الاهتمام بالجانب السياسى على اعتبار ان اهتمام المسلم بشئون بلده من اهم المبادىء التى تقوم عليها الدعوة الأسلامية وانحصار معنى الفكرة الاسلامية فى حدود الواجبات الروحية امر يتنافى مع طبيعـــة الاسلام (٩٨) .

وكان نزول حسن البنا الى ميدان العمل السياسى فى مايو سنة ١٩٣٨ هو الانتقال الى المرحلة الثانية من مراحل الدعوة وكان المبدأ الاول من مبادىء هذه المرحلة ان الاسلام نظام شامل متكامل بذاته وهو السبيل النهائى للحياة بكافة نواحيها (٩٩) .

وفى العـــدد الاول من مجـلة النذير يقـول حسن البنا : « انه منذ عشر سنوات بدأت دعوة الاخوان المسلمين خالصة لوجه الله مقتفيـة اثر الرسول الاعظم صلى اله عليه وسلم متخذه القرآن منهاجا ولم يشترك الاخوان فى المنازعات الحزبية بل كرست جهدها فى ميدان التربية وتغيير العرف العام وتطهير النفوس واذاعة مبادى الحق والجهاد وقـد نجحت الجماعة فى ذلك واما اليوم فلن يكون ذلك وستخاصمون هؤلاء جميعا فى الحكم وخارجه خصومة شديدة ان لم يستجيبوا لكم ويتخذوا تعـاليم الاسلام منهاجا يسيرون عليه ويعلمون به تماما ولاء واما عداء ولسنا فى ذلك نخالف خطتنا أو ننحرف عن طريقنا أو نغير مسلكنا بالتدخل فى السياسـة كما يقول الذين لا يعلمون ولكننا ننتقل خطوة ثانية ولا ذنب لنا أن تكون السياسة جزءا من الدين وأن يشمل الاسلام الحاكمين والمحكومين فليس فى تعاليمه : اعط ما لقيصر ليقصر وما لله لله ولكن فى تعاليمه : قيصر ومـا لقيصر لله الواحد القهار (١٠٠) .

---

(٩٨) صحيفة الضياء ٧ مارس ١٩٣٨ من قرارات مؤتمر الطلبة الاخوان.
(٩٩) حسن البنا مذكرات الدعوة والداعية الطبعة الثالثة بيروت ١٩٧٤ ص ٢٤٠
(١٠٠) صحيفة النذير العدد الاول أغسطس ١٩٣٨ ، الدعوة والداعية ص٢٤٠ ـ ٢٤١ .

وكان نزول حسن البنا الى ميدان العمل السياسى مثار اهتمام كل القوى السياسية فى مصر وخصوصا فى هذا الوقت بالذات (١٩٣٨) ففى هذا العام كان الملك قد اتم انتصاره على الوفد بينما انسلخ عن الوفد حزب السعيديين كما اخذت جماعة مصر الفتاة تهاجم الوفد علنا وتتنكر للدستور والحياة النيابية والمناداة بفاروق خليفة للمسلمين فى الوقت الذى بدأت جماعة الاخوان فى التقرب من القصر حيث كان الاحتفال بذكرى جلوس فاروق على عرش مصر وتجمع الاخوان المسلمون فى ميدان عابدين وهم يرددون يمين الولاء التقليدى « نمنحك ولاءنا على كتاب الله وسنة رسوله»

ويبدو ان نزول الشيخ البنا الى ميدان العمل السياسى فى هذا الوقت بالذات كان موضع اهتمام ولوم شديدين حيث اعتقد البعض ان هذه الدعوة على علاقة بالفاشية والنازية بل وقد تجرأ البعض وشكك فى صدق هذه الدعوة مدعيا انها تشبه الى حد كبير الدعوة الفاشية فى ايطاليا والنازية فى المانيا (١٠٢) .

ومن الانصاف أن نقرر بعض العوامل التى قد تبدد مثل هذه الاتهامات وتوضح هوية الدعوة للاخوان ؟

أولا : ان علاقة حسن البنا بالقصر فى فترة بداية الدعوة لا تفسر على انها ولاء للنظام بقدر ما هى خطة مرحلية لخدمة قضية الدعوة فى مرحلتها الاولى .

ثانيا : ان اختيار سنة ١٩٣٨ بالذات بداية للمرحلة الثانية من مراحل الدعوة وهى مرحلة الاعلان عن الهوية السياسية للدعوة فمن البديهات ان اية دعوة تختار ما يناسبها من وقت للاعلان عن برامجها واهدافها على اعتبار أن الجماعة قد وصلت الى حالة تمكنها من الانتقال الى هذه المرحلة

---

(١٠١) د . عبد العظيم رمضان تطور الحركة الوطنية فى مصر ١٩٣٧ — ١٩٤٨ طبعة اولى بيروت ١٩٧٣ ص ٣١٦ .

(١٠٢) المرجع السابق ص ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، محمد زكى عبد القادر محنة الدستور ص ٩٩ ، مذكرات كمال الدين رفعت ص ٣٣ ، د . رفعت السعيد تاريخ المنظمات اليسارية ص ١١٤ .

حيث كثرت شعبها وتعددت وسائلها واصبح لها صحفها الناطقة باسمها (جريدة النذير) ، « مجلة النار » وأصبحت الدعوة تعم أرجاء مصر وخصوصا بين طبقة المثقفين الذين فقدوا كل ثقة فى الاحزاب التقليدية القائمة .

واذا كانت الدعوة قد ارتبطت بالقصر أو بحكومات الاقلية فلم يكن هذا ولاء للقصر أو للحكومات أو ثقة فيهم وانما كان خدمة للقضية ذاتها فليس من المنطق ان تستعدى الحركة وهى ما تزال فى دورها الاول القصر والحكومات معا وهو ذكاء يحسد عليه الشيخ حسن البنا اما محاولة بعض المؤرخين الربط بين أمور لا علاقة بينها والقاء التهم بلا تحقيق أو تفسير علمى اعتمادا على نظريات مادية وخدمة لبعض القوى على حساب الاخرى فان هذا يعد مناقضا للحقائق وبعدا عن الالتزام العلمى والموضوعى .

ثالثا : ان محاولة بعض المؤرخين (١٠٣) ايجاد نوع من الصلة بين جماعة الكشافة التابعة للاخوان وبين الفاشية هى محاولة لايجاد صلة بين اشياء لا علاقة بينها اطلاقا فلقد كان للوفد فرقته الخاصة به « القمصان الزرقاء » وقد كان لمصر الفتاة تنظيماتها ايضا « القمصان الخضراء » واذا كانت فكرة « النظام والطاعة » من بين اركان الدعوة فأى دعوة مهما كانت لابد لها من اطار عام ينظمها ولابد لها من قيادة مدربة واعية تكون موضع ثقة الجميع والالتزام بما تقره القيـادة هو من أهم أركان أى عمل ناجح ولهذا فان بعض الاراء العاقلة ترى ان الدعوة ليست لها اية علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالدعوات فى الدول الغربية . (١٠٤)

ولعل ايديولوجية الاخوان المسلمين تكاد تكون متقاربة من مدرسة المنار لصاحبها الشيخ رشيد رضا على الرغم من أن الشيخ البنا لم يشر الى تأثير هذه المدرسة فى نفسه وان اعترف بانه حضر بعض مجالس رشيد رضا وأنه كان كثير المطالعة فى مجلة المنار كما انه اعتزم فى احدى المرات اصدار مجلة شهرية تشبها بالمنار (١٠٥) .

---

(١٠٣) د . عبد العظيم رمضان . تطور الحركة الوطنية ص ٣٠٨،٣٠٧
(١٠٤) د . اسحاق موسى الحسينى . الاخوان المسلمون كبرى الحركات الاسلامية فى العالم العربى بيروت سنة ١٩٥٥ ص ٢١ .
(١٠٥) حسن البنا الدعوة والداعية مرجع سبق ذكره ص ٤٩ .

وعلى ما يبدو فان هذه الدعوة قد حظيت بترحيب من القصر الذى كان حريصا على ادخال الجماعة ضمن الصراع التقليدى بين الوفد والقصر وكان الملك حريصا على ان يمسك بزمام الامور فى يده وفى المقابل فقد حظى فاروق بتأييد الاخوان ولعل مرجع ذلك ما لمسوه من استعداد دينى عند الملك الشاب او ان مرحلة الدعوة كانت تقتضى هذا النهج التزاما بعدم توسيع دائرة الخلاف ، وفى الوقت الذى كان يشكك فى هذه الدعوة (١٠٦) وقد يكون هذا التشكيك راجعا الى ما يعتقده البعض من ان الاخوان قد قبلوا الدخول فى دائرة الصراع بين الوفد والقصر (١٠٧) او ان الوفد قد لمس خطر الدعوة بسبب اتخاذها اطارا اسلاميا يدفعها الى الانتشار السريع على حساب جماهيرية الوفد ومهما كانت دوافع الخلاف فان جماعة الاخوان قد استطاعت وبذكاء شديد ان تستغل الصراع الدائر بين الوفد والقصر وان توطد علاقاتها بعلى ماهر الذى احتضن هذه الدعوة نكاية فى الوفد ومن الثابت ان فترة تولى على ماهر الحكم تعتبر بداية انطلاقة جديدة لجماعة الاخوان (١٠٨) . حيث خاطب حسن البنا على ماهر صراحة برغبة الاخوان فى تولى الشئون الهامة فى الجيش المرابط ووزارة الشئون الاجتماعية (١٠٩) وهو ما يؤكد العلاقة الوطيدة بينهما .

وبالرغم من هذه العلاقة القوية فقد أعلن الشيخ البنا رأيه صراحة فى موقف مصر من الحرب وقد سجل الموقف فى رسالة بعث بها الى على ماهر يستنكر عزم الحكومة على اعلان الحرب بجانب بريطانيا مؤكدا استقلال مصر وفقا للقانون الدولى وانه ليس فى معاهدة ١٩٣٦ ما يلزم مصر بدخول هذه الحرب وعلينا الالتزام بمبدأ الحياد (١١٠) ولعل هذا الموقف ما يؤكد بان دعوة الشيخ البنا كان لها طابعها الخاص بها وان العلاقة مع على ماهر لم تكن الا وسيلة لخدمة القضية الاسلامية .

---

(١٠٦) صحيفة المصرى ١٩٣٨/٩/٣ .
(١٠٧) د . عبد العظيم رمضان مصدر سبق ذكره ص ٣١٠ .
(١٠٨) ريتشارد ميتشل ، الأخوان المسلمون ترجمة عبد السلام رضوان القاهرة ١٩٧٧ ص ٥١ .
(١٠٩) حسن البنا الدعوة والداعية مرجع سبق ذكره ص ٢٦٢ .
(١١٠) المرجع السابق ص ٢٦١ — ٢٦٢ .

وخلال حكم وزارة على ماهر ثم وزارة حسن صبرى التى خلفتها (يونية — نوفمبر ١٩٤٠) طور الاخوان نظامهم وتضاعفت شعبهم وتعددت فـــرق الكشافة التى تتبعهم وتشكل المجلس الاعلى للكشافة وترأسه حســـن البنا نفسه وعين محمود لبيب مفتشا عاما لها (١١١) ٠

واثناء وزارة حسين سرى (نوفمبر ١٩٤٠ — ٤ فبراير ١٩٤٢) صدر قرار من وزير المعارف بنقل الشيخ حسن البنا من القاهرة الى قنا ويعترف وزير المعارف بأن هذا النقل كان بايعاز من السفير البريطانى الذى طلب بن رئيس الحكومة (حسين سرى) سرعة العمل على نقل الرجل لانـــه يعمل لحساب ايطاليا (١١٢) .

ومن المؤكد ان الحكومة البريطانية كانت تلصق تهمة العمل لحساب المحور على أى شخص يرى السفير من خلال عيـونه المنتشرة بانه لا يكن ولاء لبريطانيا وهذا السلاح الخطير راح ضحيته العديد من المصريين الشرفاء الذين كانوا يعتبرون بريطانيـــا دولة محتلة لوطنهـم بصرف النظـــر عن الديمقراطية أو الفاشية ، فلقد كان لتطور الموقف العسكرى فى اوربا وانهيار فرنسا مما شجع فى مصر الميول التى كانت تتعاطف مع المحور شـعبية كانت أم رسمية لا على اعتبار ان المحور صادق النية فيما يتعلق باحترام سلامة واستقلال مصر ولكن على اعتبار انه لن يكون احتلالا أسوأ مـــن الاحتلال البريطانى هذا من ناحية ومن ناحية اخرى كان هذا الميل يحمل فى طيـاته دوافع التشفى نحو حليف أكرهت مصر على محالفته ضـــد رغبة شعبها كما انه كان يتضمن فى الوقت نفسه معنى الاعجاب بالعسكرية الالمانية التى لا تقهر من جانب بعض قطاعات الراى العام المصرى وقادته بل وحتى الملك فاروق ذاته (١١٣) .

---

(١١١) محمد شوقى زكى . الاخوان المسلمون والمجتمع المصرى القاهرة ١٩٥٤ ص ١٢٥ .

(١١٢) د . محمد حسين هيكل مرجع سبق ذكره جـ ٢ ص ٢٠٨ .

(١١٣) وثائق الخارجية الامريكية وثيقـــة رقم ٢٠٧٦ من كيرك الى الخارجية الامريكية ٢٤ نوفمبر ١٩٤٢ . F.W. 862 - 20283/4

ويعلق وزير المعارف على نقل الشيخ حسن البنا بقوله : لقد احدث نقل الشيخ البنا اثرا كبيرا لدى دوائر الحكومة وتعددت الرجاءات من النواب الدستوريين بشأن اعادته الى القاهرة واخيرا ابدى حسين سرى موافقته على اعادة حسن البنا الى القاهرة مرة ثانية (١١٤) ولعل حسين سرى قد استجاب لرجاء الاحرار الدستوريين خشية ان يزداد ضغط النواب وخصوصا وان احد اعضاء مجلس النواب قد تقدم بسؤال الى الحكومة حول المبررات التى اعتمدت عليها فى نقل مدرس من القاهرة الى قنا (١١٥) .

وكان من الممكن ان تقع الحكومة فى حرج شديد فليست لديها مبررات معقولة على اعتبار ان حسن البنا من اكفأ المعلمين فى حقل التربية والتعليم وان ما يقوم به من نشاط اسلامى يعد بعيدا عن نطاق عمله كمدرس فى وزارة المعارف .

وبعودة حسن البنا مرة ثانية الى القاهرة فقد انتقلت حركة الاخوان الى مرحلة جديدة وهامة حيث قد استشعر قوته مما ضاعف من نشاطه وكان لهذا اكبر الأثر على دعوة الاخوان وانتشارها وكانت مصدر اعجاب قطاعات كبيرة من المصريين (١١٦) .

وبعودة الوفد الى الحكم فى ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ وكسر شوكة القصر لم تتنكر الجماعة لعلاقتها بالملك فاروق وانما احتفلت بعيد جلوسه على العرش (مايو ١٩٤٢) وشبهته جريدة النذير بالفاروق عمر بن الخطاب ولقبته بأمير المؤمنين (١١٧) ونشرت مجلة الاخوان المسلمين والتى اعيد

---

(١١٤) د . هيكل مرجع ذكره ح ٢ ص ٢٠٨ .

(١١٥) مضابط مجلس النواب ـ الجلسة الحادية والاربعين ١٩ ، ٢٠، ٢١ مايو سنة ١٩٤١ مجموعة مضابط دور الانعقاد الرابع ص ١١٣٢ تقدم السؤال النائب محمد نصير .

(١١٦) مذكرات ابراهيم عبد الهادى روز اليوسف ٣٠ أغسطس ١٩٨٢، لقاء مع فتحى رضوان ١٩٨٢/٨/٩ .

(١١٧) النذير يناير ١٩٤٥ ، نفس المصدر ١٩٤٣/١/٢٣ .

اصدارها سنة ١٩٤٢ صورة الملك على غلاف عددها الاول (١١٨) ونشرت فى عددها الثانى نبأ عن ذهاب وفد من الجماعة الى الملك على رأسه المرشد العام ليقدم العدد الاول من المجلة الى الملك فاروق (١١٩) .

ويبدو ان ردود الفعل لما وقع فى ٤ فبراير لم يكن قويا لدى الاخوان على الرغم من بعض المظاهر التى ابرزت ولاء الجماعة للملك فاروق وقد يكون هذا الموقف بدافع عدم الاصطدام بالوفد وما يترتب على ذلك من حل الجماعة ومصادرة صحفها عملا بقانون الطوارىء وهذه سياسة بلا شك يحسد عليها المرشد العام للأخوان وهذا مما يضاعف من اعتقاد بأن ولاء الجماعة لم يكن خالصا للملك ولا لأى حزب سياسى وانما كانت الضرورة تقتضى التضامن مع هذه الجمعة أو غيرها ولو لفترة تكون بعدها جماعة الاخوان قادرة على الوقوف كقوة يعتد بها وهذا لن يتحقق الا اذا هادن الشيخ البنا كل القوى المؤثرة فى السياسة المصرية ولعل فاروق كان متفهما لهذا المعنى وتؤكد رواية أنور السادات عن يوسف رشاد الذى حاول افهام الملك بان ولاء البنا الى العرش ليس موضع شك وكان تعليق الملك على ذلك : - « لقد خدعك حسن البنا » (١٢٠) وجريا على سياسة بريطانيا عقب ٤ فبراير فى العمل على تهدئه الاعصاب الثائرة فقد تقابل كلايتون « وكيل المخابرات البريطانية » مع حسن البنا وتفاهما فى دوافع بريطانيا وراء ما حدث فى ٤ فبراير (١٢١) وحرصا من حسن البنا على تأكيد ان الاسلام دين ودولة فقد قرر الدخول فى - انتخابات سنة ١٩٤٢ هذا من جانب ومن جانب آخر فقد اراد ان يعطى لجماعته نوعا من الشرعية التى كانت تفتقدها حيث كانت عرضة للحل والمصادرة فى اى وقت وتحت اى ظروف .

---

(١١٨) الاخوان المسلمون ١٩٨٢/٨/٢٩ .

(١١٩) نفس المصدر ١٩٤٢/٩/١٣ .

(١٢٠) ريتشارد ميشيل مرجع سبق ذكره ص ٩٦ انور السادات صفحات مجهولة ص ٩٩ .

(١٢١) وثائق الخارجية الأمريكية وثيقة رقم ١٥٣٠ من كيرك الى الخارجية الامريكية ٩ يونية سنة ١٩٤٢ . F.W. 862 - 20283/4

الا انه لم يكد يذاع خبر ترشيح حسن البنا لعضوية النواب عـــن دائرة الاسماعيلية حتى اتصل به عبد الواحد الوكيل (صهر مصـطفى النحاس) وطلب منه الرجوع الى النحاس لكى يكون على بينة من امر هذا الترشيح (١٢٢) .

وبعد بضعة ايام تلقى حسن البنا دعوة لمقابلة مصطفى النحاس حيث طلب اليه ان يتنازل عن الترشيح مقابل بعضـا من الوعود من أهمها عـدم التعرض لاعضاء الجماعة أو لنشاطاتهم وعدم مراقبتهم أو التضييق عليهم وقد لخص المرشد العام للأخوان أسباب تنازله فيما يأتى :

أولا : كسب ثقة النحاس باعتباره رئيس الحكومة وزعيم الاغلبية .

ثانيا : العمل على قيام الجماعة بأداء دورها وانتشارها فى مختلف البلاد .

ثالثا : عدم الاطمئنان الى نتيجة الانتخابات خوفا من التلاعب وسيستغل الخصوم ذلك لتشويه سمعة الجماعة (١٢٤) .

ومن المؤكد ان تراجع حسن البنا عن الانتخابات قد اعطى هدنة للطرفين عبرت عنها صحيفة الأخوان بترحيبها بخطوات الحكومة لاهتمامها بمشروع فرض الذكاة ومشروع تحسين الصحة والقرار العسكرى الخاص بالغاء الدعارة (١٢٥) .

وفى الوقت الذى اتخذت فيه كل القـوى السياسية موقفا عـدائيا من الوفد بسبب احداث ٤ فبراير نجد ان وزيرا وغديا يقوم بزيارة المركز العام للاخوان مبديا استعداد الحكومة لتقديم كل الامكانات خدمة للدعـــوة

(١٢٢) الاهرام ١٩٧٥/٢/١٤ من تقارير الامن العام التى تسجل تحركات خصوم الوفد عقب ٤ فبراير .
(١٢٣) نفس المصدر السابق .
(١٢٤) نفس المصـــدر وثيقة بتاريخ ١٩٥٢/٤/٧ حكمدارية بوليس الاسكندرية .
(١٢٥) الاخوان المسلمون ١٩٤٢/٩/١٢ ، الدعوة والداعية ص ١١٢ .

الاسلامية (١٢٦) ويلاحظ ان الوفد قد قدر اهمية جماعة الاخوان باعتبارها من أهم الدعوات التى كانت قادرة على التأثير فى المجتمع المصرى ونظرا لهذه الاهمية فقد ترأس فؤاد سراج الدين وفدا ضم عبد الحميد عبد الحق وأحمد حمزة ومحمود سليمان غنام ومعهم مجموعة كبيرة من نواب الوفد وقاموا بزيارة لدار الاخوان مؤكدين على ان هذه الدعوة سوف يكون لها شأن كبير ووعد الجميع بتنفيذ مطالب الاخوان وتقديم قطعة ارض لبناء دار لهم ومدهم بالورق اللازم لاصدار صحفهم (١٢٧) وتعددت زيارة زعماء الوفد لشعب الاخوان ولعل الوفد كان يسلم بقوة الاخوان ومقدرتهم الفائقة على التنظيم واثارة الشغب والاضطراب فى وقت كان الوفد حريصا على أن يثبت لبريطانيا انه الوحيد القادر على استقرار الاوضاع وعودة الطمأنينة والهدوء الى المجتمع المصرى .

ومن المهم ان جماعة الأخوان قد استفادت من هذه العلاقة الطيبة مع الوفد حيث اعيد اصدار صحفها وتركت لهم الحرية فى ممارسة انشطتهم حيث نحوا الاوضاع السياسية جانبا وبدأ الاهتمام بفكرة تطبيق الشريعة الاسلامية بمفهومها الشامل الكامل مما اثار عليها بعض الصحف متهمة اياها بالرجعية والجمود (١٢٨) .

ومما لا شك فيه ان ما وقع فى ٤ فبراير قد افاد الاخوان بدرجة كبيرة حيث انصرفت اليه جموع غفيرة من الوفديين احتجاجا على سياسة الوفد فى ٤ فبراير (١٢٩) وبعد ان فقدوا الثقة فى الزعامات التقليدية التى ارتضت لنفسها ان تهادن الاحتلال وان تساوم على المبادىء الوطنية مقابل العودة الى الحكم مهما كان الثمن ووجدت هذه الجموع فى دعوة الأخوان ما يتفق وخلاص المجتمع من كل تلك الشرور التى تحيق به .

وبالرغم من ان حكومة الوفد كانت تقدر خطورة هذه الدعوة واثرها على شعبية الوفد الا انه كان اختيارا لابد منه امام كل القوى التى اجتمعت وتناصرت بالرغم من افتراقها فى المبدأ لكى تتخذ من الوفد هدفا تشهر فى وجهه كل اسلحتها ولا ترضى عن سقوطه بديلا .

---

(١٢٦) الاخوان المسلمون ١٩٤٢/١٠/٢٤ .
(١٢٧) لقاء مع فؤاد سراج الدين ١٩٨٢/١١/١٢ صحيفة الاخوان المسلمون ١٩٤٣/٦/١٢ .
(١٢٨) آخر ساعة ٢٥ فبراير سنة ١٩٤٢ .
(١٢٩) د . محمد انيس ٤ فبراير فى تاريخ مصر السياسى ص ٧

للعلاقات الطيبة مع الوفد واعلنوا انهم كانوا وما يزالون من اشـد خصوم الوفد (١٣٠) وهذا الموقف يختلف عن موقفـهم من الملك فاروق عقب ٤ فبراير حيث اعلنوا ولاءهم للملك فى أكثر من مناسبة وهذا الموقف بقدر مايدل على ذكاء مطلق لحسن البنا الا أنه يحمل قدرا كبيرا من الانتهازية حيث كان يدرك ان حكومة الوفد زائلة لا ريب فى ذلك اما الملك فسيبقى دائما المصدر الفعلى لكل السلطات .

وبينما كل القوى السياسية قد انشغلت باحداث ٤ فبراير حيث أخذت منه مادة خصبة للمزايدة انصرف الاخوان المسلمون الى رفع شعارات تتعلق بالتشريع الاسلامى وجعل القرآن أساسا للتشريع (١٣١) .

وعلى ما يبدو فان هـذه الدعوة قد وجدت قبولا كبيرا لـدى قطاعات عريضة من الشباب المثقف وخصوصا طـلاب الأزهر . وتشير تقارير البوليس السياسى الى الدور الرائد الذى كان يضطلع به طلاب الازهر وسط جمـاعة الأخوان حيث قام عـدد من طلاب الازهـر يتقدمهم محمد الغزالى ، حفنى أبو زيد من كلية أصول الدين وهلال مصيلحى هلال من معهد القاهرة ، قاموا بتوجيه دعوة لطلبة الازهر لعقد مؤتمر يمثل طلاب الازهر عقب صـلاة الجمعة ٣٠ يناير ١٩٤٢ بالجامع الازهر والدعوة الى تكوين اتحاد اسلامى يقوم بالعمل على الاتصال بالجهات المسئولة بغرض جعل الشريعة الاسلامية هى أساس الحكم وهدد الطلاب بالاضراب عاما كاملا فى سبيل تحقيق هذه الغاية (١٣٢) .

ومن المؤكد ان الدعـوة لهذا المؤتمر قـد وجدت قبولا هائلا لدى طلاب الازهر حيث حضر المؤتمر حوالى ٣٠٠٠ طالب من مختلف الكليات والمعاهد الازهرية وافتتح المؤتمر عبد العزيز عبد السـتار بكلية أصـول الدين حيث القى كلمة قوية مطالبا السلطات المعنية بجعل التشريع الاسلامى اسـاسا لنظام الحكم فى مصر .

والقى الطالب ابراهيم البسيونى من كلية اللغة العربية قصيدة طويلة مؤكدا نفس المطلب ثم تحدث ابراهيم الجندى من كلية الشريعة والطالب حمودة امام من اصول الدين ثم هلال مصيلحى وهكذا تعددت الكلمات وكلها تطالب بتطبيق الشريعة الاسلامية وفى نهاية المؤتمر اتفق المؤتمرون على عدة قرارات من بينها :

---

(١٣٠) طارق البشرى الحركة السياسية فى مصر ٤٥ ــ ١٩٥٢ القـاهرة ١٩٧٣ ص ١٤٦

(١٣١) دار الوثائق القومية ــ تقارير البوليس السياسى محفظة ١٣ وثيقة ٩ « سرى سياسى » .

(١٣٢) المصدر السابق .

١ – دعوة العلماء الى تكوين اتحـــاد ينادى بجعـــل القرآن أساسا للتشريع ٠

٢ – المطالبة بتأليف لجنة من كبار العلماء لتتولى صياغة ما ورد فى القرآن من احكام تتفق والعصر الحديث (١٣٣) .

ويواصل طلبة الازهر الدعوة للعمل بالشريعة الاسلامية حيث اجتمع عدد هائل من طلبة الكليات الازهرية توجه لمقابلة رئيس الوزراء لعرض الفكرة الا انه لم يعط وعدا مؤكدا على اعتبار ان الوقت لا يسمح .

كما أن هذه الدعوة تتعارض مع ما للاجانب من حقوق أقرها التشريع الوضعى واتفق المؤتمرون على ان تطبع المذكرة باللغة الفرنسية والانجليزية لتوزع على الجاليات الأجنبية ليعرفوا أحقية تلك المطالب التى لا تتعــارض مع حقوقهم (١٣٤) .

وتشير الوثائق الامريكية الى الصلة بين النشاطات المكثفة داخـل الازهر وحادث ٤ فبراير على اعتبار انها محاولة لمضاعفة مشـاكل الحكومة ومحاولة احراجها فى قضاياتهم الغالبية العظمى من الشعب المصرى (١٣٥).

ونظرا لأهمية الازهر وخطورته فى الصراع الدائر فقد اتجهت أنظــار النحاس منذ اليوم الاول لتوليه الوزارة (عقب ٤ فبراير) الى الحد من نفوذ القصر داخل الازهر مستندا فى ذلك الى المبادىء الديمقراطية القائلة بأن الملك يملك ولا يحكم والى ما ورد فى الدستور من ان رئيس الوزراء هــو المهيمن على مصالح الدولة بينما القصر من ناحيته يتمسك بسلطته المستمدة من الدستور أيضا فالملك هو الذى يعين الوزراء ويقيلهم وهو الرئيس الاعلى وهو الذى يعين الرؤساء الدينين (١٣٦) ٠

وفيما يتعلق بالازهر فقد اتجهت الحكوم الى احتوائه باعتباره مؤسسة من مؤسسـات الدولة واتخذت لهذا الغرض من الاجراءات ما يلى :

---

(١٣٣) المصدر السابق وثيقة ٢١٥ ، ٢١٨ « سرى سياسى »

(١٣٤) المصدر السابق وثيقة ٨٣ « سرى سياسى » الاول من مارس ١٩٤٢ ٠

(١٣٥) وثائق الخارجية الامريكية وثيقة رقم ٣٣٠ من كيرك الى الخارجية الامريكية بتاريخ ٥ مارس سنة ١٩٤٢ . Boo. 24. 313

(١٣٦) مذكرات حسن يوسف القصر ودوره فى السياسة المصرية ١٩٢٢– ١٩٥٢ ص ٢٣١ ٠

١ ــ انشأت فى مجلس الوزراء ادارة للشئون الدينية وعينت الشيخ محمد البنا مديرا لها وكان معروفا بميوله الوفدية وبهذا اصبح ضابط اتصال بين النحاس باشا واصحاب المناصب القيادية فى الازهر .

٢ ــ اعدت الوزارة مشروعا لتحسين حال العلماء والمدرسين والخرجين من الازهر ولكنها علقت تنفيذه على اخراج الشيخ المراغى من مشيخه الازهر .

٣ ــ شجعت الوزارة على اشعال الفرقة بين شيخ الازهر ومفتى الديار المصرية مما ترتب عليه اضطراب الدراسة فى الكليات والمعاهد الدينية ووضعت العراقيل فى سبيل الشيخ المراغى الى ان قدم استقالته ولكن الملك لم يقبلها (١٣٧) .

وفى الوقت الذى كانت حركة الاخوان تجد صداها لدى الكثرة من الشباب والطلاب (عقب ٤ فبراير) كان حسن البنا متفهما حالة الاستياء العامة لدى غالبية الشعب المصرى وخيبة الامل التى أوجدها الوفد بمسلكه فى ٤ فبراير ليستقطب لجهازة بعض ضباط الجيش من بينهم جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين وعبد اللطيف البغدادى الامر الذى قد اوحى لبعضهم بأن الوقت قد حان للتخلص من الاحتلال وضرب الجيش البريطانى المتقهقر غرب الاسكندرية (١٣٨) .

ويبدو ان المرشد العام للاخوان قد بدأ فى هذه الفترة بالذات فى تكوين ما يسمى بالجهاز الخاص أو الجهاز السرى بهدف التخلص من الجيش البريطانى العائد من العلمين (١٣٩) .

الا ان هذه الخطوة لم يكتب لها النجاح نظرا لعيون الاحتلال المنتشرة فى كل مكان والخوف على الدعوة من جبروت الاحتلال الذى كان يرقب حركات كل القوى السياسية والدينية بدقة متناهية (١٤٠) .

وخلاصة القول ان الاخوان المسلمين لم تسهم كغيرها من القوى فى تهيئة المناخ الذى اوجد احداث ٤ فبراير وانما انشغلت بالعديد من القضايا ذات ــ الطابع الدينى بالاضافة الى تربية العديد من الكوادر التى

---

(١٣٧) المصدر السابق ص ٢٣٢ .
(١٣٨) ريتشارد ميشيل ، الاخوان المسلمون ص ٧٠
(١٣٩) نفس المرجع ص ٦٧ دى رفعت السعيد مرجع سبق ذكره ص ١٣٠
(١٤٠) د . اسحاق الحسينى مرجع سبق ذكره ص ٢٩٤ ــ ٢٥٠

اسهمت فى نجاح تلك الدعوة دون الدخول فى أى نوع من الصراع مع أية حكومة من الحكومات التى تعاقبت على مصر طوال الثلاثينات واوائل الاربعينات ولهذا فهى لا تتحمل اية مسئولية من هذه الناحية .

أما ردود فعل حادث ٤ فبراير على الاخوان فقد تجاوبوا بالقدر الذى يمكنهم من تحقيق غايتهم بصرف النظر عن الاثار السياسية التى ترتبت على هذا الحادث وهى امور فى مجملها تسجل للاخوان ولا تؤخذ عليهم فبينما انصرفت كل القوى للنيل من الوفد واستنفاذ طاقاتهم فى صراع جزبى مرير **انصرف الاخوان وبدقة متناهية الى تحقيق رسالتهم مستغلين كل الوسائل** الممكنة .

وبحق فقد كان هذا الصراع المرير الذى احدثه ٤ فبراير بين كل القوى السياسية فى مصر فرصة استغلها الاخوان واستفادوا منها بقدر يحسدون عليه ووفقا لشهادة احد المعاصرين « لقد كان الاخوان اقوى قوة **تلى الوفد لانهم كانوا يتمتعون بامرين خطيرين جدا اولهما : التنظيم الشديد** والدقة المتناهية ، وثانيهما : الطاعة للقيادة » . (١٤١)

مصر الفتـــــاة :

تعد جماعة مصر الفتاة من اكثر الحركات السياسية التى اثرت فى المجتمع المصرى منذ الثلاثينات وحتى الخمسينات من هذا القرن بالرغم من ان البعض قد حاول التقليل من شأنها على اعتبار أنها صدى للقوى الفاشية والنازية (١٤٢) .

وهذه الاتهامات بالرغم من خطورتها الا انها لا تقيم دليلا ضد مصر **الفتاة فهى حركة مصرية أصيلة** سبقت فكرتها الحركات الاوربية وهى حركة قد نشأت من خلال الصراع الدائر ضد الاحتلال حيث الفاشية والنازية حركة استعمارية وليس جمال عبد الناصر وانور السادات الا أعضاء فى حركة مصر الفتاة (١٤٣) .

---

(١٤١) فتحى رضوان لقاء شخصى ١٩٨٢/٩/٨ مصر الجديدة — القاهرة
(١٤٢) د . رفعت السعيد تاريخ المنظمات اليسارية فى مصر ص ١٠٧
د . عبد العظيم رمضان تطور الحركة الوطنية فى مصر ١٩٣٧ — ١٩٤٨ ص ١٧٦ ، ١٧٧
(١٤٣) مجلة الهلال ابريل ١٩٨٢ من رد احمد حسين على الدكتور السيد الشناوى .

ولعل مما يميز هـذه الحركة عن غيرها من الاحزاب السياسية الاخرى انها بدات بعيدة عن الوفد فى الوقت الذى بدأ معظم السياسيين المصريين حياتهم فى حظيرة الوفد حين كان يركب قمة الموجة الثورية ثم انشـــقوا عليه (١٤٤) .

ولقد ظهرت هـذه الفكرة فى العشرينات من هذا القرن من خلال المجلات المدرسية حيث توثقت اواصر الالفة بين عدد من طلاب المدارس الثانوية ، فالتفكير فى مصر الفتاة كان اقدم من ازدهار النازية والفاشية اللذان ظهرا فى الثلاثينيات من هـذا القرن بل لقد هاجم أحمد حسين ايطاليا عند هجومها على الحبشة ووصفها بانها الدولة التى لا يعرفها الشرق الاطاغية جبارة فى طرابلس تقتل أبناءه وتستحل حرماته وتستعمر أرضه (١٤٥) وفى عـدد آخر من جريدة « الصرخة » نشرت مقالا هاجمت فيه موسلينى بأنه آخـر من يتحدث عن مصر فهو الذى اغتصب منا جغبوب والذى يتهيأ فى اقرب فرصة لغزو مصر والذى يقتل ابناء المسلمين فى طرابلس والذى لا يمثـل لناشيئا ذا قيمة الا القتل والنهب (١٤٦) .

بل ان الحكومة الايطالية طلبت من وزارة الداخلية المصرية موافقتها على الشكل القانونى الذى يمكن السفارة الايطالية من رفع دعوى قضائية ضد أحمد حسين بسبب كتاباته العـدائية ضد ايطاليا والتى اعتبرتها عملا عدائيا ليس له ما يبرره وتحريضا على كراهيتها . (١٤٧)

ومن الملاحظ ان العلاقة بين مصر الفتاة والحركتين الفاشية والنازية فكل من ايطاليا والمـــانيا لم تكن فى يوم ما علاقة مودة أو صداقة حتى يكون التأثير ايجابيا وعلى الرغم من ان العلاقة تبدو واهية اذا ما حاول المؤرخـــون اليساريون ايجاد رابطة من اى نوع الا اننا نعتقد ان ظاهرة الربط بـــين التيارات الاسلامية والنازية والفاشية هى محاولة داب عليها المؤرخون اليساريون انطلاقا من موقف واضح من كل التيارات الاسلامية وهذا ممـا يقلل من قيمة مثل هذه الدراسات ويفقدها أهم اركان البحث العلمى وهـذه

(١٤٤) د . عبد العظيم رمضان تطور الحركة الوطنية مرجع ســـبق ذكره ص ١٧٦

(١٤٥) الصرخة « صحيفة مصر الفتاة » ٢٣ ديسمبر ١٩٣٣ .

(١٤٦) المصدر السابق ٧ اكتوبر ١٩٣٣ .

(١٤٧) مرافعات الرئيس أحمد حسين ص ١٢٨ .

التهمة قد سبق ان ساقها خصوم مصر الفتاة وخصوصا حزب الوفد حيث اعلن النحاس باشا من داخل مجلس النواب : ان احمد حسين وجماعته يعملون لحساب دولة اجنبية ضد مصلحة البلاد (١٤٨) .

ولعل هذا الاتهام قد اثار عددا من اعضاء مجلس النواب حيث طلبوا من الحكومة التحقيق فى هذا الموضوع واثبات هذه التهمة حتى تكون درسا لغيرهم من الشباب وردعا لمن تسول له نفسه ان يقدم على مثل هذه التصرفات التى تتسم بالعمالة (١٤٩) .

ويبدو ان النحاس كان يهدف من وراء هذا التصريح الخطير الى الاساءة لجماعة مصر الفتاة بسبب رفضها لمعاهدة ١٩٣٦ ولان هذه الدعوة كانت تلقى ترحيبا عظيما من الشعب المصرى وخصوصا طلاب الجامعات والمدارس الثانوية ووفقا لسياسة النحاس فان هذا يتناقض مع ما للوفد من موقع الصدارة فى المجتمع المصرى وبالرغم من اصرار اعضاء مجلس النواب على اقامة الدليل على هذا الاتهام الذى ان صدق يكون كفيلا بالقضاء على مستقبل هذه الجماعة الا أن النحاس عجز على ان يقدم دليل مقنعا للنواب وبالتالى لم تجر تحقيقات قضائية ضد جماعة مصر الفتاة مما كان سببا فى تعاطف بعض النواب مع الجماعة وهذا مما يضاعف من اعتقادنا بان هذا الاتهام لم يكن قائما على اسس موضوعية .

وفى اكتوبر سنة ١٩٣٧ وامام المخاطر التى كان يواجهها الوفد سواء فى علاقاته مع القصر او بسبب انشقاق الوفد وخروج احمد ماهر والنقراشى رفع احمد حسين قضية ضد النحاس بصفته الشخصية وبصفته وزيرا للداخلية .

مطالبا بمبلغ عشرة الاف جنيه على سبيل التعويض بسبب الاضرار الادبية التى لحقت به والتى نتجت عن تصريحات النحاس فى مجلس النواب (١٥٠) وما لبث النحاس ان تقدم هو ايضا ببلاغ الى النائب العام يطلب فيه التحقيق مع احمد حسين بسبب علاقاته مع هيئات اجنبية (١٥١)

وبعرض الموضوع على القضاء حسم الموقف لصالح مصر الفتاة حيث لم يجد النائب العام ما يقيم دليلا على ما يزعمه النحاس وعلى حد تعبير صحيفة مصر الفتاة « ان النائب العام قد تغاضى عن بلاغ النحاس بعد ان رأى انه لا يستحق مجرد النظر اليه » (١٥٢)

---

(١٤٨) مضابط مجلس النواب دور الانعقاد الاول العادى ٢٢ يونيه ١٩٣٦ ص ٩٦ .

(١٤٩) المصدر السابق ص ٩٧

وبسقوط وزارة مصطفى النحاس (ديسمبر ١٩٣٧) والمجيء بوزارة محمد محمود والتى ضمت من بين وزرائها كامل البندارى صديق احمد حسين بالاضافة الى محمد محمود نفسه والذى كانت تربطه باحمد حسين علاقات وطيدة (١٥٣) .

دخلت جماعة مصر الفتاة الى دور جديد هيأ لها مكانة مميزة وسط القوى السياسية المتصارعة .

ومن المؤكد ان فترة حكومة محمد محمود تمثل ذروة النجاح فى تاريخ مصر الفتاة حيث اطلق لها العنان فى ممارسة دعوتها سواء من خلال المؤتمرات والندوات العديدة التى حرصت الجماعة على اقامتها او من من خلال صحفها ولعل هدف محمد محمود هو الحصول على قدر من الشعبية واستخدم الجماعة كوسيلة بقصد النيل من الوفد الد أعداء الحكومة القائمة .

ومن قمة النجاح الذى وصلت اليه الجماعة الى منحدر الضيق والاضطهاد ويرجع احمد حسين ذلك الى سببين : —

أولا : هو الشباب المتحمس الذى كان يتصرف من منطلق المثالية وغنى عن البيان ان وزارة محمد محمود كانت لا تحقق هذه المثالية فهاجمتها الجماعة واشتدت فى مهاجمتها واتخذت من شيخوخة محمد محمود واعتلال صحته ذريعة للهجوم .

ثانيهما : لقد كانت محلات بيع الخمور منتشرة فدعوة « احمد حسين » الى مهاجمتها وتحطيمها وكان من اشهر هذه الاحداث انقضاض اسماعيل عامر على مهاجمة « الكاب دور » فى الاسكندرية حيث وصلت المأساة الى ذروتها اذ تعرض لهم أحد الجلوس وكان موظفا كبيرا فاعتدوا عليه بالضرب حتى اصبح بين الموت والحياة واعتبر الانجليز ان عملية تحطيم الحانات من كبرى الكبائر فقرروا سحق مصر الفتاة سحقا حيث اعتقل العدد الاكبر من الجماعة ووجهت الى أحمد حسين تهمة قلب نظام الحكم (١٥٤) .

وبقدر العلاقة القوية بين مصر الفتاة وحكومة محمد محمود وبالرغم من النجاح والشهرة اللذين حققتهما الجماعة الا انها قد انحدرت الى الدرك الاسفل واعمل فيهما الاعتقام والاعتقال والاضطهاد .

---

(١٥٣) صحيفة الشعب ١٩٨٢/٥/٢٥ كيف اشركنى محمد محمود فى الحكم بطريقة غير رسمية بقلم احمد حسين .

(١٥٤) صحيفة الشعب ١٩٨٢/٥/٢٥ من مذكرات احمد حسين — رئيس مصر الفتاة .

ويبدو ان السلطات البريطانية كانت متيقظة تماما لحركة مصر الفتاة على اعتبار انها تندد بمعاهدة ١٩٣٦ وتصفها بمعاهدة « الخزى والعار » ناهيك عن محاولة الاعتداء على الاجانب ومهاجمة دور اللهو مما ضاعف من كراهية الاحتلال لمثل هذا النوع من النشاط ووفقا لرأى السفير البريطانى «ان مثل هذا النوع من الانشطة مما يسبب قلقا لدى الاجانب فى مصر»(١٥٥)

وعلى الرغم من النجاح الذى حققته مصر الفتاة وانتشارها وسط قطاعات كبيرة من الشباب او انحدارها مرة ثانية بسبب موقفها من حكومة محمد محمود على اعتبار انها عجزت عن تحقيق اى نوع من الاصلاح الداخلى فان مصر الفتاة تعد على رأس القوى التى استهانت بالقيم الدستورية وساهمت بشكل أو بآخر فى خلق مناخ سياسى يفتقد الى الديمقراطية ، فليس من قبيل المصادفة ان يتقدم أحمد حسين ببلاغ الى النائب العام (اكتوبر ١٩٣٧) يطلب التحقيق فيما ورد من اتهامات وجهها اليه النحاس باشا (بالتخابر مع دولة أجنبية) بالرغم من مرور أكثر من عام على هذه التهمة وليس من قبيل المصادفة أيضا أن يتضامن أحمد حسين مع الد خصومه كى يعملوا جميعا على اسقاط حكومة الوفد (١٥٦) ٠ بل ويعتبر احمد حسين أن اقالة الوفد هى البرنامج الوحيد الذى تتبناه الجماعة (١٥٧) ٠

واعتقد ان ما أقدم عليه الملك فاروق من اقالة الوفد (ديسمبر ١٩٣٧) تعد المدخل الفعلى سواء لما اصاب مصر من حالة عدم الاستقرار السياسى فى فترة أواخر الثلاثينات وأوائل الاربعينيات أو لما وقع فى ٤ فبراير من احداث تركت آثارا خطيرة على تاريخ مصر السياسى طوال فترة الحرب العالمية الثانية .

وتعددت أساليب المخطط الذى آمنت به مصر الفتاة والذى يعنى اقالة الوفد حيث رسمت الجماعة خطة بهدف النيل من الحكومة لا فى القاهرة وحدها بل فى القرى والمدن المصرية (١٥٨) ٠

---

(١٥٥) وثائق الخارجية البريطانية وثيقة ٢٤٠ من لامبسون الى حكومته الاول من فبراير ١٩٤٠ ٠

(١٥٦) صحيفة الضياء ١٣ ديسمبر ١٩٣٧ ٠

(١٥٧) الضياء ١٠ ديسمبر ١٩٣٧ ٠

(١٥٨) المصرى ٢٣ ديسمبر ١٩٣٧ ؛ السياسة ١٥ ديسمبر ١٩٣٧ ٠

وكان خروج النقراشى واحمد ماهر من الوفد فرصة ثمينة استغلها احمد حسين للوقيعة بين صفوف الوفديين حيث استغل هذا الحادث أسوأ استغلال وسواء أكان هذا فى اطار سياسة عامة رسمتها احزاب الاقلية ام أن هذه السياسة كانت مسلكا خاصا بمصر الفتاة فانها تتحمل قدرا كبيرا من المسئولية على الرغم مما ساهم به الوفد من تصرفات تفتقد فى معظمها الى الحنكة السياسية ووفقا لرأى احد زعماء الوفد « لقد كان فصل النقراشى واحمد ماهر وبكل المقاييس خطا سياسيا كبيرا (١٥٩) .

ولم يتورع احمد حسين فى ان يتقدم بالتماس فى اغسطس ١٩٣٧ الى الملك فاروق بطرد الوزارة بحجة انها قد خالفت كل القوانين والاعراف (١٦٠) .

وبالرغم من ان نزاهة الوفد المالية حتى هذا التاريخ ــ كانت فوق كل الشبهات الا أن أحمد حسين تقدم بالتماس الى الملك فاروق يشكك فى ذمة النحاس ونزاهته المالية (١٦١) .

وهكذا ساهمت مصر الفتاة بنصيب لا بأس به من استعداء الملك ضد الحكومة الشرعية التى تمثل وبكل المقاييس الغالبية الفعلية من الشعب المصرى وتناسى اصحاب هذه الدعوة بقصد او بغيره ان اقالة حكومة تتمتع بالغالبية العظمى فى البرلمان وتلقى تأييدا كاسحا من الجماهير يعد بداية لسلسلة من المخاطر دفعت فاروق الى الاستهانة بالدستور والقانون ودفعت الوفد ايضا الى الاقدام على تصرفات لا تتفق بحال مع تاريخه الوطنى العريق ودوره الرائد فى قيادة الحركة الوطنية المصرية ويلاحظ أن السمة المميزة لتلك الجماعة هى التناقض فى الرأى وافتقاد الرؤية السياسية الثاقبة حيث كانت الغالبية العظمى من اعضاء الجماعة من بين طلاب المدارس الثانوية والجامعات وحداثة السن والتحمس كلاهما شرط مطلوب فى الايمان المطلق وتقبل النظريات التى تخاطب العواطف أكثر مما تخاطب العقول .

---

(١٥٩) فؤاد سراج الدين مقابلة شخصية ١٩٨٢/١١/٨ جاردن سيتى القاهرة .

(١٦٠) د. على شلبى جماعة مصر الفتاة ودورها فى الحياة السياسية المصرية ــ القاهرة ١٩٨٢ ص ٣٩٧ .

(١٦١) صحيفة الثغر ١٦ سبتمبر ١٩٣٧ .

ومن بين القضايا التى ظهر فيها التناقض واضحا اشتراك مصر فى الحرب بجانب بريطانيا فعندما تأزم الموقف الدولى وبدأت نذر الحرب اخذ احمد حسين يدعو جميع الاحزاب وكل القوى السياسية الى التضامن فى مواجهة المخاطر التى قد تتعرض لها مصر (١٦٢) وعندما تعقدت الاوضاع الدولية وبدأ واضحا ان الحرب واقعة لا محالة اعلن الدكتور مصطفى الوكيل (نائب رئيس مصر الفتاة) ان التضحيات التى قدمتها الشعوب العربية والاسلامية لكل من انجلترا وفرنسا طوال السنوات الطويلة الماضية قد ذهبت هباءا ولم نحصل فى مقابل ذلك الا على كل ما يسىء الى وحدة واستقلال هذه الشعوب ولذلك فلن نقف الى جوار الحلفاء فى الحرب (١٦٣) ويضيف احمد حسين قائلا ان الجلاء عن الاراضى المصرية اذا انتهت الحرب هو ثمن وقوف مصر الى جانب انجلترا (١٦٤) .

ثم يتراجع أحمد حسين عن هذا الموقف وبلا أى مبررات معقولة ليعلن ان علاقاتنا الوطيدة بالدولة الحليفة تلزمنا بالوقوف مع الحلفاء واعلان الحرب ضد النازية (١٦٥) ونشرت صحيفة مصر الفتاة سلسلة من المقالات تبرر اهمية دخول مصر الحرب على اعتبار ان بريطانيا ستقدر هذا الموقف من مصر ومن المؤكد ان النصر سيكون فى جانب الحلفاء ولذا فان الفرصة متاحة لكى تحصل مصر على استقلالها (١٦٦) .

وعندما تندلع الحرب بالفعل تتراجع مصر الفتاة عن موقفها السابق فيعلن احمد حسين ان موقف جماعته من قضية الحرب يتوقف على ان تعلن بريطانيا استقلال مصر استقلالا عمليا وان تعترف بحقوقنا فى السودان وحل قضية فلسطين حلا مرضيا (١٦٧) .

---

(١٦٢) مصر الفتاة ٢٩ ابريل سنة ١٩٣٩ .
(١٦٣) نفس المصدر السابق أول مايو ١٩٣٩ .
(١٦٤) نفس المصدر ١٩ اغسطس ١٩٣٩ .
(١٦٥) المصدر السابق ٣١ اغسطس ١٩٣٩ .
(١٦٦) نفس المصدر ٢٦ اغسطس ١٩٣٩ .
(١٦٧) نفس المصدر ٢ سبتمبر ١٩٣٩ .

وعلى ضوء كل هذه التصريحات والبيانات المتناقضة فلم يكن لمصر الفتاة موقف محدد وانما كان التردد اهم سمة لازمت تلك الجماعة على الرغم من أن احمد حسين قد حاول ان يبرر هذا الموقف بقوله : «ان الانتصارات الكاسحة التى حققها الالمان اقتضت منا أن نعيد خطتنا حيث تحددت مهمة مصر الفاة بالثورة المسلحة على الانجليز وطردهم من مصر وقد قوى من فكرة الثورة المسلحة ضد الانجليز تلك الانتصارات الكاسحة التى احرزها هتلر فى بادىء الأمر وكانت خطتنا ، ان وقت هجوم الالمان على الانجليز هى ساعة الصفر حيث نعلن الثورة المسلحة فى كل ارجاء مصر (١٦٨) .

ووفقا لخطة الثورة والتى وضعها احمد حسين وفتحى رضوان فانها تقوم على احتلال عدد معين من القرى حول كل مركز ثم الزحف من القرى لاحتلال المراكز ومن المراكز الى عواصم المديريات على ان يكون ذلك مشفوعا بقطع السكك الحديدية والتليفونات والتلغرافات واعدت الخطة فى شكل منشورات لا تفتح ولا يعرف محتواها الا بعد اعطاء كلمة السر وبدأت عملية جمع الاسلحة واستأجر الحزب عددا من المنازل لكى تكون مكانا للاسلحة والمنشورات (١٦٩) الا أن عيون الاحتلال كانت ترقب كل حركة من حركات الحزب ويبدو ان الانجليز كانوا على علم بحقيقة الثورة التى يخطط لها احمد حسين وفتحى رضوان الا أنهم كانوا ينتظرون اللحظة المناسبة الكفيلة بالقضاء على هذا الحزب واقتلاعه من جذوره ولعل هذا يفسر اضطهاد بريطانيا لمصر الفتاة اكثر من غيرها من القوى الاخرى ولما كانت ثورة رشيد على الكيلانى فى العراق وموقف مصر الفتاة المؤيد لها فقد بدأت سلطات الاحتلال تشتد فى المطالبة باعتقال احمد حسين ورجال حزبه بعد أن جاهروا بدعوتهم فى اهمية الثورة ضد الانجليز كما فعل العراق (١٧٠) .

---

(١٦٨) صحيفة الشعب من مذكرات احمد حسين ١٩٨٢/٦/٢٢ .
(١٦٩) لقاء مع فتحى رضوان سكرتير عام مصر الفتاة وقتئذ ١٩٨٢/٨/٩ ، صحيفة الشعب ١٩٨٢/٦/٢٢ .
(١٧٠) الشعب ١٩٨٢/٦/٢٩ من مذكرات احمد حسين ، مذكرات اللواء ابراهيم امام رئيس البوليس السياسى صحيفة الجمهورية ١٧ يناير ١٩٥٦ .

وهكذا صفيت حركة مصر الفتاة وتمكن الاحتلال من تسديد ضربة قوية مكنته من اقتلاع هذا النبت الذى يعد نتاجا لتربة مصرية خالصة بالرغم من ظاهرة التردد والتى تبررها ثورة الشباب وحماسه وفى الوقت الذى وقعت فيه احداث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ كانت السجون المصرية تكتظ بالمئات من اعضاء مصر الفتاة وعلى راسهم احمد حسين وفتحى رضوان ولذا فلم يكن وقع هذا الحادث عليهم الا بالقدر الذى تسمح به ظروف الاعتقال حيث تصور احمد حسين ان النحاس قد انقذ مصر بقبوله تاليف الوزارة ويضيف أحمد حسين عن ذكرياته فى تلك الفترة قائلا « لم نعلم بالملابسات التى صاحبت تشكيل وزارة ٤ فبراير وبدأ النحاس وكانه المنقذ فاتفقنا انا وزملائى أن نرسل له برقية تأييد ولم نكن ندرى اننا بذلك نصطدم مع عواطف الكثير من زملائنا والذين تركوا الحزب احتجاجا على هذا الموقف . (١٧١) .

ويعلق فتحى رضوان على هذه الرواية قائلا : لقد بعث احمد حسين ببرقية تأييد الى النحاس تحكمه عوامل شخصية قد يكون الاعتقال من اهمها وليس صحيحا أنه قد استشار البعض أو أخذ رأينا فى ذلك (١٧٢) .

وبالرغم من المبررات التى يسوقها احمد حسين والتى دفعته الى ان يبعث الى النحاس مهنئا بما حدث على اعتبار ان حالة الاعتقال كانت حائلا دون معرفة ملابسات الموضوع الا أن نص البرقية يفيد خلاف ما ذكره أحمد حسين « لقد منحتكم الامة ثقتها باعظم مما منحت فى أى يوم ولن يكون هناك سوى شرذمة قليلة من الرجال الحسودين الحقودين الذين يشرعون فى دسائسهم وهؤلاء لن يكون لهم حظ قليل أو كثير . . لقد اصبحت اثق ثقة مطلقة فى ان مصلحة مصر ومستقبلها هو هدفكم فى كل ما تعملون او تقولون (١٧٣) .

---

(١٧١) الشعب ١٩٨٢/٦/٦٩ من مذكرات احمد حسين .
(١٧٢) لقاء مع فتحى رضوان ١٩٨٢/٨/٩ .
(١٧٣) المصرى ٩ فبراير ١٩٤٢ ، الشعب ١٩٨٢/٦/٢٩ .

والجدير بالملاحظة ان برقية احمد حســين تعد البرقية الاولى فى تهنئة النحاس فلم يحدث ان اقدمت اى قوة سياسية اخرى على اتخاذ هذا الموقف وانما كل الاتجاهات السياسية والحزبية قد استنكرت هذا الحــادث من منطلق أن الوفد ضليع فى تآمره مع الاحتلال .

ومن المؤكد أن احمد حسين قد مل أمــر الاعتقال معتقدا ان النحــاس من الممكن ان يعيد النظر فى امر اعتقاله وأما القول بأنه لم يكن يعــرف كل ملابسات الموضوع فلا يقيم دليلا على موقفه بدليل انه قد عرف فيما بعــد ولم يقدم على ما يناقض موقفه السابق ومن البراهين التى تقوم دليــلا على هذا الاعتقاد هو هروب أحمد حسين من السجن ثم اتصاله بفؤاد سراج الدين الذى وعده بعدم العودة الى الاعتقال وبالفعل فقد وافق النحــاس على الافراج عن أحمد حسين بصفة خاصة (١٧٤) .

ويبدو ان احمد حسين قد عمل على الخروج من السجن بكل الوسائل الى درجة انه بعث برسالة الى مدير المخابرات بالجيش البريطــانى « جنرال كلايتون » يقول فيها : عندما بدأت الحملة الانجليزية على ليبيــا شعرت برغبة شديدة فى ان اكتب لك لاعرب لك عن تمنياتى الصــداقة لنجاح هذه الحملة الا اننى توقفت خوفا من أن تفسر كتاباتى بأنهــا نوع من المراهنة او الرغبة فى ان يطلق سراحى الا أن توقف المعارك على حــدود ليبيــا دفعنى الى أن اكتب لك ، لقد كان رايى الذى بسطته لك منــذ مقابلتنا الأولى وظللت متمسكا به ، ان مصلحة مصر الحاضرة والمســتقبلة تقضى بضرورة تعاونها مع انجلترا تعاونا عــلى أوســع نطــاق ممكن فان موقف مصر بعيدا عن هذا النزاع يعتبر موقفا شاذا (١٧٥) .

ولعل هذا الموقف من زعيم مصــر الفتاة يشير الى عدة اعتبــارات هــامة : —

أولا : ان رسالة احمد حسين الى النحاس عقب ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ هى محاولة لجس نبضه ولعل احمد حسين قد اتخذ من صــداقته

---

(١٧٤) لقاء مع فؤاد سراج الدين ١٩٨٢/١١/٨ جاردن سيتى القاهرة .

(١٧٥) دار الوثائق القومية احد تقارير السرايات الملكية صــورة طبق الاصــل من خطاب احمد حسين الى كلايتون بتاريخ ١٩٤١/١٢/٧

لفؤاد سراج الدين (١٧٦) وسيلة من وسائل الضغط على النحاس، وهذا ما تحقق فعلا .

ثانيا : ان تاريخ الصراع الطويل بين حزب الوفد وجماعة مصر الفتاة والخلافات التى لم تتوقف بينهما كل هذا يدفعنا الى الاعتقاد بأن رسالة أحمد حسين الى النحاس تعد تراجعا أكيدا بسبب حالة الاعتقال .

ثالثا : ان رسالة أحمد حسين الى « كلايتون » مدير المخابرات البريطانية تعد تناقضا غريبا فى سياسة احمد حسين يؤكد من خلالها ايمانه العميق بقضية الحلفاء وهذا ما يتعارض تماما مع سياسته السابقة وهذا الموقف يعد تراجعا ليس له ما يبرره الا محاولة النظر فى أمر الاعتقال وعلى الرغم من موقف مصر الفتاة من معاهدة ١٩٣٦ هذا الموقف الذى يتسم بالرفض الشديد الا أنه لا مانع لدى أحمد حسين من أن يعتبر بريطانيا دولة صديقة وحليفة وهو يشير من طرف خفى الى رغبته فى الافراج عنه .

ولعل عددا كبيرا من أعضاء مصر الفتاة قد اعتبروا أن موقف أحمد حسين يعد تراجعا عن الخط الوطنى الذى اتخذه الحزب لنفسه حيث تعرض الحزب لأول مرة الى انقسامات خطيرة حيث اعتبر فتحى رضوان (سكرتير عام الحزب) أن ما حدث فى ٤ فبراير يعد صدمة تجمدت بسببها المشاعر فلقد كان الاعتداء على الملك بهذه الصورة اعتداءا على مصر كلها ولم يكن موقف أحمد حسين موقفا مسئولا (١٧٧) .

ومن هنا فقد تقدم فتحى رضوان باستقالته من الحزب احتجاجا على موقف أحمد حسين من احداث ٤ فبراير ونجح فتحى رضوان فى اجتذاب عدد من الاعضاء الحانقين على سياسة أحمد حسين وكونوا اللجنة العليا لشباب الحزب الوطنى (١٧٨) .

محفظة ١٣ وثيقة رقم ٨ .

(١٧٦) الشعب ١٩٨٢/٦/٢٩ من مذكرات احمد حسين حيث اشار الى أن فؤاد سراج الدين كان زميلا له فى الدراسة .

(١٧٧) لقاء مع فتحى رضوان ١٩٨٢/٨/٩ .

(١٧٨) المصدر السابق ، اللواء الجديد ١٣ نوفمبر سنة ١٩٤٥ .

وهذه اللجنة لم تقم بأى دور ظاهر خلال سنوات الحرب اللهم الا بعض النشاطات السرية التى سيرد الحديث عنها فى موضع آخر من هذا البحث ٠

ومن المؤكد ان حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ قد ترك اثرا على حزب مصر الفتاة يختلف تماما عن اثر نفس الحادث على بقية الاحزاب فبينما كل الاحزاب قد استمدت من أحداث ٤ فبراير قدرا كبيرا لشعبيتها على حساب الوفد الا أن مصر الفتاة قد انقسمت على نفسها مما حدا بالكثيرين من أعضائها الى البحث عن قوى أخرى بخلاف القوتان المتنازعتان ٠

ومنذ منتصف سنة ١٩٤١ فقد صدرت الاوامر باعتقال زعماء مصر الفتاة والغالبية العظمى من أعضائها وبذلك تجمد نشاطها تماما فلا جزب ولا أعضاء ولا صحيفة ولا نشاط من أى نوع خلال الفترة المتبقية من الحرب ويمكن ان نلخص بعض العوامل التى ادت الى اجهاض مصر الفتاة ٠

اولا : موقفها من ثورة رشيد على الكيلانى وما ترتب على ذلك من اعتقال معظم اعضائها ٠

ثانيا : عدم صلابة احمد حسين ومحاولة اتصاله بألد خصـــومه وهم الانجليز والوفديون مما ترك انطباعا ســـيئا لدى غالبية أعضـــاء الحـــزب ٠

ثالثا : موقف احمد حسين من احداث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢وما ترتب على ذلك من خروج فتحى رضوان لكى يكون « اللجنة العليا لشباب الحـزب الوطنى »

وعلى العموم فان العلاقة بين حادث ٤ فبراير وحزب مصر الفتـاة لم تكن علاقة وطيدة نظرا لان الاحتلال قد تمكن من القضاء على الحـزب فى منتصف ١٩٤١ عن طريق العديد من الاجراءات سواء بالنفى أو الاعتقال ولذا فان الاثر كان محدودا لدرجة كبيرة وعلى الرغم من كل ذلك فان عددا كبيرا من الشـباب قد انتابته حالة عدم الثقة سواء فى مصر الفتاة أو فى غيرهـــا من الاحـزاب الأخرى ولذا فقد انصرفت أعداد هائلة للعمـــل فى تنظيمات سرية اعتقـــادا منهم بان الاغتيالات هى الطـريق الوحيـــد لخلاص مصر من اوضـــــاعها المتردية وهذا ما سنتناوله فى الدراسة التالية ٠

قوى اخرى لعبت دورا هاما فى مجرى الاحداث :

بصدد الحديث عن القوى التى تاثرت بشكل أو باخر باحداث ٤ فبراير يتصدر الحزب الوطنى مكانة هامة سواء فى خلق المناخ الذى تمخضت عنه الاحداث أو فى ردود الفعل التى نجمت عن الحادث بالرغم من أن مساهمة الحزب لم تكن تتناسب والمكانة الهامة التى كان يتبواها فى أوائل هذا القرن حيثكان يتصدر حركة النضال الوطنى ٠ الا ان مواقف الحزب من القضايا الوطنيــة وتشدده بالمطالبة باحقية مصر فى الحصول على استقلالها بلا قيــد أو شرط وبعده عن أى نوع من اشكال المساومة وتمسكه بمبدأ « لا مفاوضات الا بعد الجلاء » كل تلك العوامل جعلت من الحزب الوطنى هدفا للاحتلال ثم كان موقفه من معاهدة ١٩٣٦ والتى اعتبرها حماية قاسية تجعل الاحتلال شرعيـــا وتؤيد تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ وتمكن الانجليز من التسلط عــلى ارضنا وسمائنا ٠ (١٧٩)

وبات الحزب هدفا للقوى التى ساهمت فى مفاوضات ١٩٣٦ وموضــع تهكم من رجالات الاحزاب والذين كانوا يعتبرون معاهدة ١٩٣٦ معــاهدة الشرف والاستقلال فى الوقت الذى تنكر لها الحزب الوطنى واعتبرها معاهدة الخزى والعار والاستسلام (١٨٠) ٠

وهذه السياسة المتشددة لا تتفق بحال مع ما ارتضاه حافظ رمضان (رئيس الحزب الوطنى) من الاشتراك فى حكومة محمد محمود سنة ١٩٣٨ ثم حكومة حسن صبرى سنة ١٩٤٠ حيث كان الاشتراك فى هاتين الحكومتين يعد اعترافا ضمنيا بمعاهدة ١٩٣٦ لا يتفق والسياسة العامة التى ارتضاها الحزب بالاضافة الى أن الاشتراك فى هاتين الحكومتين يعد مســاهمة أكيدة لضرب القوى الديمقراطية لان قبول العمل مع حكومات لا تستند الى أى قاعدة جماهيرية يعد خدعة اكيدة للقصر ورجالاته والذين افسدوا الحيــاة السياسية بتصرفاتهم الانانية وخلافاتهم الشخصية ولعل اشتراك الحــزب الــوطنى بماضيه الطويل وكفاحه المشرف يعد صدمة اكيدة قضت على البقية البــاقية من نضال هذا الحزب ٠(١٨١)

---

(١٧٩) معاهدة ١٩٣٦ حماية قاسية ـ كتيب من نشرات اللجنة الادارية للحزب الوطنى ـ القاهرة ١٩٣٦ ص ١ ٠

(١٨٠) لقاء مع فتحى رضوان ١٩٨٢/٩/٨ ٠

(١٨١) نفس المصدر السابق ٠

والحقيقة انه على الرغم ن عدم جماهيرية الحزب فى تلك الفـــــترة ـ موضع البحث ـ الا ان بعضا من اعضائه امثال فكرى اباظة وعبد العـــزيز الصوفانى قد اثروا الحياة البرلمانية بمناقشاتهم الموضوعية وسلوكهم الحميد ولم تأت مناسبة الا وكان لاعضاء الحزب الوطنى صوت مسموع منددين دائما بالسياسة الانجليزية وضرورة وضع حد للعلاقات المصرية البريطانية على ضوء الإعتداءات المتكررة والتى يرتكبها جيش الاحتلال جهارا نهارا ضد المواطنين المصريين وحمل فكرى اباظة حملة شديدة ضد المشروعات الاستعمارية صناعية وحربية والتى وصفها بانها تهدف الى خدمة الاحتلال وضـــد مصـــالح البـــلاد (١٨٢) .

وفيما يتعلق بموقف الحزب سواء من اعلان الاحكام العـرفية أو مـــن قضية دخول مصر الحرب بجانب بريطانيا فقد رفض أى شكل من اشـــكال المساعدة لبريطانيا على اعتبار ان مصر قد قدمت العديد من التضحيات طوال فترة الوجود البريطانى فى مصر ولم تحصل الا على الجحود والنكران (١٨٣) .

وبوقوع حادث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ اجتمع الحزب الوطنى برئاســة حافظ رمضان واعد مذكرة مستفيضة عن مركز مصر السياسى واعتداء انجلترا المسلح على السيادة المصرية وعدم احترام حكومة النحـــاس لأى قانون أو دستور ولم تغفل المذكرة ان تندد بمعاهدة ١٩٣٦ باعتبار انها اســـاس كل بلاء وارسلت صور من هذه المذكرة الى الملك فاروق والى النحـاس كمـا بعث بصور منها الى وزير امريكا المفوض فى القاهرة ووزير الســويد والقـائم على مصالح روسيا فى مصر (١٨٤) بل وقد حاول حافظ رمضان أن يقود حملة ضد معاهدة ١٩٣٦ للمطالبة بالغائها نظرا للاعتداء الذى وقع من انجـــلترا على مصر ـ واستطاع الحزب الوطنى ممثلا فى رئيسه أن يحصل على توقيع الدكتور أحمد ماهر والشوربجى بك واسماعيل صدقى باشا الا أن الخطة لم تنجح لأن البعض كحافظ عفيفى والشمسى باشا لم يقبـلا التوقيع على مثل هذه الوثيقة ولذا فقد اخفقت الفكرة (١٨٥) .

---

(١٨٢) مضابط مجلس النواب ـ دور الانعقاد العادى ٣ مارس ١٩٤٣ صفحة ٣١٨ .

(١٨٣) مضابط مجلس النواب مجموعة مضابط دور الانعقاد الأول ـ الجلسة الثانية والثلاثون ١٩ اغسطس ١٩٤٢ ص ١٤٨٣ .

(١٨٤) الاهرام ١٩٧٥/٢/١٤ صور من تقارير الامن العام التى تسجل تحركات خصوم الوفد عقب ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ .

(١٨٥) دارالوثائق القومية تقارير الامن العام حكمدارية بوليس مصـــر ١٦ ابريل ١٩٤٢م تقرير رقم ١٣ محفظة رقم ٣ .

وعلى ما يبدو فان عددا كبيرا من اعضاء الحزب الوطنى وخصوصا من بين الشباب قد انخرطوا فى العمل السرى بعد ان فقدوا كل أمل فى الاحزاب التقليدية تلك الاحزاب التى تسبح بحمد الاحتلال وتكيل له المديح والصفاء .

من هنا فقد تصدر قطاع كبير من شباب الحزب الوطنى العمل السرى واتخذوا من الاغتيالات وسيلة لاجبار الاحتلال على الرضوخ لمطالبهم ولعل خطتهم كانت تقوم على ابادة مدرسة ثورة ١٩١٩ والتى وصفت بانها مدرسة المفاوضات والتخاذل (١٨٦) حيث كانت معاهدة ١٩٣٦ من وجهة نظرهم اعتراف واضح باشراك بريطانيا فى حكم مصر ثم كان حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ وعلى مرأى ومسمع من كل الاحزاب السياسية هو بداية تشكيل جماعة حسين توفيق والتى وضعت فى برنامجها اغتيال كل من ساهم فى احداث ٤ فبراير وفى مقدمتهم النحاس باشا ثم امين عثمان (١٨٧) .

ويعتقد حسين توفيق ان الوفد قد خان خيانة عظمى فى مسالة ٤ فبراير وان زعماء الاحزاب ليس فيهم نفع بل جميعهم قد اضروا البلد ضررا كبيرا (١٨٨) .

ووفق ما ذكره حسين توفيق فى قضية مقتل امين عثمان تبدو عدة حقائق هامة : ـ

أولا : ان جماعة حسين تدفيق كانت تسمى جماعة الشباب المجاهد .

ثانيا : ان هذه الجماعة قد تكونت عقب ٤ فبراير وكرد فعل لسياسة التواطؤ بين الوفد والانجليز .

ثالثا : ان هدف التنظيم هو اغتيال كل من ساهم فى صنع احداث ٤ فبراير بدءا بالسياسيين المصريين (١٨٩) .

ويبدوا ان هناك علاقة وطيدة بين جماعة حسين توفيق والتنظيم الذى اعده القصر والذى يسمى « بالتنظيم الحديدى » والذى كان من اهم اهدافه اغتيال كل صانعى ٤ فبراير ١٩٤٢ حيث ذكر أحمد مرتضى المراغى والذى شغل

---

(١٨٦) اسحاق الحسينى مرجع سبق ذكره ١٥١ ـ ١٥٢ ، الاهرام ١٩٥/٢/١٤ .

(١٨٧) لطفى عثمان ـ المحاكمة الكبرى فى قضية الاغتيالات السياسية القاهرة ١٩٤٨ ص ٢١٨ .

(١٨٨) نفس المرجع ص ٢ .

(١٨٩) المرجع السابق ، ٢٥ .

منصب وزير الداخلية عدة مرات وقبلها كان مديرا للامن العام وكان على علاقة وطيدة بالقصر : « ان الملك فاروق قد دفع مبالغ طائلة لاعداد هذا التنظيم بهدف اغتيال النحاس وامين عثمان وكل من ساهم فى ٤ فبراير الا ان الملك قد فقد ثقته فى هذا التنظيم بعد فشل محاولة قتل النحاس مرتين مما اضطره الى التفكير فى اعداد تنظيم آخر يكون قادرا على اصطياد الرؤوس الكبيرة (١٩٠) ٠

وعلى ما يبدوا فان مصرع امين عثمان (يناير سنة ١٩٤٦) هو العمل الوحيد الذى قام به هذا التنظيم (١٩١) وكانت الخطة تعنى مقتل امين عثمان ثم قتل النحاس اثناء سيره فى جنازة امين عثمان ٠

ويؤكد احد زعماء التنظيم السرى والمنتمين الى الحزب الوطنى ان سعد كامل « ابن شقيقة فتحى رضوان » هو المدبر والمخطط للمجوعة التى اغتالت امين عثمان وان كل الاعضاء كانوا من الشباب المنتمين الى الحزب الوطنى (١٩٢) ٠

ووفق اعتقادى فان انتماء اعضاء التنظيم الى الحزب الوطنى لا ينفى علاقتهم بالقصر على اعتبار ان التنظيم كان يمر بمراحل مختلفة وان اعضاءه فى الغالب لم يكونوا على علم بان القصر وراء مخططهم حيث كانت الاتصالات تتم عن طريق شخص معين هو قمة التنظيم ولعله الدكتور يوسف رشاد (١٩٤)٠

ويعتقد احد الناصريين ان باقى التنظيمات المصرية لم تكن لا من حيث الكيف ولا الكم بالقدر الذى تتطلبه حالة البلاد والتنظيم الوحيد الذى كان فعالا هو تنظيم حسين توفيق والذى اعتمد على شخصية حسين توفيق فقط (١٩٥) ٠

---

(١٩٠) احمد مرتضى المراغى ٠ غرائب من عهد فاروق ـ بيروت ١٩٧٦ صفحة ٦٨ ٠

(١٩١) نفس المرجع ص ٦٩ ٠

(١٩٢) المحاكمة الكبرى فى قضية الاغتيالات السياسية مرجع سبق ذكره ص ٢٠٠ ٠

(١٩٣) عبد العزيز على « الثائر الصامت القاهرة ١٩٦٩ ص ١٩٥ ٠

(١٩٤) كان قمة التنظيم هو الدكتور يوسف رشاد وزوجته نهى رشاد صديقة فاروق ٠ احمد مرتضى المراغى مرجع سبق ذكره ص ٥٧ ٠

(١٩٥) لقاء مع فتحى رضوان ١٩٨٢/٨/٩ مصر الجديدة القاهرة ٠

وتشير الوثائق الامريكية الى العلاقة بين القصر والتنظيم الحـديدى والذى امتد ليشمل عددا كبيرا من ضباط الجيش المصرى والذين يؤيدون الالمان بصورة مطلقة (١٩٦) وتشير الوثائق الامريكية ايضا الى أن عيون المخابرات البريطانية كانت متيقظة لمثل تلك الانشطة الضارة بقضية التحـالف على اعتبار ان ضباط الجيش المصرى يخططون لشىء ما ولعل هذا الشىء هو اعلان ثورة عسكرية داخل الجيش او اغتيال ضـباط الحلفاء فى القاهرة وهذا مما ضاعف من قلق السفير البريطانى فى القاهرة (١٩٧) .

وتعتبر قضية مصرع امين عثمان هى مفتاح الوصول الى هذه الجمـاعة وتعتبر المحاكمة فى هذه القضية من المحاكمات التاريخية الهامة فى تاريخ مصـر السياسى حيث دار معظمها حول الكشف عن جذور حادث ٤ فبراير وان المتهمين جميعا قد ركزوا على هذا الحادث باعتباره دافعا وطنيا » هو نفس الشىء الـذى اعتمد عليه الدفاع على اعتبار ان الاعتداء على الملك وهو رمز البـلاد يعتبر اعتداء على الوطن كله (١٩٨) .

وتشارك النيابة المتهمين فى اعتبار حادث ٤ فبراير وصمة فى جبـين الامبراطورية البريطانية ودليلا على البربرية التى هوى اليها الانجليز فى ذلك اليـوم الاغـبر (١٩) .

وعندما يسحب النائب العام « محمود منصور » الكلام السابق الـذى اشار اليه « انور حبيب » وكيل النائب العام « يثور المتهمون ويصـفق حسين توفيق : عار عليك يا حضرة النائب العام ان تسحب هذا الكلام الوطنى وكن شجاعا ولا تخش شيئا » وقال : انور السادات انا افضل ان اشنق الف مرة على ان ارى النـائب العـام يتراجع ويقف هذا الموقف غـير المشـرف (٢٠٠) .

---

(١٩٦) وثائق الخارجية الامريكية ٩١ من كيرك الى الخارجية الامريكية ٢٣ مايو ١٩٤٢ . F.W. 862. 20.83. 4

(١٩٧) المصدر السبق نفسه .

(١٩٨) ملف قضية امين عثمان المجلد الاول ص ٧٥٤ دار القضـاء العالى القـاهرة .

(١٩٩) المصدر السابق نفسه .

(٢٠٠) لطفى عثمان « المحاكمة الكبرى فى قضية الاغتيالات السياسية ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

واستند المحامون فى دفاعهم عن المتهمين الى ما نشرته الصحف عقب اقالة الوفد سنة ١٩٤٤ على اعتبار ان ما اقترفه يعد جرماً لا يغتفر ثم تنـــاول الدفاع ايضا مسلك امين عثمان وتحيزه الواضح الى جانب الانجليز حيث شبه مصر فى علاقاتها بانجلترا بالزواج الكاثوليكى ولذا فقد شبه مصـــر بامرأة وبريطانيا بالرجل (٢٠١) ٠

ولم تقتصر هيئة الدفاع عن تورط أمين عثمان فى حادث ٤ فبراير وانما امتد الحديث ليشمل موقفه ايضا من مفاوضات ١٩٣٦ حيث يؤكد على ماهر أن طلبات الانجليز كانت كثيرة ولما اشار على السفير البريطانى بهذه الملاحظة أجاب بأن الذنب ليس ذنبه لان امين عثمان افهمه أن النحاس يساوم كثيرا ويحاول دائما ان ينتقص ٥٠٪ من طلبات الانجليز ولذا فقد تقدموا بطلبات مبالغ فيها (٢٠٢) ٠

ولقد اشارت تقارير البوليس السياسى الى صعود نجم امين عثمـان اعتمادا على الانجليز ففى أحد التقارير ما يشير الى قرب تولى عثمان الوزارة كما يشيع هو ذلك ويقول أن معه من الوزراء الحاليين ما يؤيده فوجوده فى رئاسة الوزارة عند اعتزال النحاس الحكم (٢٠٣) ٠

ومن غير شك فان هيئة المحكمة قد اكدت على تلك الدوافع الـــتى دفعت هؤلاء الشباب للاقدام على ما فعلوا اعتقادا منها بان مصر كلها تشاركهم فى دوافعهم الوطنية الا انها ـ هيئة المحكمة ـ لا تقر مبدأ القتل كوسـيلة للوصول الى اى غرض مهما كان نبيلا ولقد رات المحكمة انه لا يرجى من مثـل المتهم ان يزن ويقدر عوامل الاستفزاز بل دعاها على انها خيانة للبلاد الى جانب تاريخ الاحتلال لمصر ، كلها عوامل راعتها المحكمة فى الحكم عــلى هؤلاء الشباب (٢٠٤) ٠

---

(٢٠١) الوفد المصرى ٨ فبراير سنة ١٩٤٠ من كلمة أمين عثمان فى حفل كلية فيكتوريا والذى حضره السفير البريطانى ٠

(٢٠٢) محسن محمد التاريخ السرى لمصر ص ٧١ ، لطفى عثمان مرجع سبق ذكره ص ١٢٣ ٠

(٢٠٣) دار الوثائق القومية ـ تقارير البوليس السياسى محفظة رقم ١٣ﻫ (سرى بدون رقم) ٠

(٢٠٤) دار القضاء العالى ملف قضية امين عثمان المجلد الاول ص ٤٧٠ ـ

ومن المؤكد ان هؤلاء الشباب كانت تحركهم دوافع وطنية خالصة وبالرغم من اعتقادنا بأن هذا التنظيم كان يعمل فى فلك القصر ولاهداف خاصة من وجهة نظر السراى (٢٠٥) الا اننا نعتقد ان هؤلاء الشباب لم يكونوا على بينة من مخططات السراى وانما كان للدكتور يوسف رشاد طبيب الملك الخاص وزوجته (نهى) الدور الرئيسى فى استغلال هؤلاء الشباب وتوجيههم بما يتفق واغراض القصر وفى الوقت نفسه فليس هناك ما يثبت ادانة القصر وهذا ما حرص عليه فاروق جيداً ٠

والمؤكد ان احزاب الاقلية قد نجحت فى استغلال حادث ٤ فبراير والنيل من الوفد مما حدا بالكثيرين من اعضائه الى الانصراف عنه وكانت الفرصة مهيأة لظهور قوى أخرى احتلتحيذا هامشيا على مسرح الاحداث المصريةوتعنى قوى اليسار حيث الدعاية السوفيتية قد حققت قدرا كبيرا من النجاح وغالبا وبدون قصد فقد كان الامريكيون والبريطانيون يقومون بمهمة الدعاية للسوفيت والتأكيد على تطورهم العسكرى وتقدمهم الاجتماعى والاقتصادى وعللوا هذه الطفرة فى حياة المجتمع الروسى بالثورة الروسية التى تمكنت من استيعاب كل مشاكل المواطن الروسى (٢٠٦) ٠

ومن الطبيعى فىمثل هذه الظروف ان تنتشر وبسرعة الافكار الاشتراكية والماركسية وخصوصا بين الناقمين على النظام ولعل ظروف الحرب من العوامل التى ساعدت على ازدهار هذا النشاط حيث الظروف الاجتماعية والاقتصادية آخذة في التدهور والقوة الشعبية الوحيدة القادرة على التأثير فى المجتمع المصرى (الوفد) بدأت تنهار عقب أحداث ٤ فبراير ووفقا لشهادة احد المعاصرين لقد كانت احداث ٤ فبراير من اهم العوامل التى لفتت الانظار الى الافكار الماركسية والاشتراكية (٢٠٧) وفوق كل ذلك مراعاة بريطانيا لظروف التحالف مع الاتحاد السوفيتى حيث سمحت بممارسة هذا النوع من النشاط (٢٠) هذا بالاضافة الى الانتصارات الكاسحة التى حققها السوفيت ضد قوات المحور واقامة علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفيتى سنة ١٩٤٢ كل ذلك ادى الى انتشار الماركسية فى مصر ٠

---

(٢٠٥) احمدمرتضى المراغى مرجع سبق ذكره ص ٦٨ ـ ٧٠ ٠

(٢٠٦) وثائق الخارجية الامريكية وثيقة رقم ٢٤١ من الخارجية الامريكية الى كيرك السفير الامريكي فى القاهرة ٤فى/١٠/١٩٤٣ ٠

(٢٠٧) لقاء مع حسين الشافعى النائب السابق لرئيس الجمهورية وعضو حركة الضباط الاحرار ١١ أبريل ١٩٨٣ ٠

(٢٠٨) د٠ عاصم الدسوقى مصر فى الحرب العالمية الثانية ص ٣٢٤ ٠

الثانية وانما ترجع جذورها الى نهاية العقد الثانى من القرن العشرين حيث نشأ الحزب الشيوعى المصرى الذى تمكن من ضم مجموعات من العمال الذين اسهموا فى ثورة ١٩١٩ (٢٠٩) الا ان ظروف الحرب وما ترتب عليها من علاقات شاذة خلفتها معاهدة ١٩٣٦ قد ساعد على خلق المناخ المناسب الذى ترعرت فيه تلك الافكار بشكل اقلق كل القوى السياسية الاخرى حيث تشكلت العديد من الخليات حملت كل منها اسما مغايرا للآخر فهناك « اللجة المركزية للمنظمة الشيوعية المصرية » والتى كانت تصدر نشرات الى الطبقة العاملة ٠٠ وأخرى تحمل اسم « منظمة المقاومة الشعبية » واقتصرت مهمتها على توزيع الكتب الشيوعية على الطلبة والعمال ثم « الحزب الشيوعى المصرى » والذى كان يتولى كتابة التقارير والنشرات وحفظها فى مكان سرى وهناك منظمة اخرى تحمل « حركة ديمقراطية تقدمية وطنية » وكان يختصر اسمها بكلمة « حدتو » ويرأسها صهيونيان احداهما مليونير يدعى « كوريل » والاخر يدعى « دويك » والاول كان ينفق بسخاء على منظمته ويعمل تحت ستار التجارة وكانت المهمة الحقيقية لهذه الجماعة امداد الصهيونية فى فلسطين بما تحتاج اليه من معلومات عن مصر ٢١٠ ٠

وفى سنة ١٩٤٢ تأسست « الحركة المصرية للتحرر الوطنى » ولعل اسمها كافة للدلالة على نوعية النشاط الذى اختاره مؤسسها « هنرى كوربيل » وخلال احداث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ وبينما كانت القاهرة تموج بالمظاهرات قامت الحركة بطبع المنشورات باللغة العربية تقول فيها « لا تتصوروا ايها المصريون ان الالمان أفضل من الانجليز ويمضى « كوربيل » فى روايته قائلا : وخرجت لاوزع هذه المنشورات انا وجورج بوانتيه وكان منظرا مضحكا اثنان من الأجانب يوزعان منشورات باللغة العربية وقد وزعنا ٤٠٠ نسخة من هذه المنشورات (٢١١) ٠

---

(٢٠٩) د٠ رفعت السعيد تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر القاهرة ١٩٧٥ ص ١٥٨ ٠

(٢١٠) احمد مرتضى المراغى مرجع سبق ذكره ص ٢٠ ، ٢١ ٠

(٢١١) د٠ رفعت السعيد تاريخ المنظمات اليسارية ص ٣٢٨ ، ٣٢٩ محضر نقاش اجراه المؤلف مع هنرى كوربيل فى باريس سنة ١٩٦٨ ٠

وقد اعتقل هنرى كوربيل سنة ١٩٤٢ واودع فى معتقل الزيتـــون ويقول عن هذه الفترة : وفى المعتقل استندت فائدة كبرى حيث مارست احتكاكا مباشرا وجادا مع كثير من السياسيين هم فى الاساس ابنـــاء البراجوازية الصغيرة وباختصار لقد اخذت فى المعتقل حمام تمصير واحسست احساسا عميقا ان البرجوازية الصغيرة تموج بحركة وطنية عارمة وانه يتعـــين الاستفادة منها (٢١٢) ٠

ويعتقد البعض ان هذا التنظيم كان اكثر التنظيمـــات اليســـارية ارتباطا بالواقع المصرى حيث تشكل من الطلاب والمدرسين والعمال وغيرهم من ذوى الاصول الصغيرة وكان اســـلوب التجنيد يتم من خـــلال المعـــارك السياسية والاضطرابات (٢١٣) ٠

وتستهدف الحركة المصرية للتحرر الوطنى تكوين حزب شـــيوعى ، اصلاح زراعى ، وتنظيم الكفاح المشترك مع الشعب السودانى باعتبار ان وحدة وادى النيل قضية مصرية ووفقا لتقارير البوليس السياسى فقد كان هنرى كوربيل يدير احدى المكتبات بهدف الترويج للكتب الشيوعية (٢١٤) ٠

ومن خلال المكتبة استطاعت الحركة ان تجد صداها لدى الشـــباب خصوصا المتعطش للثقافة والمعرفة وتمكن هنرى كوربيل ان يضم عـــددا كبيرا من المصريين الناقمين على القوى السياسية التقليدية فى مقـــدمتهم الوفـــــد ٠

وعلى الرغم من ان الحركة المصرية للتحرر الوطنى كانت اقوى الحركات التى تشكلت عقب ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ الا أن هناك مجموعة اخرى تكونت عقب نفس الحادث وتسمى « منظمة القلعة » حيث قامت على اكتاف ثمـــانية اشخاص « خمسة من الطلاب الذين يدرسون فى المدارس الثانوية وطـــالب ازهرى وحرفى » تاثروا بما حدث فى ٤ فبراير تاثيرا هز وجدان هذه المجموعة هزا عنيفا دفعهم الى البحث عن اتجاه جديد يخالف الاتجاهات التقليدية (٢١٥)

---

(٢١٢) المرجع السابق نفسه ـ د٠ عاصم محروس عبد المطـــلب ، دور الطلاب فى الحركة الوطنية المصرية ١٩١٩ ١٩٥٢ غير منشـــورة القاهرة ١٩٧٨ ص ٤٦١ ٠

(٢١٣) طارق البشرى ٠ الحـــركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ ـ ١٩٥٠ ص ٨٣ ٠

(٢١٤) د٠ رفعت السعيد ، تاريخ المنظمات اليسارية مرجـــع ســـبق ذكره ص ٣٣١ ٠

(٢١٥) المرجع السابق ص ٣٣١ ـ ٣٣٢ ٠

وبدأت هذه الخلية توسع نشاطها من خلال مجموع الشباب الساخط على الوفد عقب ٤ فبراير وحددت برنامجها فى المطالبة بالاســتقلال الوطنى والاستقلال الاقتصادى وعلى ضوء العديد من القراءات فى الفكر الاشـــتراكى فقد تمخض نشاطها عن اقامة تنظيم شيوعى يستند الى برنامج شــفوى • ومبادىء غير منشورة ولم يكن لهذا التنظيم اجهزة فنية ولا مجـلة سرية ورغم ذلك فقد واصل النمو معتمدا على الارض الخصبة التى مهدتها احداث الحرب والى جموع الشباب الذى تملكته الحيرة والقلق عقب ٤ فبراير •

ثم تمكن التنظيم من أن يضم اليه بعضا من ضباط القـوات المسلحة فى مقدمتهم « احمد حمروش » ورويدا رويدا بدأت الحركة تتسع وتجد لهـا انصارا بين طلاب الجامعات وعدد لا بأس به من العمال (٢١٦) •

وعموما فان عام ١٩٤٢ ، ١٩٤٣ قد شهدا تكون العديد من المنظمـــات اليسارية فى القاهرة والاسكندرية وتاريخ هذه الجماعات يكتنفه الغمـوض نظرا لتعقب البوليس لهم مما كان يدفعهم الى حرق اوراقهم ووثائقهم حـتى لا يقعوا تحت طائلة القانون الا أن الاسماء التى تسمت بها هـذه الجماعات تشير الى ان عددها كان اكثر من عشرين جماعة تسمت كل منها باســـم خاص وتباينت اسماء الدوريات والنشرات التى كانت تصـدرها تبعـــا لاهداف كلا منها واحتدم الصراع بينها من اجل اقامة حـزب شـــيوعى مصرى حقيقى (٢١٧) •

وعلى ما يبدو فقد برزت الى الوجود اتجاهات سياسية احتلت مكـانة لا بأس بها وسط العديد من القوى الاخرى وهذه الاتجاهات الجديدة اخذت مواقف متباينة فاذا كان البعض يتحالف مع لمحور ضد الانجليز بدعــوى الوطنية واذا كان البعض الاخر يتحالف مع الانجلكز ضد المحور بدعـــوى الديمقراطية فا نالشيوعيين المصريين قد رفعوا شعارا مغايرا فهم ضــــد الفاشية وضد الاحتلال البريطانى لمصر ورفعوا شعارا ضد الفاشية ولكن ليس مع الانجليز » ولم يكن هذا هو التمايز الوحيد ففى مواجهة شعار اجمع عليه

---

(٢١٦) نفس المرجع السابق ص ٢٩٧ •

(٢١٧) د• رؤوف عباس • الحركة المصــــالية فى مصر ١٨٩٩ ــ ١٩٥٢ القاهرة ١٩٦٧ ص ٢٦٨ •

كل السياسة وهو وحدة وادى النيل رفع الشيوعيون شعارا « الاستقلال السياسى والاقتصاد والكفاح المشترك مع الشعب السودانى وحقه فى تقرير مصيره » (٢١٨) ·

ولعل قوات الاحتلال قد تغاضت عن النشاط الشيوعى فى مصر على أمل الاستفادة من تأثيرهم الفكرى والسياسى المناهض للفاشية ولاول مرة فى تاريخ الانتخابات البرلمانية المصرية (انتخابات ١٩٤٤) شهدت البلاد مرشحين يعلنون انهم يدخلون المعركة الانتخبية ويلصقون على الجدران اعلانات يقولون فيها ـ انتخبوا المرشح الاشتراكى الذى سيناضل فى سبيل الاشتراكية » وقد انتشرت هذه الاعلانات فى الاسكندرية بصفة خاصة حيث تقدم ثلاثة من العمال الى الانتخابات تؤيدهم طائفة كبيرة من سكان دوائرهم (٢١٩) ·

وعلى ضوء هذه الدراسة يمكننا أن نذكر بعض النتائج الهامة : ـ

أولا : لم تكن الحركات الشيوعية فى مصر وليدة الحرب العالمية الثانية وانما ترجع فى جذورها الى العشرينات من هذا القرن الا أن الحرب العالمية الثانية وما واكبها من تناقضات سياسية واجتماعية واقتصادية تعد انسب الفترات التى ساعدت على نمو هذا الاتجاه ·

ثانيا : ان حادث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ قد ساعد على نمو اكبر الحركات وأهمها بسبب الاعتماد على عنصر الشباب الساخط على القوى السياسيه التقليدية وبلا شك فان عنصر الشباب دائما يعد عامل قوة تدفع القوى التى يساندها الى أخذ مواقف اكثر تطرفا ·

ثالثا : أن السياسة البريطانية فى مصر تعد المسئول الاول عن تفاقم هذه التنظيمات بسبب التحالف البريطانى الروسى وما لازم ذلك من اقامة العلاقات المصرية الروسية ولما كانت الحركات اليسارية تعلن دائما عن عدائها السافر ضد الفاشية والنازية فلقد كان لهذا وقعا طيبا لدى الدوائر البريطانية ·

رابعا : ان ظهور الاتجاهات اليسارية عموما وفى هذه الفترة يعد تعبيرا اكيدا عن وجود خلل هائل فى كل مناحى الحياة المصرية اقتصادية

---

(٢١٨) د· رفعت السعيد اليسار المصرى ص ٢٧٨ ·

(٢١٩) السياسة ١٩٤٤/١٢/١٠ ، اخبار اليوم ١٧ ـ ٩٢٠ ـ ١٩٤٤ ·

واجتماعية وسياسية وبشكل مكن هذه الاتجاهات من أن تجد لها واقعا وسط المجتمع المصرى ٠

خامسا : ان مجمل نشاط هذه التنظيمات وما استطاعت ان تقدمه للمجتمع المصرى لم يتعد الفكر النظـــرى المنقول عن مؤلفات لينين ـ وماركس ـ وستالين ـ وبعض المنشورات التى لا تخرج افكارها عن هذه المؤلفات ٠

سادسا : ان عددا من المنضمين الى هذه التنظيمات من المصريين المسلمين قد بهرتهم الجوانب الاجتماعية والاقتصادية ولم يؤمنوا بالفكر المادى حيث دعوا الى التمسك بتعاليم الاسلام مع اعتناقهم لفكرتى العمـل الاجتماعي والاقتصادى (٢) الا أن محاولة التوفيق بين بعض النظريات الماركسية وبين اسلام لم تجد لها واقعا ملموسا بين الغـــالبية العظمى من المسلمين ٠

---

(٢٢٠) تاريخ المنظمات اليسارية مرجع سبق ذكره ص ٣٥٧ ٠

الفصل الخامس

الجيش المصرى وحادث ٤ فراير ١٩٤٢م

* الجيش المصرى والحرب العالمية الثانية
* ردود فعـــل ٤ فبراير على الجيش
* حركة الضـــباط الاحـــرار

الجيش المصرى والحـرب العالمية الثانية :

لقد اصبح الجيش المصرى هو حجر الزاوية فى قضية الاستقلال وفقا لمعاهدة ١٩٣٦ والتى نصت صراحة على أن خروج القوات البريطانية من مصر مرهونا ببلوغ الجيش المصرى درجة الاهلية اللازمة للدفاع عن قناة السويس (١) ولذا فلقد حرص الوفد على أن تكون هذه القوة الوطنية الغالية **بعيدا** عن سلطة القصر وتحكمه ٠ ولعل عهد الدفاع الاعلى وهيئة أركان الجيش وبمقتضى هذا القانون فقد اصبح رئيس الوزراء رئيسا لمجلس الدفاع الاعلى ووزيرى الحـــــربية والبحرية « نائبان للرئيس » وكل من وزير الاشغال ووزير المالية ووزيـــــر المواصلات ووكيل الحربية والبحرية ورئيس هيئة أركان حرب الجيـــــش « أعضاء » (٢) ٠ ولم تذكر أية اشارة الى الملك على الرغم من أن المادة ٤٦ مـن الدستور تقضى بأن الملك هو القائد الاعلى للقوات البرية والبحرية وهو الذى يولى ويعزل الضباط ويعلن الحرب ويعقد الصلح ويبرم المعاهدات ويبلغهـا الى البرلمان (٣) ٠ ولعل هذا الاغفال المتعمد كان له أكبر الاثر على تفـــــاقم الصراع بين القصر والوفد ٠

ولما كانت معاهدة ١٩٣٦ قد نصت صراحة على الغاء كافة القيـــــود الموضوعة على عدد القوات المسلحة المصرية فان حكومة الوفد حرصا منها على اعداد جش قوى فقد سعت الى توسيع القاعدة الاجتماعية للضباط الجـــدد وأمكن للوفد ولاول مرة أن يضم الى الجيش شبابا من أبناء الطبقات الفقيرة وليس من قبيل المصادفة أن يكون فى طليعة الضباط الاحرار ٠ جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين وعبد اللطيف البغدادى وغيرهم ممن ينتمون الى الطبقات المتوسطة أو الفقيرة (٤) ولذا فان هذه السياسة تعد حسنة كبيرة تؤكد صدق الوفـد على الارتفاع بتلك القيمة الوطنية الكبيرة حيث سهل نمو التحـــرك الثورى فى صفوف القوات المسلحة وأمكن للجيش ولاول مرة منذ الثـــــورة العرابية بين أن يساهم بقدر كبير فى النشاط السياسى لمختلف القوى والاتجاهات والتى تعمل لصالح القضية الوطنية ٠

---

(١) د٠ عبد العزيز الشناوى ، د٠ جلال يحيى وثائق ونصوص فى التاريخ الحديث والمعاصر ــ المادة الثامنة من معاهدة ١٩٣٦ ص ٧٤٧ ٠

(٢) نص القانون رقم ٧٢ لسنة ١٩٣٧ ملحق بمضبطة مجلس النـــواب المجلد الثانى دور الانعقاد العادى يونية ١٩٣٧ ص ٣٣١ ٠

(٣) مذكرات حسن يوسف وكيل الديوان الملكى مصدر سبق ذكـــــره صفحة ٢١٣ ٠

(٤) احمد حمروش قصة ثورة ٢٣ يوليو القاهرة ١٩٨١ ص ٢١٢ ٠

وجرياً على سياسة ابعاد الجيش عن مؤامرات القصر ودسائسه ، ولما كان يمين الجيش من أولى المسائل التى تحتاج الى تعديل لان صيغة اليمين قد وضعت قبل الدستور ولذا فلم تشر اليه حيث تضمن : اقسم بالله أن أكون خادما مخصا للملك مطيعا لاوامره الكريمة « فرأى الوفد تعديل هذا اليمين بهذه الصيغة : اقسم بالله العظيم وبشرفى العسكرى أن أكون مخلصا للوطن ولحضرة صاحب الجلالة وقائد قواتها الاعلى وأن أكون مطيعا للدستور ولقوانين الامة المصرية ٠٠ الخ (٥) ٠

وعلى ما يبدو فان الملك فاروق كان على علم بما يهدف اليه الوفد ، وقد علقت صحيفة « البلاغ » على « يمين الجيش » فى محاولة منها للوقيعة بين القصر والوفد فقالت « ان اتمام الدستور فى اليمين يتضمن اقحام السياسة فى واجبات الجيش الذى تقتصر وظيفته فقط على الدفاع والطاعة فيما يصدر اليه من الاوامر ، وليس من وظائفه اقامة نظام سياسى معين والمحافظة على هذا النظام وحمايته (٦) ٠

ونظرا لاهمية الجيش وحرصا من الملك على أن يبقى تحت امرته بعيدا عن أى منافسة فقد أعلن فاروق صراحة أنه لن يقبل تعديل اليمين بالشكل الذى راته الوزارة (٧) ٠

وكان من الصعب على الحكومة أن تتراجع عن موقفها وتمسكت بالمشروع مما دفع فاروق الى الغاء الحفل الذى كان معدا لكى يحلف الجيش اليمين فى اليوم الثانى لتولى الملك سلطته الدستورية وأن يؤدى وزير الحربية اليمين بالنيابة عن الجيش ولم يعجز فاروق عن توجيه الاهانة الى الحكومة وذلك بدعوة جميع اضباط العاملين على اختلاف رتبهم الى حفل شاى بقصر عابدين حيث أعلن بصريح العبارة عدم اشتغال الجيش بالسياسة (٨) ٠

وظل هذا الوضع معلقا بين القصر والوفد حتى اقالة حكومة الوفد فى نهاية ١٩٣٧ ، ولم تستطع حكومة محمد محمود الا أن ترضخ لاوامر الملك لان وجودها فى الحكم مرتبط بالرضاء الملكى ، وهكذا بقى يمين الجيش القديم كما هو عليه ٠

---

(٥) الاهرام ، البلاغ ، المصرى ١٩٣٧/٧/٢٨ ٠
(٦) صحيفة البلاغ ١٩٣٧/٨/٥ ٠
(٧) نفس المرجع ١٩٣٧/٨/٨ ٠
(٨) الاهرام ، البلاغ ، السياسة ١٨ اغسطس ١٩٣٧ ٠

وبصدد هذه الازمة ورغبة من الوفد فى أن يضمن ولاء الجيش الى الدستور والذى يعنى من وجهة نظرهم ــ الولاء للوفد ــ باعتباره حزب الاغلبية . فقد حرص النحاس على ان يقوم بالعديد من المحاولات بهدف الاتصال بالجيش لمعرفة هل يقف الى جانبه فى موقفه من السراى (٩) .

ولعل من الامور الجديرة بالملاحظة ان حكومة الوفد حرصا منها على اهمية الجيش فقد عملت على تطويره سواء بزيادة عددة الى ثلاث فرق قوامها خمسون الف جندى أو باستخدام كل وسائل الدفاع الحديث أو بايفاد البعثات العسكرى الى انجلترا بهدف الارتفاع بمستوى الآداء (١٠) . وعلى ما يبدو فان تلك الآمال الكبيرة قد اصطدمت بالعديد من المؤثرات التى قد اعتقد الوفد أن معاهدة ١٩٣٦ قد وضعت حدا لها . واولى هذه المؤثرات هو القصر الذى لم يعجز عن اتخاذ الوسائل الكفيلة للحد من طموحات الوفد ، ثم البعثة العسكرية البريطانية التى كانت تمثل عقبة اكيدة فى سبيل الارتفاع بمستوى الجيش حيث فرضت شكلا معينا للتسليح وخصوصا بعض الاسلحة التى لم تجد المصانع البريطانية لها أسواقا أخرى غير مصر ، أو بوضع نظام معين للتدريب يمثل عقبة أكيدة نحو ارتقاء الجيش سواء من حيث الكيف أو الكم (١١) .

ولعل عودة عزيز المصرى لكى يشغل منصب « مفتش عام الجيش » خلفا لسبنكس باشا (١١ يناير ١٩٣٨) هى محاولة حادة لخروج الجيش المصرى من تحت الوصاية البريطانية الا أن البعثة العسكرية البريطانية كانت تمثل عقبة فى سبيل اى محاولة ناجحة ولما كانت الحكومة المصرية قد تعاقدت على شراء سربين من طائرات القتال العسكرية من المصانع البريطانية فان الحكومة البريطانية قد عادت لتعتذر بحجة أن الحالة الدولية تنذر بالخطر وأن مصانعها لا تستطيع فى ذلك الوقت ان تكفى الجيش البريطانى حاجته من الطائرات (١٢) .

---

(٩) لقاء مع حسين الشافعى النائب السابق لرئيس الجمهورية وعضو حركة الضباط الاحرار ــ الدقى ١١ ابريل ١٩٨٣ .
(١٠) الوفد المصرى ٥ اكتوبر ١٩٣٨ .
(١١) لقاء مع حسين الشافعى ١١ ابريل ١٩٨٣ ، الوفد المصرى ١٠ يونية ١٩٣٨ .
(١٢) الغد المصرى ٩ يناير ١٩٤٠ .
(١٣) الاهرام ١٩٣٨/٦/٩ ، الوفد المصرى ١٠ يونية ١٩٣٨ .

وعندما قرر مجلس الدفاع البدأ فى وضع الرسومات اللازمة لبنـاء نواة لاسطول بحرى مصرى فان البعثة العسكرية البريطانية قامت بوضع العـديد من العقبات فى سبيل تحقيق هذه الامنية الوطنية (١٤) ٠

ولعل عزيز المصرى قد قدر منذ توليه رئاسة أركان الجيش العقبات التى تضعها البعثة العسكرية البريطانية ولذا فقد طـرق الابواب بما فيها المـــلك فاروق حيث التمس من جلالته ٠ أن يستغل نفوذه كقـــائد أعلى للجيش فى الاسراع نحو انشاء جيش قوى لان الحوادث العالمية خطيرة واذا لم تلعب فيهـا مصر دورها بجدارة وكفاءة فقدت حقوقها فى الاستقلال والعـالم لا يقدر قيمـة الامم الا بقيمة جيوشها (١٥) ٠

ومن المؤكد ان كل الحكومات المصرية كانت صادقة فى عزمها على الارتفاع بمستوى الجيش المصرى وعملا بتلك السياسة فلقد اصدر على ماهر قرارا فى ٣١ اغسطس ١٩٣٩ باسناد رئاسة أركان الجيش الى عزيز المصرى (١٦) ووفقا لراى بعض المعاصرين فان هذا القرار كان له اكبر الاثر على معنويات الضباط والجنود حيث كان حافزا كى تتضافر الجهود لتحقيق الغـــاية الوطنية على اعتبار أن عزيز المصرى كان يمثل للضباط والجنود رمزا وطنيا كريمـا (١٧) الا ان البعثة العسكرية البريطانية كانت تتشكك دائما فى نوايا عزيز المصرى متهمة اياه بانحيازه نحو المانيا نظرا لأنه قد درس الفنون العســـكرية فى المانيا وكان دائم الاعجاب بالعسكرية الالمانيه وبمقدرة الالمان الفـائقة عـلى اعادة بنـاء جيشهم فلا عجب أن متلىء نفس السفير البريطانى وأعوانه غضبا على عزيز المصرى (١٨) ٠

---

(١٤) الوفد المصرى ٢٥ فبراير ١٩٣٩ ، ٩ يناير ١٩٤٠ ٠

(١٥) د٠ محمد عبد الرحمن برج ٠ عزيز المصرى والحركة الوطنية المصرية مركز الدراسات السياسية بالاهرام القاهرة سنة ١٩٨٠ ص ٤٩ ، ٥٠

(١٦) الوفد المصرى ، السياسة ، البلاغ الاول من سبتمبر ١٩٣٩ ٠

(١٧) لقاء مع فتحى رضوان ١٩٨٢/٨/٩ ، لقاء مع حسـين التمـــامى ١١ ابريل ١٩٨٣ ٠

(١٨) د٠ هيكل مرجع سبق ذكره حـ ٢ ص ١٨٠ ٠

وتشير الوثائق البريطانية الى أن عزيز المصرى يمثل عقبة أكيدة فى العلاقات البريطانية المصرية وتنصح الحكومة البريطانية بطرده من رئاسة أركان الجيش حتى تتمكن البعثة العسكرية البريطانية من أن تؤدى دورها المنوط بها لأن عزيز المصرى دائم النقد لكل ما تقدم البعثة على عمله ولان اهانة البعثة أمر لا يمكن احتماله ، وتشير نفس الوثيقة الى ما يفهم من أن على ماهر قد قطع وعدا على نفسه بطرد عزيز المصرى اذا سبب نوعا من المصاعب سواء فى طريق البعثة العسكرية البريطانية أو مع القوات البريطانية ٠ ووفق رأى السفير فان عزيز المصرى يعد احدى صنائع المانيا وهو يمثل امرا فى غاية الخطورة (١٩) ٠

والواقع أن هذا الاتهام لا يمثل قدرا من الحقيقة لان مصر والمانيا وجدتا نفسيهما تحاربان عدوا واحدا الامر الذى خلق بالطبع رابطة ما بينهما ٠ بل ان بعض الضباط المصريين الذين كانت لهم اتصالات مع المانيا لم يكونوا موالين للنازية وانما كانوا مناهضين للبريطانية ، وأن بعض الضباط المصريين الذين كانوا يعملون لتحرير بلادهم لم يكونوا جميعا راغبين فى العون الالمانى ، فقد كان بعضهم من أمثال جمال عبد الناصر يخشون انهم بالحماس لهتلر لن يفعلوا أكثر من أن يستبدلوا المحتل الالمانى بالمحتل البريطانى (٢٠) ٠

وبينما الخلافات قائمة بين البعثة العسكرية البريطانية ورئاسة أركان حرب الجيش المصرى ٠ كان قائد القوات البريطانية (جنرال ولسون) حريصا على اقامة علاقات طيبة مع الجيش المصرى ، منه على تجنب أى خلافات مع القوات المصرية فقد اتبع طريقة عقد مؤتمر يومى يحضره بنفسه أو أحد كبار مساعديه مع كبار الضباط المصريين للاتفاق على الاجراءات اللازمة لتحقيق التعاون بين القوتين ٠ وبهذه الطريقة تم حل العديد من المشاكل من غير الرجوع الى البعثة العسكرية أو الى السفير (٢١) ٠

---

(١٩) وثائق الخارجية البريطانية وثيقة رقم ٣ من لامبسون الى حكومته ٢٥ أغسطس ١٩٣٩ ٠ F.O. 407. 225

(٢٠) محمد حسنين هيكل ٠ عبد الناصر والعالم بيروت ١٩٧٢ ص٤٣٠ ٠

(٢١) وثائق الخارجية البريطانية وثيقة رقم ١٠٦٦ من لاميضسون الى حكومته ٢٩ أغسطس ١٩٣٩ ٠ F.O 407. 223

ومن غير شك فان الجنرال ولسون كان يقدر أهمية التعاون بين الجيش البريطاني والجيش المصرى وأهميته على استقرار الاوضاع فى الجبهة الداخلية ٠ وجريا على هذه السياسة فقد استن فكرة اشتراك الجيش المصرى مع الجيش البريطاني فى التدريبات وقيامهما بمناورات مشتركة واشترك الضباط المصريون كأعضاء فخريون فى ميس الضباط الانجليز ولعل كل هذه العوامل قد قصد بها توثيق صلات التعاون والتفاهم بين الجيشين (٢٢) ٠

ولعل الجنرال ولسون كان يؤمن بمبدأ التعاون مع القوات المصرية اعتقادا منه بأن سياسة اللين والتفاهم من الممكن أن تؤدى الى تحقيق كل الرغبات البريطانية بلا أى تصادم أو خلافات (٢٣) ٠ يؤكد هذا موقفه من حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ فقد علم به وهو فى سوريا حيث يقول : لقد ذهلت وفزعت لانني شعرت بأن كافة الجهود التى بذلتها فى الايام الاولى للحرب بهدف اقامة علاقات طيبة مع المصريين وضمان تعاونهم قد تبددت وكان من الممكن أن يكون لهذا الحادث ردود فعل خطيرة داخل الجيش المصرى بسبب ما يتمتع به فاروق من شعبية وخصوصا وسط الضباط الشبان الناقمين على الوجود البريطاني فى مصر (٢٤) ٠

ووفقا لهذا المبدأ فقد تمسك ولسون بوجهة نظره السابقة عندما أراد السفير البريطاني أن يعيد ما حدث فى ٤ فبراير ١٩٤٢ حينما أراد فاروق أن يقبل وزارة النحاس فى أوائل ١٩٤٣ وكان من رأى وزير الدولة البريطاني المقيم فى الشرق الاوسط مستر كايس ، النصح بعدم اللجوء الى القوة خشية تدخل الجيش المصرى أو اغضابه وقواته تعاون الحلفاء فى منطقة القتال ٠ وقال وزير الدولة : ان الرأى العام العالمى سوف يفتقد حمايتنا بقوة السلاح لوزارة تحوم حولها الشبهات ، وأنه يفضل تنحية الوزارة عن تنحية الملك فاروق (٢٥) ٠

---

(٢٢) الاهرام ١٩٣٩/٢/٣ ٠

(٢٣) دكتور المسدى وآخرون مرجع سبق ذكره ص ٧٤ ، ٧٥ ٠

(٢٤) وثائق الخارجية البريطانية وثيقة رقم ١٠٦٦ من لامبسون الى الخارجية البرطانية ٢٥ فبراير ١٩٤٢ ٠

(٢٥) المصدر السابق وثيقة رقم ٧٤٥ ، ٧ مايو ١٩٤٣ ٠

وعلى الرغم من تلك النصائح الا ان الحكومة البريطانية قد وافقت على اسداء النصح للملك فاروق على اعتبار أن اخراج النحاس فى الوقت الحاضر يعتبر عملا يتعارض مع مصلحة مصر ومصلحة المجهود الحربى • فاذا صمم الملك على اقالة الوزارة فان على السفير البريطانى ان يهدد باستعمال القوة العسكرية (٢٦) •

ورأى القادة العسكريون ضرورة الاستعداد لمواجهة رد الفعل لدى الجيش المصرى اذا ما دعا الحال الى استعمال القوة ضد الملك • فاذا ما اقتصر الامر على المقاطعة السلبية أو عدم التعاون فان فى استطاعة القوات البريطانية مواجهة الموقف أما اذا تطور الموقف الى عداء مباشر فان الامر يختلف لانه سوف يتطلب نزع سلاح القوات المصرية المسلحة (٢٧) •

ويبدو أن عزيز المصرى رئيس أركان الجيش ، كان متيقظا لما يدبره الانجليز من محاولات ابعاد الضباط الشبان من الحياة السياسية واعتقادا منه أن الانجليز هم الاعداء الحقيقيون وأن عدة البلاد فى التخلص منهم هم الضباط الشبان والجنود فقد اتخذ من السكنات حول القاهرة ومن مراكز الجنود مقرا لعملهوهجر مكتبه المعد له فى وزارة الحربية وبدا يبث روح التضحية والفداء داخل صفوف الضباط الشبان (٢٨) وليس صحيحا أن عزيز المصرى قد عمل على اقامة تنظيم داخل الجيش وانما كانت الكلمة سلاحه اللاذع الذى كان يعتمد عليه حيث انتشرت روح عزيز المصرى وكلماته الصريحة فى المعسكرات وبين الضباط والجنود وكأنها الكهرباء (٢٩) •

ويتحدث أحد الضباط عن عزيز المصرى قائلا ؟•• لقد كان للزيارات التى يقوم بها داخل الوحدات العسكرية أكبر الاثر فى نفسى فقد شاهدت بعينى هذه الشخصية الاسطورية التى شاركت فى الثورة التركية مع كمال اتاتورك كما كان أحد مؤسسى جمعية الاتحاد والترقى وجمعية تحرير الامة العربية هذا الى جانب تاريخه الطويل الملئ بالكفاح وولعه بالثقافة والدعوة اليها (٣٠) •

---

(٢٦) المصدر السابق وثيقة رقم ٦٢٠ مايو ١٩٤٣ •

(٢٧) المصدر السابق •

(٢٨) فتحى رضوان لقاء شخصى ١٩٨٢/٨/٩ ، حسين الشافعى لقاء ١١ ابريل ١٩٨٣ •

(٢٩) المصدر السابق •

(٣٠) أنور السادات البحث عن الذات القاهرة ١٩٧٨ ص ٣١ •

ومن المؤكد أن بريطانيا قد اقلقها تعيين عزيز المصرى رئيسا لاركان حـرب الجيش بسبب طموحاته ومعلوماته العسكرية ومقدرته الفائقة على تنظيم واعداد الجيش وهذا ما يتعارض تماما مع استراتيجية بريطانيا فى مصـــر حيث يفقدها احدى حججها الهامة وهى مقدرة مصر على الدفاع عن نفسـها وما يترتب على ذلك من جلاء القوات البريطانية عن منطقة قناة الســويس وفوق كل ذلك فقد كانت الدوائر البريطانية على علم بالعلاقات الوطيدة التى تربط عزيز المصرى بالعديد من الشخصيات الالمانية وما كان يصرح به دائمـا من اعجابه الشديد بالعسكرية الالمانية . ولعل كل هذه العوامل قـد جعلت السفير البريطانى يطلب من الملك ابعاد عزيز المصرى عن رئاســـة اركان الجيش .

وتقوم فلسفة عزيز المصرى فى بناء الجيش على فكرة المشاركة الشـعبية وخصوصا بعد ان تطورت احوال العالم ولم تعد الجيوش عبـارة عن وحدات متفرقة بل ويجب أن تكون الامة كلها حاملة السلاح ، ويتعذر على المرء ان يتصور أن الجيش يستطيع ان ينهض فى الميدان الا اذا عبئت قـوة الامــة بحيث يؤدى كل عضو فى المجتمع دوره على الوجه الاكمل ووفقا للقانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٣٩ فقد انشئت القوات المرابطة بهدف اعداد مصر المســـتقلة لحمل رسالتها الجديدة بما يناسب العصر الحاضر وقد يخشى أن تعجـز مصر عن القيام بواجب الدفاع عن النفس اذا هى ذهبت مذهب التقليد والنقـل دون أن تراعى حالتها المادية وظروفها الاجتماعية ، والذى انتهى الرأى اليه هو انشاء قوات مرابطة تكون أولى وظائفها أن تعفى الجيش العامل من كثير من المسئوليات والواجبات المحلية فتزداد بذلك القوة المقاتلة التى يمكن استخدامها فى الميدان على أن ذلك ليس من شأنه ان يسقط عن القوات المرابطة ما يجب أن تؤديه من ضريبة الدم فان عليها واجب النجدة للجيش العامل فى الميدان وفوق كل ذلك فقد روعى فى تكوينها عاملا فى تربية الخلق القوى (٣١) .

---

(٣١) مرســـوم بقانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٣٩ ـ الوقائع المصرية ٤ ســبتمبر ١٩٣٩ .

وعلى ما يبدو فان الدوائر البريطانية قد ازعجت بسبب تلك الطموحات التى يتسم بها عزيز المصرى ولعل من أولى مهام البعثة العسكرية البريطانية الحيلولة دون الارتفاع بمستوى الجيش المصرى بالرغم من أن وجودها كان يهدف الارتفاع بمستواه ولم تعجز البعثة السكرية عن وضع العديد من العقبات التى تحول دون انطلاقة عزيز المصرى لترقية الجيش ورفع كفاءته ولم تجد السلطات البريطانية ذريعة للنيل من عزيز المصرى الا مسألة الميول الالمانية (٣٢) ٠ وهذه حجة الصقت بالعديد من المصريين لا لأن لهم ميولا المانية وانما لان لهم ميولا عدائيا ضد بريطانيا ٠ وبلا شك فان وقع خروج عزيز المصرى من الجيش كان له أكبر الاثر على مشاعر الضباط الصغار الذين كانوا يعلقون آمالا عريضة على شخصية عزيز المصرى الا انه قد تأكد لديهم أنه لا أمل فى أى نوع من الاصلاح طالما بقى الاحتلال متذرعا بحجة أو بأخرى (٣٣) ٠

وتشير الوثائق الامريكية الى أن قرار الحكومة البريطاية بعزل عزيز المصرى عن منصب رئيس اركان حرب الجيش قد سبب اضطرابا كبيرا لدى كل الدوائر السياسية والحزبية بل امتد الاثر الى السودان حيث انتشرت موجة من الاضطراب بين السودانيين الذين ضايقهم عزل عزيز المصرى (٣٤) ٠

ووفقا للوثائق الامريكية أيضا فان رئيس الوزراء المصرى (على ماهر) قد حاول نقل عزيز المصرى لكى يتولى رئاسة الجيش المرابط الا أن السفير البريطانى قد طلب صراحة ابعاد عزيز المصرى عن أى موقع سياسى أو عسكرى (٣٥) ٠

---

(٣٢) وثائق الخارجية البريطانية برقية رقم ٣٣ من لامبسون الى هاليفاكس ٢ اكتوبر ١٩٣٩ ٠ F.O. 407 . 223

(٣٣) لقاء مع حسين الشافعى النائب السابق لرئيس الجمهورية وعضو حركة الضباط الاحرار ـ الدقى ١١ ابريل ١٩٤٣ ٠

(٣٤) وثائق الخارجية الامريكية وثيقة رقم ٢٠٢٢ من برت فيش الى الخارجية الامريكية ١٤ مايو سنة ١٩٤٠ ٠ 741 - 83 - 250

(٣٥) المصدر السابق وثيقة رقم ١٩٧٢ ١٨ يناير ١٩٤٠ ٠

ووفق رواية بعض المؤرخين ، فان عزيز المصرى لم يكن يعمل لصـــالح الالمان لكنه كان يعتقد وهذه سذاجة سياسية منه أن الالمان يســـتطيعون مساعدته فى تحرير مصر من الاحتلال البريطانى · ويعتقد نفس المؤرخ · أن الهدف من محاولة هروب عزيز المصرى وصاحباه (عبد المنعم عبد الرؤف وحسين ذو الفقار) فقد كانت تراوده فكرة انشاء جيش التحـرير « على غرار ما فعل ديجول بعد سقوط فرنسا (٣٦) ·

ومن الصعب أن نميل الى هذا الاستنتاج لان من أولى المهام التى يبـدأ بها أى قائد سواء فى الاعداد لثورة أو غير ذلك من وسائل الكفاح هو اعداد تنظيم يعهد اليه بالقيام بتلك المهام وليس هناك ما يؤكد أن عـزيز المصرى كان صاحب تنظيم معين سواء داخل الجيش أو خارجه (٣٧) ·

وعلى ما يبدو فان عزيز المصرى ــ وفق رواية أنور السادات ــ اتصـل بالضباط الاحرار وطلب مساعدتهم لتمكينه من السفر الى العـراق حيث وصلته رسالة من الالمان يطلبون فيها سفره لمعاونة رشيد على الكيلانى فى ثورته التى قام بها فى العراق ضد الاحتلال البريطانى (٣٨) ·

ومن المؤكد أن عزيز المصرى لم يحاول أن يقوم باعداد تنظيم سواء داخل الجيش أو خارجه ولعل مرجع ذلك الى اعتماده على اتصاله المبـاشر بالضباط وتكرار نصائحه لهم باعداد أنفسهم ثقافيا وفكريا وما يواكب ذلك من يقظة قومية سوف تؤتى ثمارها حتى ولو على المدى الطويل · وعندمـا عرض عليه أحد الضباط العمل على رأس التنظيم أبدى عـزيز المصرى عـدم موافقته قائلا ؟ « أول درس أقوله لكم اعتمدوا على أنفسكم ولا تنتظروا أى رائد، المبادرة يجب أن تأتى منكم أنتم ــ نابليون وصل الى رتبة جنرال وكان زعيما (٣٩) · ولعل عزيز المصرى كان يعلم جيدا أن عيون الاحتلال ترقب

---

(٣٦) د· محمد أنيس دراسة عن ٤ فبراير ص ٤٥ ·
(٣٧) لقاء مع فتحى رضوان « محامى عزيز المصرى فى قضية الهروب » ·· ١٩٨٢/٨/٩ مصر الجديدة ·
(٣٨) أنور السادات أسرار الثورة المصرية ص ٦١ ، ٦٢ ، لقـاء مـع فتحى رضوان ١٩٨٢/٨/٩ ، طارق البشرى ، الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٨ ــ ١٩٥٢ ص ٤٦١ ·
(٣٩) أنور السادات المرجع السابق ص ٦٢ ·

كل خطواته وان قيامه باعداد تنظيم من نوع ما سوف يكون مصدر خطر حقيقي على الحركة الوطنية داخل الجيش واذا اقتصر دوره على النصائح العامة وبث الروح الوطنية لدى الضباط الشبان .

والحقيقة ان موقف الجيش المصرى من بريطانيا ابان الحرب العالمية الثانية كان يتسم بنوع من التناقض حيث كان الضباط ذوى الرتب الكبيرة من أعوان الانجليز فى جملتهم وكان الانجليز يحسنون الرأى فيهم حيث يشير ولسون (قائد القوات البريطانية) بالخدمات الجليلة التى أداها ابراهيم عطا الله (رئيس أركان حرب الجيش المصرى والذى خلف عزيز المصرى) ويرى أنه لو لا عطا الله لحدثت أحداث خطيرة وكبيرة داخل الجيش المصرى نتيجة حادث ٤ فبراير والميجور سانسوم رئيس المخابرات البريطانية) يذكر أن حجازى مدير المخابرات العسكرية كان متعاونا مع السلطات البريطانية الى حد كبير (٤٠) .

أما موقف الضباط الصغار والذين دخلوا الجيش بعد سنة ١٩٣٦ فقد كانوا بحكم اصولهم الاجتماعية عناصر وطنية شديدة الحماس لقضية وطنهم كارهون للاحتلال ولا يمكن ان نغفل تأثير عزيز المصرى على هؤلاء الشباب .

وما من شك فى ان حادث ٤ فبراير فى مصر وحركة رشيد الكيلانى فى العراق يعطيان أكبر الدلالات بالنسبة الى المستقبل حيث كان يعتقد الانجليز أن مصر والعراق دولتان متحالفتان مع انجلترا ضد دولتى المحور وان القوات البريطانية التى أسقطت ثورة رشيد الكيلانى وأرغمت ملك مصر على قبول النحاس رئيسا للوزارة قد ساندت « المخلصين » « ضد الاقليات » « الخائنة » مستهدفة صالح العرب والمصريين والانجليز على قدم المساواة .. والحقيقة أن العرب بوجه عام والمصريين بوجه خاص قد نظروا الى هاتين الحادثتين نظرة مخالفة . فقد رأوا فى الحرب العالمية نضالا بين الاستعماريين يبغى كل منهما الاستحواذ على بلادهم واستغلال مواردها وقد وجد فى مصر معسكران يختلف كل منهما عن الآخر حول الوسائل لا الاهداف وكلاهما يبغى

---

(٤٠) د. محمد أنيس مرجع سبق ذكره ص ٤٣ .

تحقيق الاستقلال عن انجلترا . على حين أن أحد العسكرين كان يرى أن خير وسيلة لتحقيق هدفه هى التعاون مع انجلترا فان العسكر الاخر اختار التعاون مع دولتى المحور(٤١)،وبينما كان جمال عبد الناصر يقوم بحراسة مؤخرة القوات البريطانية فى العلمين كان انور السادات يتخابر لصالح الالمان ضد بريطانيا ولا يمكننا أن نتهم جمال عبد الناصر بأنه يناصر بريطانيا وفى الوقت نفسه فلا يمكن أن نتهم أنور السادات بالعمالة لالمانيا ، وببساطة شديدة فان كلا منهما يعتقد أنه يعمل لصالح بلاده .

وعندما تأكد للسلطات البريطانية أن هناك شعورا معاديا ضد الوجود البريطانى يعم الجيش المصرى ولما كانت القوات المصرية تقوم بحراسة مؤخرة القوات البريطانية فى الصحراء الغربية فقد صدرت الاوامر بانسحاب هذه القوات وتسليم أسلحتها الى القوات البريطانية (نوفمبر ١٩٤٠) الا أن هذا القرار ووجه بحركة تذمر واستنكار داخل الجيش المصرى مما كان سببا فى السماح للقوات المصرية بالانسحاب مع الاحتفاظ بأسلحتها (٤٢) .

ولقد راودت الضباط الشبان فى ذلك الوقت فكرة القيام بثورة تستولى على طرق المواصلات وقطع كل خطوط الاتصال أمام القوات البريطانية والمطالبة بتسليم على ماهر زمام الحكم . الا أن تنظيم الضباط لم يكن قد وصل الى درجة تمكنه من الاقدام على هذه الخطوة حيث كان تجمع الضباط ما يزال فى مرحلته الاولى واذا كانت الاهداف الوطنية قد تحددت فان الزعيم الذى يجب أن يجسد تلك الاهداف لم يكن قد ظهر بعد واقتصرت الخطة على جمع الرجال من ذوى الضمائر الحية اعتقادا بأن أى عمل ناجح لابد من أن يبدأ بفكرة ناجحة أيضا (٤٣) .

---

(٤١) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى العلاقات المصرية البريطانية ١٩٣٦ - ١٩٥٦ ص ٤٨ .

(٤٢) وثائق الخارجية الامريكية وثيقة رقم ١٩٩٥ من كيرك الى حكومته ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٤٠

، حسين الشافعى لقاء ١١ إبريل ١٩٤٣ .

(٤٣) نفس المصدر السابق .

وتاكدت المخابرات البريطانية أن هناك حركة استياء تعم الضباط لكن لم يكن هناك من الادلة المادية ما يقوم دايلا على ادانتهم ٠

ولذا اقتصرت بريطانيا على تنقلات الضباط وتشتيتهم بحيث يصعب ايجاد أى نوع من التفاهم بينهم (٤٤) ولعل هذا الاسلوب لم يقض علىالحركة وانما كان عائقا ادى الى تأخيرها لسنوات ليست طويلة ٠

ردود فعـل ٤ فبراير على الجيش :

فى جميع الازمات التى موت بمصر كانت لاحكومة البريطانية تأخذ فى الاعتبار موقف الجيش المصرى الى جانب موقف الرأى العام ، عندما طالبت بريطانيا مصر باعلان الحرب على دولتى المحور قالت أنها تقدر الاهمية البالغة للقوات المسلحة المصرية،وعندما نصحت بتغيير وزارة على ماهر على أن تجىء الوزارة الجديدة حائزة لولاء الجيش ٠ وعند الاستعداد لمحاصرة قصر عابدين يوم ٤ فبراير احتفظت السلطات العسكرية باسرار العملية الى ساعة الصفر واتخذت جميع الاحتياطات لكى لا يقع تصادم بين الجيش المصرى والقوات البريطـانية ٠

ولقد كان معظم الضباط يعقدون أمالا كبيرة على حزب الوفد باعتباره الحزب الذى قاد حركة الكفاح الشعبى ضد الاحتلال البريطانى والذى وقف فى صلابة وحزم ضد تسلط الملك فؤاد وعبثه بالدستور ، لكن ذلك الامل لم يلبث أن خبا عقب احداث ٤ فبراير ١٩٤٢ حيث احدثت مظاهرة السفير البريطانى العسكرية ودعايات أحزاب الاقلية أكبر اساءة الى الوفد وأصبح هذا الحادث نقطة سوداء فى تاريخه يطعنه عن طريقها أعداؤه ويلطخون بها صفحة كفاحه ٠ ولعل هذا قد احدث تحولا كبيرا فى مشاعر الضباط ٠ ادى الى التفافهم حول الملك الذى نجح وقتئذ فى الظهور بصورة البطل المناضل الذى جابه وحده سطوة الاحتلال علاوة على ما أحس به الضباط من شعور بالمهانة حيث اعتبروا عدوان على شرفهم العسكرى ، ولذا كانت النتيجة الحتمية هى ابتعـاد الجيش عن الوفـد (٤٥) ٠

---

(٤٤) نفس المصدر ، ، جورج فوشية ١٩٥٩/٢/١ ٠

(٥) جمال حماد عضو مجلس قيادة الثورة ، اطول يوم فى تاريخ مصر مجلة المصور ٢٣ يوليو ١٩٨٢ ٠

ويمكن معرفة انعكاسات ٤ فبراير على صفوف الضباط الصغار من خلال مراسلات جمال عبد الناصر فى هذه الفترة ، وعقب وقوع الحادث كتب الى أحد أصدقائه قائلا ؟ انى أشعر بخزى وعار شديدين لان جيشنا سكت على هذا الاعتداء وارتضاء ولكنى مسرور على كل حال لان ضباطنا كانوا يشغلون وقت فراغهم بالحديث عن المتع والسهرات ولكنهم بدأوا يتحدثون عن الانتقام والثار ، ولو أن الانجليز قد أحسوا أن بعض المصريين ينوون التضحية ويقابلون القوة بالقوة لانسحبوا كأى امرأة من العاهرات (٤٦) .

ومن المؤكد أن الانتقام والثأر الذى كان يعنيهما جمال عبد الناصر لم يكونا من أجل فاروق بل من أجل مصر على اعتبار أن الاعتداء على ملك مصر يعد اعتداء على السيادة المصرية ويلاحظ أن هذا المعنى لم يكن خافيا على السفير البريطانى والذى كتب الىحكومته يوم ١٠ فبراير قائلا ؟ . أبلغنى الجنرال ستون ، قائد القوات البريطانية فى القاهرة ، أن حادث ٤ فبراير قد أحدث قدرا كبيرا من الاستياء فى الجيش المصرى لان الاعتقاد السائد لدى الضباط أن ثمة اهانة لحقت بمصر عن طريق فرض القوة على الملك (٤٧) .

ويبدو أن السلطات البريطانية كانت تقدر موقف الجيش المصرى وهو يفسر ليس فقط فى قطع الاتصال بين سكنات الجيش المصرى فى الماظة وبين قصر عابدين بل كذلك فى تحديد الاسلوب والتوقيت لعملية محاصرة قصر عابدين فمن الواضح أن السلطات البريطانية فى القاهرة كانت ترى اهمية قصوى فى اتمام العملية بسرعة وبشكل مباغت . ومن المؤكد أنه روعى عدم الاصطدام بالجيش ، ولعل هذا هو الذى تطلب أن تكون العملية على كل هذا القدر من السرية ، الى جانب السرعة والمباغتة .

---

(٤٦) مذكرات كمال الدين رفعت : القاهرة ١٩٦٨ ص ١٥ ، المصور مجموعة فبراير ومارس ١٩٧٢ ، عبد المنعم شميس الزعيم الثائر – سلسلة كتب سياسية عدد ١٢ ص ١٩ .

(٤٧) وثائق الخارجية البريطانية وثيقة ٣٢٥ من لامبسون الى هاليفاكس ١٠ فبراير ١٩٤٢ .

لكن جانبا هاما من العملية كان الخوف من تحرك الجيش المصرى الذى سيلازمه بالضرورة ثورة وطنية شعبية قد يضطر الانجليز ازاءها ليس فقط الى ضرب حركة الجيش المصرى بل الى اعتبار مصر ارضا محتلة الامر الذى سيغير تماما من استراتيجية القوات البيطانية فى المنطقة ويضاعف من مشاكلها (٤٨) .

وفى الوقت الذى بدأ فيه الضباط يتناقلون فيما بينهم أحداث هذا اليوم وبناء على أوامر الحكم العسكرى العام ، امتنعت كل الصحف عن نشر ما يشير الى هذا الحادث ولو من بعيد ، الا أن صحيفة المانشستر جارديان كتبت تقول : أن الضباط الشبان يعتقدون أن ما حدث كان امتهانا لكرامتهم ولعزتهم الوطنية ونصحت الصحيفة الحكومة البريطانية بأن تعالج الموقف بسمة صدروبروح جديدة يتفقان مع مقتضيات التحول الجديد فى الافكار المصرية (٤٩) .

ولعل من الملاحظ أن الامر لم يقتصر على مجرد أحاديث يتناقلها الضباط بل تخطى الغضب مرحلة الاحساس الى الاقدام على خطوات عملية حيث تقدم الضابط محمد نجيب (أول رئيس للجمهورية) باستقالته من الجيش بالرغم من علاقته الوطيدة بحزب الوفد حيث ذكر فى استقالته : حيث انى لم استطع أن أحمى مليكى وقت الخطر فانى لاخجل من ارتداء بذلتى العسكرية والسير بها بين المواطنين ولذا أقدم استقالتى (٥٠) .

وتحت ضغط الملك فاروق ونزولا على رأى العديد من الضباط اضطر محمد نجيب الى سحب استقالته (٥١) .

ووفقا للمصادر قريبة الصلة بالقصر فقد توجه وفد من ضابط القوات المسلحة الى قصر عابدين عابدين عقب وقوع الحادث وقابلوا رئيس الديوان (حسنين باشا) وأعربوا له عن استعدادهم للثأر من المسئولين عن محاصرة

---

(٤٨) كمال الدين رفعت مرجع سبق ذكره ص ٣٥ ، محمد حسنين ميكل عبد الناصر والعالم ص ٣٨ ، د. محمد أنيس مرجع سبق ذكره ص ٤٠ .

(٤٩) نقلا من أخبار اليوم ١٩٤٦/٢/٢٣ .

(٥٠) محمد نجيب ، كلمتى للتاريخ ـ القاهرة ١٩٧٥ ص ١٣ .

(٥١) نفس المرجع .

القصر بالدبابات ، وقد اثناهم رئيس الديوان عما يفكرون فيه وناشـــدهم الهـدوء ، وقد قدر الملك هذا الشعور ولذا فقـد حرص على أن يمضى يوم ٤ فبراير من كل عام مع الضباط فى ناديهم (٥٢) .

وتشير الوثائق الامريكية وفقا لمصادرها الخاصة داخل الجيش الى أن نتائج ٤ فبراير قد احدثت ردود فعل متباينة ، فبينما يرى الضباط الكبـار أن القضية تقتضى قدرا من التعقل فى معالجتها الا أن الضـــباط الاصـــغار يحسون بمرارة شديدة ويعقدون العديد من الاجتماعات السرية داخل الوحدات وهو أمر يعد غاية فى الخطورة (٥٣) .

وبلا شك فقد كان تأثير هذا الحادث على المصريين عموما وعلى الضباط على وجه الخصوص ساحقا ووفق العديد من الروايات فان هذا الحـادث كان له تأثير الكهرباء وسط الضباط حيث قرر أحدهم (جمال عبد الناصر) ألا تتجرع مصر كأس الذل مرة أخرى بهذه الطريقة . ويرجع البعض بداية حـــركة الضباط الاحرار كحركة متكاملة الى اللحظة التى سددت فيها أول دبابـــة بريطانية مدفعها الى قصر عابدين فلم يعد للضباط من حديث سوى الحـرية وكـرامة بلادهم المطعونة وبدأ عبد الناصر يخطط لثورة ٢٣ يوليو (٥٤) .

وتكاد تجمع الاراء على ان ما حدث فى ٤ فبراير كان هو الدافع الاقوى الى تحـريك الثورة الوطنية داخل الجيش ، وبدأ قيـــام التنظيمات السرية بين الضباط والتى كان من بينها تنظيم الضباط الاحرار ، كما أن هذا الحـادث يعد أقوى ضربة وقعت على رأس حزب الاغلبية الشعبية ، وكان فقدان حـزب الوفد

---

(٥٢) مذكرات حسن يوسف ص ١٢٧ ، مذكـرات عبد اللطيف البغـدادى ص ١٩ ، ٢٠ .

(٥٣) وثائق الخارجية الامريكية وثيقة رقم ٣٠٢ من كيرك الى حكومـة ٢٠ فبراير ١٩٤٢ .

(٥٤) مذكرات كمال الدين رفعت مرجع سبق ذكره ص ٣٦ ، محمد حسنين هيكل عبد الناصر والعالم ص ٣٨ .

لقوته وسلطاته الوطنية وزعامته الشعبية اكبر الاثر فى اهتزاز النظام السياسى الذى كان يحكم مصر (٥٥) ٠

وأخذ الضباط يبحثون عن منفذ يمارسون من خلاله نشاطهم الوطنى بعد أن فقدوا كل أمل فى الاحزاب التقليدية التى اهترأت بسبب خلافاتها المستمرة وصراعها على الحكم ، ووجد الضباط ضالتهم فى الجماعات الجديدة والتى بدأت تاخذ لها موقعا على مسرح السياسة المصرية والتى كانت وقتئذ تحـــاول اجتذاب الجماهير بمبادئها المتطرفة سواء اليمينية أو اليسارية ، ولعل أشـــد الدعوات نجاحا فى اجتذاب الضباط هى جماعة الاخوان المسلمين فانها بتنظيمها الهرمى الذى يقف المرشد العام على قمته ، وبجناحها العســـكرى الذى يضم العسكريين ، وبجهازها السرى للقيام بالعمليات الخاصة ، كل هذا وجـد فيه الضباط شيئا غير بعيد عن النظام العسكرى الذى اعتـــادوه ، علاوة عـلى أن الشيخ البنـا كانت لديه مقدرة فائقة على اجتذاب الجمـــاهير وعـلى ضـــم الضباط الى الجماعة من خلال أحاديثه عن علاقة الدين بالوطن ، وكان فى مقدمة من انضم من الضباط الى الجماعة ثمانية من أعضاء اللجنة التاسيسية للضباط الاحرار وهم جمال عبد الناصر ، عبد المنعم عبد الرؤف ، عبد الحكيم عامـر ، كمال الدين حسين ، عبد اللطيف البغدادى ، حسن ابراهيم ، خالد محى الدين ، صـــلاح ســـالم (٥٦) ٠

ومن المؤكد ان مجموعة الضباط قد اكتسبت خبرة وأصبحت أكثر مقدرة على مزاولة نشاطها بعد لقائها بالشيخ البنـــا حيث قدمت لجنة الجنود الاحرار بالجيش ولاول مرة تقريرا الى الملك (ديسمبر ١٩٤٢) يعبر عن مدى تاثرهم بفساد الحياة الاجتماعية والاخلاقية ، ومن ثورتهم على انتهاك الجنـــود البريطانيين لحرمة الفتاة المصرية بما يتناقض تماما مع الشريعة الاسلامية ، وطالبت اللجنة بعده مطالب كان من بينها ؟٠٠

---

(٥٥) احسان عبد القدوس ، ضمن مقدمة كتاب الدبابات حـــول القصـــر لكمال عبد الرؤف ص ٤ ، جمال حماد المصور ٢٣ يوليو ١٩٨٢ ٠

(٥٦) احمد حمـروش قصة ثورة ٢٣ يوليو ص ١١١ ، جمال حماد المصور ٢٣ يويو ١٩٨٢ ٠

اولا : بث الروح الوطنية بين افراد الجيش المصرى ضد المحتل البريطانى

ثانيا : مقابلة الاعتداء بالاعتداء عملا بالآية الكريمة « ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما عتدى عليكم » ٠

ثالثا : القبض على أى فتاة مصرية تسير مع أى جندى بريطانى ٠

رابعا الغاء معاهدة ١٩٣٦ باعتبارها أساس كل الشرور التى لحقت بالوطن (٥٧)

وعلى الرغم من أن علاقة الضباط بالشيخ حسن البنا قد سبقت أحداث ٤ فبراير ، الا أن هذا الحادث قد ضاعف من سخط الضباط على البريطـانيين وزاد من حماستهم للثورة ودفعهم الى أن يعرضوا على الشيخ حسن البنـا خطة ترمى الى ابادة الجيش البريطانى العائد من العلمين ٠ الا أن حسن البنا لم يكن يملك القـوة الكافيـة لتنفيذ الخطة (٥٨) وقد يكون هذا من بين الاسباب التى دفعت الضباط الى الاعتماد على انفسهم بعيدا عـن أى قـوة أخـرى ٠

ولم يقتصر عمل الضباط على محاولة التنسيق مع الاخوان المسـلمين وانما كانت فى مظاهرتهم التى قاموا بها الى قصر عابدين يوم ١١ فبراير ١٩٤٢ أكبر دليل على رفضهم واستنكارهم لما حدث حيث تجمع الضباط والجنود وساروا الى قصر عابدين وهم يهتفون بحياة الملك والوطن (٥٩) ٠

---

(٥٧) تقارير الامن العام ـ السرايات الملكية ـ محفظة ٣٤ تقـرير بتاريخ ٧ ديسمبر ١٩٤٢ دار الوثائق القومية ٠

(٥٨) ريتشارد ميشيل ، الاخوان المسلمون ترجمة عبد السلام رضـوان القاهرة ١٩٧٧ ــ ص ٦٢ ، أنور السـادات ، أسرار الثـورة المصرية ص ٩١ ـ ٩٣ ٠

(٥٩) د٠ محمد حسين هيكل مرجع سبق ذكره ج٢ ص ٢٤٨ ، محسـن محمد تاريخ مصر السرى ص ٢٣٧ ، مذكرات حسن يوسف ص ٢١٤ و ص ٢١٥ ٠

واجتمعت الجمعية العمومية للضباط بناديهم في الزمالك ليتشاوروا في الامر وليقرروا ماذا يفعلون ازاء تلك الاهانة التى لحقت بالوطن وأسفرت مناقشتهم عن التوجه لسراى عابدين وتسجيل أسمائهم في سجل التشريفات اثباتا لولائهم للملك وتعبيرا عن مساندتهم له ، وفى أثناء الاجتماع تقدم عبد اللطيف البغدادى ، باقتراح عمل خلايا سرية من ضباط الجيش تكون مهمتها قتل كل سياسى ينحرف أو يخون البلاد ويعترف ــ البغدادى ــ بأنه كان متأثرا بما قرأه عن مثل تلك التنظيمات السرية التى كانت موجودة داخل الجيش اليابانى في ذلك الوقت ولكن هذا الاقتراح قوبل بالرفض الشديد من الضباط ذوى الرتب الكبيرة (٦٠) . ومن المؤكد أن هذا الموقف من البغدادى لم يكن ينم عن ادراك سياسى كامل لان الاعلان عن قيام تنظيم تقتصر مهمته على الاغتيالات السياسية أمر من السهل القضاء عليه لان مثل هذه الاعمال تقتضى قدرا كبيرا من السرية ودقة كاملة في التخطيط ولذا فان رفض الضباط الكبار لهذا الاقتراح يتسم بقدر كبير من التعقل .

ويمكننا القول .. أن حادث ٤ فبراير قد أثار حالة من الغليان الشديد داخل الجيش المصرى وتشير الوثائق البريطانية الى : أن عددا كبيرا من الضباط قد أخذوا مسألة ٤ فبراير على أنها اهانة خطيرة لحقت بالكرامة المصرية ، وبدت العديد من التجمعات داخل الجيش بهدف القيام بمظاهرة معادية للسفارة البريطانية ، الا أن كبار الضباط قد استطاعوا السيطرة على الموقف وقرر ــ حمدى سيف النصر ــ نقل بعض الضباط الصغار من القاهرة الى بعض الاماكن النائية .

وتشير الوثائق البريطانية ايضا الى زعماء تلك الاضطرابات وهو القائمقام عقيد احمد فؤاد صادق (قائد الجيش المصرى في حرب فلسطين) والثانى الاميرالاى محمد كامل الرحمانى ، أول مدير للاذاعة بعد الثورة ، والثالث هو الاميرالاى حمدى طاهر (٦٢) .

---

(٦٠) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ص ١٨ .

(٦١) وثائق الخارجية البريطانية وثيقة رقم ٥٤٨ من لامبسون الى حكومته ١٨ مارس ١٩٤٢ .

ويبدو القلق واضحا من خلال ما كتبه العسكريون البريطانيون ووفق ما ذكره لورد ويلسون ٠ « أن ردود الفعل التى أعقبت حادث ٤ فبراير تؤكـــد أن أوضاعنا العسكرية تتعرض لمخاطر أكيدة ولابد من معالجــة الموقف بأســـرع ما يمكـــن (٦٢) ٠

ولعل هذا الاحساس قد تملك الدوائر الامريكية فى القاهرة حيث يشـــير السفير فى احدى رسائله الى حكومته قائلا : لقد أسديت نصيحتى فى سرية السفير البريطانى بان هناك معلومات مؤكدة تشير الى وجود مخطط داخـــل الجيش بهدف احداث نشاطات تجميرية ضد الحلفاء وأن هذا الموقف جاء ردا على سياسة بريطانيا التى طالمـــا حذرنـــا منهـــا فى ٤ فبراير ١٩٤٢ (٦٣) ٠

وهكذا كان حادث ٤ فبراير سببا كافيا لنمو المشاعر الثورية داخـــل الجيش وكان بداية انهيار الشعبية الكاسحة التى يتمتع بها حزب الوفـــد والذى كان يعد أمل الامة المصرية فى نظـر الكثير من الضباط ، ولذا فاننى أميل الى الرأى القائل بان بداية التكوين الفعلى لحركة الضباط الاحرار كان عقب ٤ فبراير ١٩٤٢ (٦٤) ٠ حيث بدأ عبد الناصر يضع أولى الخطوات الجـــادة نحو ابراز التنظيم الى واقع عملى ولم تخدعه الوعود الكاذبة التى كانت تطلقها بريطانيا من حين لآخر من أن مصر ستحصل على استقلالها عقب انتصـــار الحـــلفاء ٠

وتنبه الضباط الذين كانوا قبل عام ١٩٤٣ يعتمدون على المانيا لطـــرد انجلترا من مصر ، الى أن قوة انجلترا ستظل قائمة بعد الحـرب بفضـــل امريكا وبينما هب الساسة المصريون الى نجدة الحلفاء وراحوا يطـــالبون

---

(٦٢) د٠ أنيس مرجع سبق ذكره ص ٤١ ٠

(٦٣) وثائق الخارجية الامريكية برقية رقم ٣٠٣ من كيرك الى حكومتـــه ٢٠ فبراير سنة ١٩٤٢ ٠

(٦٤) احسان عبد القدوس ضمن مقدمة « الدبابات حول القصر » كمـــال عبد الرؤف ص ٤ ، محمد حسنين هيكل عبد الناصر والعالم ص ٣٤ ، جورج فوشيه الهيئة العامة للاستعلامات نشرة ١٩٥٩/١٢/٣ ٠

بالاستقلال التام مكافاة لتعاونهم لم يستسلم العسكريون لتلك الوعـود وانما بداوا يعدون أنفسهم لتولى مقاليد البلاد بعد أن اهترأت أمامهم كل الاحزاب السياسية وراحت تتنافس وتتناحر ليس من اجل الوطن وانما خدمة وتملقـا للمحتـــــل ٠

وبصدد الحديث عن ٤ فبراير والجيش يتحدث جمال عبد الناصر فيقول : عقب ٤ فبراير ١٩٤٢ كان علينا أن نعمل عملا وطنيا وذهبنا الى عزيز المصرى وكان معى كمال الدين حسين وعبد اللطيف البغدادى وعبد الحكيم عامر وطلبنا منه النصيحة ٠٠ فقال : الثورة ومن هنا كان الامل الذى صممنا عليه وتعاهدنا على المضى من أجله الى آخر الطريق (٦٥) ٠

ولما كان الاستياء موجها الى الوفد والانجليز معا فقد قام النحـاس باكبر حركة اعتقالات داخل الجيش وصفتها تقارير السفير الامريكى بأنها محـــاولة من الوفد لاحداث حالة من « التخويف » داخل القوات المسلحة المصرية (٦٦) ٠

ويبدو أن بعض الضباط قد خرجوا على التقاليد العسكرية المتبعة لدرجة أن الاميرالاى أحمد فؤاد صادق قد تقدم بعريضـة اتهـام ضـــد وزير الدفاع (حمدى سيف النصر) متهما اياه بما يأتى ؟٠٠

أولا : لقد حرصت جميع الحكومات على ابعاد الجيش عن السياسة وعـدم الزج به فى الحزبية ولكن سياسة وزير الدفاع دفعت بصولات الجيش الى دخول النادى السعدى والتحدث فى السياسة بما أعزى ضباط الصف بالتمادى فى هذا الســبيل ٠

ثانيا : ان الحكومة قد استطاعت استقطاب بعض الضباط ضعاف النفوس وقربتهم ومنحتهم الامتيازات والعلاوات بالرغم من انهم أقل كفاءة من زملائهم لا لشىء الا بهدف الزج بالجيش فى السياسة ٠

---

(٦٥) من خطبة جمال عبد الناصر فى عيد الثورة ٢٣ يوليو ١٩٦٢ ، الاهرام ، الاخبار ٢٤ يوليو ١٩٦٢ ٠

(٦٦) وثائق الخارجية الامريكية تقـــرير رقم ٨٦٢ من كيرك الى حكومته بتاريخ ٢٩ يونية ١٩٤٢ ٠

ثالثا : لقد جرت التقاليد على عدم نقل كبار الضباط الحائزين على رتبة اللواء الا بعد موافقة القصر ولكن حمدى سيف النصر نقل محمد زكى الحكيم مدير الحدود وعلى حسنين الشريف مدير القرعة كلا منهما مكان الاخر دون الرجوع الى القصر ٠

رابعا : لقد عرض على الوزير كشفا بأسماء طائفة من الضباط طلب الانعام عليهم بنياشين بمناسبة عيد جاوس الملك (يوليو ١٩٤٢) ولكن الوزير اعترض على بعض الاسماء وانتهى الامر بحرمان الجيش من عطف المليك ٠

خامسا : انتدب الوزير نجله « فؤادى حمدى » للخدمة فى ادارة الجيش على أن يظل فى مركزه بسلاح الفرسان الملكى والغرض من ذلك هو الحصول على علاوة انتداب (٦٧) ٠

ولعل حكومة النحاس فى محاولة منها لتهدئة المشاعر الثائرة داخل الجيش قد وقعت فى العديد من الاخطاء التى ضاعفت من حركة الاضطراب فى صفوف القوات المسلحة ووفق المصادر البريطانية فان القصر كان وراء حركة التذمر فى صفوف الجيش وان حكومة الوفد لم تستطع السيطرة الكاملة على الجيش ومن المؤكد أن القصر وراء كل هذه الاضطرابات وأن الضابط احمد فؤاد صادق لا يستطيع ان يستمر فى حملته بدون مساندة القصر (٦٨) ٠

ومن المؤكد أن النحاس باشا كان أشد ما يخشاه هو حدوث ردود فعل داخل الجيش تؤدى الى تقلص شعبيته وبدلا من أن يعالج الموقف بأعصاب هادئة الا أنه قد اقدم على اعتقال الضابط صاحب عريضة الاتهام (احمد فؤاد صادق) والبكباشى « محمد كامل الرحمانى » وبالرغم من أن الاول قد ساءت حالته الصحية لدرجة كبيرة وحدث له تسمم فى الدم مما دفع الدكتور هيكل الى أن يثير قضيته فى مجلس الشيوخ الا أن النحاس قد انبرى بدافع قائلا : ان حالة

---

(٦٧) تقارير الامن العام محفظة ٤٨ ـ السرايات الملكية تقرير بتاريخ ٨ اكتوبر ١٩٤٢ ، روز اليوسف ٩ اكتوبر ١٩٤٤ ٠

(٦٨) وثائق الخارجية البريطانية وثيقة رقم ٢٠٨٨ من لامبسون الى حكومته ١٩ سبتمبر ١٩٤٢ ٠

الضباط على خير ما يرام وليس هناك ما يستحق الاستجواب (٦٩) ، وذلك في الوقت الذى قرر فيه الاطباء أن حالة المريض خطيرة ويجب نقله فورا من معتقل المنيا الى القاهرة للعلاج · ولما كان الدكتور هيكل يحتفظ بصورة قرار الاطباء فقد ذهب الى الحاكم العسكرى « النحاس باشا » وقال له « لولا اننى أخشى تعريض حياة الضابط للخطر باضاعة الوقت لاريت المجلس ما تحت يدى من المستندات الرسمية التى تنفى تصريحك هذا ، فاستمهله النحاس حتى ينقل المريض الى المستشفى بالقاهرة واكتفه نقله بمستشفى الأحداث بالجيزة حيث بقى بها تسعة أشهر (٧٠) ·

ولما أراد الضابط أن يكتب برقية تهنئة الى الملك بمناسبة عيد جلوسه رفضت الحكومة وبقى فؤاد صادق فى الاعتقال ثلاث عشر شهرا دون أن يصرف له ما يستحقه من المعاش مما اضطره الى كتابة برقية الى الحاكم العسكرى يقول فيها « عندما اعتقل رفعتكم فى سيشل كان الانجليز يصرفون لك ماهية شهرية للانفاق على نفسك وأسرتك فأرجوا أن تعاملنى كما كان يعاملك الانجليز أو أن تعاملنى كما تعامل أحمد حسين الذى تسكنه هو وعائلته فى منزله وتنفق عليه (٧١) ·

وبقى هذان الضابطان مدة اعتقالهما (٢٣ شهرا) لا يصرفان عليما واحدا . ومرض محمد كامل الرحمانى أيضا وبدلا من أن ينتقل الى المستشفى أنزل فى معتقل الزيتون حيث بقى شهرين ثم أضرب عن الطعام والشراب حتى أوشك على الموت فنقلوه الى مستشفى صيدناوى ليعالج (٧٢) ·

---

(٦٩) مضابط مجلس الشيوخ الجلسة الحادية عشرة أول ديسمبر ١٩٤٢ ص١١٨ ·

(٧٠) نفس المصدر السابق ·

(٧١) مجلة روز اليوسف ٩ نوفمبر ١٩٤٤ من ذكريات اعتقال الامرالاى أحمد فؤاد صادق والبكباشى محمد كامل الرحمانى · ·

(٧٢) مضابط مجلس النواب ــ الجلسة الثانية عشرة أول فبراير ١٩٤٣ ــ دور الانعقاد الثانى ص ٣٥٣ ــ ٣٦٤ ·

واذا كان هناك من ينفى عن النحاس مسئوليته فى ٤ فبراير بحجة انه لم يكن يعلم بنية الانجليز فان الاجراءات التعسفية التى لحقت ببعض ضباط القوات المسلحة المصرية من جراء سياسة النحاس تعد خطأ لا يغتفر . وفى الوقت الذى أقدمت عليه حكومة ٤ فبراير من اعتقال كل من تحوم حوله الشبهات من ضباط الجيش فقد أصدر الحاكم العسكرى العام عفوا من عزيز المصرى وصاحباه ـ عبد المنعم عبد الرؤف وحسين ذو الفقار ـ ولعل القصد من وراء هذا العفو كان ترضية الضباط لما كان يتمتع به عزيز المصرى من شعبية واسعة وسط ضباط الجيش ومع أن هذا الاجراء قد استقبلته الجماهير استقبالا طيبا الا أنه افتقد الى الشرعية حيث كانت اجراءات المحاكمة ماتزال مستمرة ولذا فقد كان هذا الاجراء موضع تساؤل داخل البرلمان وانبرى لنحاس مفندا أمر العفو العام بحجة أن المحاكمة التى طالت شهورا قبل أن تبدأ فى صميم التهمة والتى كانت مسرحا لكثير من المناورات السياسية التى لبست ثوب القانون ، وأن تلك المحاكمة قد شغلت الرأى العام أمدا طويلا ، وسياسة الوفد هى تهدئة المشاعر من هنا كان قرار العفو العام (٧٣) أما عن الاضطرابات التى وقعت فى سلاح الطيران عقب فبراير فيؤكد النحاس باشا عدم وجود أى نوع من العلاقة بينها وبين موضوع عزيز المصرى ، وانما أرجع هذه الاضطرابات الى عوامل متصلة بالجاسوسية الالمانية وقت أن اشتد ضغط قوات المحور حتى وصلت الى العلمين فى يولية ١٩٤٢ . فلقد اعتقد هؤلاء أن المغيرين على الابواب ، فأرادوا أن يثبتوا وجودهم فكان أن وقع حادث الضابط الطيار (٧ يولية ١٩٤٢) وحادث زميله « الصول » الطيار (٨ يوليه ١٩٤٢) أى بعد وصول قوات المحور الى العلمين بأسبوع واحد ، ويؤكد النحاس أن لدى الحكمة من المعلومات ما يدل على ان الصول الذى هرب بطائرته كان يعمل لحساب المحور . وقد عثر على طائرته بمرسى مطروح (٧٤) .

ووفق مضابط مجلس النواب فقد تقدم النائب عبد السلام الشاذلى بعدة استجوابات ؟

أولا : موقف الحكومة من الاضطرابات التى وقعت داخل سلاح الطيران .

ثانيا : اضطهاد الحكومة لضابطين من اكفأ الضباط ـ فؤاد صادق ، كامل الرحمانى ـ وفصلهما ثم اعتقالهما بلا تحقيق بسبب ما أقدما عليه الضابطان من التقدم بشكوى الى رئيس الحكومة (٧٥) .

---

(٧٣) نفس المصدر السابق .

(٧٤) نفس المصدر .

(٧٥) المصدر السابق الجلسة الحادية عشرة أول فبراير ١٩٤٣ ص ٣٥٤ .

والغريب أن النحاس قد دافع عن سياسة الحكومة تجاه الجيش مؤكدا حرص الحكومة على ان يظل الجيش فوق الخصومات السياسية ويشير النحاس من طرف خفى الى وجود علاقة بين هفين الضابطين وبين القصر (وان لم يعلن هذا صراحة) (٣٦) ٠

واذا كان هناك من ينفى عن النحاس مسئوليته فى ٤ فبراير بحجة أنه لم يكن يعلم بنية الانجليز فان الاجراءات التعسفية التى لحقت ببعض ضباط القوات المسلحة المصرية من جراء سياسة النحاس تعد خطأ لا يغتفر ٠ وفى الوقت الذى أقدمت عليه حكومة ٤ فبراير من اعتقال كل من تحوم حوله الشبهات من ضباط الجيش فقد أصدر الحاكم العسكرى العام عفوا من عزيز المصرى وصاحباه ـ عبد المنعم عبد الرؤف وحسين ذو الفقار ـ ولعل القصد من وراء هذا العفو كان ترضية الضباط لما كان ٠

ومما يدل على موقف الجيش المصرى من أحداث ٤ فبراير ما نشر فى الاهرام (٧ فبراير ١٩٤٢) وهو كما يلى : « لقد تأجلت الحفلة التى كانت ستقام اليوم فى نادى ضباط الجيش بالزمالك لتوديع الجنرال ستون الى موعد سيعين فيما بعد » ولم تقم الحفلة ٠ ولعل فيما حدث فى ٤ فبراير كان من أهم العوامل التى دفعت حركة الضباط الى التنسيق مع المخابرات الالمانية ، حيث أرسل الالمان أحد جواسيسهم الى القاهرة ورأت لجنة الضباط الاحرار تكليف أنور لسادات وحسين عزت بالاتصال بالجاسوس الالمانى (٧٧) ٠

ولعل الضباط قد راودتهم فكرة القيام بحركة عسكرية بهدف الانقضاض على القوات البريطانية العائدة من العلمين وخصوصا وأن الهزائم المتتالية التى كانت تلحقها قوات المحور بالحلفاء على الجبهة الغربية فى هذا الوقت شجعت الضباط على التفكير فيما هو أبعد من ذلك وهو اسقاط حكومة النحاس والمجئ بعلى ماهر رئيسا للحكومة (٧٨) ٠

---

(٧٦) اصدر السابق ٠

(٧٣) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ص ١٥ ، ١٦ ٠

(٧٤) تقارير السرايات الملكية محفظة ٤٨ تقرير بتاريخ ١٥ يونية ١٩٤٢ دار الوثائق القومية ، جورج فوشيه جمال عبد الناصر وصحبة نشرة ١٦٧١ ، ١٩٥٩/١١/٣ ٠

ويبدو أن الهزائم المتكررة لقوات الحلفاء قد فتحت باب الامل أمـــام الضباط للقيام بتحركتهم وخصوصا عندما سقط شـطر كبير من الشرق الاقصى فى أيدى اليابان وكان الموقف فى الصحراء الغربية غاية فى التدهور حيث أخذ روميل يتقدم فى الاراضى المصرية ، وأخذت القيادة البريطانية تعد العدة للجلاء عن مصر وقامت بحرق أوراقها ووثائقها العسكرية وطلب السـفير البريطانى من الحكومة المصرية الاستعداد لمغادرة البلاد فى أى وقت (٧٩) .

ومن المؤكد أن الضباط ارادوا أن يستغلوا تدهور الاوضاع العسكرية لصالح القضية الوطنية الا أن عبد الناصر كان مترددا خشية أن يستبدل المحتل الالمانى بالمحتل البريطانى (٨٠) ووفق التنسيق القائم بين الضباط والاخـوان المسلمين فقد ذهب أنور السادات الى حسن البنا وأفضى اليه أن ساعة الصفر قد حانت وأن الضباط قد تدارسوا الموقف بالتنسيق مع الالمان الا أن حسن البنا قد تردد فى الامـر ثم قـرر الانتظـار لان الحـرب لم تحسم بعـد (٨١) .

وعلى ما يبدو فان ساعة الصفر كانت وقت دخول الالمان الاسكندرية وبما أن هذا لم يحدث فقد بدأ الضباط يتدارسون الموقف على ضوء التطورات الجديدة والتى بدأت تشير الى تغيير الموقف العسكرى لصـالح الحـلفاء وعلى ضوء كل ما ذكرنا يمكننا أن نستخلص بعض النتائج ؟ .

أولا :

أن حادث ٤ فبراير قد أيقظ الشعور الوطنى لدى الغالبية العـظمى من الشعب المصرى .

ثانيـا :

أن حالة الغضب التى شملت الضباط لم تكن بسبب الاهانة التى لحقت بشخص الملك وانما لان الملك هو رمز الامة واهانته تعد اهانة لمصر كلها .

---

(٧٥) لقاء مع سراج الدين ١٩٨٢/١١/١٢ .

(٧٦) محمد حسنين هيكل عبد الناصر والعالم ص ٣٤٠ .

(٧٧) أنور السادات البحث عن الذات ص ٤٣ ، جورج فوشيه نشـر ١٩٥٩/١٢/٣ .

اسحاق الحسينى مرجع سبق ذكره ص ٢٣٢ .

ثالثـا :

أن حـــادث ٤ فبراير يعد البداية العمـلية لتنظيم الضــــباط الاحـــرار .

رابعـا :

لقد حاول الضباط التعاون مع كل القوى المعادية لبريطانية ســواء الداخلية منها او الخارجية « المانيا » .

خامســا :

لقد كان هذا الحادث نهاية الشعبية التي كان يتمتع بها الوفـــد داخل الجيش .

* * *

حـركة الضباط الاحـرار :

ان التاريخ لحركة الضباط الاحرار من المسائل التى تبدو فى غاية الصعوبة نظراً لعدم توفر لوثائق الرسمية التى تمكن الباحث من الوصـــول الى الحقيقة من أقصر الطرق ، ومما يزيد الامر تعقيدا تضـــارب العديد من روايات المعاصرين بما فيهم أعضاء حركة الضباط الاحرار . الا أن هذا التضــــارب والاختلاف فى الروايات لن يثنينا عن غايتنا أيمانا منا بأن القضايا كلما افترقت الآراء والمذاهب حولها كلما بدت مهمة الباحث أكثر أهمية ، وعلى ضوء هذا الاعتبار تبدو أهمية العودة الى معاهدة ١٩٣٦ باعتبارها حداً فاصــلا فى تاريخ الجيش المصرى ، حيث أتيحت الفرصة ولاول مرةأمام الطبقات المتوســـطة والفقيرة للالتحاق بالكلية الحربية وشاءت الظروف أن ترسل مجموعة من الضباط بعد تخرجها سنة ١٩٣٨ الى معسكر منقباد « فى صـــعيد مصــــر » ولعلها كانت فرصة ثمينة لكى يتحدثون ويتناقشون فيما بينهم حول اضطراب الحالة السياسية فى مصر وفى منقباد وضعت اللبنة الاولى فى تنظيم الضباط حيث تعاهدوا (جمال عبد الناصر وأنور السادات وزكريا محى الدين) عـــلى العمل من أجل خلاص مصر من السيطرة البريطانية (٨٢) .

---

(٦٨) عبد اللطيف البغدادى مصـدر سبق ذكره ص ١٥ ، أنور الســـادات البحث عن الذات ص ٤٣ .

(٨٣) لقاء مع حسين الشافعى ١١ ابريل ١٩٨٣ الدقى القاهرة ، مذكرات كمال الدين رفعت مرجع سبق ذكره ص ١٤ ، ١٥ ، مذكرات عبد اللطيف البغدادى مرجع سبق ذكره ص ١٣ ، جورج فوشيه ١٩٥٩/١٢/٣٠ ــ الهيئة العامة للاستعلامات ص٧٤٧ .

وفى الوقت الذى كانت فيه مصر تعج بالالوف الحاشدة من جنود بريطانيا ومستعمراتها من شتى الملل والالوان ، الوافدون من مختلف انحاء الامبراطورية تعرض الجيش المصرى لأبشع الاهانات من الجنود السكارى الذين كانوا يرتكبون الفظائع كل يوم فى شوارع القاهرة والاسكندرية • كان الضباط الشبان يشاهدون هذه المناظر الاليمة ويرون باعينهم اعتداءات الجنود البريطانيين على الاهالى وهم يكادون يتمزقون من الغيظ والغضب ولم يكن هذا هو مصدر ألمهم الوحيد وانما كانوا يعانون دلخل الجيش من السيطرة البريطانية ممثلة فى البعثة العسكرية البريطانية وعلى الرغم من أن قيادة الجيش المصرى كانت قد تمصرت عقب معاهدة ١٩٣٦ وتخلص الجيش من السردار الانجليزى الا أن السياسة البريطانية لم تتخل عن قبضتها الحديدية على الجيش من خلال البعثة العسكرية التى كانت تعمل فى الظاهر على تطوير الجيش وتحديثه بينما كان هدفها الحقيقى هو العمل على اضعاف هذا الجيش والحيلولة دون تقدمه فقد كان بقاء الجيش البريطانى فى مصر رهنا بعدم مقدرة الجيش المصرى على حماية قناة السويس (٨٤) •

ولعل كل هذه المؤثرات قد دفعت الضباط الشبان كى يتجهوا الى العمل السياسى بهدف تحرير مصر من لاحتلال ، كان هذا هو الاساس الذى تركزت عليه أفكار الضباط الوطنيين بعد أن تأكد لهم عمليا أنمعاهدة ١٩٣٦ لن تؤد الى الاستقلال الحقيقى •

واذا كانت الاسس التى تجمع من حولها الضباط كانت كفيلة بتعميق المفهوم القومى والوطنى لديهم انطلاقا لتنظيم أنفسهم الا اننا لا نستطيع أن نجزم بأن اللقاءات والمناقشات التى دارت فى منقباد تعد البداية العملية للحركة وانما على ما نعتقد كانت « اللبنة » الاولى فى وضع الاساس لانه من البديهيات أن كل الاعمال العظيمة تبدأ بفكرة ، وهكذا كان تواجد بعض الضباط الشبان فى منقباد هو بداية الفكرة وانطلاقا من الفكرة التى وضعت تحت سفح

---

(٨٤) د• عبد العزيز الشناوى ، د• جلال يحيى وثائق نصوص التاريخ الحديث والمعاصر مادة ٨ من معاهدة ١٩٣٦ ص ٧٤٧ •

جبل الشريف فى منقباد كان على الاعضاء أن ينتشروا بأفكارهم ليس فقط داخل القوات المسلحة وانما محاولة التنسيق مع القوى الدينية والسياسية خارج القوات المسلحة (٨٥) .

وحينما طلب عبد لناصر (١٩٣٩) نقله الى السودان بالكتيبة الثالثة مشاة كان يريد دراسة أحوال السودان الذى يحكمه حاكم انجليزى يمثل الحكم الثنائى (الانجليزى المصرى) بالاضافة الى العمل على نشر افكار الجماعة واجتذاب بعض الضباط الناقمين على الاحتلال (٨٦) .

وفى السودان قضى جمال عبد الناصر ثلاث سنوات عاد بعدها الى مصر ليواصل نشاطه وبسرعان ما أخذت حركة الضباط تتسع داخل الجيش وتضم الى صفوفها العناصر المخلصة الساخطة على الاوضاع السياسية الفاسدة وعلى قيادة الجيش المتعاونة مع قوات الاحتلال .

ونحن بصدد الحديث عن بداية حركة الضباط يجدر عدم اغفال ذكر عزيز المصرى حيث كان تعيينه فى منصب رئيس أركان حرب الجيش حافزا قويا لدى الضباط الشبان كى يضاعفوا من نشاطهم بالرغم من عدم وجود علاقة بينة وبين التنظيم الا أن أحاديثه مع الضباط والمرارة الشديدة التى كان يكنها للمحتل ونصائحه المتكررة باعتماد الضباط على أنفسهم وضرورة مواكبتهم للعلوم العسكرية المعاصرة كل هذه المعانى كانت حافزا قويا أمام الضباط (٨٧) .

---

(٨٥) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ص١٣ ، ١٤ ، مذكرات كمال الدين رفعت ص ١٤ ، جمال حماد المصور ١٣ أغسطس ١٩٨٢ .

(٨٦) كمال الدين رفعت ص١٥ ، ١٦ ، د. أحمد فؤاد مصطفى العلاقات المصرية الانجليزية وأثرها فى تطور الحركة الوطنية ١٩٢٤ ــ ١٩٥٣ رسالة دكتوراه جامعة القاهرة سنة ١٩٦٠ ص ٥٢٠ .

(٨٧) لوكاز هيرويز . المانيا الهتلرية والمشرق العربى ص١٤٠ ، د.محمد عبد الرحمن برج عزيز المصرى ص ٥٦ ، أنور السادات البحث عن الذات ص ٥٤ .

وعلى الرغم من أن الاستاذ فتحى رضوان (بحكم صلته الوثيقة بعزيز المصرى) ينفى قيام علاقة رسمية بين تنظيم الضباط وعزيز المصرى الا أنه يؤكد أن دوره كان دور الملهم قد كانت أحاديثه مع الضباط عما فعله فى تركيا وفى تبنية للحركة العربية ودعوته الدائمة للمزيد من الثقافة والمعرفة كل هذه المعانى دفعت الشباب الى الاقدام على الاعمال الوطنية حيث قوى فيهم روح المغامرة فقد كان يحظى بحب الضباط وكانوا يعتبرونه رمزا للوطنية وهو من هذه الناحية يعد صاحب البذرة الاولى فى الثورة فقد كان دائم الحديث معهم عن المهانة التى يلحقها الاحتلال بالوطن وكان ينزع الخوف من قلوبهم (٨٨) ٠

وكما تعلق الضباط الشبان بعزيز المصرى وهو على رأس الجيش بحماسته ووطنيته كان ابعاده عن الجيش سنة ١٩٤٠ عن طريق الانجليز سببا فى أن يزداد ارتباط الضباط بشخصه وتعلقهم بأفكاره وسرعان ما أخذوا يسعون اليه فرادى وجماعات يستمعون اليه وهو يحدثهم عن أنفسهم باعتبارهم الوسيلة الوحيدة لخلاص مصر (٨٩) ٠

وعلى ما يبدو فان هذا التنظيم بقى حتى سنة ١٩٤٢ مفتقدا الى الهيكل التنظيمى وكل ما حدث أن جماعة من الضباط تجمعهم الصداقة تارة والزمالة فى الدراسة تارة اخرى ويربط الجميع شعور واحد هو كراهية الانجليز لذلك فقد اتسمت خططهم بالحماسة بعيدا عن الموضوعية ومن هنا كان رأى جمال عبد الناصر بأن العمل على قيام جهاز قوى لقيادة هذا التنظيم هو بداية الشرارة التى من الممكن أن تنطلق فى أى وقت (٩٠) ٠

---

(٨٨) لقاء مع فتحى رضوان ١٢ أغسطس ٠

(٨٥) من خطبة جمال عبد الناصر فى عيد ثورة ٢٣ يونيو ١٩٦٢ الاخبار والاهرام ٢٤ يوليو ١٩٦٢ ، جمال حماد المصور ١٣ أغسطس ١٩٨٢ ٠

(٩٠) د٠ أحمد فؤاد مصطفى مرجع سبق ذكره ص٥٢٠ ، مذكرات عبد اللطيف البغدادى ص ١٢ ، انور السادات هذا عمك جمال يا ولدى ص ٨٢ ٠

ووفقا لمعظم الروايات فان فكرة التنظيم قد بدأت فى منقباد سنة ١٩٣٨ بما فى ذلك رواية أنور السادات والتى ضمنها كتابه ـ أسرار الثورة المصرية ـ حيث يقول : تبدأ القصة بمجموعة من الملازمين الشبان اجتمعوا للخدمة معـا فى منقباد ـ وأخذت تلك المجموعة تلتف حول شاب من بينهم يمثل الشخصية الصعيدية وكان هذا الشاب هو جمال عبد الناصر الذى استحوذ بخصـالة واتزانه على اعجاب واحترام زملائه . وأضحى بمثابة الرائد لهذه المجموعة حيث رسم لافرادها رسالتهم الكبرى فى مقاومة الانجليز(٩١) .

ويبدو من حديث السادات أن هناك تنظيما قائما ولعل هذا واضحا من خلال لقاءات أنور السادات بالشيخ حسن البنا والفريق عزيز المصرى حيث كان لقاؤه بهما سنة ١٩٤٠ بصفته مندوبا عن تشكيل الضباط حيث يتحـدث عن عزيز المصرى قائلا : لقد كان على أن أرجع الى التشـكيل قبل المقابلة وكان على أن أعود اليهم بعد المقابلة ، فلابد من الحذر لان أى شـك يحـوم حـولى قـد يذهب بالتشكيل كله (٩٢) .

وفى رواية أنور السادات أيضا وهو يتحدث عن لقائه بحسن البنا « اننى لا أعمل وحدى بل ان هنـاك تشكيلا معينا موجودا وأن البلاد لن تتخلص من الاستعمار الا بانقلاب عسكرى يقوم به رجال الجيش » (٩٣)

وهذا مما يضاعف من اعتقادنا بأن التشـكيل كان قائمـا بالفعـل وأن الاتصالات التى يقـوم بها انور السـادات كانت بتكليف من الضـباط الاحـرار (٩٤) .

وعلى ما يبدو فان التنظيم سنة ١٩٤٢ كان قد وصل الى درجة متقدمـة من التخطيط والتنظيم لان ردود الفعل التى أحدثها حصار الدبابات فى ٤ فبرايـر ١٩٤٢ تؤكد هذا الاعتقاد سواء فيما قرره الاعضاء من اعلان ثورة عسـكرية

---

(٩١) أنور السادات أسرار الثورة المصرية دار الهلال عدد ٧٦ ص ٥٧ ، ٥٨ .
(٩٢) نفس المرجع ص ٥٢ .
(٩٣) نفس المرجع ص ٥٢ ، ٥٣ .
(٩٤) مذكرات عبد اللطيف البغدادى مرجع سبق ذكره ص ١٣ ، جمال حماد المصور ١٣/٨/١٩٨٢ .

بهدف ابادة القوات البريطانية العائدة من العملية • أو مما اقترحه بعض الاعضاء من اغتيال كل الذين اشتركوا فى مأساة ٤ فبراير ١٩٤٢ أو فى محاولة لتنسيق مع بعض القوى الاخرى مثل الاخوان المسلمين أو بعض اليساريين (٩٥) •

وعلى ضوء العديد من الروايات التى ذكرناها تبدو عدة أمور أشبه بالحقائق •

أولاً :

ان فكرة تنظيم الضباط الاحرار ترجع الى سنة ١٩٣٨ حيث تجمع الضباط الشبان فى معسكر منقباد •

ثانياً :

لعل الفترة من سنة ١٩٣٨ وحتى سنة ١٩٤٢ تعد فترة اعداد وترتيب ولم ترق بالتنظيم الى شكله النهائى •

ثالثاً :

ان احداث ٤ فبراير وما صاحبها من ردود فعل عنيفة داخل الجيش تعد بمثابة المرحلة الثانية من التنظيم ولعلها مرحلة الاعداد وقيام التنظيم ببناء العديد من الخلايا داخل الجيش وخارجه (٩٦) •

واعتقد ان ما حدث فى ٤ فبراير كان بداية الخطوات العملية حيث أقسم الضباط على الثأر من الانجليز وليس من المعقول أن يقدموا على عمل خطير كهذا سواء بالثورة ضد الانجليز أو اغتيال كل من شارك فى ٤ فبراير الا اذا وضعت الاسس الكفيلة ببناء هذا لتنظيم بناء اجيدا أو بمعنى آخر الوصول بالتنظيم الى مرحلته العملية وبصدد الحديث من الضباط الاحرار لابد من تناول كل الدراسات التى أعدت سواء ممن شاركوا فى الاحداث أو من عاصروها على حد سواء • الا أن الامر يزداد غرابة وتبدو الامور أكثر تعقيدا حينما يناقض أنور السادات نفسه ففى كتابه « البحث عن الذات سنة ١٩٧٨ » نجده يضرب

---

(٩٥) عبد اللطيف البغدادى المرجع السابق ص ١٢ ، ١٣ ، أنور السادات اسرار الثورة المصرية ص ٦٦ ، ٦٧ اسحاق الحسينى مرجع سبق ذكره ص ٢٢٢ •

(٩٦) أنور السادات هذا عمك جمال يا ولدى ص ٨٢ ، محمد حسنين هيكل مرجع سبق ذكره ص ٣٤٠ ، ريتشار وميشيل الاخوان المسلمون ترجمة عبد السلام رضوان القاهرة ١٩٧١ ص ٥٩ •

عرض الحائط بكل ما ذكره فى كتابه « اسرار الثورة المصرية ، هذا عمك جمـــال يا ولـدى » حيث يتحدث عن تنظيم مغاير تماما للتنظيم الذى تحدث عنــه من قبل فيقول : لقد أنشأت سنة ١٩٣٩ أول تنظيم سرى من الضباط وكان من بين أعضائه عبد المنعم عبد الرؤف وعبد اللطيف البغدادى وحسن ابراهيم وخـــالد محى الدين وأحمد مسعودى وحسن عزت والمشير أحمد اسماعيل (٩٧) ونظرا لاعتقال أنور السادات (أغسطس ١٩٤٢) فقد تسلم جمال عبد الناصر قيـــادة هذا التنظيم فى أوائل سنة ١٩٤٣ عقب عودته من السودان (٩٨) • ولم يترك السادات أية فرصة كى يتجه بنا الظن الى أن التنظيم الذى يعنيه كان تنظيما آخر خلاف الضباط الاحرار ولعل هذه المعلومات الجديدة والتى تضمنها كتـــاب البحث عن الذات تكشف لنا عن أمرين هامين ؟••

أولهما : أن المؤسس الحقيقى لتنظيم الضباط الاحرار هو أنور السادات وليس جمال عبد الناصر •

ثانيهما : أن بداية التنظيم ترجع الى سنة ١٩٣٩ وليس الى سنة ١٩٣٨ كما ذكر معظم الضباط الاحرار •

ونظرا لاهمية تلك الرواية وخطورتها فلابد من تحقيقها ودراستها دراســة موضوعية نظرا لما يترتب عليها من نتائج بالغة الخطورة وعلى ضوء ما ذكــره الضباط الطيـــارين والذين ذكر الســادات أسماءهم ضمن تنظيمه أنهم جميعا أنكــروا انضــــمامهم فى هذه الاونة الى أى تنظـــيم خلاف تنظيم الطـيران (٩٩) •

فاذا كان السادات يعمل ضابطا فى سلاح الاشارة فمن البديهى أن يتجـــه تفكيره الى زملاء السلاح الواحد بدلا من الاتجاه الى سلاح الطيران هذه واحـــدة أما الثانية فلقد ذكر السادات أن من بين الذين قام عليهم التنظيم عـو الضــابط

---

(٩٧) أنور السادات البحث عن الذات ص ٣٠ •

(٩٨) المرجع السابق •

(٩٩) مذكرات عبد اللطيف البغدادى ص ٩ ــ ١٥ ، جمال حماد المصـــــدر ١٣ أغسطس ١٩٨٢ ، حسين الشافعى لقاء شخصى ١٠ ابريـــــــل سنة ١٩٨٣ •

خالد محى الدين فاذا تغاضينا عن حقيقة صارخة وهى أنه عندما ذكر السادات اسمه ضمن تنظيم سنة ١٩٣٩ لم يكن قد تخرج بعد من الكلية الحربية فكيف نتغاضى عما ذكره خالد محى الدين نفسه من أن أول صلة له بأحداث السياسة كانت فى صيف سنة ١٩٤٢ عندما عين حارسا على الطيار حسن عزت بعد اعتقاله مع السادمت فى ميس سلاح الفرسان فى قضية الجاسوسيين الالمانيين فى أغسطس ١٩٤٢ وأن حسن عزت هو أول من وجه اهتمامه الى السياسة (١٠٠) ٠

ومن المؤكد أن أنور السادات قد صدق نفسه ومضى فى ذكر العديد من المغالطات التاريخية والتى تتناقض ومذكرات أعضاء الضباط الاحرار سواء منها ما نشر فى عهد عبد الناصر أو بعد وفاته ، حيث حرص السادات على أن يؤكد فى كتابه « البحث عن الذات » أن عودة عبد الناصر من السودان كانت فى ديسمبر سنة ١٩٤٢(١٠١) وربما لو ذكر السادات التاريخ الحقيقى لعودة عبد الناصر من السودان وهو نوفمبر ١٩٤١ لانتابت الناس الدهشة ولتساءلوا ؟ كيف لم تتم أية لقاءات بين عبد الناصر وزميله السادات فى القاهرة عقب عودة الاول من السودان طوال المدة التى أمضاها فى مصر قبل اعتقال السادات — من نوفمبر ١٩٤١ وفى أغسطس ١٩٤٢ — والسؤال الذى يعرض ، لماذا لم يدعو السادات زميله وصديقه عبد الناصر الى الانضمام الى تنظيمه الذى أنشأه عام ١٩٣٩ بالرغم من أن جمال عبد الناصر قد خدم مع السادات عقب عودة الاول من السودان حيث أمضيا معا ما يقرب من تسعة أشهر من نوفمبر ١٩٤١ وحتى أغسطس ١٩٤٢ منها ستة أشهر قضاها عبد الناصر بالكتيبة الثالثة مشاة بمنشية البكرى بالقاهرة (١٠٢) ٠ وكان السادات باعترافه يخدم فى نفس الفترة كضابط اشارة بمنطقة الجبل الاصفر فى القاهرة (١٠٣) ٠

وعلى ما اعتقد فلو أن السادات قد ذكر التاريخ الحقيقى لعودة عبد الناصر من السودان (نوفمبر ١٩٤١) لما استقامت القصة ولتساءل الناس أين كان

---

(١٠٠) المصدر السابق ٠
(١٠١) البحث عن الذات ٠
(١٠٢) ملف خدمة جمال عبد الناصر مجلة المصور ١٣ أغسطس ١٩٨٢ ، الاهرام ٢٣ يوليو ١٩٥٧ ٠
(١٠٣) البحث عن الذات ص ٨٩ ٠

عبد الناصر طوال هذه الفترة الا ان اعتقال السادات فى اغسطس ١٩٤٢ وعـودة عبد الناصر من السودان فى ديسمبر ١٩٤٢ وفقا لرواية السادات يتمشى مـــع ما نسجه عليه الخيال من قيادة الحركة الوطنية داخل الجيش والمســألة مـن وجهة نظره تستلزم تغييرا بسيطا فى التاريخ ليصبح تاريخ عـودة عبد النـاصر من السودان ديسمبر ١٩٤٢ بدلا من نوفمبر ١٩٤١ وهكذا اسـتقام الامــر ليصبح التسلسل منطقيا ومقبولا • الا أنه يعد منطقيا من وجهة نظـره فقـط لأن الحقائق التاريخية تبقى ناصعة وأما الزبد فيذهب جفاء •

ولعل أنور السادات قد تناسى أنه قد ذكر فى احـدى كتبه والتى نشرهـــا فى عهد عبد الناصر أن عودة الاخير من السودان كانت فى نوفمبر سنة ١٩٤١ وفى مارس ١٩٤٢ انضم الى الكتيبة الثالثة مشاة وفى نوفمبر سنة ١٩٤٢ أختـــير مدرسا فى الكلية الحربية وهى الفترة التى قام فيها التنظيم بعمليات البنـــاء العملى بعد ما تأكد للضابط أن الاحزاب السياسية قد اهترأت وعجزت عن تمثيل الشعب المصرى تمثيلا حقيقيا (١٠٤) •

وعلى ضوء العديد من الروايات فان التنظيم الذى أقيم سنة ١٩٣٩ داخل سـلاح الطيران والذى أشار اليه السادات كان شعبة من ضمن عشرات الشعب التى انشئت داخل الجيش الا أن شهرة تنظيم الطيران ترجع الى بعض الاعمال الانتحارية التى أقدم عليها الطيارين ولعل أهمها ما أتفق عليه الاعضـــاء من جمع المعلومات والصور عن نشاط قوات الحلفاء فى مصر وارسالها الى القيـادة العسكرية الالمانية فى مرسى مطروح (١٠٥) • حيث استقل أحد أفراد اللجنة وهو الضابط أحمد مسعود أبو على طائرة مقاتلة من النوع البريطانى ومعه حقيبة بها كل ما أمكن جمعه من معلومات واتجه بها نحو منطقة مرسى مطـــــروح (الاثنين ٢٩ يونيو ١٩٤٢) والغـالب ان طـائرته قـد اسقطت بواســـطة الدفاع الجوى الالمانى لان نفس النوع من الطائرات كانت تستخدمه القـــوات البريطـــانية (١٠٦) •

---

(١٠٤) أنور السادات هذا عمك جمال يا ولدى ص ٨٢ ، ٨٥ ، عبـد اللطيف البغدادى ص ١٣ ــ ١٨ •

(١٠٥) لقاء مع حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية السابق الاثنين ١١ ابريل ١٩٨٣ •

(١٠٦) المصدر السابق ، مذكرات عبد اللطيف البغدادى ص ٢٢ ، ٢٣

ويضف أحد أعضاء التنظيم قائلا : لقد كلف أحد الطيارين المصريين بالبحث عن الطائرة التى استقلها مسعودى ولكن بدلا من أن يعود هـذا الزميل فقـد توجه هو الآخر بطائرته نحو مرسى مطروح تاركا تشكيله ويبدو أن هذا التصرف قد كشف للمسئوليين فى البعثة العسكرية البريطانية الغـرض من عمـلية مسعودى وأجروا تحقيقا ولكنهم لم يتوصلوا الى شىء يكشف أمر التنظيم الا أن عددا من أفراد سلاح الطيران قد أبعدوا عن الجيش اثر هذا الحادث (١٠٧) ٠

وتشير الوثائق الامريكية الى العلاقة بين حركة الاضطراب فى الجيـش المصرى والقصر على اعتبار أن ما أصاب فاروق فى ٤ فبرايـر ١٩٤٢ قد أحـدث حالة من الغليان الشديد فى صفوف الضباط وتؤكد نفس الوثيقة وفقا لمصـادر السفارة الامريكية أن هناك خططا محكمة ومتقنة لنشاطات تدميرية على النحو التـالى ٠

أولا : نشر دعايات مضادة للانجليز ومؤيدة للالمان وذلك للتقليل من حجـم التعاون الممكن مع الجيش المصرى ٠

ثانيـا : القيام بعمليات تخريب لوسائل الاتصال والمنشئات الحيوية الاخرى فى وقت متزامن مع هجـوم المانى ناجح صوب الاسكندرية ٠

ثالثـا : جمع ونقل المعلومات للاعداء (١٠٨) ٠

ووفق مضابط مجلس النواب فان النحاس باشا قد اشار من طرف خـفى الى أن القصر وراء تلك الاضطرابات التى تحدث سواء فى سلاح الطيران أو فى غيره من الاسلحة الاخرى (١٠٩) ، وهذا ما يؤكد العلاقة بين ما حدث فى ٤ فبراير وحركة الضباط الاحرار ، ومن الملاحظ أن موقف الضباط فى ذلك الوقت لم يكـن

---

(١٠٧) المرجع السابق ص ٣٣ ، ٣٤ ٠

(١٠٨) وثائق الخارجية الامريكية برقية رقم ٨٤١ من كيرك الى حكومـة ٢٥ مايو ١٩٤٢ ٠

(١٠٩) مضابط مجلس النواب الجلسة الحادية عشرة أول فبراير ١٩٤٣ دور الانعقاد الثانى ص ٣٥٠ ــ ٣٧٥ ٠

يحمل أى نوايا عدوانية تجاه فاروق والذى كان يحظى بشعبية جارفة وسط صفوف الضباط ولم يكن التفكير فى خلعه من بين المسائل التى كانت موضع تفكير لدى قوة سياسية أو عسكرية (١١٠) ٠

واذا كانت حركة الضباط قد استمدت قوتها من احداث ٤ فبراير وما صاحب ذلك من رضاء فاروق على تلك الحركة الا أن هذا لا يعنى أن الحركة كانت تعمل فى اطار مخططات القصر بدليل انها قد غيرت من استراتيجيتها عقب الحرب ووضعت فى اعتبارها التخلص من فاروق والاحتلال معا ولو كان فاروق على علم بسياستها لامكنه التخلص منها ووأدها فى الوقت المناسب وهذا يدفعنا الى الاشارة الى « التنظيم الحديدى » والذى نشأ فى اطار القصر بهدف محدد وواضح وهو اغتيال كل من ساهم فى ٤ فبراير (١١١) وهذا التنظيم يختلف تماما عن تنظيم الضباط الاحرار على الرغم من أن بعض الضباط الاحرار كانوا يعملون ضمن هذا التنظيم اعتقادا منهم بأن لهدف واحد وهو التخلص من الانجليز والوفد معا (١١٢) ٠

ولعل هذا مما دفع السفير الامريكى الى أن يبعث الى حكومته قائلا : ان الملك فاروق يلعب لعبة خطرة ترتكز على ما يسمى (بالحرس الحديدى) المكون من بعض ضباط الجيش والحرس الخاص للملك فاروق وأن المخابرات البريطانية على بينة من أمر هذا التنظيم الذى قد يترتب عليه ابعاد فاروق عن مصر نهائيا (١١٣) ٠

واذا كان تنظيم اضباط الاحرار لم يكن يحمل أى نوايا عدوانية الى فاروق حيث اقتصر تفكير الضباط خلال الحرب العالمية الثانية على الانتقام من الاحتلال البريطانى باعتباره حجر الزاوية فى حركة الاستقلال الوطنى ٠ الا أن تصرفات

---

(١١٠) فؤاد سراج الدين لقاء شخصى ١٩٨٢/١١/١٢ ، حسين الشافعى لقاء ١١ ابريل ١٩٨٣ ٠

(١١١) أحمد مرتضى المراغى مرجع سبق ذكره ص٦٤ ــ ٦٨ ٠

(١١٢) حسين الشافعى ١١ ابريل ١٩٨٣ ٠

(١١٣) الوثائق الامريكية وثيقة رقم ٤٣٣ من كيرك الى حكومته ٢٩ يونيه سنة ١٩٤٢ ٠

الملك فاروق فيما بعد وانغماسه فى الملذات وانصرافه تماما عن مـــصالح الشـعب وقضاياه العامة ثم ما أعقب ذلك من حرب فلسطين والتى استهلكت قدرا كـبيرا من نشاط الضباط الاحرار حيث تأكد لهم من خلالها أنه لا فرق بين المحتـــــــل البريطانى والملك فاروق فكلاهما عدو حقيقى للشعب المصرى (١١٤) ٠

وقبل أن نخلص من تلك الدراسة فاننا ننوه الى عدة أمور هامة ؟٠٠

أولا : أن التأريخ للضباط الاحرار من بين الموضـوعات التى تعرضت لحركة تزييف ومزايدة لان العديد من الكتابات التى تناولت هذا الموضـــــوع لم يتجـرد أصحابها من عامل الرغبة أو الرهبة فى محـاولة لاظهـــــار بطولات شخصية على حساب الحقائق التاريخية أعتمادا على عدم الافراج عن الوثائق الرسمية لثورة ٢٣ يوليو ولذا فاننا نعتقد أن الكلمة الاخـيرة فى هذا الموضوع لم تذكـر بعـد ٠

ثانيا : أن حركة الضباط الاحرار قد بدأت بفكرة راودت بعض الضـباط الشبان فى منقباد سنة ١٩٣٨ ٠ حيث وضعت اللبنة الاولى فى قيـــــام هـــذا التنظيم وأن ما ذكر من قيام تنظيمات أخرى سواء فى سـلاح الطيران أو فى غيره من الاسلحة كانت فى اطار هذا التنظيم ٠

ثالثا : أن المرحلة الثانية من حركة الضباط قد بدأت عقب ٤ فبراير ١٩٤٢ حيث عاد عبد الناصر الى القاهرة ضمن الكتيبة الثالثة مشاة ولذا فان هـــــذه الفترة تعد البداية العملية للتنظيم حيث بدأ ينتشر داخل وحدات القوات المسلحة المصرية (١١٥) ٠

رابعا : ان المرحلة الثالثة (وهى لا تدخل ضمن دراستنا) تبدأ من حـــــرب فلسطين حيث تأكد للضباط أن الاصلاح لابد وأن يكون شـاملا وجامعا بهـدف الاطاحة بكل الذين يعملون ضـد مصر بما فيهم الملك ، فاروق نفسه ٠

---

(١١٤) محمد نجيب أول رئيس جمهورية مصرى ـ كلمتى للتـاريخ ص ١٣ ٠ ١٤ جمال حماد المصور ٢٠ أغسطس سنة ١٩٨٢ ٠

(١١٥) حسين الشافعى ١١ ابريل ١٩٨٣ لقاء شخصى ـ الدقى ـ القاهرة ٠

الفصـــل الســـادس

سياسة القصر عقب حادث ٤ فبراير ١٩٤٢م

- مسئولية القصر عن تفاقم الصراع بين مكرم عبيد والنحاس ..
- سياسة فاروق تجـاه الوفـــد ...
- وزارة احمد ماهر وانتقال الوفد الى جبهة المعارضة ..

مسئولية القصر عن تفاقم الصراع بين مكرم عبيد والنحاس :-

لم تكن القوى المناوئة للوفد بغافلة عن الظروف الصعبة التى احاطت بأحداث ٤ فبراير وردود الفعل التى واكبت تلك الاحداث ٠ ومن هنا تعددت المؤامرات بهدف النيل من الوفد ولعل اخطر واقسى هذه المؤامرات هى تلك التى توجت بانقسام مكرم عبيد باشا عن الوفد وما تلى ذلك من حملة تشهير واسعة انتهت بتجميع المئات من التهم باستغلال النفوذ والمحسوبية والفساد ضد قيادات الوفد وضد الدوائر المقربة من النحاس وزوجته (١) وكان لابد لهذه الحملة من ان تترك أثرها على جماهيرية زعيم اكتسب أكبر قدر من زعامته الطاغية بسبب بساطته وترفعه عن الكسب الشخصى (٢) ٠

وكان من الصعب على دوائر القصر ان تتلقى هزائم ٤ فبراير دون ان تفكر فى الانتقام من الوفد ومن زعيمه مصطفى النحاس واختار القصر ميدانا جديدا للنيل من الوفد وهو الوقيعة بين القطبين الكبيرين فى الوفد وهما مصطفى النحاس ومكرم عبيد ٠

وبينما كانت البلاد ترقب بكل اهتمام تطورات الحرب على حدودها الغربية وتتوقع ما قد تسفر عنه من حوادث جسام كانت الوزارة تعانى فى داخلها بوادر انقسامات خطيرة بدأت تظهر آثارها فى النصف الثانى من شهر مايو سنة ١٩٤٢ فلقد اعتقدت الجماهير ان مكرم عبيد (سكرتير الوفد ووزير المالية) هو محرك الوفد ومركز نشاطه وحركته الدائمة والقوة الدافعة فى الانتخابات وفى غير الانتخابات من مظاهر النشاط الشعبى بل وزاد الاعتقاد انه هو الذى يحرك النحاس باشا فى نشاطه السياسى الى اليمين والى اليسار بحكم اتصاله بعدد كبير من الساسة الانجليز وبحكم دراسته فى اكسفورد واسفاره الكثيرة الى انجلترا وعلاقته الوطيدة برجال حزب العمال وعلى رأسهم رامزى ماكدونالد (رئيس حزب العمال) وقد كان النحاس يضاعف

---

(١) تقرير لجنة التحقيق فى الوقائع الماسة نزاهة الحكم فى عهد الوزارة النحاسية « المطبعة الاميرية » القاهرة سنة ١٩٤٥ ص ٠

(٢) د٠ رفعت السعيد تاريخ المنظمات اليسارية فى مصر ص ٩٤ ، جلال الحمامصى معركة نزاهة الحكم ص ٤٠ ٠

اعتقاد الجماهير فى مكرم عبيد وقوته بما سبغه عليه من اوصاف وما يظهره من ثقته به ثقة لا حد لها وكان مكرم هو همزة الوصل بين النحاس والسفارة البريطانية مساء ٤ فبراير وهو الذى اشرف على صيغة الخطابين اللذين تبودلا بين النحاس والسفير البريطانى لتأليف الوزارة • (٣)

ووفق العديد من الروايات التى ادلى بها عدد كبير من المعاصرين فاننا نستطيع ان نجمل اسباب الخلاف بين النحاس ومكرم عبيد فيما يأتى : ـ

أولا : ـ تلك الغيرة التى دبت بين مكرم عبيد وبين السيدة زينب الوكيل حرم النحاس ويقول السفير البريطانى « ان زوجة رئيس الوفد قد سعت ما وسعها الجهد الى استقلال زوجها عن الرجل الذى استمر لسنوات طويلة مستشاره الرئيسى والرئيس الحقيقى لحزب الوفد » (٤) وتعترف زينب الوكيل انها سعت الى استقلال زوجها عن الرجل الذى كان سببا فى كل الانشقاقات التى اصابت الوفد وانها اقدمت على ذلك حرصا منها على مصلحة الوفد فى المرتبة الاولى (٥) •

وعلى ما يبدو فان النحاس باشا كان مجالا للصراع بين السيدة زينب الوكيل وبين مكرم عبيد حيث نأ الاولى بدأت تمارس على زوجها نوعا من السيطرة فاصطدمت بذلك مع مكرم عبيد الذى كان يعمل هو الآخر على السيطرة على النحاس أو كان يسيطر عليه بالفعل ولذا فقد اعتقد البعض بان هذا النزاع يعد صراعا بين قوتين تحاول كل منهما السيطرة على شخصية أخرى ومن هنا فقد كان انتصار زينب الوكيل باعتبارها زوجة وعلى قدر كبير من الجمال واقرب إلى النحاس من مكرم عبيد (٦) •

---

(٣) د• محمد حسين هيكل مرجع سبق ذكره ج ٢ ص ٢٦٣ مذكرات حسن يوسف ص ١٤٤ ، ١٤٨ •

(٤) نقلا عن الدكتور يونان لبيب رزق • تاريخ الوزارات المصرية ص ٤٤٩ •

(٥) لقاء شخصي مع فؤاد سراج الدين ١٢/١١/١٩٨٢ ، لقاء مع فتحي رضوان ١٠/٨/١٩٨٢ ، محمد التابعي مرجع سبق ذكره ص ٢٣٤ •

(٦) دكتور هيكل مرجع سبق ذكره ج ٢ ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، محمد التابعى مرجع سبق ذكره ص ٥٠ ، فتحى رضوان ٩/٨/١٩٨٢ ، جلال الدين الحمامصى ، حوار وراء الاسوار ص ٩٥ ، مذكرات حسن يوسف ص ١٤٨ ـ ١٥٠ •

واعتقد أن النحاس وقد تخطى الستين من عمره وأمام زوجة ماتزال فى فى عقدها الثالث وعلى قدر كبير من الجمال والذكاء ٠ لذا فقد تنازل عن اشـــياء كثيرة تتعارض مع مصلحة الوفد وتتفق مع مطامع الزوجة الشابة الذكية والتى اهتمت اولا وقبل كل شىء بأذونات التصدير والاستيراد وجمع الاموال عن طريق ما يسمى « بجمعيات البر » بل وقد وصل الامر بتلك الزوجة ان يكـون لهـــا النفوذ الاكبر فى تصريف الامور الى الحد الذى يجعلها تقترح اسماء وزراء بـــل وتعين هؤلاء الوزراء(٧) ٠

ثانيا : لقد بدأ منذ وزارة ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ ظهــور نجم جـــديد فى ساحة السياسة المصرية لم يكن له نشاط سياسى من قبل الا أن نجوميته قـــد تألقت بسرعة استرعت انتباه الجميع ذلك هو محمد فؤاد سراج الدين حيث عين وزيرا للزراعة فى تلك الوزارة وهو لم يتجاوز الخامسة والثلاثين من عمره ثم عين وزيرا للداخلية والشئون الاجتماعية ثم سكرتيرا عاما للوفد عقب خـروج مكـــرم عبيــد (٨) ولاشك ان ظهور فؤاد سراج الدين والثقة الكبيرة التى كان يحظى بها من مصطفى النحاس وزوجته زينب الوكيل لاشك أن هذا العامل قــد اضـــــاف عنصرا جديدا وهاما ضـــاعف من حدة الصراع (٩) ، بالرغم من تنصـــل فؤاد سراج الدين من كونه قد شارك بأى جهد لاساءة العـــــلاقات بين الرجلين الا ان الخوف قد بدأ يتسرب الى قلب مكرم عبيد من هذا النجم الجديد الذىاخذ يستطع فى سماء الوفــد (١٠) ٠

ثالثا : لقد عمل فاروق واحمد حسنين رئيس الديوان على توسيع شـــــقة الخلاف بين عناصر الوفد وذلك باستخدام وسيلة رخيصة وهى اغراء مكرم على انه سيكون زعيم الامة ورئيس الوزراء المقبل وانه يستطيع ان يرث النحــاس

---

(٧) فتحى رضوان لقاء شخصى ١٩٨٢/٩/٨ جلال الحمـــــامصى حـوار وراء الاسوار ص ٥٠ ، ٥١ د٠ هيكل مرجع سبق ذكره ج ٢ ص ٢٦٦ ، محمـــد التابعى مرجع سبق ذكره ص ٢٢٣ مذكرات حسن يوسف ص ١٥٠ ٠

(٨) مجلة روز اليوسف مذكرات ابراهيم عبد الهادى ٩ اغسطس سنة ١٩٨٢٠

(٩) المصدر السابق ، فتحى رضوان مقابلة شخصية ١٩٨٢/٨/١٠ ٠

(١٠) لقاء مع فؤاد سراج الدين ١٩٨٢/١١/١٢ ، محمد التابعى ص ٢٤٧ ، د٠ يونان لبيب الوزارات المصرية ص ٢٤٨ ٠

الذى فقد قدرا كبيرا من شعبيته بعد ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ (١١) ووفق رأى النحاس فان كل الخلافات التى كانت بينه وبين مكرم كان من الممكن احتواؤها لولا احمد حسنين والذى عمل بمهارة على تنمية تلك الخلافات وتفاقمها لصالح القصر (١٢) ٠

ومن المؤكد ان القصر باختياره هذا المجال لكى يكون ميدانا للصراع يعد ذكاء من احمد حسنين والذى لعب دورا ماكرا فى استغلال هذا الحادث بهدف النيل من الوفد لا حبا فى مكرم عبيد ولا حرصا على مصلحة البلاد وانما ارضاء لشهوات القصر وانتقاما من مصطفى النحاس حيث اقسم احمد حسنين عقب ٤ فبراير ان يرد له الصاع صاعين (١٣) وهكذا واتته الفرصة وتمكن من النيل من الوفد وشعبيته حيث اخذ يعمل على توسيع شقة الخلاف بين رئيس الوزراء ووزير المالية فرتب مقابلة لمكرم باشا مع الملك خرج بعدها ليقول لمندوب الاهرام انه لقى من الملك فاروق « ارشادا نافعا واطلاعا واسعا ونظرة دقيقة وعميقة الى جوهر المسائل المعروضة رغم تباينها وبعد نواحيها » الى أن قال : « ولم البث طويلا حتى ادركت ان ملكنا الشاب قد ملك زمام الامور بفضل ما أوتى من رجولة وخبرة منوعة ، قلما أتيحت الملك من الملوك » (١٤) ٠ وهذا الوصف الذى سجله مكرم عبيد يختلف تمام الاختلاف عن الصورة التى رسمها النحاس ومكرم عن الملك للسفير البريطانى منذ سنة ١٩٣٧ وعندما تحرج الموقف فى فبراير سنة ١٩٤٢ ٠

ويقدم محمد التابعى شهادته فى هذا الصدد وهو واحد ممن اتصلوا باحمد حسنين فيقول : « لم يكن احمد حسنين سبب الخلاف بين رئيس الوفد وسكرتير الوفد ولكنه كان احد الذين عملوا بمهارة على توسيع شقة الخلاف » (١٥) ٠

---

(١١) لقاء مع فؤاد سراج الدين ١٩٨٢/١١/١٢ ، فتحى رضوان لقاء شخصى ١٩٨٢/٨/١٠ ، مذكرات ابراهيم عبد الهادى روز اليوسف ١٦ أغسطس سنة ١٩٨٢ ٠

(١٢) من حديث النحاس مع محمد التابعى اسرار الساسة والسياسة ص ٢٤١ ـ ٢٤٢ ٠

(١٣) المرجع السابق

(١٤) الاهرام ١٣ مارس ١٩٤٢ ، مذكرات حسن يوسف وكيل الديوان الملكى ص ١٤١ ٠

(١٥) محمد التابعى اسرار الساسة والسياسة ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦ ٠

ومع اعتقادنا بان شخصية زينب الوكيل وظهور نجم فؤاد سراج الدين كانا من بين الاسباب التى ادت الى القطيعة بين مكرم والنحاس الا ان هذين العاملين كان من الممكن التغلب عليها لولا أن القصر قد لعب الدور الهام والاساسى وخصوصا وان الموضوعات التى طرحها مكرم عبيد والتى اراد ان يتخذها سلاحا للتشهير بالنحاس واقاربه سواء فى مسألة الاستثناءات أو فى اذونات التصدير والاستيراد كل هذه العوامل لم تكن جديدة سواء فى سياسة أو فى سياسة غيره من الاحزاب وأن كل الاحزاب المصرية كانت تلجأ الى هذه الوسيلة لتدعيم انصارها وهذه السياسة لم يسبق لمكرم عبيد أن اعترض عليها (١٦) .

وهنا يبدو السبب الثالث والهام وهو دور القصر وخصوصا احمد حسنين والذى أحس بمرارة ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ ، ولذا فقد رسم سياسته على استخدام مكرم عبيد بمهارة فائقة حتى يقوض حزب الوفد من الداخل ، من ثم يمكنه الاجهاز على النحاس فى الوقت المناسب . واعتقد أن هذا هو العامل الحقيقى وراء القطيعة بين الرجلين ومما يؤكد وجهة نظرنا تلك ان مقابلة مكرم عبيد للملك فاروق كانت فى ١٢ مارس ١٩٤٢ ولم يمض على احداث ٤ فبراير اكثر من شهر .. وحتى يبدو هذا الحكم اكثر موضوعية فلابد من تتبع مراحل الصراع بين النحاس ومكرم ، والترقب الذى كان باديا على القصر حتى تمكن من الانقضاض فى الوقت المناسب ، وعلى ضوء شهادة احمد حسنين (رئيس الديوان) والذى صرح قائلا « رغبة منى فى تصفية الجو بين الملك والوزارة سعيت عند الملك حتى وافق على مقابلة مكرم عبيد وامين عثمان .. لاننا جميعا كنا نعرف ان مكرم هو زراع النحاس اليمنى ومستشاره فى الشئون الداخلية والمالية .. وان امين عثمان هو زراعه اليسرى ومستشاره فى الشئون الخارجية ، فكان من المرغوب فيه والحالة هذه ان نوثق علاقتنا بهذين الزراعين أو بالرجلين المقربين الى رئيس الحكومة هكذا طلبت من مكرم باشا ان يلتمس مقابلة الملك لسبب ما ،

---

(١٦) الاهرام ١٩٣٧/١١/٢٢ ، المصرى ٢٤ ـــ ١١ ـ ١٩٣٧ ، آخر ساعة ٣١ مايو سنة ١٩٤٣ .

واقترح مكرم ان اعداد أوراق النقد الجديدة تقتضى أن يعرض الرسم الجديد على جلالة الملك قبل البدء فى طبعه وتمت المقابلة واستطاع مكرم ان يحظى بعطف المـلك (١٧) .

اذن فان احمد حسنين السياسى الداهية يزعم انه سعى لدى فاروق حتى اقنعه بالموافقة على مقابلة مكرم عبيد رغبة منه فى تصفية الجو وتحسين العلاقات بين الوفد وفاروق وهذا ما قاله أو زعمه احمد حسنين .

ولعل غرض حسنين كان ابعد ما يكون عن الصفاء والوئام حيث كان الهدف الاول لرئيس الديوان ان يوقع بين النحاس ومكرم من جانب وبين امين عثمان والنحاس من جانب آخر أو بعبارة اخرى ان ينتزع من رئيس الوفد زراعيه الاثنين اللذين يستند اليهما فى ادارة شئون البلاد الداخلية والخارجية .

وياله من انتصار يمحو عار هزيمة ٤ فبراير يوم ان ينجح حسنين فى ضم مكرم وامين عثمان الى معسكر القصر ولعل هذا هو الغرض الحقيقى من هذه الخطوة والتى جمع فيها بين فاروق ومكرم عبيد ، ولو كان احمد حسنين صادقا فى نيته لعمل على ان يكون هذا اللقاء مع النحاس باشا نفسه باعتباره رئيس الحزب ورئيس الحكومة وبالفعل صدق قول مصطفى النحاس حيث أعلن عند سماعه بنبأ هذا اللقاء « ان الغرض من هذا اللقاء هو التفرقة بين مصطفى النحاس ومكرم عبيد » (١٨) .

وكان هذا هو الفصل الاول حيث مضت الحوادث بعد ذلك سريعة متعاقبة فلقد خرج مكرم من مقابلة فاروق مغتبطا مسرورا واملى تصريحا على الصحف يحمل كثيرا من كلمات الثناء على الملك وعلى حد قوله : « لقد أتيح لى أن أعرف الرجل الملك فكان الرجل فى رجولته لا يقل جلالة عن الملك فى مملكته (١٩) ومما

---

(١٧) ضمن حديث احمد حسنين مع محمد التابعى ، اسرار الساسة والسياسة ص ٢١٨ ، روز اليوسف ١٩ اكتوبر سنة ١٩٤٤ .

(١٨) لقاء شخصى مع فؤاد سراج الدين ١٩٨٢/١١/١٢ جاردن سيتى القاهرة ، محمد التابعى مرجع سبق ذكره ص ٢١٩ .

(١٩) الاهرام ، المصرى ١٣ مارس ١٩٤٢ ، السياسة ١٥ مارس ١٩٤٢ .

يضاعف من اعتقادنا بان ما حدث كان مؤامرة نصبها احمد حسنين لمصطفى النحاس ومكرم عبيد فلم تكن العادة قد جرت وقتئذ على أن يخرج الوزير من لقاء الملك ويصف المقابلة فى مقال ينشر فى الصحف مما ادى الى التصادم بين مصطفى النحاس ومكرم عبيد ، الا ان عقلاء الوفد قد سعوا الى ترضية النحاس ومحاولة اقناعه بصدق نية مكرم عبيد الا أن مكرم على مايبدو كان عازما على المضى الى آخر الطريق (٢٠) ٠

وجاءت الازمة الفاصلة فى موضوع الاستثناءات اذ طلب النحاس باشا ترقيات استثنائية لثلاثة من العاملين معه فى وزارة الداخلية وأحيل الطلب الى اللجنة المالية برئاسة مكرم باشا فرفضته بحجة ان تلك الترقيات لا تتفق والقواعد المعمول بها فى وزارة المالية زيادة على ما فيها من اجحاف بحقوق الموظفين الذين يراد تخطى دورهم فى الترقية علما بان الكثيرين منهم اقدم من الموظفين المطلوب ترقيتهم ترقية استثنائية علاوة على انهم اكفاء وممتازون فى عملهم فاذا ما انفرد بالاستثناء فئة من الموظفين فسيسود التذمر نفوس الاخرين وينخفض تبعا لذلك مستوى العمل فى المصالح والدواوين وطالبت اللجنة فى مذكرتها ان يوصد باب الاستثناء حتى تنجلى الحالة المالية المترتبة على الحرب والتى زادت من اعباء الميزانية وان تلتزم الوزارات والمصالح حدود القانون (٢١) ٠

وفى اجتماع مجلس الوزراء فى ٢١ مايو صمم النحاس باشا على طلبه ووافقه جميع الوزراء ماعدا وزير المالية (مكرم عبيد) ونشرت احدى الصحف مذكرة اللجنة المالية بمنع الاستثناءات بين الموظفين (٢٢) وبهذا اصبح معروفا ان الخلاف بين النحاس ومكرم قد بلغ مداه ٠

---

(٢٠) لقاء مع فؤاد سراج الدين ٨ ، ١٩٨٢/١٢/١١ ، محمد زكى عبد القادر محنة الدستور ص ١٣١ ـ ١٣٢ ، مذكرات ابراهيم عبد الهادى روز اليوسف ١٦ أغسطس ١٩٨٢ ، مذكرات حسن يوسف ص ١٤١ ٠

(٢١) ملحق بمضبطة مجلس النواب ٠ دور الانعقاد العادى الاول ١٨ اغسطس ١٩٤٢ ص ١٤٥٥ ـ ١٥٠٠ ٠

(٢٢) الاهرام ١٤ مايو سنة ١٩٤٢ ٠

وبالرغم من ان مذكرة اللجنة المالية قد بنت رفضها على العديد من المبررات الشرعية والقانونية الا ان هذا المسلك يعد جديدا أو غريبا على مكرم عبيد وهو الذى انبرى الى الدفاع عن الاستثناءات التى اقدمت عليها حكومة الوفـــد سنة ١٩٣٧ وكانت له وجهات نظـر اعتمدت فى اساسها على ان الوفديين قـــد اضطهدوا فى ظل وزارات الاقلية (٢٣) •

وكان قرار مجلس الوزراء بعدم الاخذ بوجهة نظـر اللجنة المــالية (٢٤) ضاربا عرض الحائط بما ورد فى المذكرة بمثابة القشة التى قصمت ظهــــــر البعير حيث اعلن النحاس عدم امكانه التعاون مع مكرم وطلب منه ان يســتقيل من الوزارة فرفض مما اضطر النحاس الى ان يتقدم الى الملك باستقالة الوزارة كلها وعهد اليه الملك بتأليفها من جديد فالفها دون مكرم عبيد (٢٥) •

والسؤال الذى يفرض نفسه فى هذا الصدد ما الذى دعا الى اســـتقالة الوزارة الم يكن بالامكان اقالة مكرم دون استقالة الوزارة كلها ؟٠٠ والحقيقة ان الذى يملك اقالة الوزارة أو وزير فيها هو الملك فقط ولما كان مكـرم عبيـد قد رفض تقديم استقالته وان اية محاولة لاستصدار قرار باقالة وزير المـالية قد تبوء بالاخفـــاق ســـواء العــلاقة الجـــديدة بين مكــــرم والقصر أو بسبب ســــــوء عــلاقة القصــــر بالنحـــاس فلم يكن امام النحاس من سبيل سوى تقديم استقالة وزارته واعادة تشكيلها بدون وزير المالية ولهذا الموقف سابقة فى تاريخ الوزارات المصرية ولو أن الوضـــع فى الحالتين جـد مختلف •

ففى سبتمبر ١٩٢٥ طلب رئيس الوزراء بالنيابة (يحى ابراهـــيم) استصدار مرسوم باقالة عبد العـزيز فهمى باشا وزير الحقانية اذ ذاك ووافـق الملك فؤاد على الطلب فورا لان عبد العـزيز فهمى كان قد امتنع عن تنفيـــــذ

---

(٢٣) المصرى والجهاد ١٩٣٧/١١/١١ ، والاهـــرام ٢٤ ـ ١١ ـ ١٩٣٧ ، المقطم ١٩٣٧/١١/٢٥ •

(٢٤) المصرى والاهرام ٢٢ مايو سنة ١٩٤٢ اخـر ســـاعة ٣١ مايـــو سـنة ١٩٤٢ •

(٢٥) فؤاد سراج الدين لقاء شخصى ٨ ، ١٢ /١٩٨٢/١١ •

رغبة الملك فى عزل الشيخ على عبد الرازق (القاضى بالمحاكم الشرعية) بسبب كتابه « الاسلام واصول الحكم » أما فى حالة مكرم عبيد فان الملك كان راضيا عنه تمام الرضا بل ان القصر كان يساند مكرم فى تحديه للنحاس باشا ٠

ويبدو سؤال مُلِحّ ، هل كان النحاس على ثقة من ان الملك سيعهد اليه بتاليف الوزارة الجديدة ، وخصوصا وان العلاقات بينهما كانت قد وصلت الى درجة القطيعة ، وان النحاس كان على يقين من ان القصر وراء الانسلاخ الاخير فى الوفد (٢٧) ٠

لعل هذا الاحساس قد راود النحاس باشا ولذا فقد حرص على ان يثبت فى كتاب الاستقالة انها بسبب الخلاف بينه وبين وزير ماليته اذ قال : « نظرا لما قام بينى وبين حضرة صاحب المعالى مكرم عبيد باشا من خلاف جوهرى ظال امده وتعددت مظاهره وتعذر علاجه بالرغم مما بذلته من المجهود ، ولما كان هذا الخلاف قد ادى الى استحالة استمرار التعاون بيننا فانى اتشرف بان ارفع الى جلالتكم استقالة الوزارة (٢٨) ٠

وعلى ما يبدو ايضا فان النحاس كان واثقا من ان الملك سيعهد اليه بتاليف الوزارة لان احداث ٤ فبراير كانت ما تزال عالقة فى زهن فاروق حيث لم يمض عليها اربعة اشهر ومن السذاجة المطلقة ان يعيد الملك التجربة مرة ثانية وخصوصا ون الاسباب التى من اجلها عاد الوفد لم تختلف كثيرا ولعل فى هذا الموقف ازلال للملك فاروق مما ضاعف من حدة الصراع بين الغرتين ٠

ومما يضاعف من اعتقادى ان النحاس عندما قرر اخراج النقراشى من الوزارة فى صيف سنة ١٩٣٧ فانه تريث الى ان حانت الفرصة فى ٢٩ يوليو سنة ١٩٣٧ بمناسبة تولى الملك سلطته الدستورية حيث تقضى التقاليد

---

(٢٦) مذكرات حسن يوسف ٠ القصر ودوره فى السياسة المصرية سنة ١٩٤٢ ـ ١٩٥٢ ص ١٤١ ٠

(٢٧) لقاء مع فؤاد سراج الدين ١٩٨٢/١١/٨ ٠

(٢٨) مذكرات حسن يوسف وكيل الديوان الملكى ص١٤٢ ، عبد الرحمن الرافعى فى أعقاب الثورة جـ٣ ص١٢٠ ٠

الدستورية أن تقدم الوزارة استقالتها ويعهد الملك الى رئيس الحكومة بتشكيل وزارة جديدة وهكذا تمكن النحاس من اخراج النقراشي وثلاثة وزراء آخرين (محمد صفوت ومحمود غالب على فهمي) بلا أى مصادمات مع القصر اما هذه المرة فالموقف مختلف الى حد كبير والصراع قد تفاقم بين القطبين الوفديين ٠

وبخروج مكرم من الوزارة قررت الهيئة الوفدية فصله من منصبه (سكرتير عام الوفد) بعد ان ظل يتمتع بهذا المنصب خمس عشرة سنة متوالية وكذلك قرر الوفد حرمانه من عضوية الحزب بعد ان كان من اهم اعضاء الحزب ولم يبق لمكرم من المناصب سوى عضوية البرلمان والذى اتخذه اساسا لحملة

ضارية ضد النحاس حيث كثرت الاستجوابات التى قدمها مكرم حتى وصلت الى ثمانية استجوابات دارت فى معظمها على ان النحاس قد فرط فى حقوق الامة وجامل الانجليز الى حد الاغفاء عن مطالبتهم بتنفيذ مواد المعاهدة وسكوت النحاس عن وضع مصر فى موضع البلاد المحمية والسماح لاشخاص معينين بتصدير المواد الأولية وسياسة الوزارة فيما يختص بالحريات العامة (٢٩) ٠

وتحت عنوان ـ حارس الهيكل بالامس يريد ان يهدمه اليوم على ساكنيه كتب محمد التابعي يقول : « لقد قال مكرم يوم ان اختلف مع النحاس ان اسباب الخلاف هي الاستثناءات والسكر والزيت ٠٠ الخ ولم يقل شيئا عن الخيانة والتفريط فى حقوق البلاد ٠ هل كان التفريط وممالأة الانجليز موجودة يومها أو غير موجودة واذا كانت موجودة فلماذا سكت الفارس الهمام ولماذا لم ينشرها يومها بين ما نشره على الناس أم تراها لم توجد الا منذ خروج سعادته فقط من الوزارة وكأنما سعادته يريد ان يقول ان وجوده فى الوفد كان الضمان الشافى لوجود الوطنية فى صدر النحاس فلما خرج سعادته ضاع الضمان (٣٠) ٠

---

(٢٩) مضابط مجلس النواب دور الانعقاد الاول ١٨ اغسطس ١٩٤٢ ص ١٤٥٥ ـ ١٦٠٠ ٠

(٣٠) آخر ساعة ٢٣ اغسطس ١٩٤٢ مقال بقلم محمد التابعي ٠

ومن غير شك فقد كان خروج مكرم عبيد يعد الضربة الثانية التى لحقت بالوفد بعد ما اصابه من الضربة الاولى فى ٤ فبراير ، فلقد شن مكرم عبيد حملة ضارية ضد النحاس ضمنها ما سمى « بالكتاب الاسود » وقد امتلا بالعديد من المطاعن التى تنال من رئيس الحكومة ومن زوجته السيدة زينب الوكيل ٠

وتشير مذكرات السفير البريطانى الى مسئولية القصر عن اصدار الكتاب الاسود وان فاروقا هو الذى اوحى لمكرم عبيد وشجعه على نشر هذا الكتاب حتى يتخلص من عدوه الاول وهو النحاس وبعد لك يتفرغ للتخلص من الثانى وهو السفير البريطانى (٣١) ٠

ولا شك ان الوفد قد تأثر كثيرا بسبب خروج مكرم عبيد وتعددت وجوه معاناة مصطفى النحاس بسبب ما حظى به مكرم من تأييد منقطع النظير وخصوصا وسط قطاعات الشباب والمثقفين منهم على وجه الخصوص (٣٢) ولم يكن هذا التأييد على ما نعتقد لشخص مكرم عبيد بقدر ما كان لسوء تصرف الحكومة الوفدية واندفاعها فى سياسة حزبية وضغطها على الحريات الى حد الاعتقال ومصادرة الآراء المعارضة ٠

ولقد دفع الخوف من تأثير اخراج مكرم عبيد على التأييد القبطى للوفد الى تعيين قبطى آخر مكانه فى وزارة المالية وهو كامل صدقى والذى وصفته الدوائر البريطانية بأنه كان يفتقد الى الكفاءة وكان بمثابة عقبة فى حسن ادارة الامور بسبب تصرفاته الصغيرة مما دفع النحاس الى التفكير فى فصله الا انه امتنع عن ذلك مخافة اثارة الاقباط ضد الوفد (١) ٠

---

(٣١) الدبابات حول القصر ـ مذكرات اللورد كيلرن عن ٤ فبراير اعداد وترجمة كمال عبد الرؤف ص ١٠٣ ـ ١٥٥ ٠

(٣٢) محمد زكى عبد القادر ـ محنة الدستور ص ١٣١ ومكرات ابراهيم عبد الهادى روز اليوسف ١٦ اغسطس ١٩٨٢ ، مكرات حسن يوسف مرجع سبق ذكره ص ١٤٣ ، د٠ يونان لبيب رزق ٠ تاريخ الوزارات المصرية ص ٤٥١ ٠

(٣٣) نقلا عن الدكتور يونان لبيب تاريخ الوزارات المصرية ص٤٥١ ٠

وبلا شك فان سياسة النحاس تجاه خروج مكرم عبيد من الوفد قد اتسمت بعدم الصواب والبعد عن الشرعية حيث لجأ الوفد الى اساليب ديكتاتورية كان من بينها فصل عشرة من اعضاء مجلس النواب من الموالين لمكرم عبيد بحجة انهم لم يكونوا قد بلغوا السن القانونية يوم انتخابهم ، ومن العجيب أن هؤلاء الاعضاء قد أقر المجلس نيابتهم من قبل حينما تقدم عدد من المعارضين للحكومة بطعون ضد هؤلاء النواب بسبب أنهم لم يبلغوا السن القانونية الا أن المجلس قد اقر نيابتهم مؤكدا على انهم قد استوفوا كل الشروط القانونية (٢) ولم تمض ايام حتى كان الكتاب الاسود قد أثار فى البلاد كلها ضجة كبيرة مع ان الرقابة الصحفية قد منعت الاشارة اليه حتى كان الناس من كل الاحزاب يبذلون الجهد للحصول على نسخة منه ولم يقف الامر على حدود مصر بل بدأت الصحف البريطانية تتحدث عنه مما ضاعف من مشاكل الحكومة بسبب هذه الحملة العنيفة التى وجهت اليها والتى تشعر ان لبعض المقامات يدا فيها (٣٥) .

وفى محاولة لتبديد الاثر الذى احدثه مكرم وكتابه فلقد وضعت الحكومة خطة بان اوحت الى رجال حزبها فى كل من البرلمان والشيوخ لكى يتقدموا بأسئلة عن الوقائع التى وردت فى الكتاب الاسود واخذ الوزراء يجيبون على هذه الاسئلة بتفسير بعض الوقائع تفسيرا يتسم بالغموض وعدم الموضوعية فى بعض الاحيان وباللجوء الى العموميات فى احيان كثيرة ولما كانت اللائحة فى كلا المجلسين « النواب والشيوخ » لا تجيز لغير مقدم السؤال بالتعليق فقد بذلت محاولات من قبل المعارضة للتعليق أو للاستفسار الا ان كل هذه المحاولات قد باءت بالفشل وكثيرا ما كان التعليق من قبل مقدم السؤال بالشكر أو بتجريح واضع الكتاب الاسود والتشكيك فى وطنيته (٣٦) مما دفع مكرم الى أن يتقدم باستجواب الى مجلس النواب طالبا من رئيس الحكومة اجابة محددة عن الموضوعات الاتية : ـ

---

(٣٤) الحلبة الثالثة والثلاثون من مضابط مجلس النواب مجموعة دور الانعقاد الثانى ٢٧ ابريل سنة ١٩٤٣ ص ١١١٩ ، د. محمد حسين هيكل مرجع سبق ذكره جـ ٢ ص ٢٧٦ .

(٣٥) د. هيكل مرجع سبق ذكره جـ ٢ ص ٢٧٣ مذكرات ابراهيم عبد الهادى روز اليوسف ١٦ اغسطس ١٩٨٢ ، جلال الحمامصى حوار وراء الاسوار ص ٥١ ، مذكرات حسن يوسف ص ١٤٤ .

(٣٦) مضابط مجلس النواب الجلسة الثلاثون ١٩ ابريل ١٩٤٣ ص ١٢١٧ ، نفس المصدر الجلسة السابعة والاربعون ١٩ ابريل ١٩٤٣ ص١٢٢١ .

أولا : استناد رئيس الوزراء فى تصريح علنى بمجلس النواب الى رسالة من وزير الخارجية البريطانية •

ثانيا : اجراءات الوزارة ازاء سياسة تجنيب البلاد ويلات الحرب •

ثالثا : بقاء الموظفين الانجليز فى البوليس المصرى •

رابعا : السماح لاشخاص معينين بتصدير بعض المواد الاولية •

خامسا : سياسة الوزارة فيما يختص بالحريات العامة (٣٧) •

وبالرغم من ان نقاط الاستجواب كانت محددة وواضحة الا ان رئيس الحكومة قد انبرى يكيل الاتهامات ضد صاحب الكتاب الاسود متهما اياه بالخيانة والخروج على خط الجماعة ونظرا لحالة الغضب التى سيطرت على رئيس الحكومة من خلال اجابات طويلة فقد افتقدت ردوده الموضوعية بتناولها القضايا بشكل يخرجها من دائرة الشك الى دائرة اليقين وفقا لقول مكرم عبيد (٣٨) •

وفى محاولة من القصر لاستثمار الموقف لصالحه فقد ذهب أحمد حسنين الى السفير البريطانى وحدثه فى شأن الكتاب الاسود معربا عن رأيه بان البيانات المدعمة بالوثائق تكفى للحكم على تصرفات رئيس الوزراء ولكن السفير ارتأى اما تقديم الاتهامات الى القضاء واما مناقشتها بالطرق الدستورية فى البرلمان (٣٩) • وعلى الرغم من أن احمد حسنين قد استوثق من موقف الحكومة البريطانية والتى رأت اعطاء فرصة للنحاس للدفاع عن نفسه امام القضاء أو باجراء استفتاء عام فان حسنين قد اشار الى ان التهم الموجهة الى رئيس الحكومة اذا لم تثبت براءته منها فان اللوم سوف يوجه بطريقة غير مباشرة الى السفارة البريطانية لانها تحتضن وزارة فاسدة (٤٠) •

ويبدو ان القصر قد فضل ان يمارس نوعا آخر من الضغط على الحكومة البريطانية وذلك لمزيد من احراج الحكومة حيث بدأ نشاط المعارضة باجتماع

---

(٣٧) نفس المصدر السابق •
(٣٨) الجلسة الثلاثون المصدر السابق ١٩ ابريل ١٩٤٣ ص ١٢١٧ •
(٣٩) مذكرات حسن يوسف وكيل الديوان الملكى ص ١٤٣ •
(٤٠) مذكرات حسن يوسف ص ١٤٢ •

ويبـــردو أن القصر قد فضــــل أن يمـــارس نوعا آخـــر من الضغط على الحـــكومة حيث بـدأ نشــــــاط المعـــارضة باجتمــــاع عقده اسماعيل صدقى فى داره دعا اليه كبار السياسيين لتنظيم حـركة المعارضة من خلال التنسيق مع كل القوى الحزبية بهدف الضغط على الحكومة البريطانية وبعد ان اتضح ان الانجليز مارسوا ضغطا شديدا على القصر لكى يوافق عـلى مناقشة الكتاب الاسود تحت قبة البرلمان عاد زعماء المعارضـــة الى الاجتماع وطلبوا مقابلة السفير البريطانى ولما اعتذر السفير عن عدم مقابلتهم ارســـلوا اليه مذكرة قالوا فيها انهم مع اخلاصهم للمعاهدة فانهم يحتجون على تدخل انجلترا فى شئون مصر الداخلية بعد ان ابتعد خطـر الحرب عن اراضيها (٤١) .

وسعيا وراء ايجاد جو من الود بين القصر والانجليز اوعز حسنين باشـــا الى الملك ان يضع قصر رأس التين تحت تصرف السلطات البريطانية بمناسبة زيارة « دوق جلوسستر » لمصر وان تتبرع الخاصة الملكية بمبالغ للترفيه عـن الجنود البريطانيين والامريكيين لدرجة أن احدى الصحف اليومية قالت : ان القصر يتنافس مع الحكومة على كسب صداقة الحلفاء (٤٢) .

وعلى الرغم من ان كل خطط القصر لم تؤت ثمارها فى اقـالة الحكـــومة وان السفير مصمم على مساندة الحكومة الى النهاية الا ان القصر قـد تمكـــن من ان يوجد فى الوفد حالة من عدم التوازن وفقدان الرؤيا الصائبة لذا فقـــد اتسمت سياسته بالارتجالية وعدم الموضوعية فى كثير من القضايا القوميـــة والوطنية مما دفع المعارضة الى الانقضاض على هذا الهرم الشامخ والـذى بـدأ يتساقط امام أول عاصفة رعدية نظمها القصر بمهارة فائقة ولولا معارضــــة بريطانيا لتمكن فاروق من ان يقتلع الوزارة الوفدية وهى فى شـهورها الاولى واذا كان فاروق قد عجز على اقالة الوزارة وهى فى تلك الازمة الا انه قـد تمكـن من النيل منها وتشويه صورتها امام الرأى العام ، فلقد كانت المحســـوبيات واذونات التصدير حديث رجل الشارع العادى وعلى هذا استطيع ان اقول اذا كان حادث ٤ فبراير قد ادى الى فقدان ثقة الجماهير فى الوفد فان الكتاب الاســود وما ترتب عليه كان بداية انصراف الناس عن الوفد وخصوصا الشباب المثقف والذى بدأ يبحث عن قوى اخرى يعبر من خلالها عن ذاته بعد ان فقـد ثقته فى حـزب الوفد وهكذا كان الشباب دائما ضحية لمحترفى السياسة .

---

(٤١) المرجع السابق ص ١٤٥ .

(٤٢) الاهرام ١٨ ابريل ١٩٤٣ ، آخر ساعة الاول من ابريل ١٩٤٣ .

ولم يقف امر الكتاب الاسود عند الاستجواب والرد عليه بل رأى النحاس ان ما اقدم عليه مكرم يعد هرطقة لا يجوز معها ان يبقى عضوا بمجلس النواب لذلك تقدم النائب الوفدى عمر عمر باقتراح جاء فيه : ان مكرم عبيد قد اتى بما صنع امرا منكرا يتعارض مع كرامة النيابة عن الامة لذلك يجب فصله من مجلس النواب واسقاط صفة النيابة عنه وعلى الرغم من المبررات القانونية التى اوردها النائب عبد السلام الشاذلى فى محاولة مسميتة لتبديد هذا الاقتراح الا أن رئيس المجلس قد اخذ الرأى بالمناداة بالاسم واسفر عن ٢٠٨ موافقون . ١٧ غير موافقين (٤٣) .

واذا كان الوفد قد حاول ان يجد مبررا معقولا حين اقدم على اعتقال على ماهر داخل مجلس الشيوخ بحجة أنه يعمل لصالح المحور الا أن ما أقدمت عليه حكومة الوفد من فصل مكرم عبيد ثم اعتقاله قد افتقدت الى اية مبررات معقولة ولم يعد امام الرأى العام اى شك فى ان الدوافع الحزبية هى الاساس فى أى اجراء اتخذ ضد مكرم عبيد وبدلا من ان يكنسب الوفد ارضا جديدة من تحت اقدام المعارضة فقد اضحى مكرم عبيد امام الرأى العام شهيد الديمقراطية ومدافعا عن الحرية ضد الاستبداد والمحسوبية والفساد وكل ما يناهض مبدأى الحق والعدل .

ولم يعجز الحاكم العسكرى العام (مصطفى النحاس) عن ذكر بعض المبررات التى سوغت له الاقدام على هذا العمل الذى يفتقد الى أى منطق أو قانون فلقد جاء فى المذكرة التى نشرت بمناسبة هذا الاعتقال ان مكرم عبيد دأب على عقد اجتماعات سياسية متكررة فى مكتبة وفى منزله تلقى فيها منه ومن بعض انصاره خطب مثيرة ومخلة بالنظام ومهددة للامن العام وانه كان من نتاج الاجتماع الذى عقده بمنزله اخيرا ان ألف نفر ممن حضروا ذلك الاجتماع مظاهرة مرت ببض الطرقات العامة وهتف المتظاهرون بهتافات تحث على الثورة وجاء فى المذكرة ايضا ان مكوم عبيد عمد الى توزيع نشرات مطبوعة فى انحاء البلاد وقد تم ضبط عدة الاف من هذه النشرات (٤٤) ويبدوا من المذكرة ان مبررات

---

(٤٣) الجلسة السابعة والاربعون من مضابط مجلس النواب ١٢ ، ١٣ يوليو ١٩٤٣ دور الانعقاد الثانى ص ٢١١٩ الى ٢١٣٠ .

(٤٤) المصرى والاهرام ١٦ مايو سنة ١٩٤٤ روز اليوسف ١٧ مايو سنة ١٩٤٤ .

الاعتقال قد اعتمدت على ان مكرم عبيد قد لجأ الى عقد اجتماعات سياسية فى مكتبه وفى منزله على الرغم من انه كان يترأس حزبا قائما فعلا « الكتلة الوفدية » ومن حقه طبقا للقانون والدستور ان يمارس نشاطه الحزبى كغيره من الاحزاب أما عن المظاهرات التى ساقتها المذكرة كمبرر للاعتقال فكان على الحكومة أن تقدم على اعتقال زعماء تلك المظاهرة وبلا شك فلم يكن مكرم عبيد من بينهم اما عن النشرات التى توزع فى البلاد فهى النشرات التى تصل الى اعضاء الكتلة الوفدية فى الأقاليم وهى وسيلة شرعية معترف بها حتى فى ظل قانون الطوارىء بل هى القناة لربط اعضاء الكتلة فى القرى والمدن بادارة الحزب فى القاهرة وعلى ما اعتقد فان ما اقدمت عليه الحكومة الوفدية من اعتقال مكرم عبيد يعد تجاوزا خطيرا دفع الرأى العام الى أن يتعاطف مع مكرم عبيد ٠

وباعتراف أحد زعماء الوفد والشخصية الاولى بعد النحاس (فؤاد سراج الدين) حيث أعلن صراحة أن فصل مكرم عبيد من الوفد ثم اعتقاله يعد خطأ سياسيا كبيرا (٤٥) ٠

وبالرغم من ان الحكومة قد سلكت فى موضوع الكتاب الاسود مسلكا يبدو فى ظاهره الديمقراطية حيث نوقش الموضوع داخل مجلس النواب والشيوخ الا أن المعارضة البرلمانية داخل المجلسين كانت تود ان تستدرج الحكومة الى ان تتولى النيابة امر التحقيق وان يعترض على تحقيق النيابة بحجة أن مكرم نائب يتمتع بالحصانة البرلمانية لأن الاغلبية الوفدية داخل مجلس النواب كفيلة بان ترفع عنه هذه الحصانة (٤٦) وفى محاولة من المعارضة لاقناع الحكومة بوجهة نظرها فقد اعتمدت فى مطلبها على العديد من الحيثيات القانونية على اعتبار ان المادة ٦٦ من الدستور أعطت مجلس النواب حق الاتهام ومجلس الاحكام حق المحاكمة ولكنها تركت حق التحقيق مباحا لاظهار الحقيقة فلقاضى التحقيق ان يحقق وكذلك لوكيل النيابة ولكنه ليس لاحدهما ان يتهم ، ولما سئل مقدم الاقتراح (عبد الرحمن الرافعى) عن مصير التحقيق قال : ان نتيجته تقدم الى مجلس النواب ليجد نفسه امام رسمية فى محاضر التحقيق (٤٧) ٠

---

(٤٥) لقاء مع فؤاد سراج الدين ١٩٨٢/١١/١٢ جاردن سيتى القاهرة ٠

(٤٦) د٠ هيكل مرجع سبق ذكره جـ ٢ ص ٢٨٣ ، الاهرام ١٩٤٣/٤/٢٩ ٠

(٤٧) الجلسة الثامنة والثلاثون من مضابط مجلس الشيوخ ٠ دور الانعقاد الثالث ١٩٤٣/٤/٢٢ ص ١٣١٨ ، الاهرام ٢٣ ـ ٤ ـ ١٩٤٣ ٠

ويبدوا ان هدف المعارضة فى اسناد امر التحقيق الى جهة قضائية محايدة كان بسبب عدم الثقة فيما تقدمه الحكومة داخل المجلسين (النواب والشيوخ) من أجابات تستند الى بيانات غير دقيقة وليس من حق اعضاء المجلس الاعتراض الا على ضوء ماتقره لائحة البرلمان والتى أعطت حق المناقشة لمقدم الاستجواب فقط بينما اسناد امر التحقيق الى جهة قضائية محايدة يوفر على البرلمان العديد من الجهد حيث تقدم نتائج التحقيق مستوفاة لكل الاركان القانونية · ولو كانت الوزارة حريصة على نتائج سليمة فى التحقيق لدفعت بالقضية برمتها الى القضاء الذى يعد طرفا محايدا تماما ·

وفى محاولة من النحاس لتبديد هذا المطلب فقد انبرى للرد معتمدا على دستورية الاقتراح بحجة ان المادة ١٠٧ من الدستور تنص على أن لكل من اعضاء البرلمان ان يسأل الوزراء ويستجوبهم على الوجه المبين فى اللائحة وأن المادة ١٠٨ نصت على أن لكل مجلس حق اجراء التحقيق ليستنير فى مسائل معينة داخلة فى حدود اختصاصه وورودها على هذا النحو يحدد الغرض المقصود بالاستنارة فى الاسئلة والاستجوابات وان من حق المجلس تشكيل لجنة تتولى التحقيق وعلى ضوء التقرير الذى تعده تلك اللجنة فان المجلس الحق فى اصدار ما يشاء من قرارات اما من اسناد امر التحقيق الى القضاء فانه يكون تحقيقا إفلاطونيا لان النتيجة اما ان تكون حفظ القضية أو تقرير ان هناك مسئولية وفى هذه الحالة الاخيرة يكون للمحقق ان يقدم المسألة الى المحكمة أو غيرها وهذا امر خارج عن اختصاصه ولا يمكن للبرلمان ان يكون تابعا لاى جهة اخرى مهما كان وضعها لان البرلمان لا يلتزم الا بما يجريه هو فى حدود اختصاصه (٤٨) وبالرغم من مبررات النحاس إلا ان الامر كان من الممكن علاجه بان يتولى القضاء التحقيق وما يتوصل اليه من نتائج تكون موضع الزام للجميع اما ان يكون المتهم قاضيا فى نفس الوقت فهذا يتعارض مع ابسط المبادئ الدستورية ·

---

(٤٨) الجلسة الثانية والاربعون من مضابط الشيوخ ، ١٩٤٣/٤/٢٢ ص ١٣١٥ ·

ووفق ما ورد من اسئلة واستجوابات داخل المجـــلسين ـ النواب والشيوخ ـ فان الاغلبية الوفدية لم تتنازل عن وجهة نظرها ورفضـــت ان يقوم بامر التحقيق الا اللجان البرلمـــانية وهى بلا شـــك لجـان وفـديه خالصة وهكذا اصبح القاضى خصما وكانت النتيجة التصفيق الحاد عـــلى نزاهـــة الحكم وان النحاس وزوجته وكبـــار مستشاريه فـــوق مســـــتوى الشبهات ٠(٤٩) ٠

ولعل ما توصل اليه التحقيق من نتائج كانت موضع مناقشــــــات بين فاروق والسفير البريطانى حيث تقدم الملك بمذكرة الى السفير يتمسك فيهـا من اجراءات التحقيق وان افضل طريقة هى ان يطرح النحاس القضـــية عـــلى الشعب لمعرفة مدى ثقته فى الحكومة الحاضرة وبما ان الحكومة التى ســـوف تقوم بامر الاستفتاء ستزيفه لصالحها فمن الافضل قيام حكومة محــــايده يعقبها اجراء انتخابات نزيهة (٥٠) ٠

وعلى ما يبدو فان الحكومة البريطانية قد تأثرت بالدعايات التى احدثها مكرم عبيد وحملت مراسلات وزارة الخرجية البريطانية الى اللورد كيـــلرن استطلاع وجهة النظــر المصرية على ضوء التطورات الجديدة وتفويض السفير فى اعطاء الملك الضوء الاخضر لاقالة الحكومة اذا ما اصبحت لا تتمتع برضاء الشعب المصرى الا ان السفير البريطانى ابدى بعض التحفظات على اعتبـــار ان اقالة الوفد فى مثل تلك الظروف يعد تشجيعا للملك وهو موقف يتعـــارض مع مصالح بريطانيا فى هذا الوقت بالذات (٥١) ٠

وعلى ضوء كل ما سبق يمكننا ان نستخلص بعض النتائج الهامة : ـ

أولا : ان ما أصاب الوفد من انقسامات بعد خروجمكرم عبيد يعد نتاجا طبيعيا لسياسة القصر والتى نتجت عن أحداث ٤ فبراير ٠

---

(٤٩) مضابط مجلس النواب الجلسة الثانية والاربعون دور الانعقاد العادى ١٩٤٣/٤/٢٣ ص ٣١٣ ، الاهرام ، المصرى الاول من مايو ١٩٤٣ ٠

(٥٠) وثائق الخارجية البريطانية برقية رقم ٦٢٤ من كيلرن الى حكومته ٢٥ / ٤ / ١٩٤٣

(٥١) المصدر السبق وثيقة ٦٤٨ من كيلرن الى حكومته ٢٨ / ٤ / ١٩٤٣

ثانيا : بالرغم من التقليل فى حجم العناصر الوفدية التى ناصرت مكرم عبيـــد الا ان الوفد قد تأثر كثيرا من حدوث هذا الانفصال (٥٢) وواجـــــه العديد من المشاكل التى كان من اهمها اهتزاز ثقة الناس فى نزاهة النحـــاس والتى كانت سمة من سمات حكمة طوال العهود السابقة ٠

ثالثا : ان خروج مكرم عبيد قد أغرى أحزاب الاقلية لكى تتجـه الى التنسيق مع بعضها بهدف القضاء نهائيا على الوفد الذى قاد حـــــركة النضال الوطنى اكثر من عشرين عاما ٠

رابعا : لقد كان خروج مكرم عبيد من اهم العوامل التى أغرت حكومة الوفد على المضى فى العديد من التجاوزات التى تناقض الديمقراطيـــة والتى كانت سمة من سمات الوفد طوال فترات نضاله الطويل ٠

سياسة فاروق تجاه الوفد :

لقد سعى فاروق ورجله الاول أحمد حسنين (رئيس الديوان)على استغلال كل الفرص الممكنة لرد الاهانة التى ٠ لحقت بهما حينما ولى النحاس الحكم ضد ارادتهما وبتأييد من السفارة البريطانية فى ٤ فبراير ١٩٤٢ ٠

واذا كان القصر قد اقدم على اقالة الوفد سنة ١٩٣٧ ولم يجد مايحول بينه وبين حكم البلاد نحو اربع سنوات ببرلمان وحكومات لاتستند الى أى قاعدة جماهيرية فان القصر عقب ٤ فبراير ١٩٤٢ كان اشد شوقا لكى يكرر هذه الاقالة واذا كانت العلاقات فى ديسمبر ١٩٣٧ قد ساءت بين القصر والوفد فانهما اليوم (١٩٤٢) اكثـر ســوءا بـل وصلت الى حـد القطيعة وتبـادل اقسى الاتهامات (٥٣)

وقبل ان نستعرض سياسة فاروق تجاه الوفد عقب ٤ فبراير ١٩٤٢ يجدر ان نسجل بعض الاسباب الموضوعية لكراهية الملك فاروق للنحـــاس باشـــا ؟٠٠

---

(٥٢) فؤاد سراج الدين لقاء شخص ١٩٨٢/١١/١٢ جاردن سيتى القاهر:
(٥٣) مذكرات كريم ثابت الجمهورية ٢٧ يونية ١٩٥٥ ، مذكـرات حسـز يوسيف ص ١٥١ ، محمد زكى عبد القادر ، محنة الدستور ص ١٣٧ ٠

أولا : لقد كان فاروق دائم الاســـتماع الى احـــاديث مستشاريه وخصوصا على ماهر واحمد حسنين عن العلاقات بين النحاس باشـا والملك دؤاد تلك اللاعقات التى اتسمت بالعديد من المصادمات فى محاولة من الوفد لانتزاع أكبر قدر ممكن من الحقوق الدستورية التى تعد من صميم اختصاص القصر ، وهكذا صور له مستشاروه أن الوفد كان دائم الاعتداء على حقوق الملك الدستورية وان الخلاف بينهما ليس من باب توضيح الحقوق الدســـتورية لكل من القوتين المتصـــارعتين وانما من باب ان الامة مصـــدر الســـلطان وان الملك يجب ان يبقى بعيدا عن الحكم ويترك الامر لحكومة الاغلبية عمـــلا بمبدأ ان الملك يملك ولا يحكم (٥٤) ٠

ثانيا : ان موقف الوفد فى ٤ فبراير قد افقـد القصر كل صـــوابه وبات مؤكدا ان الوفد لم يعد يكن أى نوع من الولاء للقصر حيث كان واضـــحا ان المجىء بالوفد كان ضد رغبة القصر وهذا مما ضاعف من حدة الصراع بين الطرفين مما نتج عنه العديد من النوايا العدوانية لكل من الطرفين تجاه الآخر ٠

ثالثا : لقد كان النحاس يتعامل مع فاروق من منطلق انه « ولـد صغير » يفتقد الى الخبرة والتجربة وان الميول الاستبدادية هى من اهم الســـمات التى حصل عليها « الولد الصغير » من الوالـــد « الملك فـؤاد » وكانت هـذه الاتهامات تصل الى الملك فاروق عن طريق العديد من عناصر السوء (٥٥) ٠

رابعا : لقد كان فاروق يعتقد ان للنحاس مطامع خفية لا تصـــل عنـــد حد رئاسة الحكومة وانما يمنى نفسه بان يكون اول رئيس للجمهـــــورية المصرية وعلى ضوء هذا الاعتقاد كان ينظر اليه كخطـر يهدد العرش ويعترف فاروق صراحة بعد أن نجا من حادث القصاصين : « لما كنت أقرب الى الموت منى الحياة كان اكثر ما يؤلمنى اننى قد اموت والنحاس فى رئاسة الوزارة ممـــا يمكنهمن الوصول الى غايته من اقرب الطرق » (٥٦) ٠

---

(٥٤) صـــلاح الشاهد ذكرياتى فى عهدين القاهرة ١٩٧٦ ص ٣٥ ، مذكرات كريم ثابت الجمهورية ٢٧ يونية ١٩٥٥ ٠

(٥٥) صلاح الشاهد المرجع السابق ص٣٥ ، مذكرات كريم ثابت ، المرجع السابق ، مذكرات حسن يوسف ص ١٦٢ ٠

(٥٦) مذكرات كريم ثابت الجمهورية ٢٧ يونية ١٩٥٥ ٠

وبالرغم من ان الوفد ينفى تماما ما اشيع من أمـر التفكير فى عـــــزل فاروق على اعتبار ان اعلان الجمهورية لم يكن موضع تفكير لدى الدوائـــر السياسية فى الوفد (٥٧) الا ان احد المعاصرين يعترف صراحة بهذا الموضـوع حيث يقول : « لقد ظهر ان الملك وحاشيته سائرون فى سياسة غير وطنيــة ٠٠ ورأى كبار الوفديين عزل الملك عن العرش وتم عرض الامر على مجلس الوزراء الذى اقر هذا الاتجاه وعهد الى احمد نجيب الهلالى بان يصوغ بأسـلوبه الدقيق مبررات خلع الملك فأعد بيانا وسلمه الى محمود سليمان غنام » وزير التجارة الذى ذهب الى مكتبه واخذ فى تبيض مسودة نجيب باشـا ولمـــا انتهى من ذلك ذهب الى منزل النحاس حيث كان الوزراء لا يزالون موجودين وتم توقيعهم جميعا على البيان كقـــرار صـــادر من مجـــلس الوزراء (سنة ١٩٤٣) ٠

ويعترف صاحب هذه الرواية ان هذا الاجراء كان رد فعل لسياسة الملك الذى اخذ يعد فرقا خاصة من ضباط الجيش بهدف الاعتداء على النحـــاس باشا ووزرائه انتقاما لقبولهم وزراة ٤ فبراير (٥٨) ٠

وعلى الرغم من أن صحب هذه الرواية لم يقدم تبريرا لتراجع الوفد عن المضى فى تنفيذ مخططاته الا اننى اعتقد ان الوفـد قد اراد ان يقوم بمناورة لارهاب الملك حتى يثنيه عن تصرفاته التى اتسمت بالعداء الواضـح تجـاه النحاس ووزرائه حيث نجح فروق فى النيل من الوفد سواء بانفصـــــال مكرم عبيد (الذراع اليمنى للنحس) أو باقامة التنظيمات شبه العسـكرية واهمها ـ التنظيم الحديدى ـ الذى اعده للملك بهدف اغتيـال كل من ســـاهم فى احداث ٤ فبراير أو قبل الحكم فى ظل ٤ فبراير (٥٩) ٠

---

(٥٧) لقاء مع فؤاد سراج الدين ١٢/١١/١٩٨٢ جاردن سيتى القاهرة ٠

(٥٨) مذكرات صلاح الشاهد ص ٣٥ ، ٣٦ ، فتحى رضوان لقـاء شخصى ٩/٨/١٩٨٢ مصر الجديدة ـ القاهرة ٠

(٥٩) احمد مرتضى المراغى مرجع سبق ذكره ص ٥٧ ـ ٦٧ ٠

وعى ضوء ما أعتقد فان مجلس الوزراء الوفدى قد اقدم على هذه الخطوة كرد فعل لمحاولة الاعتداء على النحاس وامام العديد من المؤثرات العدائية تجاه الوفد الا ان مزيدا من التفكير والتروى اعتمادا على ان فكرة خلـع الملك واعلان الجمهورية لم تكن من بين الافكار التى يتقبلها الشعب المصرى وقتئذ حيث كان الملك مايزال يحظى بشعبية كبيرة سواء وسط الجمـاهير أو داخل الجيش المصرى ٠٠ على ضوء كل هذه الاعتبارات فلقد كان على النحاس ان يعيـــد النظـر فى هذا القرار الخطير والذى لا يضمن عواقبه ، واعتمادا عــلى أن بريطانيا كانت تهدف من عودة الوفد فى ٤ فبراير الى استقرار الاحوال داخــل مصر واقدام الوفد على هذه الخطوة الثورية بتعارض تماما مع استراتيجية بريطانيا فى المنطقة حيث كانت الحرب ما تزال دائرة على الجبهة المصــرية وكانت قوات الحلفاء ما تزال تتلقى العديد من الضربات العنيفـة من قـوات المحور فليس من المنطقى والحالة هكذا ان تشجع الحكومة المصرية عــلى سياستها هذه حتى ولو كان فى نية بريطانيا التخلص من فاروق فقد كان عليها ان تنتظـر الوقت المناسب سواء فيما يتعلق بسير الحـرب أو فى تهيئة النفوس المصرية لتقبل مثل هذه الافكار الجديدة ٠

وتعددت مظاهر الخلاف بين الملك والوزارة فى العديد من المناسبات مما أتاح لفاروق العديد من المبررات التى تمكنه من التخلص من الوزارة واقالتها الا أن السفير البريطانى « كيلرن » ظل واقفا امام محاولات الملك بحجـة ان ظروف الحرب لا تقتضى الاقدام على مثل هذه الخطوة (٦٠) ٠

ولا شك ان كل طرف قد اصطنع لنفسه من الوسائل ما تمكنه من بلوغ اهدافه وبدأ هذا فى العديد من الازمات التى كان من بينها : ـ

١ ـ لقد حضر الملك الاحتفال بليلة القـدر فى مسجد الفتح وحضر الحفل مصطفى النحاس وبعد ان انتهى الشيخ عبد الله عفيفى من القاء خطبته دعـا للملك وللمؤمنين جميعا والتفت الملك الى النحاس وسأله عن رأيه فى الخطبة فأجاب بأن الخطيب لم يدعو فى خطبته لحكومة الشعب ولا لزعيم الشعب وهنا التفت الملك الى أحمد حســـنين (رئيس الديوان الملكى) وطلب اليه ان يبحث فى المراجع الرسمية فان وجد سابقة دعا فيها خطباء المساجد لرئيس الحكومة فمن حق النحاس ان تجاب رغبته وفى المساء اتصل صبرى ابو علم « وزير العدل »

(٦٠) وثائق الخارجية البريطانية برقية ٣١٢ من الخارجية البريطـانية الى كيلرن ١٢ ابريل ١٩٤٢ ٠

باحمد حسنين وأخبره أن النحاس سيستقيل ان لم تسو مسألة الدعاء له فى المساجد ووفق نفس المرجع فان النحاس خشى اذا أقدم على الاستقالة ان تقبل فورا مما اضطره اخيرا ان يتصل باحمد حسنين ويبلغه اعتذاره (٦١) ٠

٢ ــ لقد استقر الرأى على الاحتفال بالعيد الالفى للأزهر ووضــع برنامج الاحتفال بمعرفة الملك شخصيا وكان القائم على تنفيذه هو الشـيخ المراغى شيخ الازهـر الا ان مصطفى النحاس كان يود ان يكون الاحتفـال تحت اشراف الحكومة على اعتبـار ان الاحتفال سيكون شعبيا ودينيا واحس النحاس ان اسمه لن يكون فى الاحتفال وان رجال الازهـر لن يذيعوا ان جوهر الصقلى كان وفديا ومن هنا فقد عمل النحاس على عرقلة الاحتفال أو منعه ان استطاع وبالفعل لم يعمل الاحتفال (٦٢) ٠

٣ ــ بحلول موســم صيف ١٩٤٣ بدات الوزارة فى الانتقــال الى الاسكندرية ٠ وكانت القاعدة المرعية فى جميع العهود ان يقرر الملك موعــد الانتقال الرسمى الى المصيف وكان هذا التصرف من جانب الوزارة مظهــرا من مظاهر التحدى للقصر وكان رد الفعل ان القصر اقام حفلا للطـــلبة المتفوقين دعا اليه نحو ٤٥٠ طالبا من الجامعات والمدارس ثم تبع ذلك حفل آخر للطلبة الغرباء ولم يدع القصر الى هاتين الحفلتين احد من الوزراء (٦٣) ٠

٤ ــ لقــد أعد النحاس باشا علما مصريا على سارية عالية فى اعــلا مكان من منزله وكان هذا العلم يرفع بمجرد دخوله الى منزله ويظــل مرتفعــا طالما بقى داخل قصره حتى اذا ما خرج نكس العـلم ويظل منكســا الى ان يعود النحاس الى قصره وكانت عملية رفع وتنكيس العلم تصحبها تحيــة عسكرية تقوم بها قوة من سلاح حرس الوزارات تحيى الزعيم عند الدخول

---

(٦١) مجــلة روز اليوسف ٢ نوفمبر سنة ١٩٤٤ ، آخر ســاعة أول اكتوبر ١٩٤٤ ، مذكرات حسن يوسف ص ١٣٩ ــ ١٤٠ ٠

(٦٢) مجـلة روز اليوسف ٢ نوفمبر ١٩٤٤ ، مذكرات حسن يوسف ص ١٣٩ ــ ١٤٠ ، مذكرات كريم ثابت الجمهورية ٢٧ يونية سنة ١٩٥٥ ٠

(٦٣) مذكرات حسن يوسف ص ١٥٩ ٠

وعند الخروج وعلم فاروق بموضوع العلم حيث كان من المعلوم ان العـــلم لا يرفع ولا ينكس الا لرمز الدولة وهو الملك وصدرت التعليمات من القصر برفع العلم فورا وعدم تكرار هذا التقـــليد الذى يفتقـــد الى أى ســـند قانونى (٦٤) ٠

وعلى الرغم من ان معظم المصادمات كانت من باب تصيد المواقف حيث كانت فى مجملها خلافات شكلية اكثر منها موضوعية الا انها كانتمقدمـــة للعديد من المحاولات من جانب القصر بهدف اقالة الحكومة ، ففى أعقـاب أزمة الكتاب الاسود تقدم احمد حســنين رئيس الديوان « باســتقالته من منصبه (١٤ ابريل ١٩٤٢) بحجة أن استمرار الوفد فى الوزارة بعد ان ثبت فساده سوف يؤدى الى كراهية الشعب للنحاس مما سيجعلمركزه مستحيلا وقد ادرك « كيلرن » ما وراء هذه الحـركة المسرحية ومن ثم ســـعى الى ابطـال مفعولها (٦٥) ٠

وعلى ضوء تعليمات الخارجية البريطانية الى سفيرها فى القاهــرة فقد طلب السفير من الملك مزيدا من ضبط النفس محذرا من الاقدام على اية خطوة متهورة قد تكون لها عواقب ليست فى الحسبان (٦٦) وبالطبع فان « التهور » الذى تعنيه لندن هو اقالة الوفد واما العواقب التى ليست فى الحسبان فهى تزكير الملك بما يشبه ٤ فبراير او يزيد ٠

وعلى كل فان محاولات أحمد حسنين لم تتوقف فقد جعل عمه أن يظهر الملك بمظهر الرجل الوطنى وان يظهر حكومة الوفـد بمظهـر المتســـاهل فى حقوق الوطن المعتمد على تأييد البريطانيين وفى الوقت نفسه ادار أحمـــد حسنين حملة دعاية واسعة لصالح فاروق وجعله يغشى المساجد ولـما اصيب فى حادث القصاصين اتخذها فرصة لاستدرار العطف على الملك الجـــريح

---

(٦٤) روز اليوسف ٢ نوفمبر ١٩٤٤ ، مذكرات كريم ثابت الجمهـــورية ٢٧ يونية ١٩٥٥ ٠

(٦٥) وثائق الخارجية البريطانية برقية رقم ١٥٢٧٠ ابريل ١٩٤٤ مـــن كيلرن الى حكومته ٠

(٦٦) المصدر الســـابق برقية رقم ٢٠٧ من كيلـــرن الى حكومته ٢٥ فبرايـــر ٠

الذى يقاوم الطغيان البريطانى وجعل من يوم عودته الى القاهرة مظاهرة شعبية كبيرة وكان واضحا ان كل هذه الحركات مما يضايق الحكومة ويحرجها ثم انها تعد تعبيرا عن التأييد الذى يحظى به الملك لدى غالبية الشعب المصرى (٦٧) .

ويبدو ان أحمد حسنين قد تصور ان محاولاته المتكررة باظهار الملك فى صورة « الملك المتدين » و « الملك الصالح » قد تؤدى الى التفاف الشعب حول فاروق وانصرافهم عن الوفد وهو ما يتعارض مع سياسة الوفد باعتباره حزب الامة المصرية كلها وحتى لا يتهم القصر بانه لا يحس بمعاناة الجماهير فقد فتحت ابواب قصر عابدين امام العمال حيث دعوا الى مآدب لهم وقيام فاروق شخصيا بترحيبه بهم ولم يكتف الملك بهذا بل تعمد على ان يمضى يوم ذكرى حلف اليمين الدستورية (٢٩ يوليو ١٩٣٧) بين عمال المحلة الكبرى متفقدا احوالهم الصحية والاجتماعية حتى اذا دخل السرادق المقام لاستقباله قال : « انى أرى حولى اصحاب رؤوس الاموال التى انشأت هذه المصانع ولكنى لا أرى حولى احدا من اصحاب السواعد الذين قامت هذه المصانع على سواعدهم . وكثيرا ماردد فى خطبته مؤكدا على حقوق العمال وقد ترأس بنفسه المجلس الاعلى لمحاربة الجهل والفقر والمرض لدرجة ان « كيلرن »كان ينقد هذه السياسة معتقدا انها تقلل من هيبة الملك (٦٨) .

وعلى مااعتقد فان كل هذه المحاولات التى كان يقوم بها الملك لم تكن خالصة لوجه الله وانما كانت بهدف كسب ارض جديدة من تحت اقدام الوفد وهو مانجح فيه فاروق الى حد كبير حيث ان العمال كانوا يعدون الغالبية العظمى لحزب الوفد وعلى مااعتقد ايضا فان انتقادات السفير البريطانى « كيلرن » للملك فاروق بحجة ان سياسته تجاه العمال تقلل من هيبته هو استنتاج لا يتسم بقدر من الموضوعية ولعل السفير كان يهدف من وراء هذه النصيحة الى ان يظل فاروق بعيدا عن اهم قطاع يمثل عامل ضغط هام فى مجرى الاحداث المصرية .

---

(٦٧) محمد زكى عبد القادر محنة الدستور ص ٣٨ ، مذكرات حسين يوسف ص ١٦٨ ، روز اليوسف ٩ نوفمبر سنة ١٩٤٤ .

(٦٨) مذكرات كريم ثابت الجمهورية ٤ يوليو سنة ١٩٥٥ ، د. يونان لبيب رزق مرجع سبق ذكره ص ٤٥٤ ، اخبار اليوم ١٩٤٦/٤/٦ .

ولم تتوقف سياسة القصر بهدف النيل من النحاس وحكومته بل بـدأ ذلك النشاط المتزايد الذى شهدته الشهور الباقية من عام ١٩٤٣ من تنظـيم العمال والطلاب تحت راية القصر من خلال الاجتماعات المتكررة التى كان يعقدها احمد حسنين مع زعماء تلك الطوائف لدرجة انه تمكن من ان يقنعهم بان النحاس مصمم على سلب الملك سلطاته وعلى وضع نفسه على رأس الدولة بدلا من أن نقنع بدوره فى زعامة الحزب السياسى ورئاسة الوزراء (٦٩) .

ويسجل اللورد كيلرن ان الملك فاروق قد حقق شعبية كبيرة على الوفـد وخصوصا وسط الطبقات العاملة وان عددا كبيرا من طلاب الجامعات اخذ فى التحول من الوفد الى الملك ويستشهد السفير بتلك المظاهرات المستمرة التى قام بها الطـلاب والعمـال عندما اصيب الملك فى حـادث القصـاصين (نوفمبر ١٩٤٣) (٧٠) .

وفى الوقت الذى كان يقوم فيه القصر بالعديد من المناورات لاضـعاف الحكومة والتقليل من هيبتها ، نستطيع ان نقرر ان معظم تلك المنـاورات قد حققت قدرا كبيرا من النجاح ولم يقتصر الامر على مناورات القصر بل تعدى ذلك الى احزاب الاقلية التى انتشرت فى القـرى والمدن المصرية لعقد العـديد من الاجتماعات والمؤتمرات والتى انصبت فى مجملها على النيل من الوفد (٧١) مما يجعلنا نعتقد ان كل احزاب المعارضة كانت تعمل من خلال تنسيق أعـده احمـد حسنين باسم القصر الملكى .

---

(٦٩) مذكرات كريم ثابت المصدر السـابق واخبار اليوم المصـدر السـابق .

(٧٠) وثائق الخارجية البريطانية برقية رقم ٨٣٠ ٢٨ نوفمبر ١٩٤٣ من كيلرن الى حكومته .

(٧١) روز اليوسف ٩ اغسطس ١٩٨٢ مذكرات ابراهيم عبد الهـادى ، روز اليوسف ٢ مارس ١٩٤٤ ، اخبار اليوم ١٩٤٦/٤/٦ .

ونظرا لاهمية الجيش فى حسم اى نوع من الصراع السياسى فقــد بدأ الملك يتقرب الى الضباط حيث حرص على أدائه لصلاة الجمعــة فى مســـجد فاروق بالمظلة وتكررت هذه الزيارة ثلاث مرات فى الفترة من ١٣ فبراير ١٩٤٢ وحتى ٢٥ فبراير وفى كل مرة كان الضباط يهتفون « يعيش الملك قائدنا الاعلى»، « الجيش فداء الملك » (٧٢) ٠

وعلى ما يبدو فان احمد حسنين قد استطاع ان يقنع فاروق بأن الوفد اضحى قوة هزيلة فقدت مكانتها لدى معظم الجماهير المصرية ولم يعد يمثل واقعا ملموسا وسط الجماهير ، ومزيدا من احراج الوفد واعترافا من القصـــر بان الوفد لم يعد يمثل الامة المصرية فلقد دعــا الملك زعمــاء المعارضــة وطلب منهم التقدم بمطالب مصر الى القادة الكبار (نوفمبر ١٩٤٣) فى مؤتمــرهم المنعقد فى القاهرة (تشرشل روزفلت ، شاينج كاى شك) (٧٣) ٠

ويعترف احد زعماء الاحزاب المصرية بان هذه اللفتة الملكية كان لهــــا مغزاها فالطبيعى ان تقوم الوزارة بهذا المسعى فهؤلاء الكبار ضيوفهـــا وهى اقدر من المعارضة على الاتصال بهم والتحدث اليهم وهى مطــالبة بحــكم مركزها بان تتولى هذا الامر ومن خصائص الملك الدستورية ان يلفت نظــر رئيس وزرائه الى هذا الامر فاختصاص الملك رجال المعارضة بهذا الامــــر الحيوى له مغزاه البين على ان حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ بقى عميـــق الاثـــر فى نفســـه (٧٤) ٠

وعلى ما اعتقد فان تعليمات الملك الى زعماء المعارضة لكى يتقدموا بماطالب مصر الى القادة الكبار لم يكن يهدف تقرير أحقية مصر فى الاســـتقلال عقب الحـرب بقـدر ماكان يهـدف الى احراج الحكومة واظهارها سواء أمام القادة الكبار أو أمام الشعب بمظهــر الحكومة العاجزة عن تحقيق امانى الشــعب المصرى ولعل هذا ما يبدو واضحا من خلال الحاح الملك بعزل حكومــة النحاس باعتبارها عقبة فى سبيل تحقيق الامانى الوطنية للشعب المصرى ٠

---

(٧٢) اخبار اليوم ١٩٤٦/٤/٦ ، روز اليوسف ٢ مارس ١٩٤٤ ، مذكرات حسن يوسف ص ٢١٤ ٠

(٧٣) د٠ هيكل مرجع سبق كر مج ١ ص ٢٧٥ ، عبد الرحمن الرافـــعى فى عقاب الثورة المصرية جـ٣ ص ١٣٥ ، محمد زكى عبد القادر محنة الدستور صفحة ١٣٨ ٠

(٧٤) د ٠ هيكل جـ ٢ ص ٢٧٥ ، مذكرات ابراهيم عبد الهادى مجلــةروز اليوسف ٩ أغسطس ١٩٨٢

ويلاحظ ان المذكرة التى تقدم بها زعماء المعارضة (٢١ نوفمبر ١٩٤٣) كانت على غرار مذكرة مماثلة قدمها الوفد فى ٢١ ابريل سنة ١٩٤٠ الى الحكومة البريطانية ولعل هاتين المذكرتين لم تكونا سوى مناورة لا تعبر عن حقيقة أو موقف جاد فقد قدم الوفد مذكرته كيدا للوزارة القائمة حينئذ وقدمت المعارضة مذكرتها كيدا لوزارة الوفد بدليل ان الوفد حينما ولى الحكم لم يقدم على اى اجراء عملى لتنفيذ ما جاء فى مذكرته وكذلك كان موقف احزاب المعارضة فانها حينما وليت الحكم بعد ذلك باقل من عام تناست كل ما طالبت به فى مذكرتها ٠

وفى الوقت الذى كان فيه فاروق يبذل كل جهد ممكن سواء فى تشويه صورة الوفد والنيل من مكانته أو فى محاولاته المتكررة لطرد الحكومة كانت هناك محاولات اخرى تأخذ طابعا سريا ونعنى بها محاولة اعداد تنظيم سرى بهدف اغتيال كل من ساهم فى صنع ٤ فبراير ١٩٤٢ وعلى راسهم النحاس باشا وامين عثمان (٧٥) ٠

لقد وصلت العلاقات بين القصر والحكومة الى ابعد مدا وخصوصا بعد انتشار الملاريا فى مديرتى قنا واسوان مع نهاية عام ١٩٤٣ وبداية عام ١٩٤٤ وزيادة المجاعة وكثرة الوفيات فى تلك المناطق وفشلت جهود الوزارة فى اتخاذ الاجراءات المناسبة مما حدا بالقصر لكى يستخدم هذا الفشل كورقة ضد الوفد وتراءى للملك ان يقوم برحلة خاصة الى الصعيد ومع أنه استقبل النحاس باشا يوم ٧ فبرار فانه لم يخبره بما يفكر فيه من زيارة المديريات المنكوبة (٧٦) ٠

---

(٧٤) د٠ هيكل جـ ٢ ص ٢٧٥ ، مذكرات ابراهيم عبد الهادى مجلة روز اليوسف ٩ أغسطس ١٩٨٢ ٠

(٧٥) وثائق الخارجية الامريكية وثيقة رقم ٨٣٩ من كيرك الى الخارجية الامريكية ٢٩ يونية ١٩٤٢

، احمد مرتضى المراغى مرجع سبق ذكره ص ٦٤ ٠

(٧٦) مذكرات حسن يوسف وكيل الديوان الملكى ص ١٦٧ ٠

وفى صباح الخميس ١٠ فبراير سافر الملك (عشية عيد ميلاده) حيث احيطت تلك الزيارة بالعديد من مظاهر العطف الملكى على الفلاحين المنكوبين وقد اشار فاروق فى احاديثه الى أهل النوبة بما يفهم من ان الحكومة قد اهملت اهمالا كبيرا فى السيطرة على كل تلك المشاكل (٧٧) .

وكان لتلك الزيارة اثرها فى تنبيه الاذهان الى خطورة الموقف حدث جرت فى الاسبوع الاخير من فبراير مناقشات حامية فى البرلمان حول نقص المواد الغذائية وانتشار الملاريا وقد القى النحاس باشا بيانا استغرق أربع ساعات دافع فيه عن سياسة حكومته والقى باللائمة على الوزارات السابقة لانها اعاقت مشروع تعلية خزان اسوان ثم القى المسئولية على كبار الملاك فى الوجه القبلى لانهم يعطون اجورا غير مجزية للعمال الزراعيين (٧٨) ولعل النحاس كان يقصد القضاء التبعة على الملك فاروق شخصيا لانه من المعروف ان الخاصة الملكية لها تفاتيش واسعة فى تلك المناطق ولم يكتف النحس بذلك بل القى بيانا نشر فى كل الصحف الوفدية وبعض صحف المعارضة مؤكدا على ان ابناء الصعيد فى حالة جيدة وانهم سعداء بادارة الحكومة (٧٩) .

وامعاناً فى تجسيم المنافسة بين الملك والنحاس قام الاخير فى ١٣ مارس بزيارة اسيوط والمنيا واصطحب معه وزراء الاشغال والعدل والمعارف والداخلية والصحة والاوقاف واعلن عن زيارته الى قنا واسوان بعد قليل وتمت الرحلة خلال مارس ١٩٤٤ حيث افتتح النحاس عددا من المنشآت والساحات الشعبية واطلق عليها « مؤسسة مصطفى النحاس » وفى الخطب التى القاها الوزراء فى تلك المناسبة ركزوا على أن الحكومة تعمل الكثير لابناء الصعيد بينما القصر لا يعمل شيئا (٨٠) .

---

(٧٧) مذكرات كريم ثابت الجمهورية ٢٧ يونية ١٩٥٥ مذكرات حسن يوسف ص ١٦٨ ، الاهرام ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ فبراير سنة ١٩٤٤ .

(٧٩) الاهرام ٢٨ فبراير ١٩٤٤ . المصرى والسياسى ٢٨ فبراير ١٩٤٤ .

(٨٠) الوفد المصرى ، الاهرام ١٣ مارس ١٩٤٤ مذكرات حسن يوسف صفحة ١٦٨ .

وبالرغم من أن زيارة فروق لتلك المناطق والتصريحات التى أدلى بهـا تعد احراجا اكبدا للحكومة الا أنه لم يكتف بذلك بل استدعى رئيس الوزراء كما اجتمع بوزراء الداخلية والشئون الاجتماعية والاوقاف والتموين والصحة ولفت أنظارهم الى سوء حالة التغذيةوالتموين وانعدام الرعاية الصـــحية فى المناطق التى زارهـا (٨١) .

ويبدو ان فاروق قد حاول استثمار الموقف بهدف اقالة الوزارة واستدعى السفير البريطانى وابلغه بنيته بحجة ان الامة لم تعد تنظـر باحترام كـاف للعرش وان البلاد لا تحتمل ملكين « ورد السفير مداعبا » ان ملكا واحـــدا يكفينـــا (٨٢) . وبالرغم من الاتفـــاق الذى تم بين الرجلين على انتظار رد لندن الا أن فاروق حاول ان يضـع السفير البريطانى امام الامـر الواقـــع واصدر امرا ملكيا باقالة الوزارة الا أن السفير كان متيقظـا وتمكن من الضغط على فاروق وطلب منه انتظار رد تشرشل الذى جمع وزارة الحرب لبحث المسألة وجاء قرار الحكومة البريطانية والذى تم ابلاغه الى القصر وفحواة : ان مجلس الحرب يرى أن رغبة الملك فى اقالة حكومة يتمتع رئيسها بأغلبية كبيرة فى البرلمان الذى لازال أمامه ثلاث سنوات أخرى يعد عملا محفـــوفا بالمخـــاطر (٨٣) .

وبعثت الحكومة البريطانية برسول يستطلع الموقف السياسى فى مصر وقد حضر مستر « سكريفنر » رئيس ادارة الشرق الاوسط بوزارة الخارجية البريطانية واجتمع أكثر من مرة بحسنين باشا « رئيس الديوان » كما اجتمع بعدد من زعماء المعارضة وخلص الى ان الشـــــكوى من الوزارة القـــائمة تنحصر فى أمرين :

أولهمـــا :

شـــدة الرقابة على الصـــحف .

---

(٨١) البلاغ الاول من مارس ١٩٤٤ .

(٨٢) وثائق الخارجية البريطانية برقية رقم ٢٠٣ من كيلرن الى حكومتــه ١٢ ابريل سنة ١٩٤٤ .

(٨٣) المصدر السابق برقية رقم ٣ من الخـــارجية البريطـــــانية الى كيلرن ٢١ ابريل ١٩٤٤ .

ثانيهمـــا :

كثرة الاعتقالات السياسية . وكان من رأى السفير البريطانى ان بعض الاعتقالات يتم لاغراض حزبية ولهذا فقد اقترح تاليف لجنة برئاســة أمين عثمان لمراجعة كشـوف المعتقلين وتوضيح أسباب اعتقـالهم وعلى ســبيل التندر قال مستر « سكريفنر » انه علم من مصدر ثقـة ان النحـاس أمـــر باعتقـال الطاهى الخصوصى لانه وضع فى الحسـاء كمية من البصل اكثر من اللازم (٨٤) .

ووفقـا لأحد المصادر وثيقة الصلة بالقصر الملكى فان أحمـد حسنين فى حديثه مع « سكريفنر » قـد انحى باللائمة على بريطانيا لانها تتمســك بوزارة قصرت فى شئون التموين وان اهـالى الصعيد قد يقومون بثورة كالتى حدثت فى سنة ١٩١٩ وان الوفـد اذا دخل انتخابات جديدة فانه لن يفـــوز باكثر من ٣٠٪ من الاصوات (٨٥) .

ولعل النحاس باشا قد قرر خطورة المحاولات التى يبذلها القصر بهـدف الاطاحة بوزارة ٤ فبراير لذا فقد ذهب الى السفير البريطانى معاتبا ايـــاه قائلا : « لقد بذلت قصارى جهدى لكى أبدو مفيدا فى تلبية مطـالبكم ســواء بتأمين قواتكم أو بتوفير المواد الغذائية للقوات المحاربة واعتقلت غير المرغوب فيهم من الشخصيات العامة كل هذا وصـــل بى الى موقف اتهمت فيه بأنى افعل ما يريده الانجليز لابقى فى الحكم واخيرا وبعد كل ذلك احس أنكم بدائم تتخلون عنى ويشير النحاس من طرف خفى أنه على استعداد لالغاء الاحكام العرفية والغاء الرقابة والاعتقال والعودة الى المحاكم العادية ويعلق السـفير البريطانى على حديث النحاس بقوله : « ان البريطانيين معتادون على تحمل قدر من اللوم لا يستحقونه ، على مسئوليات تعد من صميم عمل الحكومـــة المصرية ويضيف السفير فى برقيته قائلا : ان النحاس اصبح يدرك بصـورة متزايدة المشاعر المعادية ضده بسبب عيوبه ومطاردته لخصومه الســياسيين

---

(٨٤) وثائق الخارجية البريطانية تقــرير رقم ١٣ من « ســكريفنر » الى حكومته ٢٥ ابريل ١٩٤٤ .

(٨٥) مذكرات حسن يوسف وكيل الديوان الملكى ص ١٧٢ .

بحجة تسىء الى بريطانيا قبل أن تسىء الى الوفد وعموما فان الوفد بكل عيوبه لا يزال افضل ما نعتمد عليه (٨٦) ٠

واذا كان هدف بريطانيا من عودة الوفد فى ٤ فبراير هو استقرار الاوضاع المصرية بالاضافة الى توظيف كل الامكانيات المصرية خدمة لقضية الحلفاء بما يضمن أمن القوات البريطانية المحاربة وتأمين ظهرها فان هذه البرقية تضاعف من قناعتنا بأن بريطانيا كانت تهدف أيضا بعودة الوفد الى اهتزاز ثقة الجماهير فى هذا البناء الشامخ « الوفد » حتى اذا ما انفضت الجماهير من حوله فلا مانع من اعطاء الضوء الاخضر للملك لكى يقيله ٠ لكن اقالته هذه المرة ستكون اسوأ اقالة حيث شاخ وهرم وفقد المقدرة على التأثير واصبح تاريخا فقط لا يحمل نبضا صادقا ولعل فاروق كان مدركا هذا المعنى واثقا من محاولاته ولذا فقد سعى جاهدا لمقابلة « كيرك » السفير الامريكى فى القاهرة طالبا منه التوسط لدى الحكومة البريطانية فى محاولة لاقناعها بفكرة عزل النحاس وحكومته ٠ ووفقا لتعبير « كيرك » : « فان الملك عاقد العزم على انهاء الخلاف بينه وبين رئيس الوزراء بالقوة حتى ولو كلفه ذلك اعتزال العرش والاقامة فى المنفى ٠ ويضيف السفير الامريكى : « ان الخلاف بين فاروق والنحاس من الممكن ان تكون له عواقب وخيمة على منطقة الشرق الاوسط كلها ٠ الا أن السفير الامريكى لم يقطع على نفسه وعدا على اعتبار ان هذه المسألة تدور فى اطار العلاقات البريطانية المصرية (١) ٠

ولعل السفير الامريكى لم يحاول ان يقطع على نفسه وعدا قد يورط الولايات المتحدة الامريكية فى أمر يعد من اخص خصائص الحكومة البريطانية اعتمادا على ان فاروق لا يساوى خلافا بين الولايات المتحدة وحلفائها ٠ ولهذا فقد امتنع « كيرك » عن التوسط فى حسم هذا الخلاف وعلى

---

(٨٦) وثائق الخارجية البريطانية برقية رقم ٩٧٣ من كيلرن الى حكومته ٢٠ ابريل ١٩٤٤ ٠

(١) وثائق الخارجية الامريكية برقية رقم ٣٣ من كيرك الى حكومته الاول من مايو سنة ١٩٤٣ ٠

ما اعتقد ايضا فان امتناع السفير الامريكى عن التدخل قد يكون راجعا الى ان الولايات المتحدة الامريكية قد بدأت تدرك ان الامبراطورية البريطانية قد شاخت وان مصيرها الى زوال ٠ والنظرة الموضوعية تقتضى التعقل بعيدا عن التدخل فى صراعات قد تحدث آثارا ضارة للمصالح الامريكية المنتظرة ٠

وعلى ما اعتقد فان قضية التغيير التى كان يعتبرها فاروق قضيته الاولى والاخيرة كانت اشد ما تكون ارتباطا بانتصار الحلفاء فى الحرب ومع نهاية ١٩٤٤ حيث كان الامريكان والانجليز قد نزلوا فرنسا وبدأوا يجلون الالمان عنها وكان الروس من ناحيتهم قد قاوموا الالمان فى ـ ستالنجراد ـ مقاومة اضطرتهم الى التراجع واتاحت للروس أن يتقدموا الى بروسيا الشرقية وكانت بوادر نصر الحلفاء تتبدى فى الافق نصرا حاسما بغير شرط ولا قيد وادرك البريطانيون وفقا لسياستهم التقليدية انه لم يتبق لهم فى مصر حاجة لليد الحديدية التى جعلوا النحاس وسيلتها منذ ان فرضوه على الحكم فى ٤ فبراير ١٩٤٢ ٠

وادرك احمد حسنين ان الفرصة مواتية لاقالة مصطفى النحاس وادرك فاروق ان احمد حسنين هو الرجل الذى من الممكن ان تقبله بريطانيا بديلا عن الوفد بعد ان استنفذت كل الوسائل المتاحة امام القصر الا أن بريطانيا كانت تدرك جيدا أن أحمد حسنين على الرغم من صداقته لبريطانيا الا أنه ليس بالرجل المنتظر (٨٨) ٠

والسؤال الذى يحتاج الى اجابة : لماذا اعتقد فاروق أن أحمد حسنين هو البديل المناسب عن الوفد على الرغم من ان استمراره فى منصب رئيس الديوان يعد صمام أمن لفاروق ؟٠٠ وتأسيسا على العديد من القرائن التى تفسرها العديد من البديهيات فاننى أعتقد أن محاولة القصر اقالة النحاس هذا الرجل الذى استطاع ان يبث الطمأنينة فى نفوس الساسة الانجليز منذ

---

(٨٨) مذكرات ابراهيم عبد الهادى روز اليوسف ٢٣ اغسطس ١٩٨٢ ، محمد التابعى اسرار الساسة والسياسة ص ١٢٤ ٠

ولى الحكم فى ٤ فبراير ولعل هذا الاعتبار الذى استباحت من اجله بريطانيا كل القوانين والمعاهدات لا يمكن ان تقبل تغييره ولكن من الممكن ان تعيد تفكيرها اذا وجد على رأس الحكومة ما يستطيع أن يؤمن مصالح بريطانيا واختيار احمد حسنين هذا الرجل الذى اجمع كل الساسة الانجليز على أنه لا يضمر أى نوايا عدوانية تجاه الانجليز بما اعترف من صداقته للعديد من الشخصيات البريطانية وبمعنى اكثر وضوحا لقد استطاع القصر ان يقدم البديل عن الوفد وعن النحاس ، أما الاعتقاد بان الوفد يستند الى قاعدة شعبية كبيرة تؤمن بالنحاس ولا ترضى عنه بديلا اعتقد ان القصر قد قدر الانهيار الذى لحق بالوفد سواء بعد ٤ فبراير أو عقب خروج مكرم عبيد ولذا فلم تعد لبريطانيا حجة من ان الوفد يستند الى اغلبية شعبية ٠

الا أن بريطانيا على ما يبدو لم تكن على استعداد لاجراء أى نوع من التغيير نظرا لان الحرب سواء فى الجبهة الافريقية (شمال افريقيا) أو فى جبهات أوربا كانت تمر بادق واخطر المراحل وعلى حد تعبير السفير البريطانى : « سيظل السوط معلقا على الحائط ليراه الملك بين وقت وآخر » (٨٩) ٠

وبالقدر الذى كانت فيه بريطانيا تحاول حماية الوفد من الاقالة كان النحاس يلقى بكل ثقله فى جانب السفير البريطانى ايمانا منه بأن بقاءه فى الحكم لا يستند الى الاغلبية ولا لغيرها من الاعتبارات وانما يستند الى ما يقدمه الوفد للانجليز ولذا فقد القى النحاس بكل ثقله فى جانب الحليفة غير مدرك لابعاد السياسة البريطانية التى ستتخلى عنه حتما فى الوقت المناسب ٠

ووفق العديد من المخططات التى كان يقوم بها القصر فانه لم يفقد الامل فى الاطاحة بالحكومة بل جعلها مبدأ استراتيجيا فى سياسته وحتما سيكون

---

(٨٩) وثائق الخارجية البريطانية برقية رقم ٢٠١ من كيلرن الى حكومته ٢٦ مايو ١٩٤٢ ٠

من تحقيق اغراضه وعلى حد تعبير احمد حسنين : صبرا يا مولانا فالشباك قـد اعدت » (٩٠) ٠

ولعل فاروق كان مقدرا طبيعة الموقف الدولى وكان يلتمس النهاية التى تمكنه من تحقيق رغبته بعد ان طال صبره ما يقرب من ثلاثة أعوام حتى كان يوم الجمعة ١٥ سبتمبر ١٩٤٤ فقد بعث كبير الامناء الى النحاس طبقا للعادة المرعية يخبره بأن جلالة الملك سوف يؤدى صلاة الجمعة فى مسجد عمــرو بن العاص ٠ ولكن الاخطار لم يتضمن دعوة رئيس الوزراء الى مصاحبة الملك طبقا لما جرت عليه التقاليد ولما سأل النحاس قال له كبير الامناء أن حسنين باشا رئيس الديوان هو الذى سيصحب الملك فى موكبه (٩١) ٠

ويبدو ان هذا القرار جاء ردا على تحدى النحاس باشا للملك اذ لم يحضر ولم يعتذر عن عدم قبول الدعوة الى مأدبة الافطـار التى أقامها الملك يوم ٢٥ اغسطس لسفراء الدول العـربية (٩٢) ٠

وبينما موكب الملك يمر لاداء صلاة الجمعة لاحظ الملك بعض اللافتـــات وقد كتب عليها « يحيا الملك مع النحاس » وكان اقتران اسم الملك باســم النحاس سببا لاصدار الاوامر من الملك الى مدير الامن العام « محمـــــود غزالى بك » بنزع اللافتات ونفذ الامر على الفور وفى اليوم التـــالى نشرت الصحف قرارا من وزير الداخلية بايقاف مدير الامن العام عن العمل (٩٣) ٠

واثار هذا القرار حفيظة الملك الذى صمم بدوره على بقاء مدير الامن العام فى منصبه واتصل حسنين باشا بمستر (الان ترنس شون) القائم بأعمال السفارة البريطانية وابلغه انه لا يعتزم اتخاذ أى اجراء متسرع ضد الوزارة

---

(٩٠) مذكرات كريم ثابت الجمهورية ١٧ يونية ١٩٥٥ ، مذكرات حسـن يوسف ص ١٨٥ ٠

(٩١) مذكرات حسن يوسف ص ١٨٥ ٠

(٩٢) المرجع السابق نفسه ٠

(٩٣) الاهرام ، المصرى ، السياسة ١٦ سبتمبر سنة ١٩٤٤ ٠

ولكنه حفاظا لكرامة الملك يجب ان يعود محمود غزالى الى منصبه وبادر مستر شون بارسال خطاب الى النحاس قال فيه ان انجلترا ما زالت تبدى اهتماما كبيرا بتأمين مصر باعتبارها قاعدة للعمليات الحربية وانها ترغب فى تجنب اية اجراءات قد تؤثر فى سير المجهود الحربى (٩٤) ٠

وبدا واضحا انه لابد من تنازل احد الفريقين حتى تمر تلك الازمة الا أن كل منهما قد تطلع الى دار السفارة البريطانية باعتبارها المصدر الفعلى لحكم البلاد وغاب عن النحاس ان الموقف هذه المرة تحكمه اعتبارات دولية جديدة فلقد كانت الأوضاع الدولية توشك فى نهاية الحرب لصالح الحلفاء فى الوقت الذى كان فيه اللورد كيلرن صاحب احداث ٤ فبراير العسكرية غائبا عن مصر فى رحلة صيد الى جنوب افريقيا وعلى ما اعتقد فان غيابه لم يكن من قبيل المصادفة وحتى لو كان موجودا فلن يغير من الامر شىء لأن السياسة البريطانية لا تقوم على اعتبارات شخصية وانما تعتمد على اعتبارات موضوعية لعل فى مقدمتها التخلى عن اليد الحديدية حتى يتطلع الشعب المصرى الى أمل جديد مما يخفف من حدة العداء التقليدى بين المصريين والانجليز ثم ان الرجل موضع الخلاف « محمود غزالى » كان موضع اهتمام الدوائر البريطانية وكان اختياره لهذا المنصب بناء على تعليمات الحكومة البريطانية (٩٥) ٠

ولما كانت حجة انجلترا فى التمسك بوزارة الوفد انها ما زالت تحتل الاغلبية بين مجاهير الشعب وانها تتعاون بصدق مع الحليفة فى سبيل المجهود الحربى أما وقد انحصر خطر الحرب عن مصر نهائيا وتوالت انتصارات الحلفاء بحيث اخذوا يستعدون لعقد مؤتمر السلام ، فقد تغير الموقف تماما ٠

---

(٩٤) مذكرات حسن يوسف ص ١٨٦ ، مذكرات اللواء ابراهيم امام مدير البوليس السياسى الجمهورية ١٦ يناير سنة ١٩٥٦ ٠

(٩٥) وثائق الخارجية البريطانية برقية رقم ٩٦ من « شون » القائم بالاعمال الى حكومته ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٤٤ ٠

وعلى ما أعتقد فان الوفد لم يدرك أن المجيء بحكومته كان لأهداف بريطانية بحتة حيث حصلت بريطانيا من مصر على كل ما ممكن ان تقدمه الدول المحاربة ٠

اما القول بان بريطانيا قد ساهمت فى عودة الوفد لاسباب ديمقراطية بحتة (٩٦) فهو قول لا يستند على أى دليل مادى أو عقلى واعتقد ان بريطانيا كانت عازمة على اقالة الوفد حتى ولو لم تحدث مشكلة غزالى بك والا كيف نفسر ذهاب السفير البريطانى الى جنوب افريقيا فى رحلة صيد والحرب لم تنته بعد وجيوش الحلفاء فى القاهرة وباقى العواصم المصرية تقرب من المائة وخمسون الفا أو يزيد وما يترب على ذلك من مشاكل تستلزم بالضرورة بقاء الرجل الذى يعلق السوط على الحائط لكى يرهب به كل من تسول له نفسه الخروج على رغبة احكومة البريطانية ٠

وعلى ضوء كل الاعتبارات السابقة حمل المستر شون القائم باعمال السفير قرار الحكومة البريطانية الى القصر وكان نصه : ان حكومة صاحب الجلالة لا تريد ان تتدخل فى هذا الخلاف الداخلى (٩٧) ومن المؤكد ان الحكومة البريطانية كانت تعنى حرية القصر فى اقالة الوزارة اعتقادا من الحكومة البريطانية بان القصر لن يفوت هذه الفرصة ٠

ووفق احد المصادر قريبة الصلة من القصر الملكى فان النحاس بعد ان أدرك حقيقة السياسة البريطانية كان يستعد لمواجهة القصر والانجليز معا وذلك بتقديم استقالته بدعوى ان الانلجيز لا يستجيبون للمطالب الوطنية وانهم يتدخلون فى شئون مصر الداخلية (٩٨)٠

وواقع الامر أن النحاس قد اشار فى احدى خطبه الى ضرورة تعديل المعاهدة كما اشار الى ضرورة صيانة حقوق مصر فى السودان (٩٩) الا أن

---

(٩٦) فؤاد سراج الدين ٨ ، ١٩٨٢/١١/١٢ جاردن سيتى ـ القاهرة ٠
(٩٧) وثائق الخارجية البريطانية برقية رقم ٩٦ من الخارجية البريطانية الى مستر شون ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٤٤ ٠
(٩٨) مذكرات حسن يوسف وكيل الديوان الملكى ص ١٨٦ ٠
(٩٩) الاهرام والمصرى ٢٧ اغسطس ١٩٤٤ ٠

السفارة البريطانية قد ادركت اهمية الموقف الذى من الممكن ان يحدث لو أقدم النحاس على تقديم استقالته ولذا فقد بادرت باعطاء الضوء الاخضر حـــتى يتمكن القصر من تحقيق أمنيته التى يسعى الى بلوغها منذ ثلاث سنوات .

ولما كانت مناقشات اللجنة التحضرية لمؤتمر الاتحاد العربى تسير قدمـا نحو النجاح وتحدد يوم ٥ أكتوبر سنة ١٩٤٤ موعدا لانتهائها وتقـــــرر الاحتفال بتوقيع ميثاق جامعة الدول العـــربية يوم ٧ أكتوبر فكان عـــلى النحاس ان يتريث حتى يتم هذا العمل المجيد وبعدها يقدم استقالته مســتندا الى أسباب وطنية ومن جانب القصر كان الموقف يقتضى التريث ايضـــا لان اقالة الوزارة وهى بصدد توقيع ميثاق الجامعة العربية قد يفسر بان فاروق يعترض على قيام الوحدة العربية وهو الحريص على أن تكون له زعامتها ولهذا فقد التزم الطرفان جنب الترقب والانتظار .

وفى صباح الاحـد ٨ اكتوبر ١٩٤٤ ذهب حسن يوسف «وكيل الديوان» حاملا قرار اقالة حكومة ٤ فبراير والتى ورد ذكرها على النحو التالى : لمـــا كنت حريصا على ان تحكم بلادى وزارة ديمقراطية تعمل للوطـــن وتطبـــق أحكام الدستور نصا وروحا وتسوى بين المصريين جميعا فى الحقوق والواجبات وتقوم بتوفير الغذاء والكساء لطبقات الشعب فقد رأينا ان تقيــــــلكم من منصــــــبكم .. الخ (١٠٠) .

وزارة احمد ماهر وانتقال الوفد الى جبهة المعارضة :

وفى نفس اليوم الذى وجه فيه الملك امر الاقالة الى النحاس (٨ اكتوبر ١٩٤٤) (١٠١) وجه أمر تأليف الوزارة الى أحمد ماهر وكان من المتوقع أن يكون احمد حسنين هو الرئيس الجديد الا أن الموقف كانت تحكمه عدة عوامـــــل موضوعية تفسرها القرائن الاتية :

---

(١٠٠) مذكرات حسن يوسف ص ١٩٠ ، الاهرام ، السياسة ٩ اكتوبـــر سنة ١٩٤٤ .

(١٠١) الوقائع ، الاهرام والسياسة ٩ أكوبر .

أولا : لعل أحمد حسنين قد فضل ان يدع لغـــيره مواجهة المتغيرات الجديدة وخصوصا وانه كان دائم التصريح عن محاولاته المستمرة بهــدف اصلاح الصراع الذى وقع فى العلاقات بين القصر والوفد نتيجة لحـــادث ٤ فبراير وحتى فى اشد مراحل الصراع بين الملك والنحاس عقب اقالة مكـــرم عبيـــد كان أحمد حسنين يلعب دوره وبذكاء شديد محاولا اقناع الوفد بان رئاسة ديوان القصر تسعى لوجـــود نوع من التفـــاهم بين القصر والوفد (١٠٢) • وعلى حد تعبير أحد المعاصرين : « لقـــد كان أحمـد حسنين داهية سياسية يصعب فهمها » (١٠٣) وعلى ضوء كل هذه الاعتبارات فان أحمد حسنين لم يكن من السذاجة لدرجة أنه يوافق على رئاسة الحكـــومة حتى لا يتهم بانه كان وراء كل ما حدث من خلافات بين القصر والوفد ، بالرغم من أننا على درجة كبيرة من القناعة التى تجعلنا نقـــرر بأن أحمـد حسنين يعد العامل الثانى فى تصدع العلاقات بين القصر والوفد بعد العمل الاول وهو حـــادث ٤ فبراير •

ثانيا : لقد كانت سياسة القصر قائمة على مبدأ تدمير الوفد والتجاوز عن فكرة الدستور أو القانون واحمد حسنين بما عـــرف عنـــه من ذكاء وحنكة لا يمكن ان يكون كبش الفداء حيث تعود دائما ان يعمل من خلف الســـتار وكان اختيار أحمد ماهر ليس من قبيل المصادفة بل لما عرف عنه من كراهية شديدة للنحاس تؤهله أن يكون الزراع التى تمكن القصر من اقتلاع عـــروش الوفـــد •

ثالثا : ان منصب رئيس الديوان لا يقل اهمية عن منصب رئيس الحكومة علاوة على ن منصب رئيس الديوان يتسم بالثبات والاستقرار بعد مشاحنات الاحزاب بل غالبا ما كانت الاحزاب تلجأ الى رئيس الديوان لحسم أى نوع

---

(١٠٢) محمد التابعى مرجع سبق ذكره ص ٣٠٢ ، مذكـــرات كريم ثابت الجمهورية ١٥ يونية ١٩٥٥ ، محمد زكى عبد القادر محنة الدستور ص ١٤١ ، مذكرات حسن يوسف ٢٤٢ •

(١٠٣) فتحى رضوان لقاء شخصى ١٩٨٢/٨/٩ مصر الجديدة ـ القاهرة ، محمد زكى عبد القادر محنة الدستور ص ١٤١ مذكرات كمال الديـــن رفعت ص ٢ •

من الخلافات التى تقع سواء بين الاحزاب وبعضها أو بين الاحزاب والملك وما كان لاحمد حسنين وهو فى موقع الاختيار ان يقبل عن منصب رئيس الديوان بديلا وخصوصا فى تلك الفترة التى تستلزم وفقا لسياسة القصر العديد من الاجراءات التى لا تتفق مع مبدأ الدستور أو القانون ٠

وعلى الرغم من اعترافنا صراحة بان الوفد قد تجاوز فى تصرفاته الى درجة لا تتفق وتاريخ هذا البناء الشامخ واذا كان الدستور قد أعطى الملك حرية اقالة الحكومة باعتباره حقا مقررا فى الدستور الا أن هذا الحق ليس مطلقا بل مقيدا بشرط الا تنتقل السلطة من الشعب الى الملك بل لابد من العودة الى الامة باعتبارها مصدر السلطات واستطلاع رأيها من خلال انتخابات حرة يتبين منها الرأى الصحيح للشعب الا أن أحزاب الاقلية مجتمعة ما عدا الحزب الوطنى كانت تسبح بحمد الملك وتقبله مصدرا لكل السلطات ولم يتورع رئيس الحكومة الجديدة من ان يتهم النحاس صراحة بأنه كان أسوأ الديكتاتوريين ، وأنه كان يحكم مصر بأساليب هتلر وموسلينى (١٠٥) ٠

ووصلت الحملة على الوفد ذروتها حينما تقرر تشكيل لجنة تحقيق يترأسها مكرم عبيد لتقدم تقريرا عن أعمال الفساد والمحسوبية المنسوبتان الى النحاس ووزرائه واقاربه (١٠٦) ولم يتوقف الامر عند هذا الحد بل أصدر الملك مرسوما بقانون هذا نصه :

مادة ١ : تبطل فيما يتعلق بالدرجة والماهية جميع التعيينات الاستثنائية فى المدة من ٦ فبراير سنة ١٩٤٢ وحتى ٨ أكتوبر سنة ١٩٤٤ وكذلك جميع التعيينات التى تمت فى المدة المذكورة ولا يسرى الحكم السابق على التعيينات التى صدر بها مرسوم أو أمر ملكى ٠

---

(١٠٤) لقاء مع فتحى رضوان ١٩٨٢/٨/٩ ٠

(١٠٥) الاهرام ، الكتلة ، الدستور ١٠ اكتوبر ١٩٤٤ مارسيل كولومب مرجع سبق ذكره ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ ٠

(١٠٦) الاهرام ، الكتلة ١٩٤٤/١٠/١٥ ٠

مادة ٢ : يبطل بالنسبة لارباب المعاشات ايضا ويسرى المعاش على اساس الماهية التى تستحق طبقا لتلك الاحكام مع ادخال المدة التى تكون قد اضيفت فى حسابات المعاشات على الا تتجوز عامان (١٠٧) .

وعلى ضوء المذكرة التفسيرية للقانون السابق فان الامر يبدو أكثر غـرابة حيث ابانت المذكرة العلة القانونية فى بطلان العلاوات والترقيات والتعيينات على اعتبار أنه لم يقصد فى مجموعها تحقيق المصلحة العامة وانما كان الباعث اليها هو محاباة ذوى القربى وارضاء الشهوات السياسية على حســـــــاب المصلحة العامة (١٠٨) .

ولعل من البديهيات ان كل الحكومات التى تعاقبت على حكم مصــــر فى الفترة من ١٩٣٧ ــ ١٩٤٥ قد اتخذت من الاستثناءات والمحسوبيات وسـيلة لتدعيم مكانتها وسلاحا تشهره فى وجه معارضيها سواء لصالح انصـــارها أو فى النيل من معارضـيها حتى باتت فكرة « الاستثناءات » وكأنها ظاهرة طبيعية فى الحياة السياسية المصرية وفى الوقت الذى كانت تلجـأ فيـــــه الحكومة « أية حكومة » الى التشهير بفكرة الاستثناءات تكون هى اكـــثر الحكومات عملا بتلك السياسه وغالبا ما كانت تلجأ الحكومات الى تبرير هذا الســــلوك (١٠٩) ولم تعـدم المبررات التى تســـوغها للاقدام على هـــذا السلوك الذى استقر فى المجتمع المصرى واصبح سمة ممـــيزة فى تاريخ كل الوزارات المصرية المتعاقبة .

ولعل هذا السلوك قد خلق روح التذمر بين الموظفين فشاع الحقد وعمت الغيرة وفترت همة الموظفين عن العمل وانصرف البعض للبحث عن وســـاطة

---

(١٠٧) الوقائع المصرية والاهرام ١٩٤٤/١١/٩ .

(١٠٨) مجموعة القوانين والمراسيم الصـــادرة عام ١٩٤٤ ص ٣ ، كتيب طبعة ١٩٤٧ المطابع الاميرية ــ القاهرة .

(١٠٩) مضابط مجلس الشيوخ دور الانعقـــاد الســـابع عشر الجلسة السادسة عشرة ٥ مايو سنة ١٩٤٢ ص ٢١٥ ، الاهرام ١٩٣٧/١١/٩ ، الوفـد المصرى ١٩٣٧/١١/٢٧ دفاع مكرم عبيد عن الاستثناءات .

تشفع لهم عند القائمين بالحكم بل وعمت روح النفاق والتملق وهاتان الظاهرتان قد استشرتا فى دماء المجتمع المصرى وكأنهما علامة مميزة لتلك الفترة ٠

والملاحظ على حكومة احمد ماهر انها تالفت من جميع الاحزاب المصرية فيما عدا الوفد ولم تشمل احدا من المستقلين ولعل الهدف من وراء ذلك ان تكون الحكومة الجديدة بديلا مناسبا عن الوفد ويبدو هذا من اقتراح الملك فاروق بتساوى عدد المرشحين لمجلس لنواب من بين الاحزاب الاربعة المشتركة فى الحكم (١١٠) (الهيئة السعدية ، الاحرار الدستوريون ، الحزب الوطنى ، الكتلة الوفدية) ٠

ولعل فاروق كان يهدف من اقتراحه ايجاد نوع من التعادل بين الاحزاب المشتركة فى الحكم مما لا يرجح كفة على اخرى وبالتالى يتمكن الملك من توجيه السياسة العامة باعتباره صاحب الفضل الاول فى المجىء باحزاب الاقلية الى الحكم ٠

الا ان الدكتور احمد ماهر لم يوافق على هذه الفكرة على اعتبار أن مشورة الملك تسوى بين جميع الاحزاب فى عدد الاعضاء بالرغم من ان بعض الاحزاب مثل الكتلة الوفدية والحزب الوطنى ليس لديهم من المرشحين ما يمكنهم من النجاح فى الانتخابات الا عددا يسيرا وفضلا عن ذلك فان احمد ماهر لايريد أن يجعل مركزه رهنا برضاء هذا الحزب أو غضب ذاك عليه ولابد له من عدد مناسب من الاعضاء يستطيع الاطمئنان الى تأييده لبقاء الوزارة واستمرارها (١١١)٠

ويعترف أحد زعماء الهيئة السعدية أن الدكتور احمد ماهر قد اعترض على فكرة التساوى بين الاحزاب بسبب سياسة القصر التى تريد ان تبسط نفوذها وسيطرتها التامة على الحكومة عن طريق تمزيق الاحزاب وخلق

---

(١١٠) د٠ هيكل مرجع سبق ذكره جـ ٢ ص ٢٩٤ ، مذكرات ابراهيم عبد الهادى ، روز اليوسف ٢٣ اغسطس سنة ١٩٨٢ ٠

(١١١) د٠ هيكل ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ابراهيم عبد الهادى المصدر السابق ـ حسن يوسف ص ٥٠٧ ٠

حزازات بل وعداوات صريحة بين بعضهم البعض لتضرب هذا بذلك الى آخر سياسة « فرق تسد » وان خطة احمد ماهر كانت قائمة على فكرة جمع الشمل ودمج الاحزاب كلها فى كتلة واحدة تواجه القصر والاستعمار معا (١١٢) .

وعلى ما اعتقد فان هذه الرواية لا تحمل قدرا كبيرا من الحقيقة للاسباب الاتية : —

١ — ان اعتراض الدكتور ماهروفق رواية الدكتور هيكل (١١٣) لم يكن بسبب القصر وانما لحاجة الدكتور ماهر الى قاعدة برلمانية تساند الحكومة فى سياستها حتى لا تفشل الحكومة بحجة فشل الائتلاف .

٢ — اذا كان اعتراض الدكتور ماهر على مبدأ التساوى بين الاحزاب فى الانتخابات المقترحة فكيف يمكن اقرار فكرة الدمج التى تعتمد أولا وقبل كل شىء على انكار الذاتية والموافقة على قبول الهوية العامة التى ترضاها جميع الاحزاب الا اذا كان صاحب هذه الرواية يقصد ان تندمج كل الاحزاب « ما عدا الوفد » تحت مبادىء الهيئة السعدية وهو مالا نعتقد بصحته اطلاقا .

٣ — ان المساوىء التى كان يتسم بها القصر لم تكن حديث الاحزاب المعارضة فى تلك الفترة وانما كانت جميعها تسبح بحمد القصر وتود لو انتزعت من الحقوق الدستورية لصالح القصر ثمنا لبقائها فى الحكم .

ونظرا لان كل القوى المناوئة للوفد وعلى رأسها القصر كانت ما تزال تئن من الضربات الشديدة التى تلقتها من الوفد فقد اتفق الجميع على تأليف لجنة تسمى « لجنة الترشيح للانتخابات » وتكونت من الاحزاب الاربعة المشتركة فى الوزارة وتم الاتفاق على تقسيم الدوائر الى طائفتين : دوائر مغلقة ودوائر مفتوحة اما الدوائر المغلقة فهى التى تتفق الاحزاب الاربعة

---

(١١٢) مذكرات ابراهيم عبد الهادى مجلة روز اليوسف ٩ اغسطس سنة ١٩٨٢ .

(١١٣) د. هيكل مرجع سبق ذكره جـ ٢ ص ٢٩٥ — ٢٩٦ .

على ترشيح شخص بذاته فى كل دائرة منها اما الدوائر المفتوحة فهى التى تركت ليرشح فيها كل حزب ما يشاء ٠٠ وانما قصد بهذا التقسيم أن يترك لكل حزب فرصة النجاح بالعدد الذى يختاره ممن يستطيعون النجـاح فى هذه الدوائر المفتوحـــة (١١٤) ٠

وهكذا وزعت الادوار وقسمت الدوائر وكان الوفد لم يعد له أى تأثير أو وجود فى الحياة السياسية المصرية وبينما الدكتـــور ماهر قد وجـــه كلمته المشهورة الى النحاس فى اجتماع قصر عابدين مساء ٤ فبراير ـ لقد قبـــلت المجىء يا نحاس باشا على اسنة الحـراب البريطنية ـــ ماذا يمكن ان نفسر مجىء الدكتور ماهـر الى الحكم على اسنة حراب القصر وتواطؤ الاحـزاب التى تفتقد إلى الجماهيرية الفعلية ، لقد بات واضحا وفقا لسياسة القصر ان الهدف الاساسى من المجىء بحكومة احمد ماهـر هو المزيد من التشـــــهير بالوفد والتنكيل بزعمائه والنيل منه بل وضربه الضربة القاضية ان أمكـن الا أن الحوادث قد كذبت ظن الدكتور ماهـر فبينما كان الوفـد قد خسر اكثر من نصف انصاره فى آخر حكمه اذا باقالته بهذه الصـــورة يبدو ـ ان خطـأ أو صوابا ـ شهيدا واذا بالناس يتأولون سبب اقالته كل حسب اتجـــاهه ولكن كل سبب قيل أو انصراف اليه الخاطر لم يكن فى صالح الوزارة الجديدة بسبب تواطؤها الواضح مع القصر وبعدها عن مبدأ الديمقراطية (١١٥) ٠

ثم كانت انتخابات مجلس النواب والتى تشبه الى حد كبير انتخابات ١٩٣٨ والتى أجرتها حكومة محمد محمود حيث عدلت الدوائر الانتخـابية من جديد وتم نقل أو فصـل العديد من مديرى الاقاليم وبات واضـــحا أن الانتخابات ستزيف لذا كان قرار الوفد بمقاطعة الانتخابات (١١٦) ٠

---

(١١٤) د٠ هيكل جـ ٢ ص ٢٦٩ ، الاهرام ١٩٤٤/١٠/١٥ ، الكتـــــلة ٢٣ ـ ١٠ ـ ١٩٤٤ السياسة ١٩٤٤/١٠/١٨ ٠

(١١٥) لقاء مع فتحى رضوان ١٩٨٢/٨/٩ ، محمد زكى عبد القادر محنـــة الدستور ص ١٤٤ ٠

(١١٦) فؤاد سراج الدين لقاء شخصى ١٩٨٢/١١/٨ ٠

ويرجع احد المعاصرين عدم دخول الوفد فى انتخابات ١٩٤٤ الى شعور الوفديين بانهم فقدوا ثقة غالبية الشعب بسبب مساوىء حكومة ٤ فبراير وطغيانها وتصرفاتها المنافية للعدل والاستقامة والنزاهة من هنا فقد آثروا الامتناع عن دخول الانتخابات سترا لفشلهم المرتقب ولكى ينسى الناس مع الزمن سيئاتهم لعلمهم فى بلد كل شىء فيه ينسى بعد حين (١١٧) .

ولعل الوفد قد ارتضى ان يبقى بعيدا عن مسرح السياسة وسواء أكان هذا ايمانا منه بان ارادة الامة ستزيف أو لاعتقاده بان الوفديين فقدوا ثقة غالبية الشعب الا أن هذا الموقف يعد ذكاء سياسيا ماهرا فلقد ضاعف من الاعتقاد القائل بان الوفد يعد شهيد الديمقراطية ولان السياسة التى سارعت عليها احزاب الاقلية « المشتركة فى الحكم » والتجاوزات العديدة التى احدثتها والاضطهادات الواضحة التى لقيها الوفديون كل هذه الامور قد اعادت الى الوفد بعضا من مكانته التى فقدها وسط الجماهير ولعل من الصعب تحقيق هذه المكاسب لو ارتضى الوفد الدخول فى عملية الانتخابات فى وقت يعلم ان ارادة القصر قد اجمعت على سقوطه فلم يكن من المقبول ان يكذب القصر نفسه حيث كان قرار اقالة الوفد « لما كنت حريصا على ان تحكم بلادى وزارة ديمقراطية تعمل للوطن وتطبق احكام الدستور وتسوى بين المصريين جميعا فى الحقوق والواجبات وتقوم بتوفير الغذاء والكساء لطبقات الشعب فقد رأينا أن نقيلكم من منصبكم » (١١٨) .

فليس من المعقول وقد اقر الملك حقيقة مؤكدة من وجهة نظره « وهى أن الوفد لم يعد يحظى بالاجماع الشعبى » لافتقاده الى الاسباب التى وردت فى قرار الاقالة وليس من المعقول ان يكذب القصر نفسه ويحظى الوفد بالاغلبية البرلمانية اى أن كل العوامل قد اجمعت على سقوط الوفد لذا فقد ارتضى الوفد لنفسه موقفا يتفق ومصلحته الفعلية وهو عدم دخول الانتخابات .

---

(١١٧) عبد الرحمن الرافعى فى اعقاب الثورة جـ ٣ ص ١٤٦ .

(١١٨) الوقائع ، الاهرام ٩ اكتوبر ١٩٤٤ .

وكان مطلوبا ان يشمل التغيير مجلس الشيوخ وفقا لمواد الدستور التناقضية بذلك (١١٩) وتمكن الدكتور احمد ماهر من استصدار مرسوم بالغاء التجديد النصفى الذى اقره الوفد سنة ١٩٤٢ والعودة الى تعينات سرى باشا سنة ١٩٤١ وظل الوفد يرقب التطورات الا أنه لم يكن ساكنا والاسهم توجه اليه من كل صوب بل انه قد استطاع ان يحرك بعض قواعده وخصوصا الطلاب الا أن حركة الوفد هذه المرة لم تكن بالاتساع الذى تخشاه الحكومة (١٢٠) وتمكن الدكتور ماهر بحكم خبرته القديمة وحنكته السياسية ان يتصدى لتيار مظاهرات الطلاب الوفديين وان يضعف من فاعليتها حيث قام بنفسه بالذهاب الى جامعة فؤاد الاول واجرى حوارا ديمقراطيا مع زعماء الطلاب تمكن من اقناعهم بالعدول عن تظاهرهم (١٢١) .

وبالرغم من ان النية كانت متجهة ليس فقط الى محاكمة الوزراء الوفديين وانما الى محاكمة النحاس باشا نفسه الا أن الحكومة البريطانية اعتقادا منها بأن التجاوزات التى أتى بها النحاس فى مجملها أتت بناء على نصائح الدولة الحليفة لذا فقد ألقى السفير بكل ثقله منعا لمحاكمة النحاس(١٢٢)

وعلى ما اعتقد فان تدخل السفير البريطانى ليحول دون محاكمة النحاس لم يكن بهدف الاخلاص للوفد بقدر ما هو حماية للمصالح البريطانية على اعتبار ان بريطانيا تعد شريكا متضامنا مع النحاس فى كل التجاوزات التى احدثها لذا فقد تدخلت الحكومة البريطنية التى لم تجد صعوبة فى اقناع الدكتور ماهر الا أن المحاكمة قد شملت عددا من اقارب ومحاسيب النحاس

---

(١١٩) لقاء مع فتحى رضوان ١٩٨٢/١١/٩ .

(١٢٠) مارسيل كولومب تطور مصر ١٩٢٤ ـــ ١٩٥٠ مرجع سبق ذكره صفحة ٢٦٢ .

(١٢١) الاهرام ، الكتلة ، السياسية ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٤٤ .

(١٢٢) د. يونان لبيب رزق تاريخ الوزارات المصرية ص ٤٦٦ ، لطفى عثمان المحاكمة الكبرى فى قضية الاغتيالات السياسية ص ١٥٠ ـ ١٥١، كمال عبد الرؤف مذكرات لورد كيلرن (الدبابات حول القصر) .. صفحة ١٢٤ .

حيث حكمت محكمة القاهرة العسكرية على كل من احمد الوكيل « شـــقيق حرم النحاس » بالحبس مع الشغل سنة وتغريمه خمسمائة جنيه وأمرت بوقف تنفيذ الحـكم (١٢٣) ٠

ويلاحظ على سياسة حكـومة احمد ماهــر انها اعطت قدرا كبيرا من اهتمامها لمطاردة الوفد وتعقب اتباعه سواء بالفصل أو النقل وبقيت الاوضاع السياسية والاقتصادية كما هى سواء فيما يتعلق بالاحكام العرفية التى ظلت مضروبة على البلاد وبقيت الرقابة الصحفية على الصحف والمطبوعات وذهبت هباءا الصيحات المتكررة والتى كان يطلقها اعضاء هذه الوزارة حينما كانوا فى المعارضة من وجوب الغاء الاحكام العرفية وما يتبعها من اجراءات استثنائية الا أن الحرية قد مورست من جانب واحد وهو الهجوم على الوفـد ومحاولة النيل منه ٠

ولعل من اهم الموضوعات التى واجهتها حكومة الدكتور احمد ماهر قضية دخول مصر الحرب حيث ظلت منذ قيام الحرب العالمية الثانية ـ ســبتمبر ١٩٣٩ ـ دولة غير محاربة على الرغم من انها قد قدمت للحلفاء سواء فى شـكل مساعدات اقتصادية أو فى استغلال موقع مصر كخط مواجهة ضد الالمـــان فى الجبهة الافريقية ما يمكننا من القول بان مصر قد قدمت من الامكانيـــات مالا يقل عن الاشتراك الفعلى فى الحرب ٠

وحرصت كل الحكومات المتعاقبة على سياسة تجنيب مصر ويلات الحرب الا أن رئيس الوزراء الدكتور احمد ماهــر اتجه تفكيره الى احياء هذه الفكرة من جديد واخذ يعدد المزايا التى ستحصل عليها مصر من جراء دخولها الحرب وعلى حد قوله : « أن ما يصيب الدول من الحياة أو الموت انما يقدر بمقدار نصيبها من الدفاع عن نفسها والتضحية فى سبيل هذا الدفاع (١٢٤) ٠

---

(١٢٣) السياسة ، الكتلة ١٩٤٥/٤/٤ ، مذكرات ابراهيم عبد الهـــادى مجلة روز اليوسف ٢٣ أغسطس ١٩٨٢ ٠

(١٢٤) مضابط مجلس الشيوخ دور انعقاد ٧ أكتوبر ١٩٤٠ ص ٢٣٦ من خطاب احمد ماهر فى مجلس الشيوخ ٠

وتمشيا مع الدعوة التى اطلقها الدكتور احمد ماهر أضافت احدى الصحف التى تعبر عن وجهة نظر بعض الاحزاب داخل الحكومة : ان اعلان مصر الحرب لن يقدم شيئا سوى تأكيد الوضع القائم ٠

واخذت نفس الصحيفة فى تفنيد الاشاعات القائلة بان مصر ستتقدم المال والرجال بسبب ذلك ورأت أن مصر قد خرجت بثلاث فوائد من وراء دخولها الحرب فهى دعمت مركزها الدولى أنها لم تعد مقيدة بالميدان السياسى للعلاقات مع بريطانيا ثم أنهامن ناحية ثالثة ستعطى مصر حقا شرعيا يمكنها من الاشتراك فى مؤتمر السلام الذى ستدعى اليه كل الدول المحاربة (١٢٥) ٠

وشاركت ـ السياسة ـ لسان حال الاحرار الدستوريين فى نفس الحملة حيث رأت أن اشتراك مصر فى مؤتمر السلام أمل يراود كل القوى الوطنية وعلى الرأى العام ان يتفهم حقيقة تلك الدعوة التى تتفق ومصالح مصر الحقيقية (١٢٦) وقامت العديد من الصحف التى تناصر الحكومة بالدعوة الى نفس الفكرة (١٢٧) ٠

ويعتقد بعض المعاصرين أن الدكتور احمد ماهر قد تلقى من الحكومة الامريكية أن دول الحلفاء (أمريكا انجلترا فرنسا الصين ، روسيا) وكان يعبر عن رؤسائها يومئذ بالخمسة الكبار ستعقد مؤتمرا بسان فرنسسكو فى ابريل ١٩٤٥ لانشاء منظمة دولية جديدة تحل محل عصبة الامم وان الدول التى تشترك فى هذه المنظمة يجب أن تعلن الحرب على خصوم الحلفاء قبل أول مارس ١٩٤٥ ٠

وعلى ما يبدو فان الدكتور احمد ماهر قد اتخذ من مؤتمر سان فرنسسكو ذريعة لاقحام مصر فى بوتقة الصراع الدولى بالرغم من أن الحرب قد أوشكت

---

(١٢٥) الكتلة الوفدية ١٩٤٥/٢/٢٤ ٠
(١٢٦) السياسة ١٩٤٥/٢/٢٨ ٠
(١٢٧) اخبار اليوم ١٩٤٥/٢/٢٤ ٠
(١٢٨) مذكرات ابراهيم عبد الهادى مجلة روز اليوسف اعداد اغسطس ١٩٨٢ ، مذكرات الدكتور هيكل ج ٢ ص ٣٠٢ ٠

على الانتهاء وتقرر مصيرها لصالح الحلفاء ولم يكن امام احمد ماهر وحكومته الا الاستجابة لطلب تقدم به السفير البريطانى فى منتصف فبراير سنة ١٩٤٥ باعلان مصر دولة محاربة اذا رغبت فى الاستمتاع بعضوية مؤتمر سان فرنسسكو (١٢٩) ولقد احدثت هذه السياسة ردود فعل متباينة لدى جميع المصريين على اختلاف اتجاهاتهم فبينما السعديون وعلى رأسهم الدكتور احمد ماهر كانوا يرون أن تتخذ الحكومة قرار دخول الحرب دون استشارة البرلمان • فقد صمم مكرم عبيد وحزب الكتلة على أن يكون اتخاذ القرار من خلال البرلمان (١٣٠) أما الحزب الوطنى والذى كان يمثله حافظ رمضان داخل الوزارة فقد اعتنق مبدأ المعارضة وقدم استقالته احتجاجا على تلك السياسة لولا أن تدخل فاروق شخصيا وأقنعه بسحب استقاله (١٣١) •

اما الدكتور هيكل زعيم الاحرار الدستوريين فقد وافق على فكرة دخول مصر الحرب اعتقادا منه بأن هذه الخطوة ستمكن مصر من الدخول فى الحلبة الدولية وخروجها من الدائرة الثنائية التى تحصر علاقاتها الدولية فى حدود ما بينها وبين انجلترا (١٣٢) •

أما الوفد فقد رفض هذا الموضوع واخذ على الحكومة تهورها وعدم اهتمامها بمصالح مصر وطالب الوفد من خلال بيان وزرعه على كل الاحزاب والشخصيات العامة والهيئات السياسية والبرلمانية طالبا من كل

---

(١٢٩) وثائق الخارجية بالبريطانية برقية رقم ٣٤٨ من كيلرن الى حكومته ١٥ فبراير ١٩٤٥ •

(١٣٠) الكتلة الوفدية ٢٠ فبراير سنة ١٩٤٥ ، الاهرام ١٨ ، ٢٠ فبراير سنة ١٩٤٥م •
د• يونان مرجع سبق ذكره ص ١٦٩ •

(١٣١) وثائق الخارجية البريطانية برقية رقم ٣٠٤ من كيرك الى حكومته ١٤ فبراير سننة ١٩٤٥ •

(١٣٢) السياسة ٢٣ فبراير سنة ١٩٤٥ د• هيكل مرجع سبق ذكره ج ٢ ص ٣٠٣ •

مصرى غيور على وطنه أن يحارب قضية دخول مصر الحــــرب بكل ما أوتى من قــوة (١٣٣) ٠

ومن المؤكد أن الوفد قد استغل دعوة الحكومة لدخول مصــر الحــــرب واستثمرها لصالحه وعلى ما يبدو فانه قد حقق قدرا كبيرا من النجــاح نظرا لان غالبية الشعب المصرى كانت لا تؤيد هذه الفكـــرة وان تعـــاطف بعض الجماهير مع قضية الحلفاء لم يكن الا بالقدر الذى يتفق والمصــالح الحقيقية لتلك اللجماهير ونظرا للاثار التى لحقت بالمجتمع المصرى من جراء التعـاون المطلق مع قضـية الحلفاء فان فكره السـير فى هذا الطريق أبعد من ذلك كانت لا تجـد لها صدى لدى الغالبية العظمى من الشعب المصرى ٠

ولقد اخطأ الدكتور ماهر عندما نفى عن الاستعمار البريطانى اغراضــه الاقتصادية وأخطأ أيضا حينما اعتبر دخول مصر ا لحرب هو العامل الوحيد الذى يؤهلها للحصول على استقلالها بعد الحرب وحين قرر أن عدم اعلان الحرب يعطى انجلترا الحق فى ابقاء قواتها فى الاراضى المصرية لحماية مصر وحمــاية مصالح بريطانيا (١٣٤) فلقد ذهب الدكتور ماهر فى ذلك الى ما لم يكن فى وسع انجلترا أن تعلنه صراحة لأن حق مصر فى لاستقلال والجلاء حق طبيعى لا يتعلق بمصالح بريطانيا وبتضاعف خطأ الدكتور أحمـد ماهر اذا ادركنــا أنه كان يعرف أن الرأى العام المصرى لا يؤيد فكرة دخول مصر الحــرب واذا ادركنا أيضا أن قرار دخول مصر الحرب وخصوصا بعد أن حسمت الحــرب لصالح الحلفاء كان لا يتفق والكرامة المصرية ٠٠ ووفقا لكل هذه الاعتبارات فاننى اعتقد أن سياسة الدكتور ماهر تجاه هذه القضية الشائكة تعـد خطــأ سياسيا كبيرا دفع أحمد ماهر حياته ثمنا لمـا اعتقد أنه فى صالح مصر ٠

ومن خلال هذا الجو المشحون بالمحاذير القى رئيس الوزراء أحمد مــاهر مساء السبت ٢٤ فبراير سنة ١٩٤٥ وفى جلسة سرية لمجلس النواب قــرار دخول مصر الحرب ضد اليابان والمانيا واشار رئيس الحكومة الى أن مصــر

---

(١٣٣) الوفد المصرى ٢٣ فبراير سنة ١٩٤٥ ٠
(١٣٤) مضابط مجلس النواب دور الانعقاد العادى الاول جلسة افتتـــاح المؤتمر البرلمانى ١٨ يناير ١٩٤٥ ص ١٨ ٠

سوف تحقق باعلانها الحرب هدفها فى أن تجعل صوتها مسموعا دفاعــا عن حقوقها ومصالحها الوطنية واشار الى أن دولا اخرى مثل العـراق وايــران قد اعلنتا الحرب دون أن تقدم أى معونة مادية وأن السفير البريطانى قــد ابلغه أن حكومته راضية تماما عن الدور الذى لعبته مصر فى الحــرب وانهــا حرة فى اعلان الحرب حتى تتمكن من الاشتراك فى مؤتمر السلام (١٣٥) ٠

وعلى الرغم من عدم ايماننا بالعنف كوسيلة لتحقيق اهداف سياســية الا أن الدكتور ماهر وحكومته يعدان مسئولان عما حدث بسبب الخروج على القواعد الدستورية والاندفاع فى تيارات من الحكم لا تتفق ومصـــالح مصر الحقيقية فى وقت كان الشعب المصرى يعلق أملا كبيرا على انتهاء الحرب ويعتقد أن من حقه طبقا للمبادىء التى أعلنها « فرنكلين روزفلت » رئيـــس الولايات المتحدة الامريكية وسماها الحريات الاربع أن تتبوأ مصر مكانتهــا اللائقة بها بعد ما تحمل المصريون من تضحيات وما قاموا به من مجهـــود كان له اثر كبير فى كسب الحرب وكان من الاولى أن يتمسـك الدكتـــور ماهر بحق مصر فى أن تتبوأ مكانتها الدولية بعيدا عن فكرة دخـول الحــرب ولعل لديه من الاسباب والمبررات يمكنه من اقناع الدول الكبرى بفكــرته الا أنه قد اختار الطريق الذى دفع ثمنه غاليا ٠

وفى ساعة متأخرة من الليلة التى قتل فيها الدكتور أحمد ماهــر تم تاليف وزارة محمود فهمى النقراشى (٢٤ فبراير سنة ١٩٤٥) وقد الفها من اعضاء وزارة أحمد ماهر دون تغيير أو تبديل وتولى النقراشى الرئاســة والداخلية

---

(١٣٥) الأهرام أخبار اليوم ا السياسة ، الكتلة أول مارس ١٩٤٥ ٠

(١٣٩) لقد حكم على محمود العيسوى بالاعدام شنقا ونفذ الحــــكم فى ١٨/٩/١٩٤٥م بعد أن قال كلمته المشهورة « أنا لا يهمنى الا حــــكم التاريخ وارجو من الصحفيين الا يشوهوا سمعتى كما شوهوا القضـــية وكلمتى لهم « الا تفتروا على ميت » ٠

(١٣٧) أخبار اليوم ٢٧ فبراير سنة ١٩٤٥ ، الاهرام والكتلة ، السياسة نفس التاريخ ٠

والخارجية وفى ٢٦ فبراير سنة ١٩٤٥ انعقد البرلمان بمجلسيه النواب والشيوخ واقر المجلسان قيام حالة الحرب ضد المانيا واليابان وايطاليا (١٣٧) ٠

ولقد أراد الوفد أن ينتهز فرصة اعلان الحرب ضد المحور وان يقوم بمناورة سياسية تشبه مناورته التى قام بها فى أول أبريل ١٩٤١ اذ قدم الوفد مذكرة للسفير البريطانى تتضمن نفس المطالب التى تقدم بها فى ابريل سنة ١٩٤١ والتى كانت تدور حول المطالبة بالجلاء التام وقيام الوحدة بين مصر والسودان (١٣٨) الا أن الرأى العام قد فقد ثقته فى الوفد ومناوراته واخذت الجماهير تبحث عن زعامة جديدة وأخذ الوعى القومى يتسرب الى صفوف المثقفين على اسس واضحة وازدادت الروح القومية تطرفا واكتسبت شعورا بالعداء للاجانب واخذ الطلبة والعمال يلتفون حول مبادىء وفلسفات جديدة اعتقادا منهم بان القوى لتقليدية قد اهترأت ولم تعد تعبر عن الروح الوطنية المعاصرة ٠

وفى ٢٧ من مايو سنة ١٩٤٥ استسلمت ألمانيا وفى أغسطس من تلك السنة استسلمت اليابان وبذلك انتهت الحرب العالمية الثانية بعد خمس سنوات وثمانية أشهر وستة أيام (١٣٩) ٠

وبالرغم من أن العديد من الصحف حاولت أن تضلل الرأى العام المصرى على اعتبار أن حادث الاغتيال ظاهرة عادية لا تستحق كل هذا الاهتمام وانها تحدث فى كل المجتمعات (١٤٠) الا أن هذا الحكم يفتقد الى الموضوعية وعدم الادراك الفعلى لطبيعة المرحلة التى كانت تمر بها البلاد فلقد احدثت الحرب العالمية الثانية حالة من الحضور الذهنى داخل المجتمع المصرى حيث اتسعت قاعدة العمال والطلاب والموظفين واصحاب المهن الحرة وقد واكب هذا جموع المصريين المهتمين بالسياسة والمشتغلين بها ومن خلال التصور الحقيقى

---

(١٣٨) شهدى عطية الشافعى ــ الحركة الوطنية ١٨٨٢ ــ ١٩٢٦ ص ١٠٤ ٠

(١٣٩) جى ديبورين الحرب العالمية الثانية من وجهة النظر السوفيتية - تعريب خيرى حماد ص ٤٣٩ القاهرة ١٩٦٧ ٠

(١٤٠) السياسة ٢٨ فبراير سنة ١٩٤٥ ، الكتلة ٣مارس سنة ١٩٤٥ ٠

لواقع المجتمع المصرى فى تلك الفترة وعلى ضوء الرؤيا الموضوعية يمكننـــا القول ان سلوك الاحزاب المصرية وتسابقها الواضح فى التملق للمحتـــــل والمزايدات العديدة التى احدثتها احزاب المعارضـة عقب ٤ فبراير ســـــنة ١٩٤٢ كل هذه المواقف قد احدثت صدمة اليمـة داخل المجتمـــــع المصرى وخصوصا لدى الشباب وليس من قبيل المصادفة أن يكــون الشـــــباب فى طليعة القوى التى تقدم على حوادث الاغتيـــــال السياسى بدأ بقضـــــية بطرس غالى سنة ١٨١٠ والتى اضطلع بها ابراهيم الوردانى « ٢١ ســنة » ومرورا بقضية امين عثمان والتى اضطلع بها ايضا حسن توفيق «٢٠ سنة» وانتهاء بقضية الدكتور احمد ماهر والتى نفذها محمود العيسوى «٢٢ سنة»٠

لقد كان من المتوقع أن يتقدم الدكتور أحمد ماهـر عقب رئاســــــته للحكومة بالمطالبة بتحديد شكل الوجود البريطانى فى مصر والمطالبة بجـــلاء القوات البريطانية والاعتراف بحق مصر فى السودان فلم يكن الموقف يتحمل مزيدا من المهاترات وبدلا من أن تتقدم الحكومة بتلك المطالب راح رئيســـها يشيد بالعلاقات المصرية البريطانية حتى صرح لمندوب مجلة وكالة الانبـاء الفرنسية انه لا يمكن السير فى اية سياسة مصرية معقولة الا بالتفاهم مـع الامة البريطانية العظيمة التى تفاخر مصر بانها حليفة لها ويبرر الدكتـــور أحمد ماهر المخالفات التى احدثها الوجود البريطانى على الارض المصريـــــة قائلا : ان الاخطاء التى أرتكبت هنا وهناك لم يكن فى الامكان اجتنابهـــــا ويجب الا تترك أى اثرا أو مرارة فى النفوس ٠٠ وتعلق وكالة الانبـــــاء الفرنسية على تصريحات الدكتور ماهر قائلة : لقد افضى رئيس الوزراء بهذه التصريحات بينما كان المستر ايدن وزير الخارجية البريطانية فى القـــاهرة وهذا مما يكسبها اهمية خاصة (١٤١) ٠

وكان طبيعيا أن تفقد الاحزاب المصرية اهميتها حيث لم تعد تعبر عـن واقع المجتمع المصرى الجديد الذى صنعته احداث الحرب مما ادى الى نمـــو سريع للتنظيمات السياسية العقائدية ـ الاخوان ـ الشيوعيون ـ مصــــر

---

(١٤١) الاهرام ١٩٤٤/١٠/٢٥ ٠

الفتاة ــ ولعل اساليب هذه التنظيمات تختلف كثيرا عن اســاليب الاحــزاب التقليدية حيث اصطبغت الاساليب الجديدة بصـــبغة من العنف كانت وراء الكثير من اسباب الاضطراب خلال تلك الفترة ٠

وحرصا من حكومه النقراشى على تهدئة المشاعر الثائرة ونظـــرا لعدم وجود حجة موضوعية تسوقها للبقاء على الاحكام العرفية فاضطرت لرفـــع الرقابة على الصحف والغاء الاحكام العرفية فى اكتوبر سنة ١٩٤٥ (١٤٢) ٠

وبرفع الرقابة على الصحف والغاء الاحكام العرفية اخذت العـديد مـن الصحف تتربص بالحكومة وتطلق على النقراشى التعليقات اللازغة كمـــا حدث عندما اسمته ــ رجل الوقت المنـــــاسب ــ تعليقا على تصريح له بانه ينتظر الوقت المناسب للتقدم بمطالب مصر الوطنية وعندما اطلقت عليـــه « أبو خطوة » ردا على قوله بانه قد اتخذ خطوة فى سبيل تحقيق الامـــانى الوطنية (١٤٣) ٠

وأمام الضغط الشديد الذى واجهته حكـــــومة النقراشى سواء بسبب استقالة حافظ رمضـــــان رئيس الحزب الوطنى ووزير العدل من الوزارة فى ديسمبر سنة ١٩٤٥م احتجاجا على اتجاه الوزارة الى المفاوضات قبل الجلاء بما يناقض مبدأ الحزب العتيد أو بسبب مماطلة الحكومة البريطانية فى الـرد على المذكرة التى قدمتها الحكومة المصرية (٢٠ ديسمبر سنة ١٩٤٥) تطلب فتح باب المفاوضات ٠ وأمام العديد من الضغوط التى واجهتها الحكـــومة وعدم استطاعتها التقدم خطوة ترضى الرغبات الوطنية وانتشرت بين النـاس عبارة « سياسة الصمت» ولم يجد النقراشى قولا يردده الا أنه ينتظـر الوقت المناسب مما ضاعف من احراج الحكومة وعجل باستقالة مكرم عبيد والكتـلة الوفدية ١٤ فبراير سنة ١٩٤٦ (١٤٤) مما عجل بانهيـــار الائتلاف الوزارى عمـــوما ٠

---

(١٤٢) أخبار اليوم ، الاهرام ٥ أكتوبر سنة ١٩٤٥ ٠
(١٤٣) طارق البشرى الحـــركة الســياسية فى مصر ١٩٤٥ ــ ١٩٥٢ صحة ٢٣ ٠
(١٤٤) أخبار اليوم ٢٠ فبراير سنة ١٩٤٦ ، الكتلة الوفدية ١٥ فبراير سنة ١٩٤٦ ٠

الفصل السابع

الأوضـــاع الاقتصـــادية والاجتماعية فى ظل حكومة ٤ فبراير

- السياسة الزراعية والتموينية
- الصناعة والتجارة واخضاعهما لخدمة الحلفاء .
- المتغيرات الاجتماعية فى ظل الحـــرب

الاوضـــاع الاقتصادية والاجتماعية فى ظل حكومة ٤ فبراير :

أولا : السياسة الزراعية والتموينية :

لقـــد شاءت الظـروف أن تذدلع الحرب العـالمية الثانية ومصر مكبلة بمعاهدة ١٩٣٦ تلك المعاهدة التى ألزمت مصر باعلان الاحكام العرفية وهكذا منحت الفرصة لكى تطلق بريطانيا يدها ليس فقط فى الشئون السياسية بل فى الشئون الاقتصادية أيضا واخضاع اقتصاد مصر لخدمة الجيوش المتحالفة وقد تمثـل ذلك بصورة واضحـــة فى السياسة الزراعيـــة التى الزمت بهـا الحكومات المصرية طوال فترة الحرب ٠

ولعل الحكومة البريطانية كانت مقدرة أهمية الاقتصاد الزراعى المصرى وضرورة توجيهه لسد العجز الواضح فى المواد الغذائية بسبب صعوبة النقل البحـــرى(١) ٠

ولاشك أن حالة الحرب وسيطرة الدول المحاربة على البحـــار قد جعلت مصر فى عزلة اقتصادية عن العالم ولم تستطع تصريف حاصلاتها وخصوصا القطن الا الى بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية وأصبح الانجليز يتحكمون فى سعر القطن والحاصلات الزراعية الاخرى ففى عام ١٩٤٠ اشتروا القطن المصرى بسعر ٢٠ ريالا للقنطار بينما كان يباع فى الاسواق الاجنبية بخمسة وثلاثين ريالا(٢) ٠

وبالرغم من أهمية اخضاع السياسة الزراعية المصرية لخـدمة أغراض بريطانيا زمن الحرب الا أن وجهة النظر البريطانية اعتبرت أن تردى الحالة الزراعية فى مصر يعد تأكيدا لدعايات المحور تلك التى تحاول اقنـــاع المصريين بأن سبب شقائهم هم البريطانيون والذين ينتهزون فرصة الحرب ويتحكمون

---

(١) وثائق الخارجية البريطانية برقيـــة رقم ١٣٦٢ من لامبسون الى هالدكس ٨ نوفمبر ١٩٣٩ ٠

(٢) الوفد المصرى ١٢ أغسطس ١٩٤١ ، عبد الرحمن الرافعى مصـــر المجاهدة فى العصر الحديث ص٤٧ ٠

فى أسعار القطن طبقــا لمصالحهم الخاصة ، ويضيف السفير البريطـانى فى تقريره أنه لابد من دحض هذه المقولة العدائيــة والتى لن تتحقق الا بشراء القطن المصرى بأسعار أكثر ارتفاعا من الاسعار الحالية ، لأن المســألة ليست اقتصادية بحتة ، بل هى ضرورة سياسية ، ومن باب العــدل أن نعترف بأن الحرب قد جلبت الشقاء على الشعب المصرى ومن الخطـر أن نترك المصريين تحت شعور الاحساس بالظلم وخصوصا وأن مايردده رجل الشارع العــادى يتفق بصــورة كبـيرة مع ما يردده الاعداء(٣) وبدلا من أن تسعى بريطانيــا لكسب ود المصريين عن طريق حل المشاكل الاقتصادية الناجمة عن الحــــرب الا أنها قد عملت على تأليف لجنة تسمى باللجنة البريطانية المصرية احتكرت كل محصول القطن خلال سنوات الحرب ومنعت التنافس على شرائه وباتت أى دولة تريد شراء أى كمية من القطن المصرى لا تأتى الى السوق المصرية بل تشترى ماتر يده عن طريق هذه اللجنة وخسرت البلاد من جراء ذلك العديد من ملايين الجنيهات ، وثقة من بريطانيا فى أن مصر لن تتمكن من ايجــاد سوق عالمى لتصريف انتاجهــا بسبب التكتلات الدولية النــاجمة عن الحرب فقــد تحكمت فى سوق القطن المصرى بلا أى منافسة وعجزت الحكومة المصرية عن ايجاد سوق بديل لهذا المحصول الذى يعد عمود الاقتصاد للشعب المصرى(٤) ٠

ووفقا لحاجة بريطانيا الى الحاصلات الزراعية أكثر من حاجتهــا الى القطن فقد أخطرت الحكومة المصرية سنة ١٩٤١ أنها غير مستعدة لشراء أكثر من نصف المحصول الجيد وبنفس أسعار العام السابق ، ولما كانت الحكومة المصرية قــد قررت رفع ســعر القطن بمقــدار ريالين للقنطار فانها تــد تحملت وحــدها هــذا الفرق عن المحصــول كله كما كان عليهــا ان تشترى النصف الباقى من المحصول ولم تجد وسيلة لذلك سوى اصدار قرض قدره ثلاثة عشر مليونا من الجنيهــات طرحته على دفعتين(٥) ٠ ومن الطـريف أن

---

(٣) وثائق الخـارجية البريطـانية برقية رقم ١٣٦٢ من لامبسون الى هاليناكس ٨ نوفمبر ١٩٣٩ ٠

(٤) مضابط مجلس الشيوخ ـ دور الانعقاد السادس عشر جلسة ٨ سبتمبر ١٩٤١ من خطاب يوسف الجندى ص٨٢٢ ، مضــابط النواب جلسة ١٧ يوليــة ١٩٤٥ ملحق رقم ١٠٨ تحت عنـوان : آثار الحـــرب فى حياتناالاقتصادية ص٣٢٠ ٠

(٥) د٠عبـد المنعم فوزى ٠ مذكرات فى تطـور مصر الاقتصــادى والمالى ص١٧٦ ، ١٧٧ ٠

الصحف البريطانية قد حاولت تبرير فرص هذا السعر المنخفض بحجة أن رفع أسعار القطن لا يفيد سوى حفنة من الباشوات مما أثار قلق هؤلاء الباشوات حيث انبرت صحيفة الوفد المصرى قائلة : (لمصلحة من يريدون بذور الشقاق بين هذه الطبقات واحداث مشكلة اجتماعية من أعقد المشكلات التى أقلقت بال أمم كثيرة ومصر بقيت ناجية منها الى الآن بفضل الله)(٦) ويبدو أن غالبية أعضاء مجلس الشيوخ ـ وهم من الباشوات ـ وقد ضايقهم هذا القول لدرجة أن أحدهم قد اتهم الانجليز صراحة بأنهم لا يتـأثرون الا بمصلحتهم • وأن سياستهم فى شراء القطن لا تقـوم فقط على تحقيق مصـالحهم وانمـا على سياسة « افقار الشعوب المحكومة »(٧) •

ويبدو ان حكومة الوفد (٤ فبراير ١٩٤٢) رأت أنه من الضرورى احداث تغيير فى المساحة المنزرعة قطنا وضرورة التوسع فى انتاج الحبوب والغـلال وصدر أمر عسكرى فى سبتمبر ١٩٤٢ يقضى بتحديد مساحات القمح والشعير بما لا يقل عن ٥٠٪ من الاراضى الواقعة فى شمال الدلتا ، ٦٠٪ من بقية مناطق القطر وقد قرر مجلس الوزراء منع زراعة القطن فى مديريتى القليوبية والمنوفية وبعض مناطق مديريات الشرقيـة والدقهليـة والغربيـة وبعض المناطق فى مديريتى أسيوط وجرجا شرق النيل ، وزيادة المساحة المنزرعة ذرة بنوعيهـا (العويجة والشامية) وكذلك زيادة المساحة المنزرعة أرزا(٨) وحددت الكمية المنزرعة قطنا عن الموسم الزراعى ١٩٤٣/١٩٤٢ بحوالى ٧٠٠ر٠٠٠ فـدان بدلا من ١ر٧٥٠ر٠٠٠ عن الاعوام السابقة(٩) •

وكان من المتوقع أن تبـادر بريطانيا الى شراء كميـات القطن المصرى والذى كان يصدر الى بلاد الاعداء فتحمى أسعاره من الهبوط وتبرهن على تقديرها للمحالفة وما تؤديه مصر من خدمات ـ ولكن بريطانيا وبيوت المال

(٦) الوفد المصرى ١٩٤١/٨/٢٣ •

(٧) مضابط مجلس الشيوخ ـ دور انعقاد السادس عشر ١٩٤١/٩/٨ ص٨٢٤ ملحق بمضبطة مجلس النواب ـ الجلسة الخامسة والعشرون ٢٨ يولية ١٩٤٢ ص١١٣٥ ، الوفد المصرى ٣ مارس ١٩٤٢ •

(٩) المصرى ٣ مارس ١٩٤٢ ، من بيـان عبد السـلام فهمى جمعة وزير الزراعة •

فيها آثرت أن تنتهز الفرصة للكسب غير المشروع على حساب مصر وفرض سياسات معينة على البلاد ولم يقتصر النهب البريطانى على محصول القطن بل تعداه الى المحاصيل الغذائية كالارز والقمح والذرة حيث فقدت مصـــر أسواقها فى الخارج وتحولت مصر من دولة مصدرة الى دولة تقاسى عجـزا رهيبا فى جميع المواد الغذائية(١٠) ٠

وفى الوقت الذى صارت فيه البلاد نهبا لبريطانيا وحلفائها وبالرغم من الانخفاض فى أسعار القطن المصرى انخفاضا ملحوظا فقد ارتفعت أسـعار باقى المواد الغذائية وأهمها القمح ولذا فقد بادر مجلس النواب بتشكيل لجنة « شئون القطن والمحاصيل الزراعية » وخرجت اللجنة بالعديد من التوصيات التى تعبر عن سوء الاحوال الاقتصادية عموما حيث اعتبرت اللجنة فى احدى توصياتها « أن ربح الزراع يقـدر بقيمة التبن فقط »(١١) وعلى حد قول أحد الاعضاء تعليقـا على هذه الحقيقة الخطيرة « لقد كانت اللجنة مسرفة جدا فى تقديرها لان ارتفـاع أسعار السماد وفرض الضريبة الجـديدة على الارض الزراعية يحرم الفلاح حتى من قيمة التبن » (١٢) ٠

ويمضى التقدير ليعكس وبصورة أكيدة تدهور الحياة الاقتصادية حيث كان ثمن ضريبة الارز فى الاعوام السابقة ثمانية جنيهات فأصبح ثلاثة عشر جنيها كذلك استيلاء الحكومة على البذرة بثمن قدره ٨٥ قرشاوأخذت تبيعهـا بسعر ١١٠ قروش فارتفع تبعـا لذلك ثمن الزيت وثمن الكسب ثم أن وزارة المواصلات رفعت أجر النقل وتضع اللجنة يدها على خطورة الحالة بقولهـا : ان رفع سعر أى محصول يتبعه حتما رفع المحاصيل الاخرى وتبعا لذلك فان موجة الغلاء ستستمر فى الارتفاع الأمر الذى يحدث اضطرابا وتقلقلا فى أجور العمال والموظفين والمستخدمين وأصحاب الايراد المحـدود ويخل بالميزانيـة

---

(١٠) مضبطة مجلس النواب الجلسة ١٩٣٨ سبتمبر ١٩٤٢ دور الانعقاد العادى الاول ص١٧٠٥ ـ ١٧٠٨ ٠

(١١) الجلسة السـادسة والاربعون ـ المصدر السـابق ١٤ ، ١٥ ، ١٦ يونية ١٩٤٣ ص١٩٤٥ ٠

(١٢) المصدر السابق نفسه من حديث النائب جلال حسين ٠

العامة(١٣) . ووفقا لتدهور الحياة الاقتصادية فى مصر عموما وفى القـرية المصرية على وجه الخصوص فلقد تردت حياة الفلاح المصرى عموما وعامل اليومية على وجه الخصوص حيث انخفضت أسعار العمال الزراعيين الى حد يصعب على العامل أن يوفر قوت يومه فما بالنا بضرورات الحياة من ملبس وخلافه(١٤) .

ومما يلفت النظـــر فى دراسة السياسة الزراعيـــة فى تلك الفترة بروز أسلوب جديد من الاستغلال يعد سببا فى القاء عبء الازمة على صغـــار الزراعيين وهو أسلوب المضاربة بالاراضى الزراعية حيث كان استئجار الاراضى الزراعية ثم اعادة تأجيرها أكثر ربحا بالنسبة لكبـار ملاك الاراضى فى مصر وارتفـع عدد المستأجرين الى مليونى شخص(١٥) وشهدت مداولات مجلس النـواب والشيوخ العـديد من الاسباب التى أدت الى تفـاقم الاوضــــاع بهذا الشكل(١٦) .

ويبدو ان حكومة ٤ فبراير قد عجزت عن مواجهة تلك الحالة المتردية مما دعاها الى اشراك الحكومة البريطانية فى وضع حلول عملية لتلك الحالة حيث شكلت لجنة انجيزية مصرية بناء على اقتراح السفير البريطانى وكانت مهمة تلك اللجة شراء القمح بسعر ثلاثة جنيهات للاردب ثم بيعه للجمهور بنصف هذا المبلغ عن طريق البطاقات ألتى أعدت لهـذا الغرض(١٧) الا أن كل تلك الحلول لم تحقق الغرض منها نظرا لاعتماد جيوش الحلفاء فى أوقات كثـيرة على الحاصلات الزراعية المصرية وأيضا بسبب نقص السماد لعدم امكانيـــة الاستيراد بسبب ظروف الحــرب ، وحدد العجــز فى كميـــات الحبوب عموما

---

(١٣) المصــــدر السابق الجلسة الســادسة والاربعون ٢١ يونية ١٩٤٣ ص١٩٤٧ ، ١٩٤٨ .

(١٤) د.جمــا الدين محمد سعيد . التطـور الاقتصـــادى فى مضر منـذ الكساد العالمى ص١٢٨ .

(١٥) د.رفعت السعيد تاريخ المنظمات اليسارية ص٣٤ .

(١٦) مضبطة مجلس النواب الجلسة الســادسة والاربعون ٢١ يونيـــة ١٩٤٣ ص١٩٤٧ .

(١٧) المصدر السابق لجلسة الثامنة ١٢ يناير ١٩٤٣ ــ دور الانعقـــاد الثانى ص٢٦٤ المصرى اول فبراير ١٩٤٣ .

بمليونين وثلاثمائة الف أردب من القمح والذرة والارز وعلى الرغم من تخفيض نسبة زراعة القطن فى شمال الدلتا الى ٢٧٪ وجنوب الدلتا والوجه القبلى بنسبة ٢٣٪ ، ولو أضيفت مساحة ٨٨ ألف فدان وهى الارض التى تزرع بالحياض وممنوع زراعة القطن فيها فاذا أضيفت كل هذه المساحات الى نسبة ٦٠٪ من الارض الزراعية المعدة لزراعة القمح فان نسبة الاراضى الزراعية المعدة لزراعة الحبوب تقدر باكثر من ٨٥٪ من قيمة الارض الزراعية عموما(١٨) ٠

وبصدد مواجهة النقص الواضح من المواد الغذائية فقد وافق مجلس النواب على عتماد مبلغ ٥١ر٨٨٤ر١٢ جنيها من فائض ميزانية ١٩٤١ — ١٩٤٢ لسد الخسارة فى عمليات التسليف على القمح وتصديره والتموين لعام ١٩٤٣ ، ٤٤٨ر٢١٨ر١ لسد العاز فى محصول الذرة(١٩) ٠

وعلى ضوء مهام الحاكم العسكرى العام فلقد صدر الامر العسكرى الآتى :

مادة ١ : يحظر حتى نهاية اغسطس ١٩٤٢ اجراء أى بيع للقمح من موسم عام ١٩٤٢ ويثتثنى من ذلك عقود البيع الصادرة للحكومة ٠

مادة ٢ : تلغى بحكم القانون عقود القمح المبرمة من ٧ ابريل الى صدور هذا الامر والمنصبة على مقادير من القمح غير واجبة التسليم الى الحكومة ويجب على المشترين أو غيرهم من الحائزين خلال شهر من تاريخ صدور هذا الامر أن يسلموا الى الحكومة مقادير موضوع التعاقد المشار اليها فى الفقرة السابقة بثمن قدره ٣٠٠ قرش للاردب من قيمة القمح الهندى ، ٢٨٥ قرش للاردب من القمح البلدى ٠

مادة ٣ : يحظر نقل القمح خرج حدود المديرية الموجود فيها قبل الحصول على ترخيص بذلك من وزارة التموين ٠

---

(١٨) المصرى أول فبراير ١٩٤٣ ٠

(١٩) مشروع قانون ملحق بمضبطة مجلس النواب الجلسة الخامسة والعشرون ٢٨ يولية ١٩٤٢ أنظر ملحق بمضبطة مجلس النواب الجلسة السابعة عشر سنة ١٩٤٣ ص٦١٧ ، ص١٠٩٠ ٠

مادة ٤ : كل مخالفة لاحكام هذا الامر يعاقب مرتكبها بالحبس من ثلاثة أشهر الى ستة أشهر وبغرامة من ٥٠ الى ٥٠٠ جنيه وفى جميع الحالات يضبط ويصادر القمح موضوع المخالفة ٠

مادة ٥ : يعاقب بالحبس من ثلاثة أشهر الى ستة وبغرامة من ٥٠ الى ٥٠٠ جنيه كل من اشترك كبائع أو وسيط ٠

مادة ٦ : تصرف مكافأة مالية لكل شخص يقوم بضبط أو تسهيل ضبط ومصادره ومقادير القمح موضوع الجرائم(٢٠) ٠

ويبدو من الامر العسكرى السابق أن الحاكم العسكرى العام (رئيس الوزراء) قد استخدم سلطانه الى أبعد حد فلم تقتصر مهامه على أمر الاعتقال والنفى والمصادرة للصحف بل تعداه ليشمل الاوضاع الاقتصادية التى تتعلق بشكل أو بآخر بقضية الحلفاء وعلى الرغم مما أصاب البلاد بسبب ارتباطها بالحلفاء الا أن بريطانيا لم تقدم أية معونة أو حتى تدفع ثمن ما تشتريه مما أدى الى ارتفاع رهيب فى قيمة الحاصلات الزراعية وصل فى السوق السوداء الىعشر أضعاف السعر الحقيقى (٢١) ٠

ولقد حدد حجم ما تصرفه الجيوش المتحالفة داخل الاراضى المصرية بمبلغ ستة وثلاثين مليونا من الجنيهات كل عام لا تدفع منها مليما واحدا والمسألة تمضى هكذا فانجلترا تريد أن تحول مثلا عشرة أو خمسة ملايين من الجنيهات الى جنودها فى مصر ٠ انها تقول لبنك انجلترا ضع تحت تصرف البنك الاهلى المصرى خمسة ملايين من الجنيهات لحساب الجيش البريطانى فيرسل البنك الى فرع الاصدار فى القاهرة برقية يطلب فيها اصدار بنكوت مصرى بخمسة ملايين جنيه مقابل شراء سندات على الخزانة البريطانية قصيرة الاجل بنفس القيمة بفائدة تقل عن ١٪ ومدتها تقل عن ستة أشهر فالبنك الاهلى يشترى فى لندن هذه السندات ويصدر بقيمتها فى مصر أوراق بنكوت يسلمها الى الضباط نهم والحالة هذه لايدفعون مالا أو بضاعة ولكنهم يقدمون

(٢٠) المصرى ٢٣ مايو ١٩٤٢ ، السياسة ٢٤ مايو ١٩٤٢ ٠

(٢١) د٠محمد بهى الدين بركات ٠ صفحات من التاريخ ص٤٥ دار الهلا ص٦١ ٠

كمبيالات وفى مقابل الكمبيالات تعطيهم مصر عملة متداولة فيؤجر البيت الذى كان ايجاره خمسة أو عشرة جنيهات بخمسين أو مائة ويشترون المواد الغذائية باثمان مرتفعة ثم يأتى المستهلك المصرى فلا يجد شيئا بالسعر الذى حددته الحكومة ولذا فقد اقترح حلا لهذه المشاكل ما يأتى :

١ ــ فصل الجنيه المصرى عن الجنيه الانجليزى ٠

٢ ــ أن تبحث انجلترا عن مصدر لمعيشة جنودها غير مصر ٠

٣ ــ ترك الاستيراد حرا(٢٢) ٠

ووفق اعتقادى فان حكومة الوفد قد عجزت طوال عام ١٩٤٢ عن ايجاد حلول عملية للخروج من أزمة المواد الغذائية ومع مطلع عام ١٩٤٣ أصدر وزير التموين بيانا بشئون الحاصلات الزراعية قال فيه : « لقد مرت البلاد بظروف قاسية كانت البلاد فيها على شفا مجاعة وكانت القاهرة وباقى المديريات تترقب قوتها يوما بيوم ، بل كان الكثيرون يبيتون على الطوى فى انتظار الرغيف المرتجى فى الصباح المبكر((٢٣) ٠

وبصدد الحد من تفاقم أزمة الخبز فقد أصدرت حكومة الوفد تشريعا يحدد « الرغيف القانونى » الذى ثمنه ٦ مليمات ووزنه ٧٥ جرام ويحتوى على ١٥٪ دقيق مخلوط من القمح ، ١٥٪ دقيق أرز ثم مالبث أن تغيرت النسب الى ٥٠٪ قمح ، ٢٥٪ من دقيق الذرة ، ٢٥ من دقيق الارز وبذلك اختفى الرغيف الابيض من الحياة اليومية للمستهلك المصرى(٢٤) ٠

ولما كانت المشاكل الاقتصادية قد امتدت لتشمل كل المواد الغذائية تقريبا فقد أصدر الحاكم العسكرى العام أمرا هذا نصه :

مادة ١ : لا يجوز بعد ظهر الاحد وحتى صباح الاربعاء أن تذبح الحيوانات المعدة لحومها للاكل ولا يجوز ذبح الحيوانات فى الايام الاخرى من

---

(٢٢) د٠محمد بهى الدين بركات المرجع السابق ص٤٦ ٠
(٢٣) المصرى ٧ يناير ١٩٤٣ من بيان وزير التموين ٠
(٢٤) مضبطة مجلس النواب ــ الجلسة الثامنة ١٢ يناير ١٩٤٣ ــ دور الانعقاد الثانى ص٢٦٤ ٠

الاسبوع الا بمقدار كمية من اللحم تساوى المتوسط اليومى لذبائح السلخانة أو المكان الذى يقوم مقامهـا فى الاسبوع المقـابل له من سنة ١٩٤٠ ناقصا ١٠٪ ٠

مادة ٢ : يتولى اثبات الجرائم التى تقع بالمخالفة للقرارات الصادرة بتنفيذ هذا الامر رجال الضبيطة القضائية ٠

مادة ٣ : يعاقب كل من يخالف أحكام القرارات التى تصدر تنفيذا لهذا الامر بالحبس مدة لا تزيد عن ثلاثة أشهر وبغرامة من خمسة جنيهـات الى خمسين جنيها أو باحدى هاتين العقوبتين ويحكم باغلاق المحل الذى وقعت فيه الذبيحة لمدة ثمـانية أيام وفى حالة العـودة يكون الاغلاق من خمسة عشر يوما الى شهر (٢٥) ويبدو أن كل ما يتعلق بالانتاج الزراعى قد مثل مشكلة استعصى على الحكومة حلهـا بما فى ذلك السكر حيث استولت الحكومة على مقادير السكر المخزون لدى الشركة العامة لمصانع السكر وبناء على قرار الحاكم العسـكرى العام تلتزم لشركة العامة لمصانع السكر بتسليم كل ما تنتجه الى الحكومة وتظل شروط الاتفاقات المبرمة بين الحكومة والشركة نافذة المفعول حتى ترى الحكومة أن المشكلة قد انتهت بالفعل(٢٦) ٠

وعلى الرغم من أن الحكومة البريطانية فى محـاولة منهـا لتبديد حالة الشعور بالغضب والتى سيطرت على الشعب المصرى فقد أصدرت بيانا نشرته معظم الصحف المصرية يحمل حملة شديدة على الدعايات التى يشنها الاعداء من أن وجود القوات المتحالفة هى سبب نقص الغذاء فى مصر وشمل البيـان ما يفيد من أنه لا علاقة بين الازمة الغذائية المتردية فى مصر والقوات المحاربة مؤكدا على ان الحكومة البريطانية قد قامت بتقديم العديد من المواد الغذائية الى الحكومة المصرية (٢٧) ٠

---

(٢٥) الاهرام ، المصرى ، السياسة ١١ فبراير ١٩٤٣ نص الامر العسكرى الصادر من الحاكم العام بخصوص الحد من استهلاك اللحوم ٠

(٢٦) الاهرام ، المصرى ٤ يونية ١٩٤٢ نص بيان الحاكم العسكرى العـام بالاستيلاء على السكر ٠

(٢٧) الاهرام ، المصرى ٢١ فبراير ١٩٤٢ ٠

وتبدو المغالطات واضحة فى بيان الحكومة البريطانية واذا تغاضينا عن حقيقة مؤكدة وهى أن مصر كانت تصدر فائضا من احتياجاتها الغذائية قبل الحرب يقدر بعدة ملايين من الجنيهات بخلاف القطن الذى يمثل صلب الاقتصاد المصرى اذا تغاضينا عن كل ذلك وتركنا الارقام لتنطق بمدلولها حيث بلغت الارصدة الاسترلينية المستحقة الدفع على الحكومة البريطانية سنة ١٩٤٥ (بعد انتهاء الحرب) أربعمائة وخمسين مليونا من الجنيهات وهذه الارصدة كلها نظير مواد غذائية وقطنية ومرتبات حصلت عليها القوات البريطانية(٢٨) وكانت سببا من أسباب التضخم وهبوط القيمة الشرائية للنقد مما أدى الى الغلاء الفاحش فى الاسعار وارتفاع تكاليف المعيشة حيث بلغ هذا الارتفاع رقما قياسيا كبيرا اذ وصلت فى أواخر الحرب الى ٣٥٠ فى المائة عما كانت عليه قبل الحرب مع أنها لم تزد فى انجلترا عن ١٣٥ فى المائة وفى الولايات المتحدة عن ١٤٥ فى المائة فى حين أن مصر كانت تنتج حاجاتها من المواد الغذائية والبلاد التى تنتج هذه الحاجات كجنوب أفريقيا واستراليا لم تزد تكاليف المعيشة فيها عن ١٢٠ فى المائة (٢٩) .

وعلى الرغم مما وصلت اليه الحالة الزراعية والتموينية عموما وذلك بسبب تجنيد كل امكانيات مصر لخدمة الحليفة الا أن السياسة الحزبية التى اتسم بها حكم الوفد بدأ من سنة ١٩٤٢ وحتى سنة ١٩٤٤ قد مكنت العديد من المضاربين وتجار السوق السوداء وسماسرة الحروب من السيطرة على قطاعات كبيرة من الاقتصاد المصرى وذلك عن طريق أذونات الاستيراد التى كانت مصدر ثراء لاقارب وأصهار النحاس باشا ولم يتوقف الامر عند هذا الحد بل امتد الى البسطاء من الفلاحين حيث قام الوسطاء بالتحكم فى محصول البطاطس وقيامهم بدور الوسيط لتموين الجيوش البريطانية من هذا المحصول الهام مما تسبب فى هبوط سعره(٣٠) ولم يقتصر الامر على محصول البطاطس بل تعداه الى القمح حيث كان من اختصاص وزير التموين الموافقة على أية

---

(٢٨) مضبطة مجلس النواب ــ الجلسة الثانية ـ دورالانعقاد غير العادى ١٠ أكتوبر ١٩٤٥ ص٣٤ .

(٢٩) مجلة روز اليوسف ٢٤ فبراير ١٩٤٥ ، الرافعى مصر المجاهدة فى العصر الحديث ص٤٧ .

كميه سواء للافراد أو للهيئات ، ويبدو أن حكومة الوفد قد جرت فى سياستها التموينية على اصلاح ما أفسده حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ٠

ولعل الاستجواب الذى تقدم به النـائب أبو المجد محمد النـاظر (عن دائرة قنـا) قد كشف العديد من الجوانب الهـامة حول هذا الموضوع حيث يضيف قائلا :

« ان مديرية قنا تصرف مائة أردب من القمح شهريا لاحمد عبـود باشا بنـاحية أرمنت بدعوى تموين المستخدمين وتصرف المديرية أيضـا ثلاثمائة أردب قمحا شهريا لمصنع السكر بأرمنت بدعوى تموين العمال (٣١) ٠

وعلى ضوء المناقشات الحـامية التى دارت فى مجلس النواب أمكننـا الوصول الى عدة اعتبارات تؤكد السياسة الحزبية التى سارت عليها الحكومة ومن أهمها :

أولا : أن تفتيش عبود باشا قد قام بزراعة مساحات طائلة من القمح أنتجت ٤٠٠ أردب وقد لجأ وكيل عبود باشا الى حيلة : وهى أنه ادعى أن ما أنتجه التفتيش من القمح لا يتعدى الحـاجة الى التقاوى وبذلك فوت على الحكومة الحصول على حصتهـا التى تقـدر ٢٤٠ أردب ثم حصـل التفتيش فيمـا بعـد على حصته من التقـاوى من بنك التسليف ٠

ثانيا : ان الحصة التى تصرف لدائرة عبود باشا ولمصنع السكر تقدر بربع تموين مركز الاقصر البالغ عدد سكانه ١٧٥ ألف ٠

ثالثا : ان العـاملين بمصنع السـكر ودائرة عبـود باشـا يحصلون على

---

(٣٠) مضبطة مجلس الشيوخ ـ الجلسة الحـادية والاربعـون ـ ٢ سبتمبر ١٩٤٢ ص١٩٤٢ ٠

(٣١) مضبطة ملس النواب ـ الجلسة الثامنة ١٢ يناير ١٩٤٣ ص٢٦٤ (الاستجواب مقدم الى وزير التموين من النائب أبو المجد محمـد الناظر) ٠

مستحقاتهم من القمح كغيرهم من المواطنين بواسطة البطاقات التى أعدت لهذا الغرض (٣٢) ٠

ولعل بعض الاعضاء المعارضون للحكومة داخل مجلس النواب قد طلبوا من وزير التموين وضع ضوابط موضوعية يتم على أساسها توزيع الحاصلات الغذائية الا أن الغالبية الوفدية قد صادرت هذا الاقتراح بحجة أن مديريات مصر تختلف عن بعضهافى أمور جوهرية وما يصلح فى الوجه البحـــرى قد لا يصلح فى الوجه القبلى (٣٣) ٠ ويبدو بطلان حجة الحكومة اذا ما وضعنـا فى الاعتبار حاجة جميع المواطنين سواء فى الوجه القبلى او البحرى الى المواد التموينية وأن الهدف من الاقتراح الذى تقدمت به المعارضة لا يمكن أن يعترض عليه الا المغرضون والمستبدون من النظام القائم ٠

وشـــهدت لقــــرية المصــــرية فتـــرات عصيبـــــة بسبب قلة انتـاجية محصـول القطن بسبب انخفـــاض سعره واستيلاء الحكومة على المحاصيل الزراعية مما أدى الى ارتفاع سعرها فقد كان على الفـــلاح الصغير أن يشترى ما يسد رمق أسرته من السوق السوداء والذى وصل سعر أردب القمح فيه على سبيل المثال عشرة جنيهات فى حين أن الحكومة كانت تستولى عليه بثلاثة جنيهات فقط وقس على ذلك باقى المواد الغذائية الاخرى ومن الواضح أن الحكومة أحست بحرج شديد أمام تلك الحالة المتردية ولذا فقـد تقدمت بمشروع تجميــد الاقساط المتأخرة والمستحقة للبنك الزراعى المصرى والبنــك العقـارى المصرى وبنــك الاراضى المصرى لغـــاية آخـــر ديسمبر ١٩٤٢ (٣٤) ٠

ولعل الهدف من هذا القانون على ما يبدو كان بسبب ما تفشى فى البلاد [illegible] الربا وعجز المزارعين عن السداد مما اضطره الى الاقدام على بيع الاراضى

---

(٣٢) المصدر السابق ص٦٥٢ وما بعده ٠

(٣٣) نفس المصدر السابق من حديث وكيل وزارة التموين ٠

(٣٤) ملحق بمضبطة مجلس النـواب ــ الجلسة السـابعة ٥ ، ٦ ، ١١ يناير ١٩٤٣ ص٢٠٤ ٠

الزراعية لصالح المرابين وأغلبهم من عمـلاء الاقطـاعيين والباشوات مما عـ
بضياع الملكيات الصغيرة (٣٥)

وبصدد دراسة الملكيات الزراعية وتطورها تبدو عدة حقـائق غاية فى الخطورة من أهمها :

أولا : أن كبار الملاك (أى الذين يملكون ٥٠ فدانا فأكثر) وعددهم ١٢٠١٨ يملكون ٢٥٠٨٢٨٦ فدانا أما بقيـة السـكان وعددهم ما يقـرب من ١٥ مليـونا فلا يملكون شيئا (٣٦) ٠

ثانيا : أن مقدار الاراضى التى يملكها كبـار الملاك كانت فى زيادة مستمرة وهذه الزيادة لا يمكن أن تكون الا على حساب صغـار الملاك الذين يفقدون أملاكهم ، ووفق الاحصاءات الرسمية فلقد كان كبـار الملاك يملكون فى سـنة ١٩٣٩ ـ ٢٤٨١٢٥٠ فدانا ، وفى سـنة ١٩٤٠ ـ ٢٤٩٦٥٤٦ فدانا ، وفى سنة ١٩٤١ ـ ٢٥٠٨٢٨٦ فدانا و فى نفس الوقت قل عددهم من ١٢٢٤٨ فى سنة ١٩٣٩ الى ١٢٠١٨ فى سـنة ١٩٤١ (٣٤) ٠

ولو استمر الحال على تلك الطريقة فقد تصل النتيجة الى أن يملك الف مالك مثلا الاكثرية الساحقة لاراضى القطر ٠

ثالثا : لقـد انخفض سعر الفدان من الاراضى الزراعيـة الى قيمة النصف تقريبا على نظيره قبل سنة ١٩٣٨ (٢٨) ولذا فقد شهدت الفترة من ١٩٣٩ وحتى أوائل ١٩٤٤ أكبر تحول فى شكل الملكيات الزراعيـة وكانت جميع هذه التحولات تتم لصالح كبـار الملاك الذين كانوا فى الغالب لا يقطنون القرية وانما كانوا يمارسون دورا اقتصاديا خطيرا عن طريق وكلائهم فى القرية ٠

---

(٣٥) مجلة روز اليوسف ٩ مارس ١٩٤٤ ، السياسة ١٥ مارس ١٩٤٣ ٠
(٣٦) ملحق بمضبطة مجلس الشيوخ دور الانعقاد التاسع عشر ـ ملحق رقم ٥٩ ص١٦٨ ، ١٦٩ (مذكرة تفسيرية بالقانون) ٠
(٣٧) المذكرة التفسيرية للقانون رقم ٥٩ ص٢٦٩ المصدر السابق ٠
(٣٨) روز اليوسف ١٦ مارس ١٩٤٥ ٠

ونظرا لأن الظاهرة كانت صارخة بسبب ما يمكن أن يترتب عليها من هزات عنيفة حيث أن الحروب الكبرى يتبعها دائما نشاط زائد فى السعى الى عدالة التوزيع للثروات وعدالة الاستمتاع بالحياة ولم تكن ظهور الشيوعية عقب الحرب العالمية الاولى فى دولة تبلغ مساحتها سدس مساحة العـــالم من قبيل المصادفة • لذا كان لزاما أن يعاد النظر فى الفروق الطبقية الشاسعة داخل المجتمع المصرى • ومن هنا فقد تقدم النائب محمد خطاب عضو مجلس الشيوخ بمشروع قانون يحظـــر شراء الاراضى على الذين زيد أملاكهم على خمسين فدانا (٣٩) ويبدو أن هذه لم تكن المرة الاولى التى يتقدم فيها بعض النواب بطلب تحديد الملكية الزراعية حيث سبقتها دعوى عبد الرحمن عزام سنة ١٩٢٤ حينما تقـدم للبرلمان طالبا تحديد الملكيـــة بمائة فدان للشخص الواحد (٤٠) •

وعلى الرغم من أهمية هذا المشروع وما يترتب عليه من استقرار الحياة الاقتصادية الا أن القانون فى صورته النهائية قد خلا من المحتوى الاجتماعى لصالح السواد الاعظم من الشعب ويبدو هذا واضحا من خلال مواده •

مادة ١ : كل شخص يملك خمسين فـــدانا أو أكثر من الاراضى الزراعيـــة لا يجوز أن ينتقل الى ملكيته أرض زراعية جديدة وكل عقد يؤدى الى ذلك يعد باطلا •

مادة ٢ : لا يسرى حكم المادة السابقة على الاراضى الزراعية التى تؤول الى الافراد بطريقة الميراث •

مادة ٣ : لا يجوز الوقف فيما لا يزيد على الخمسين فدانا للشخص الواحد اذا لم يكن وارثا ، فاذا كان وارثا فلا يجوز أن يزيد ما يوقف عليه عن حصته الشرعية أو خمسين فدانا أيهما أكثر •

---

(٣٩) المصدر السابق ، روز اليوسف ٩ مارس ١٩٤٤ •

(٤٠) عبد الرحمن عزام ، أول أمين عام للجامعة العربية وحيد الدالى • الجامعة العربية وعبد الرحمن عزام ص١١٧ مؤسسة روز اليوسف القاهرة ١٩٨٢ •

مادة ٤ : يستثنى من أحكام هذا القانون أطيان الحكومة والاراضى غير المستصلحة والتى لا تدفع عنها ضريبة أطيان ٠

مادة ٥ : على وزير المالية والعدل تنفيذ هذا القانون كل منهما فيما يخصه (٤١) ٠

وأعتقد أن هذا القانون لم يحقق أى نوع من التغيير فى شكل الملكيات الزراعية حيث كان من السهل التحايل على هذا القانون وشراء الاراضى بأسماء الابناء والاقارب وبمقارنة شكل الملكيات عقب صدور هذا القانون بنظائرها قبل صدوره يبدو أنه لم يحقق الغرض الذى أنشىء من أجله وهو الحد من ضياع الملكيات الزراعية الصغيرة لصالح كبار الملاك ومن الواضح أن انتشار الملكيات الصغيرة يؤدى بدوره الى انتشار التعاون الزراعى الذى لم يقدر له فى مصر أى نجاح فى الفترة موضع البحث ٠

ووفق اعتقادى فان المحافظة على الملكيات الصغيرة مرتبط أشد الارتباط بالاستقلال الحقيقى حيث أن الاستقلال الاقتصادى وتعميق الشعور بالانتماء وكرامة الافراد التى يتكون من مجموعها كرامة الوطن كل هذه الامور تعد جذورا أكيدة للاستقلال السياسى وكلما ارتفع مستوى المعيشة للافراد زادت بلاشك قوة الامة وحيويتها ٠

ثانيا : الصناعة والتجارة واخضاعهما لخدمة الحلفاء :

لقد كانت الحرب العالمية الثانية فرصة للمزيد من النمو الصناعى حيث أخذت الصناعة المصرية تنتعش انتعاشا حقيقيا وخصوصا بعد اشتراك ايطاليا الى جانب ألمانيا فى الحرب فقد ترتب على هذا اغلاق البحر المتوسط أمام حركة التجارة ومن ثم اعتمدت كافة الصناعات على المواد المحلية سواء منها ما كان خاصا بمصانع الحلفاء أو ما كان خاصا بالنشاط الرأسمالى الوطنى ، فخلال الحرب قد نمت الصناعة بمعدل ٥ر٥٪ سنويا وزاد انتاج

---

(٤١) ملحق بمضبطة مجلس الشيوخ — دور الانعقاد التاسع عشر — ملحق رقم ٥٩ نص القانون ص١٦٨ ٠

صناعة النسيج بمعدل ٥ر١٤٪ فى العام الواحد ووصل انتاج الصناعة عموما من أربعة ملايين سنة ١٩٣٩ الى ثلاثة وعشرون مليونا سنة ١٩٤٣ (٤٢) ٠

وعلى ضوء النمو الصناعى الذى شهدته البلاد خلال الحرب العالمية الثانية فلقد ازداد انسحاب المصانع الصغيرة من حلبة المنافسة ونقص عدد المصانع الصغيرة التى تقل قيمة انتاجها السنوى عن ٥٠٠ جنيه من ٩ؤ٩٤٪ الى ٧ر٣٧٪ بينما ارتفع عدد المصاح التى يزيد انتاجها عن ١٠٠٠ جيه من ٧ر١٥٪ الى ٧ر٢٢٪ (٤٣) ٠

وعلى الرغم من هذا النمو الصناعى وما ترتب عليه من ارتفاع فى متوسط دخل العامل الا أن هذا الارتفاع لم يكن يمثل القيمة الفطية لارتفاع الحاجيات المعيشية فلقد وصل متوسط دخل العامل شهريا ٢٩٣ قرشا فى حين أن أردب القمح قد وصل سعره فى السوق الى ما يقرب من عشر جنيهات(٤٤) ٠

ومن المعتقد أن حكومة ٤ فبراير ١٩٤٢ لم تدرك الدلالات الاجتماعيه والاقتصادية والسياسية التى تركتها آثار الحرب حيث زادت الهوة بين الاغنياء والفقراء ففيمابين عامى ١٩٤٠ ـ ١٩٤٤ ارتفع عدد أصحاب الملايين فى مصر من ٥٠ الى ٤٠٠ وزادت الودائع فى البنوك من ٤٥ الى ١٢٠ مليون من الجنيهات(٤٥) ٠

وعلى الرغم من زيادة أصحاب الملايين وارتفاع حجم الودائع فى البنوك الا أن هاتان الظاهرتان لم يواكبهما نموا ملحوظا فى الاقتصاد الانتاجى ففى عام ١٩٤٢ أغلق ما يزيد على ١١٠٫٠٠٠ نول من أنوال النسيج بسبب

---

(٤٢) مضبطة مجلس النواب ـ الجلسة ٤٨ ـ ١٤ يوليو ١٩٤٣ مجموعة دور الانعقاد الثانى ص٢٣١٧ ، محمود حسين الصراع الطبقى فى مصر ١٩٤٥ ـ ١٩٧٠ ص٦٤ ، د٠رفعت السعيد ، تاريخ المنظمات اليسارية ص٤٨ ٠

(٤٣) د٠مال الدين سعيد ، التطور الاقتصادى فى مصر منذ الكساد العالمى ص١٣٠ ، ملحق اقتصادى بالاهرام عدد ١٣ مارس ١٩٤٥ ٠

(٤٤) مضبطة مجلس النواب ـ الجلسة الثامنة والاربعون ١٤ يوليو ١٩٤٣ ـ دور الانعقاد الثانى ص٢٣١٧ ٠

(٤٥) د٠عمر عبد العزيز ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر القاهرة ١٩٨٠ ص٥١٤ ٠

عدم قدرة هذه المصانع الصغيرة على المنافسة وعجزت الحكومة عن ايجاد حل لهذه المشكلة ولما تقدم النائب محمد الفرنوانى عضو مجلس النواب بسؤال الى وزير التموين بخصوص الآثار التى نجمت عن الحرب فيما يتعلق بمصانع الغزل وما تحصل عليه القوات البريطانية وهل هناك علاقة بين ما تحصل عليه القوات البريطانية والحالة المتردية لمصانع الغزل الصغيرة : لجأ وزير التموين الى الغموض فى اجابته ملقيا بالمسئولية على الوزارات التى تعاقبت على الحكم منذ قيام الحرب وعلى حد قوله : فان السياسات الخاطئة التى سارت عليها الحكومات السابقة هى التى أوصلت البلاد الى هذه الحالة (٤٦) .

وبينما طرأ تحسن واضح على بعض الصناعات الاخرى مثل المواد الكيماوية وصناعة أوانى التعبئة وصناعة البطاريات الكهربائية وتعليب الخضروات وصناعة المطاط فقد تعرضت صناعة الحرير الصناعى للتدهور لعدم وجود المواد الاولية وكادت تغلق المصانع لولا تدخل الحكومة وتقديم بعض المعونات لها (٤٧) .

أما باقى الصناعات التى كانت مرتبطة بحاجة الحلفاء فقد كانت فى نمو وازدياد مستمر فلقد زاد انتاج صناعة الجبن من ٥٠ ، ١٠٠ طن فى العام فى الفترة قبل الحرب الى ١٨٠٠ طن عام ١٩٤٣ وزادت صناعة تجفيف الخضر والفاكهة من لا شئ تقريبا الى ١٧٠٠ طن فى المتوسط وبلغ انتاج صناعة النشا وهى احدى الصناعات التى أوجدتها الحرب ٧٥٠٠ طن سنويا كما زاد انتاج صناعة الاسمنت من ٣٦٥ طن قبل الحرب الى ٤٢٠ر٠٠٠ طن بعد الحرب (٤٨) .

وعلى ضوء الاعتبارات العديدة التى اقتضتها ظروف الحرب فقد كان من الطبيعى أن يواكب هذا كله نموا ملحوظا فى الصناعة حتى يمكن استيعاب

---

(٤٦) مضابط مجلس النواب الجلسة التاسعة ٢٠ يناير ١٩٤٣ ص٨٨٢ ، الجلسة الثامنة والاربعون ١٤ يولية ١٩٤٣ ص٢٣١٧ .

(٤٧) مصر الصناعية ابريل ١٩٤٢ — تقرير اتحاد الصناعات المصرية عن عام ١٩٤٢ .

(٤٨) جمال سعيد ، تطور مصر الاقتصادى منذ الكساد العالمى ص٩٤ .

حاجة السوق من الانتاج والاستهلاك فأخذ عدد المصانع فى الازدياد حتى بلغ عام ١٩٤٤ ــ ٢٢٠ر١٢٩ مصنعا بلغ عدد المشتغلين فيهم ٩٥٤ر٤٥٧ (٤٩) ٠ ويلاحظ تركز الانتاج الصناعى فى يد قلة من الرأسماليين المصريين بعد أن انعدمت المنافسة بينهم وبين أصحاب المصانع الصغيرة ، وتفسيرا لهذه الظاهرة التى تركت بعدا اجتماعيا خطيرا على المجتمع المصرى خلال تلك الفترة فمن الممكن ردها الى عدة أسباب :

أولا : لقد ظهرت سياسة الاحتكار فى أشكال متعددة ولفئة ارتبطت مصالحها ببعض العناصر التى كانت قريبة من الحكومة وما كان انشقاق مكرم عبيد عن الوفد سنة ١٩٤٢ الا دليلا على وجود العديد من أشكال الاحتكار ٠

ثانيا : لقد اعتمد حزب الوفد بدأ من سنة ١٩٤٢ على بعض العناصر الرأسمالية التى تمثل ثقلا هاما داخل المجتمع المصرى وكان من الصعب على هذه العناصر أن تتجاهل مصالحها الاقتصادية بل على العكس فقد اتخذت من موقعها الجديد داخل الهيئة الحاكمة فرصة للحصول على العديد من التسهيلات سواء فى شكل أذونات تصدير واستيراد أو اعانات كانت تخصصها الحكومة لبعض الصناعات التى على وشك الانهيار ٠

ثالثا : ارتباط عدد كبير من الرأسماليين بمصالح الاحتلال الذى سهل لهم فى مناسبات عديدة الحصول على بعض الامتيازات التى عجز أصحاب المصانع الصغيرة من الحصول عليها ، وأمام اختفاء المنافسة الاجنبية وازدياد الطلب على الانتاج المحلى وحاجة جيوش الحلفاء الى العديد من المواد الصناعية فقد انتعشت الصناعة عموما وانعكس ذلك على ميزانيات الشركات المنتجة ومقدار الارباح التى تحصل عليها ٠

---

(٤٩) ملحق بمضبطة مجلس الشيوخ أغسطس ١٩٤٤ دور الانعقاد التاسع عشر ص١١٠ ٠

ووفقا لما أقره مجلس الشيوخ فان وزارة التجـارة والصناعة قد عنيت بكافة الاساليب التى من شأنها الاخذ بيـد الصناعات المحلية وتنشيطهـا والعمل على انشاء بنك صناعى تقتصر مهمته على دعم الصناعات المحليـة وتشجيعها (٥٠) ٠

ومن الملاحظ أن الرأسماليين المصريين قد نشطوا نشاطا ملحوظا وغامروا فى تمويل أنواع من الصناعات التى اقتضتها ظروف الحرب مثل صنـاعة الكيماويات وانتاج الحرير الصناعى وصناعة المعلبات الغذائية وغير ذلك من الصنـاعات التى تخدم جيوش الاحتـلال وبلغ عدد الشركات المساهمة التى أنشئت خصيصا لهذا الغرض ٣٧٥ شركة مساهمة بلغ رأسمالها فى مجموعة ٧٨ مليـون جنيـه منها شركة مصرية الجنسية بلـغ رأسمالهـا فى مجمله ٦٩ مليون جنيه (٥١) ٠

ولاشك أن نجاح هؤلاء المغامرين لم يكن مرده الى كفاءة خارقة أو موهبة متميزة وانما مرده الى تأثير هذه النخبة فى نظام الحكم والتمتع بالحمـاية الجمركيـة اذا ما هددت صناعاتهم من المنافسة الاجنبية ، ولذا فقد تميزت الرأسمالية المصرية بخصائص معينة : أهمها انها لم تتجه الى التخصص فى مجالات اقتصادية معينة وانما كان فريق كبير منها يجمع بين المجـالات الثلاثة تارة ، صناعة ، مال رغبة فى الكسب السريع الميسور وامتلاك حرية الحركة التى تمكنه من تحقيق أكبر عائد من الربح فى أقل وقتممكن(٥٢) ٠

وبعد هذا العرض يتبين أن الحرب العالمية الثانية قد أفادت الرأسمالية المصرية فائدة عظمى فى تدعيم مركزها المالى وقوتها الاقتصادية وقد ظهـر ذلك عنـد انتهـاء الحرب حيث تراكمت رؤوس أموال ضخمة فى أيدى هذه

---

(٥٠) ملحق بمضبطة مجلس الشيوخ رقم ٣٩ دور الانعقاد التاسع عشر ٩ أغسطس ص١١٠ ٠

(٥١) عاصم الدسوقى ٠ مصر فى الحرب العالمية الثانية ١٨٨ ٠

(٥٢) د٠حسين خلاف ، التجديد فى الاقتصاد المصرى الحديث ص٤٣٧ مطبعة الحلبى القاهرة ١٩٦٢ ٠

الطبقة جعلت منهـا قوة اقتصـادية واجتماعية هامة (٥٣) • وبرزت فى محيط الرأسمالية الوطنية مجموعة كبـيرة من أسماء البـاشوات والبكوات الذين جمعوا بين الاقتصاد والسياسة ومن أبرز هؤلاء حافظ عفيفى باشا الذى كان عضوا فى مجلس ادارة ٣٣ شركة ، عبد المقصود أحمد بك الذى كان عضوا فى مجلس ادارة شركة ثم أحمد فرغلى باشا الذى كان عضـوا فى مجلس ادارة ٢٧ شركة ، اسماعيل صدقى الذى كان عضوا فى مجلس ادارة تسع شركات ، أما أحمد زيور باشا فقد كان عضوا فى مجلس ادارة ست شركات (٥٤) •

ويلاحظ حافظ عفيفى باشا من خلال احصاء رسمى بأن — أربعة ملايين شخص من سكان مصر يعيش الفرد منهم بايراد يقل عن جنيه واحد فى الشهر أى بنحو ثلاثة قروش فى اليوم • ويلاحظ أيضا أن *الضرائب غير المبـاشرة التى يقع عبؤها على الطبقات الفقيرة* تمثـل ٧٥٪ من الايرادات العامة وأن مرتبات الموظفين ومعاشتهم تستنفذ ٤١٪ من اجمالى مصروفات الدولة (٥٥)•

وتعرضت البلاد لحالة من النهب لصالح البريطانيين وبعض الرأسماليين المصريين وعلى سبيل المثـال فان السلطات البريطانية استغلت فرصة ربط الجنيه المصرى بكتلة الاسترلينى ولجأت الى اصدار سندات على الخـزانة البريطانية واستخدامها كغطاء مالى لما يصدر من أوراق نقد مصرية تتسلمها السلطات البريطانية لتشترى بها كل ما تريد من السوق المصرية وتسدد بها أجور جنود الاحتلال والعاملين فى المعسكرات ، وقد أدى ذلك ، بطبيعة الحال الى تزايد شديد فى كمية الصادر من النقد الورقى (٥٦) •

وكذلك فان مصلحة الجمارك أعفت السلطات البريطانية فى مصر من ضرائب مستحقة على السلع المستوردة طيلة مدة الحـرب بلغت قيمتهـا ٧٩٠ر٧٧٢ر٦١ جنيها مصريا أما مجموع الضرائب التى تنازلت الحكومة

---

(٥٣) د•عبد العظيم رمضان • الصراع بين الطبقـات فى مصر ١٨٣٧ — ١٩٥٢ ص١١٠ بيروت ١٩٧٨ •
(٥٤) المرجع السابق ص١١٥ •
(٥٥) حافظ عفيفى ، على هامش السياسة المصرية ص١٦٥ •
(٥٦) راشد البرادى ، محمد حمزة عليش التطور الاقتصـادى فى مصر فى العصر الحديث ص٢٨٢ •

المصرية عن تحصيلهـــــا من البضـــــائع المصـــــدرة فبلغت ميمتهـــــا ٢٢٩ر١٨٨ر١٠ جنيها (٥٧) وكان من الطبيعى أن يواكب كل هذا ارتفـــاعا ملحوظا فى الاسعار ونقصا أكيد فى الدخل القومى للبلاد بدا هذا واضحـا فى عدم مقدرة الحكومة على استيعاب الكم الهائل من المشاكل الاقتصـــادية الناتجة عن الحرب ٠

وعلى الرغم من أن معاهدة ١٩٣٦ قد وضعت شكلا واضحا للعلاقات بين مصر وبريطانيا الا أن الفترة من ١٩٤٢ وحتى ١٩٤٥ قد شـــهدت تجـــاوزا أكيدا لبنود المعاهدة وتحولت مصر الى ضيعة بريطانية بدا هذا واضحا من تطويع الاقتصاد المصرى بما يهدف الى خدمة جيوش الحلفـــاء ، وفوضت الحكومة البريطانية اللورد كيلرن فى عقد الاتفـاقات وابرام المعـــاهدات التجارية مع الحكومة المصرية (٥٨) وعلى ضوء الاتفاقات التجارية التى أقرها مجلس الوزراء المصرى بجلسته المنعقدة فى ٢٣ فبراير ١٩٤٢ فقـــد اقتصرت بنود المعاهدات على ما تورده الحكومة المصرية لجيوش الحلفـــاء من مواد تموينية وصناعية دون التعرض لحاجة السوق المصرية للبضائع والمنتجات البريطانية (٥٩) ٠

ولذا فاننا نعتقد أن هذا النوع من الاتفاقات لم يراع فيه مصالح مصر الاقتصادية لأنه كان يلزم الحكومة المصرية بامداد جيوش الحلفـاء بأوراق النقد المصرية التى يتعامل بها جيش الاحتلال فى شراء حاجياته المعيشية من المواد التموينية المصرية المخصصة أصلا للشعب المصرى ولم يراع الجـــانب المصرى فى هذا الاتفاق الازمات التموينية الحادة التى أحدثت خللا ملحوظا فى الاقتصاد المصرى وزيادة فى اخضاع الاقتصاد المصرى لكى يخدم جيوش الحلفـاء فقد اخترعت الحكومة البريطـــانية ما يسمى بمركز تموين الشرق الاوسط والذى كان يهـدف فى ظاهره الى تنشيط التجـارة بين دول الشرق

---

(٥٧) د٠رفعت السعيد تاريخ المنظمات اليسارية فى مصر ١٩٤٠ ـــ ١٩٥٠ ص٥١ ٠

(٥٨) صحيفة المصرى ٣ مارس ١٩٤٢ ٠

(٥٩) المصدر السابق ٢٥ فبراير ١٩٤٢ ٠

الاوسط أثناء الحرب الا أنه كان يهدف فى باطنه الى امداد جيوش الحلفاء بالمواد الغذائية والتموينيـة التى يصعب استيرادها من بريطانيا زمن الحرب (٦٠) ووفق هذه الحقيقة فاننى لا أتفق مع الرأى القائل : بأن هذا المكتب قد حقق نجاحا لا يستهان به فى تنشيط التجارة بين دول الشرق الاوسط اثناء الحرب ويعتقد صاحب هذا الرأى أن الروابط التاريخية بين الدول العربية كانت مشلولة فى زمن السلم وان هذا المكتب قد أنشأ بعض الصناعات التى لم تكن موجودة وزاد الانتاج المحلى واستغنى عن السلع المستوردة وقام المكتب بالقضاء على الاحتكارات والتخزين والمضاربة فى المواد الغذائية (٦١) ٠

وعلى ضوء الظروف الاقتصادية الناجمة عن الحرب فان هذا المكتب قد أحدث نوعا من التوازن فى العلاقات التجارية الا أن هذا التوازن لم يكن لصالح المصريين بقدر ما كان يهدف الى امداد الجيوش البريطانية بالمواد التموينية التى تمثل الدافع الحقيقى من وراء انشاء هذا المكتب ولعل هذه كانت بداية استعمال اصطلاح كلمة الشرق الاوسط كاصطلاح سياسى عندما أعتبر الشرق الاوسط وحدة واحدة من حيث حاجاته ومن حيث تنمية امكاناته وعقدت العديد من المؤتمرات التى تمخضت عن هذا المكتب وكانت فى معظمها ذات طابع اقتصادى تجارى (٦٢) ٠

واذا كان لهذا المكتب من فضل فانه قد لفت نظر الدول العربية الى أهمية التخطيط والتعاون فى القضايا الاقتصادية بين الاقطار العربية وعلى ضوء المصالح البريطانية فان أى تعاون أو تقارب بين الدول العربية أو أى تنسيق فى سياسة بريطانيا مع الدول العربية سيعود حتما بالفائدة على قضية الحلفاء وعلى سلامة جويشهم المحاربة فى المنطقة وبذلك تحصل بريطانيا على تأييد الدول العربية مجتمعة من خلال التنسيق الاقتصادى الذى كان يحمل بعدا سياسيا أكيدا ٠

---

(٦٠) مضابط مجلس النواب ـ الجلسة السابعة والاربعون ٣ يوليـة ١٩٤٤ ص١٩٨٥ ٠

(٦١) أحمد طربين ٠ الوحدة العربية ص٢٢٨ ، ٢٢٩ ٠

(٦٢) الاهرام ١٩٤٣/١١/٢٣ ٠

واذا كانت بريطانيا قد تمكنت من اخضاع الاقتصاد الزراعى والصناعى لخدمة أهدافها فانها لم تعدم الوسائل التى مكنتها من اخضاع الجـانب التجارى أيضا ليس برسم سياسته فقط وانما عن طريق السيطرة الفعليـة حيث استحدث ما يسمى « بالغرفة التجارية المصرية البريطانية لتنميـة العلاقات بين الحليفتين » (٦٣) ٠

وعملا بمفهوم القائمين على الغرفة التجارية المصرية البريطـانية فقد شارك الاعضـاء البريطانيون فى وضـع السياسات التموينية والتجـارية للحكومة المصرية وعلى حد قول أحد مؤسسى هذه الغـرفة « ان العـلاقات التجارية بين مصر وبريطانيا وتنميتها كفيل بجعل علاقة البلدان وصداقتهما وطيدة (٦٤) وفى اجتماع الغرفة التجارية بلندن فى ١٩٤٢/١١/٨ أعلن حسن نشأت باشا أن الميزانية التجارية بين مصر وبريطانيا الآن فى مصلحة مصـر وذلك للقيود المفروضة على الصادرات البريطانية لظروف الحرب ولأن عددا كبيرا من القوات يقيم فى مصر ٠ ومما جاء فى التقرير الذى قدمه المجلس عن أعمـال الغرفة : أن صادرات بريطانيا الى مصر هبطت بمقـدار ٤٨٪ فى عام ١٩٣٨ (٦٥) ٠

وعموما فان بريطانيا كانت تهدف من اقامة سواء مركز تموين الشرق الاوسط أو الغرفة التجارية المصرية البريطانية الى امداد القوات المحـاربة فى الشرق بالمواد التموينية والغذائية ومن هنـا فقد تأثرت تجـارة مصر الخارجية بسبب الصعوبات الشديدة سواء بسبب تعذر وسائل النقل البحرى أو بسبب الالتزامات التى فرضتها المعاهدات المصرية البريطانية وكان من الضرورى هبوط حجم التجـارة الخارجية هبوطا محسوسا اذ بلغت قيمـة الصادرات عام ١٩٤٢ ـــ ١٩٫٢٩٠٫٠٠٠ جنيها مصريا مقابل ٢٢٫٦١٢٫٠٠٠ جنيها مصريا فى سنة ١٩٤١ أى عجز قدره ٣٫٣٣٢٫٠٠ نيه (٦٦) ٠

---

(٦٣) المصرى ٣ مارس ١٩٤٢ ٠

(٦٤) السياسة ١٩٤٤/١٢/١٠ ٠

(٦٥) الاهرام ١٩٤٤/١١/٩ (دراسة عن حجم العلاقات التجـارية بين مصر وبريطانيا) ٠

(٦٦) مضبطة مجلس النواب ـــ الجلسة السابعة عشر ١٦ مارس ١٩٤٣ ص٨٦٥ (ملحق تحت عنوان التجارة الخارجية) ٠

أما تجـارة الواردات فقد نشطت فى النصف الاول من ١٩٤٢ ثم عادت الى الهبوط على أثر الرقابة عليها فى البلاد المصدرة وقلة وسائل النقل وقد بلغت جملة الواردات ٥٥ر١٢ر٠٠٠ جنيه فى سنة ١٩٤٢مقابل ٣٣ر١٣٧ر٠٠٠ سنة ١٩٤١ أى بزيادة قدرها ٢٢ر٣٧٥ر٠٠٠ وبذلك أصبح العجز الظـاهر فى الميدان التجارى ٣٦ر٢٢٢ر٠٠٠ جنيها مصريا (٦٧) ٠

على أن هذا العجز فى الميزان التجارى لا يمثل الحقيقة لاعتبارين هامين :

أولهما : أن ما اشترته الحكومة البريطانية من القطن منفردة أو باشتراكها مع الحكومة المصرية لم يتم تصديره بأكمله وان كان ثمنه قد دفع فعلا للبـائعين ولو ان هذا القطن صـدر بالفعـل لأضيف الى قيمة الصادرات ولظهر الميزان التجارى على حقيقته ، ومن الصعب ان لم يكن من المتعذر حصر كميات هذا القطن بمختلف أنواعها ورتبها وتقدير ثمنهـا تقـديرا حقيقيا لما تتطلبه هذه العملية من دقة التفاصيل وتعدد الارقام ٠

ثانيهما : أن بعض الاصناف المستوردة كانت مشاعا بين الاستهلاك المحلى واستهلاك قوات الحليفة المرابطة فى مصر أى أن مجموع ثمنهـا موزع بين هذين المستوردين الرئيسيين فدفعت مصر ثمن نصيبها منها أما نصيب القوات المرابطـة فى مصر فدفع من أموال غير مصرية ودفع خارج مصر ٠٠

وعلى ما يبدو فان الحكومة المصرية لم تتمكن نظرا للاعتبارين السابقين من تحديد حجم الميزان التجارى بالمعنى الصحيح اعتقادا منها بأن بقاء بعض المشاكل التجارية وعلى رأسها مشكلة القطن المصرى تحول بين الحكومة وبين حقيقة الميزان التجارى (٦٨) ٠

والملاحظ أن عمليات الاستيراد قد واجهت العديد من الصعوبات ممـــا

---

(٦٧) نفس المصدر السابق ٠
(٦٨) نفس المصدر السابق ص٦٨٦ ٠

اضطـر الحكومة البريطـانية الى ابلاغ السلطات المصرية عدم الترخيص بتصدير وشحن البضـائع الى بلاد الشرق الاوسط ومن بينهـا مصر ما لم تصلها توصية من مندوبها فى مركز تموين الشرق الاوسط الذى اجتمعت لديه المعلومات الخاصة بوسائل الشحن والمقادير التى يمكن تصديرها من المناطق المختلفة (٦٩) ونظرا للهزات الاقتصادية العديدة التى لحقت بالاقتصـاد المصرى طوال فترة الحرب لذا فقـد اتسم الميزان التجـارى بالعجـز الدائم والمستمر والذى وصل فى مجموعه الى ما يقـرب من مائة مليون جنيه مصرى (أوائل ١٩٤٤) (٧٠) ٠

وعلى ضوء كل ما سبق فان مصر وان لم تعلن الحرب على ايطـاليا وألمانيا الا فى فبراير ١٩٤٥ فانها قد ساهمت بنصيب كبير فى العمليـات الحربية مما كان له الاثر البالغ فى انتصار بريطانيا وحلفائها على المحور حيث كان تموين جيوش الحلفاء من المواد الغذائية والصناعية وقد أخضعت مصر انتاجها الزراعى والصناعى والتجارى لمقتضيات هذا التموين ، وليس خافيا أن تموين الجيوش من أهم أسباب ثباتهـا وقوتها ، وقد بذلت مصر فى هذا السبيل **تضحيات** جسيمة ، اذ كان تموين الحلفـاء دون مقـابل بل كان **بطريق** التسليف الذى نشأت عنه مشكلة الارصدة الاسترلينية والتى سبق الحديث عنها فى موضع آخر من هذه الدراسة ٠

التغيرات الاجتماعية فى ظل الحرب :

ان ما حدث مساء ٤ فبراير ١٩٤٢ من ارهاب الملك فاروق لم يكن الغاية من سياسة الحكومة البريطانية وانما كان وسيلة لاخضـاع مصر سياسيا واقتصاديا خدمة لقضية الحلفاء ومن هنا لا يمكن الفصـل بين ما حدث فى ٤ فبراير وأوضاع مصر الاقتصادية وبالتالى لا يمكن الفصـل بين تردى

---

(٦٩) مضبطة مجلس النواب ١٦ مارس ١٩٤٣ ملحق يحمـل رقم ١٤ – الجلسة السابعة عشر ص٧١١٧ ، الاهرام ، السياسة ١٩٤٣/١١/٢٥

(٧٠) تقـرير لجنة الماليـة عن ميزانية ١٩٤٤ ، ١٩٤٥ ملحق بمضبطة مجلس الشيوخ دور الانعقاد العادى ١٨ نوفمبر ١٩٤٣ – ٩ أغسطس ١٩٤٤ ص٣٠١ ٠

الاحوال الاقتصادية والحياة الاجتماعية على اعتبار أن الاوضاع الاجتماعية هى المقياس الفعلى لقوة الاقتصاد أو ضعفه فى بلد ما ومن هنا فان الامرين (الاقتصادى والاجتماعى) نتاج فعلى للحياة السياسية ٠

واذا كانت مصر قد أعلنت الاحكام العرفية منذ بداية الحرب وبدا هذا واضحا فى العديد من القـــررات الاستثنائية فان ما ترتب على هذا الاجراء السياسى من ردود فعل داخل المجتمع المصرى يعد بعدا اجتماعيا واضحا حيث عاشت الجماهير فى حالة أشبه بالمأساة وبدا هذا فى العديد من أشكال القلق النفسى وانتشر الهمس بين أوساط المصريين البسطاء بأن أركان الحـــرب البريطـــانية قد اقترحت على الحكومة المصرية ارســـال جيش من المتطوعين لخوض غمار الحرب على الجبهة الاوربية كما تردد فى ريف مصر بأن الدواب والمواشى سوف تصادر وأن مديرى المديريات المصريين سوف يستبدل بهم ضباط انجليز (٧١) ٠ وعلى الرغم من أن الحكومة البريطـــانية قد حاولت فى العديد من المناسبات أن تكذب هذه الدعايات الا أنها لم تستطع بأى حال أن تقلل من حجم الكراهية الشديدة التى يكنها المصريون للاحتلال البريطانى ٠

وضاعف من حجم هذه الكراهية تصرفات ضباط وجنود جيش الاحتـــلال التى تتنـــاقض مع عادات وتقـــاليد الشعب المصرى سواء وهم فى الشوارع والطرقات وبعضهم فى حالة سكر وتعددت حالات الاعتداء على الفتيـــات المصريات وفى كل الاحوال عجزت الحكومة المصرية عن محاكمة المتهمين بحجة أن المعاهدات بين مصر وبقية دول الحلفاء كافية لمحاكمتهم (٧٢) ٠

وتعددت حالات اعتداء الجنود الانجليز على بعض الفتيات المصريات وصلت بعض الأحيان الى حـــد هتك العرض (٧٣) ٠ وفى كل الحالات كانت الحكومة المصرية لا تملك الا أن ترفع الامر الى هيئة أركان حـرب الجيش

---

(٧١) مارسيل كولومب تطور مصر ١٩٢٤ ص١١٨ ، مجلة روز اليوسف ١٢ يولية ١٩٤٤ ، د٠محمود متولى مرجع سابق ذكره ص١٧١ ٠
(٧٢) ملحق بمضبطة مجلس الشيوخ ـ دور الانعقاد التاسع عشر ص١٧١
(٧٣) ملحق رقم ١ مضبطة مجلس النواب الجلسة السابعة عشر ١٦ مارس ١٩٤٣ وحتى ٩ أغسطس ١٩٤٤ ٠ عريضة تحمل رقم ٢٣٣٣ ص٢٩٥

البريطانى (٧٤) مما يعد من وجهة نظرنا اعتداء صارخا على استقلال مصر وشرفها ٠

وتعددت حالات الاعتداء من بعض جنود الحلفاء على بعض المصريين واكتظت أقسام البوليس بالعديد من الشكاوى (٧٥) ووقفت السلطات المصرية عاجزة عن منع تكرار مثل تلك الاعتداءات ، ونظرا لتغلغل الوحدات العسكرية داخل القرى والمدن المصرية وما يترتب على ذلك من وقوع العديد من المشاكل فقد تقــدم أحد أعضـــاء مجلس النواب بسؤال الى رئيس الحكومة عن مدا امكانية نقل تلك الوحدات بعيدا عن الاحياء السكنية (٧٦) ، ونظرا لعدم قدرة الحكومة على اتخاذ قرار فى مثل تلك الحالات فقد تذرعت بظروف الحـــرب بسبب مســـائل الاعداد والتموين وغير ذلك وعلى حد تعبير رئيس الوزراء : ان الشعب المصرى قد ضحى بالكثير وبمزيد من الصبر ستفى بريطانيا بكل مطالبنا (٧٧) ٠ وعلى ضوء تطور العلاقات المصرية البريطانية حتى نهـاية الحرب فقد ثبت عكس هذا الاعتقاد وبدا واضحا أن معـــاهدة ١٩٣٦ كانت ترضية للزعامات المصرية لم يترتب عليها أى نـوع من الاستقلال بل استباحت بريطانيا لنفسها كل موارد الحياة المصرية مما ترتب عليه بالضرورة احداث خلل فى الاقتصاد المصرى لازمة بالضرورة عدم تناسب الخدمات العامة مع لانتاج مما يثير كثيرا من المتاعب الاجتماعية وعلى حد تعبير وزير المالية فى بيـــانة أمام مجلس النواب حيث قال : ان للحرب أثرا أشد وأخطر ولعل أخطر الشر فيه أنه يؤدى الى تضخم خلقى حيث يسرى التضخم من مرافق الناس الى أخلاق الناس ومن قيم المال الى قيم الرجال حيث تتضخم المطامع والشكايات ويندفع البعض مخاطرا ، مغامرا ، مقامرا ويبدو ذلك فى التهرب والتهـريب

---

(٧٤) مجمـــوعة ملاحق مجلس الشيوخ عن الفترة من ١٨ نوفمبر ١٩٤٣ وحتى أغسطس ١٩٤ ٠ عريضة تحمل رقم ٢٣٣٣ ص٢٩٥ ٠

(٧٥) مضبطة مجلس النواب ـ الجلسة الســادسة والاربعون ٢٨ يونية ١٩٤٤ ص١٩٥٤ الكتلة أول فبراير ١٩٤٤ ٠

(٧٦) المصدر السابق ـ مجموعة مضابط دور الانعقاد الثانى ٠ الجلســة الثامنة ٢٣ ديسمبر ١٩٤٣ ص٣٥٥ ٠

(٧٧) المصدر السابق ص٢٥٨ ٠

واستغلال ضعف الضعفاء وحاجة الفقراء وهكذا ينزلق الضعفاء سعيا وراء الربح الحـــرام لا يعنيهم فى ذلك الا أن تتضخم بطونهم ولو جرد الفقير من الطعام ، ولما كان هذا التضخم الخلقى مرتبطا بالتضخم النقدى ونتيجـة حتمية له فالتفاعل بينهما شديد كل يفعل فعله فى الآخر (٧٨) ٠

وقد يتصـــور البعض أن الحرب قد أحدثت تقـدما فى شتى المجـالات الاقتصادية(٧٩) الا أن ما ترتب على تلك الحرب من تناقضات اجتمـــاعية وبلورة (ما يسمى) بالصراع الطبقى لأول مرة فى تاريخ مصر يعد أمرا خطيرا وذلك لازدياد حدة الفوارق بين من يملكون ومن لا يملكون الى جانب موجة الغـــلاء وارتفـــاع الاسعار وحدة التضخم ومن هنا فقـــد اهتزت المبـــادىء الاخلاقية ٠

ويعتقد البعض أن تردى الاوضـــاع الاجتماعية فى القـــرى المصرية كان بسبب المعتقدات الاستسلامية التى أفلح كبار الملاك فى نشرها باسم الدين وبواسطتها استطاع كبار الملاك اخضاع الفلاحين لنفوذهم الاقتصـــادى والاجتمـــاعى (٨٠) الا أننـــا لا يمكننـــا أن نقبـــل هـذا الـرأى بأن الغـــالبية العظمى من الفـــلاحين كـاد أن يقتلهـــا البـــؤس والفقر الا أن مرد ذلك لم يكن بسبب المعتقدات الاستسلامية التى أفلح كبـار الملاك فى نشرها باسم الدين (كما يعتقد صاحب هذه الرواية) وانمـا كان بسبب السياسات الخـاطئة للحكومة المصرية والتى أهملت فى برامجهـا النهوض بحالة الفلاح المصرى والارتفاع بمستواه الاجتماعى ويلاحظ أن كل الاحزاب المصرية قد افتقرت الى البرنامج الاجتمـــاعى الذى يستهدف رفع مستوى الفلاح المصرى وكل الاحزاب المصرية تقريبا بما فيها حزب الوفد قد اهتمت بالبيانات الانشائية بعيدا عن الواقع العملى ووضع الخطط والبرامج

---

(٧٨) مضبطة مجلس النواب ـ الجلسة الخـــامسة ٢٧ ابريل ـ ٤ مايو سنة ١٩٤٢ من بيان وزير المالية مكرم عبيد ص١٠٠ ٠

(٧٩) د٠عبد العظيم رمضان ، الصراع بين الطبقـات فى مصر ١٨٣٧ ـ ١٩٥٢ ص١٠٧ بيروت ١٩٧٨ ٠

(٨٠) المرجع السابق ص١٨٠ ٠

التى تستهدف الارتفاع بمستوى القرية المصرية ووفق الوثائق الرسمية فقد وصل متوسط الدخل القومى تسعة جنيهات للفرد سنويا (٨١) ٠

وعلى الرغم من أن بعض الحكـــومات قد وضعت يدها على أســـــاس المشكلة حيث أوضحت الحكومة فى احدى تقاريرها أهمية التضامن الاجتماعى بين أبناء الوطن على اعتبـــار أنه لا يمكن أن يتحقق هذا الهدف الا بتحقيق العدالة الاجتماعية برفع مستوى الحياة العامة لطائفة كبـــيرة من أبناء هذا الوطن تئن تحت أثقال الفقر والمرض والجهل ولابد من تكاتف كل الجهود الى علاج هذه الادواء الثلاثة والعمل على خلق طبقة من صغار الملاك تحيـــا حياة انسانية فى المستوى الادنى الذى تراه البلدان المتمدنة أقل ما يجب أن يبلغه واحد من أبنائها (٨٢) الا أنه لم تبذل أى مجهود عملية لتحقيق هذه الغاية مما يجعلنا نعتقد أن هذا الاعلان كان لمجرد المزايدة بهدف ارضاء تلك الطبقـــات المعـــدمة ٠

وتجددت تلك المحاولة مرة ثانيـــة حيث تقـــدم أحد النواب بسؤال الى الحكومة حول الاحوال الاجتماعية السيئة التى يحيـــاها معظم الفـــلاحين المصريين وما هى جهود الحكومة فى هذا الصدد ٠ وفى هذه المرة أيضا لم تقدم الحكومة على اجراءات عملية وانما كل ما فعلته هو وعود طالما تتبدد بمجرد انتهاء الدورة البرلمانية (٨٣) ولم تقتصر سوء الاحوال عمـــوما على الفـــلاح وانما شملت أيضا الطبقة العاملة حيث ظهرت العديد ن التحقيقات الصحفية عن سوء مستوى العامل وضرورة العمل على رفع مستواه ٠ وعلى الرغم من أن العديد من المؤسسات الصناعية قد حققت ربحا كبيرا خلال سنوات الحـــرب وصل فى بعض الحالات الى عشرة أمثال رأس المال المستثمر (٨٤) ٠

---

(٨١) ملحق بمضبطة مجلس النواب الجلسة الثانية والثلاثين ١٣ مارس ١٩٤٠ ص١٠٠٧ ٠

(٨٢) ملحق بمضبطة مجلس النواب ــ الجلسة الثانية والثلاثين ١٣ مارس ١٩٤٠ ص١٠٠٧ ٠

(٨٣) المصـــدر السابق الجلسة الثـــامنة عشرة ٣ مارس ١٩٤١ ص٤٧٦ مقدم السؤال النائب مصطفى العسال ٠

(٨٤) السياسة ، الكتلة ٢٨ فبراير ١٩٤٣ ٠

الا أن دخل العامل المصرى قد ارتبط بالارتفاع المستمر بالمواد التموينية الاساسية ومن خلال الجدول التالى يمكن معرفة مستوى الحياة التى يحياها العامل المصرى ·

اسم الشركة	ايراداتها فى عام ١٩٤٢	متوسط أجر العامل فى اليوم
شركة السكر	٤٫٢٥٥٫٤٣١	١٧ قرش
شركة الترام	٢٫٦٠١٫١٣٤	١٢ قرش
شركة النور	٦٨٫٩٢٠	٨ قروش
شركة الاسمنت	١٫٩٤٥٫٢٣٧	١٤ قرش
شركة المياه	١٫١٢٥٫٦٧١	١٢ قرش
شبكةاستخراج الفوسفات	٤٣٠٫٠٠٠	١٤ قرش
شركة زيت البترول	٤٥١٫٩١٣	١٠ قروش
شركة أتوبيس القاهرة	٧٠٫٠٧٣	١٢ قرش
شركة البيرة	٧٠٣٫٢٢٥	٨ قروش
شركة جناكليس	٢٨٣٫٤١٤	١٢ قرش

ويلاحظ أننا اذا وضعنا فى الاعتبـــار أجرة العمـــال الدائمين ومعظمهم يعولون أسرا لا يقل عدد أفراد الواحد منها علىثلاثة ، كما أغفلنا طبقة العمال الذهورات ــ الذين صـــدر من أجلهم الامر العسكرى الذى حدد خمسة قروش كحد أدنى لأجورهم وكانوا قبل ذلك يتقاضون أجرا يوميا يتراوح بين قرشين وأربعـــة ، على ضوء كل ذلك يتبين مدى الغبن الذى يقـــع عـــلى عاتق الطبقة العاملة والتى تعتبر عصب الحياة الاقتصادية ·

وعند فحص طلاب الجامعة وهم من وسط يمثل طبقات الشعب العليا ــ لم يوجد من بينهم من يصلح للخـــدمة العســكرية سوى نسبة لا تزيد على السدس أما خمسة الاسداس الأخرى فهم غير صالحين جثمانيا للخدمة العسكرية وأما باقى طبقات الشعبفان الامراض كانتتفتك بهم ــ بنسب لاتتفق والحياة الآدمية فقد بلغ عدد المصابين بالرمد الحبيبى ١٤٫٥٠٠٫٠٠٠ أى بنسبة ٩٠٪

(٨٥) مجلة روز اليوسف ١٦ مارس ١٩٤٤ ·

من عدد السكان وعدد المصابين بالبهارسيا ١٢ر٠٠٠ر٠٠٠ أى بنسبة ٧٥٪ من السكان وعدد المصابين بالديدان المعوية الاخرى ٨ر٠٠٠ر٠٠٠ أى بنسبة ٥٠٪ من السكان (٨٦) ٠

ومن خلال بحث أعده الدكتور عبد الواحد الوكيل وهو حجة فى شئون الصحة العامة حيث قال :

« اذا جمعنا أمراض المصريين لوجدنا جملتها أكثر من خمسين مليونا أى أنها تكفى لاصابة شعب من خمسين مليون نفس بحيث يصيب كل شخص منهم مرض واحد فاذا وزعناها على المصريين أصاب كل شخص فى المتوسط ثلاثة أمراض فى وقت واحد (٨٧) ٠

وتناولت احدى الصحف العلاقة بين انخفاض أجور العمال وحالة التسول التى انتشرت فى أنحاء القطر وأرجعت السبب فى انتشار جماعة المتسولين الذين يلجأون الى الاستجداء عن طريق السواعد المشوهة والارجل المبتورة الى الغلاء المستمر فى وسائل الحياة اليومية وعدم الربط بين هذا الارتفاع والاجور مما أدى الى ترك العمل وتفضيل حياة التسول (٨٨) ٠

ونظرا لسوء التغذية وظهور ما يشبه المجاعة فى بعض مناطق القطر المصرى فقد انتشرت العديد من الامراض وخصوصا مرض الملاريا والذى بدا بصورة واضحة فى مناطق الجنوب وخصوصا فى بلاد النوبة وبعض مناطق مديريتى قنا وجرجا بدأت فى أكتوبر ١٩٤٢ ولأن الحكومة كانت تعلم جيدا أن سوء التغذية قد لعب دورا كبيرا فى حدوث المرض فقد أقرت الحكومة مبلغ ٤٣٠٠ جنيه لتوزيع الاغذية على فقراء المناطق الموبؤة بحيث نال كل فقير مريض كيلة من الاذرة العويجة وأقة من زيت بذرة القطن ونصف أوقة سكر (٨٩) ٠

---

(٨٦) د٠محمد بهى الدين بركات ٠ صفحات من التاريخ ص٤٠ دار الهلال سنة ١٩٦١ ٠

(٨٧) المرجع السابق ص٤٠ ، ٤١ ٠

(٨٨) جريدة السياسة ١٩٤٤/٥/٥ ٠

(٨٩) ملحق رقم ٢ مضبطة مجلس النواب الجلسة السابعة عشر ١٦ مارس ١٩٤٣ ص٩٣٩ ، المصرى ٢٠ مارس ١٩٤٣ ٠

ويبدو أن الحكومة لم تكن فى حالة تمكنها من القضاء على هذا المرض الذى بدأ ينتشر فى معظم مناطق جنوب مصر ولا أدل على ذلك من أن المبالغ التى خصصت لهذا الغرض لم تكن كافية للحد من هذا الوباء اللعين فقد اعتمدت الحكومة مبلغ ١٥٫٠٠٠ جنيه لمقاومة البعوض ، ٣٠٠ جنيه ، ٢٣٣ مليما لوضع خطة واقية لمقاومة الملاريا (٩٠) .

وفى منتصف سنة ١٩٤٣ أصيب بهذا المرض أكثر السكان حتى لم ينج منه أحد فى بعض المناطق وتعذر على وزارة الصحة تحديد عدد المرضى على وجه الدقة وارتفعت نسبة الوفيات ارتفاعا يتباين تبعا للحالة الاقتصادية والاجتماعية من مسكن وملبس وغذاء ووصلت نسبة الوفيات الى ٢٠٪ فى بعض المناطق ، ١٠٪ فى مناطق أخرى (٩١) .

وعلى الرغم من أن وزارة الصحة قد أصدرت بيانا أرجعت فيه سبب ظهور وباء الملاريا الى سوء التغذية وانتشار الباعوض الا أن الاستاذ الرافعى قد أرجع سبب هذا الوباء الى دخول بعوضة (انجامبيا) من [illegible] الطائرات البريطانية حيث يؤكد أنه قد ثبت من الحقائق والبحوث العلمية أن تلك البعوضة لم توجد من قبل فى أى مكان من البلاد المصرية أو شمال السودان قبل الحرب ، فلما اشتد القتال سنة ١٩٤٢ كانت [illegible] البحر الابيض المتوسط غير مألوفة فكانت الطائرات البريطانية التى تقصد مواقع الجيش الثامن بشمال أفريقيا تسلك طريق غرب أفريقيا ـ الخرطوم ـ وادى حلفا ـ القاهرة ، ولم تعن السلطات البريطانية فى السودان بتطهير الطائرات التى تقصد وادى حلفا فمصر ومن هنا تسربت بعوضة « الجامبيا » الى النوبة ومنها انتشرت بواسطة القطارات ووسائل الاتصال الى المديريات الجنوبية (٩٢) .

وأيا كانت الاسباب التى أدت الى ظهور الوباء الا أن الحكومة المصرية لم تعط لهذا الوضع أهمية تتناسب وخطورة الموقف ويبدو هذا من

---

(٩٠) المصدر السابق ص٩٤٠ .
(٩١) مجلة الصحة العامة اعداد وزارة الصحة المصرية لعام ١٩٤٢ ، ١٩٤٣ ص١١٣ ، السياسة ، ١٩٤٤/١٢/١٦ .
(٩٢) عبد الرحمن الرافعى ـ فى أعقاب الثورة المصرية جـ٣ ص١١٢ .

المبالغ الضئيلة جدا والتى اعتمدت لهذا الغرض ومن هنـا فقد استفحل الامر وتفشى الوباء وتسبب فى وفاة ٢٠٤١٦ (٩٣) ولم تتمكن الحكومة من استئصال هذا الوباء الا فى فبراير ١٩٤٥ على عهد وزارة أحمد ماهر ٠

أما مرض التيفوس فقد ارتفعت حالات الاصابة به أيضا ووفق بيـان وزير الصحة : لقد زادت الاصابة بمرض التيفوس هذا العام (١٩٤٢) عن مثلهـا فى الاعـوام السـابقة اذ المعـروف أن اصابات هذا المرض تكثر فى مثل هذه لازمات وكان أشدها خطورة فى مديريات الوجه البحرى وبعض مناطق الوجه القبلى مما تسبب فى وفاة خمسة أطباء وهم يؤدون واجبهم ، وعندما طلب بعض أعضاء مجلس النواب احصائية بعدد الوفيات التى حدثت بسبب هذا المرض أبدى الوزير عدم امكانية حصر حالات الوفاة فى الوقت الحـاضر (٩٤) الا أن بعض الصحف قد نشرت حصرا مبدئيا بعدد الوفيات التى راحت ضحية هذا المرض والذى بلغ على حد قولها ١٢٫٠٠٠ حالة خلال عام ١٩٤٢ فقط (٩٥) ٠

ولعل أهم الآثار الاجتماعية وأخطرها والتى كانت نتاجا طبيعيا لاختلاط المصريين بالاجانب « الازياء العامة » وخصوصا لدى السيدات والفتيات فلأول مرة فى تاريخ مصر تخرج الفتاة المصرية وهى متبرجة ووصـل الامر الى حد ظهور المرأة المصرية شبه عارية على الشواطىء وفى الاندية العامة (٩٦) ، ولذا فقد تقدم النـائب محمـد قرنى بك باقتراح يقضى بالزام المرأة المصرية بارتداء الزى الذى يتناسب والسلوك الاجتماعى (٩٧) ٠

---

(٩٣) مجلة الصحة العامة مصـدر سبق ذكره ص١٤ ، الرافعى المرجع السابق ص١١٣ السياسة ١٦/١٢/١٩٤٤ ٠

(٩٤) مضبطة مجلس النواب ـ الجلسة الثامنة والثلاثون ١٩ أغسطس ١٩٤٢ ص١٤٨٥ ٠

(٩٥) الاهرام ١٨ نوفمبر ١٩٤٢ ٠

(٩٦) السياسة ٢٣/٣/١٩٤٣ ٠

(٩٧) مضبطة مجلس النواب ـ الجلسة الثـلاثون ١٧ أغسطس ١٩٤٢ ص١٣٨٠ ٠

وعلى الرغم من اعتراض بعض النواب بحجة أن هذا الاقتراح غير جديد بالنظر لتعارضه مع الحرية الشخصية المكفولة فى المادة الرابعة من الدستور علاوة على أنه لا يتمشى من الروح الاجتماعية الحديثة (٩٨) ٠

وبعرض هذا الاقتراح على مجلس النواب والشيوخ فقد حظى بالاغلبية ولذا فقد صدر القانون رقم ٣٣ لسنة ١٩٤٢ ويقضى فى مادته الاولى بأن كل سيدة مصرية بلغت من العمر ست عشرة سنة يجب أن يكون لباسها الخارجي فى الطرقات والاماكن العامة والشواطىء ساترا لاعضاء الجسم ماعدا الوجه والكفين بحيث تكون مرسلة الى الكفين واصلة الى الكعبين ، وألا تكون الملابس محددة لاعضاء الجسم ٠

وقضت المادة الثانية : بأنه لا يجوز لسيدة مصرية بلغت العمر المنصوص عليه بالمادة الاولى أن تشاهد فى الطرق أو الاماكن العامة وهى مخاصرة رجلا أو معه على اى حال منافية للاداب ، كما لا يجوز أن تخالط الرجال فى الاستحمام أو ترى على الشواطىء بلباس البحر ٠

المادة الثالثة : كل سيدة ارتكبت محظورا مما نص عليه فى هذا القانون تعاقب بانذارها أو ولى أمرها واذا تكرر منها نفس الامر يتم تعزيرها للمرة الثانية فاذا لم ترتدع يحكم عليها بغرامة قدرها عشرون جنيها أو الحبس مدة لا تتجاوز أسبوعا (٩٩) ٠

ووفق المذكرة الايضاحية التى تقدم بها النائب محمد قرنى والخاصة بهذا القانون فقد بنى الاقتراح على العديد من المبررات التى كانت سببا فى استصدار قانون بهذا الشأن حيث اعتمد النائب مذكرته على بعض الحقائق التى ينكرها الاسلام وتتنافى مع طبيعة المرأة المصرية ومن أهمها :

---

(٩٨) المصدر السابق ٠

(٩٩) قانون رقم ٣٣ لسنة ١٩٤٢ ملحق بمضبطة مجلس النواب جلسة ١٧ أغسطس ١٩٤٢ ص١٣٨١ ، الاهرام أول سبتمبر ١٩٤٢ ٠

١ ـ ظهور المرأة المصرية وهى متبرجة متشبهه بالمرأة الاجنبيه ى مصهرس

٢ ـ ظهور المرأة المصرية وهى برفقة جنود وضباط جيش الاحتلال وهى فى حالة منافية للاداب العامة ٠

٣ ـ أن كل الشرائع الالهية حتمت بالنص الصريح على النساء أن يدنين عليهن من جلابيبهن وألا يبدين زينتهن الا لبعولتهن ٠٠٠ الخ (١٠٠) ٠

ووجه هذا الاقتراح ببعض الانتقادات على اعتبار أن الحياة الاجتماعية قد تطعت شوطا بعيدا فيما يختص بالازياء ومن العبث الرجوع بالازياء بعد هذا التقدم الى الوراء (١٠١) ٠

وكان تنـاول قضية الازياء فرصـة لبعض النواب لكى يتحدثوا عن الجرائم الاخلاقية التى ترتكب جهارا نهارا بلا رادع أو قانون حيث لا يعاقب القانون الفتاة البالغة ستة عشرة عاما اذا ارتكبت الجـريمة مع شاب تزيد سنه عن الثمانية عشرة عاما (١٠٢) ٠

وعلى الرغم من صور هذا القاون الا أن المرأة المصرية قد تأثرت كثـيرا بسبب الحروب وما نتج عنها من سوء الاوضاع الاقتصادية ، ووفق دراسـة أعدتها مجلة « كورونيت » حيث أرسلت أحد مراسليها الى القاهرة ليكتب لها عن المرأة المصرية والحرب فكتب يقول : حقا لقد تأثرت حيـاة البعض من الحرب الى أقصى حد ٠٠٠ وياله من تأثر نشأ عنه انقلاب خطـير فى حيـاة بعض المصريات وعلى ضوء تلك الدراسة التى أجرى بسببهـا العديد من اللقاءات الشخصية مع بعض النسوة اللائى اخترن مهنة البغاء وأختار مراسل تلك الصحيفة بعض النماذج الآتية :

---

(١٠٠) المذكرة الايضاحية للقانون السابق ملحق بمضبطة مجلس النواب ـ المصدر السابق ص١٤٢٦ ٠

(١٠١) من كلمة النائب أحمد الحضرى معترضا على الاقتراح (مضبطة مجلس النواب الجلسة الثلاثون ـ ١٧ أغسطس ١٩٤٢ ص١٤٠٦ ٠

(١٠٢) المصدر السابق من كلمة النائب عبده البرتقالى ٠

١ ــ اللقاء الاول مع فتاة تعمل فى كباريه « الاكسلسيور » فى الاسكندرية واسمهـــا كيكى ويضيف مراسل المجلة أن كيكى هذه كان اسمهـــا « عائشة » وكانت تعيش فى قرية فى أعماق الريف المصرى وتحدثت معها طويلا وسألتها كيف حدث هذا الانقلاب فى حياتها وكيف أصبح شكلها هكذا وكيف أصبحت تتكلم الانجليزية وبسؤالها عن كل ذلك أجابت : اسألوا الحرب لأنها هى السبب ؟

٢ ـ واختار مراسل المجلة امرأة أخرى كانت تعمل خادمة فى احدى البيوتات الراقية ووجدت نفسها بلا مقـدمات تقع فريسة للاغراءات الشديدة من جنود وضباط الحلفاء ولم تستطع أن تقاوم الكافيار والشامبانيا ٠

٣ ــ أما النموذج الثالث : فقد كان لفتاة يبدو عليهـــا الجمـــال الشرقى وبالطبع لم تذكر اســـمها الحقيقى حيث اختارت لنفســـها اســـما جديدا « شوشو » وتؤكد تلك الفتاة أنهـا تنتمى الى احدى البيوتات الراقية وقد وقعت فى حب أحد الضباط الانجليـز الذين يعملون ضمن الوحدات المتمركزة فى القاهرة وبعد أن مكنته من نفسها بعد أن وعدها بالزواج فقد تم نقله الى الفرقة الاولى فى الصحراء الغربية حيث لقى حتفه واختـــارت تلك الفتـــاة طريق البغـــاء سترا لفضيحتها وسط أهلها (١٠٣) ٠

وعلى الرغم من اعتمادنا بأن هذا الاثر السيىء لم يشمل الا عددا محدودا الفتيات المصريات الا أننا لا يمكن أن نغفل هذا الجانب لأهميته الخطيرة تبـــاطه الاكيـــد بتردى الاحوال الاقتصـــادية وخصوصـــا فى مدينة سكندرية التى تعـــرضت لقصف الالمان واستشهاد الآلاف من الرحـــال نساء اختارت بعضهن حياة الليل بعد أن فقدت زوجها (١٠٤) ٠

وعلى الجانب الآخر فقد أعطت الحرب للمرأة المصرية بعضا من الحرية ضهن قد اشترك فى الحياة العامة وتعرض البعض للاعتقال (١٠٥) ٠ وبعد

---

١٠٣) دراسة عن المرأة المصرية والحرب وأعدتهـــا مجلة « كورونيت » ونشرتها روز اليوسف ١٢ يولية ١٩٤٤ ٠

١٠٤) روز اليوسف ١٩ يولية ١٩٤٤ ٠

اعتقال السيدة/نبوية مسى لأسباب سياسة انقــلابا خطيرا فى حيـــاة المرأة المصــــرية وتعـــد محاكمتهـــا أمام المحكمـــــــة العســكرية فرصـــــة استغلتها المرأة لكى تطالب بمزيد من الحقوق العامة وفى مقدمة تلك الحقــوق حق المرأة فى اقامة حزب نسائى حيث صرحت الاستاذة مفيدة عبــد الرحمن بأن فكرة اقامة حزب نسائى قد راودت الكثيرات من النساء المتعلمات وفى مقدمتهن السيدة نعمت راشد ، عطيات الشافعى ، زينب لبيب وبدأت أولى جلسات الهيئة التأسيسية للحزب فى أول فبراير ١٩٤٤ ودار الحــديث عمــا يلزم الحزب من مطبوعات وقانون الحزب وغير ذلك من الاجراءات (١٠٦) ٠

الا أن تلك التجــــربة على ما يبــدو لم تحظ بالنجـــاح حيث فضــل بعضهن الاشتراك فى الاحزاب التقليدية حتى لا يتهمن بالتعصب من جانب الرجال (١٠٧) ٠ ووصل الامر الى أن بعض النسوة كفاطمة اليوسف بدأت تحث الفتيات المصريات على الاضراب عن الزواج وخصوصا العاملات منهن بحجة أن المرأة التى قد يضطرها عملها الى التغيب عن منزلها معظم ساعات اليوم لتعود مرضــاها كطبيبة أو لتعد قضــاياها كمحامية أو لتشرف على مجلتها كصحيفة لا يمكن أن توفق بين عملها ومنزلها ثم أضـــافت قائلة : أطالبكن يا حضرات الزميلات الناشئات الثائرات وأنصحكن بعدم الزواج اذا أردتن المجد والعمل ، تزوجن الثورة على أنانية الرجل وغروره (١٠٨) ٠

ويلاحظ أن قضية المرأة قد شغلت حيزا كبيرا فى ضمير المجتمع المصرى فى تلك الفترة وليس من قبيل المصادفة أن تظهــر تلك الدعوات الغريبـــة والجديدة على المجتمع المصرى وانما كان للاثار التى تركتها الحرب أكبر الاثر فى تمرد المرأة المصرية وظهور تلك الدعوات التى تعد خروجا صارخا على تقاليد وعادات المجتمـــــع المصرى ، ولم تتوقف مطالب المرأة عند هذا الحد بل تبنت احدى المجلات الدعوة الى حق المرأة فى دخول الازهر وأجرت المجلة عدة لقاءات

---

(١٠٥) المصدر السابق ٢٦ أكتوبر ١٩٤٤ ، السياسة ٢٥ أكتوبر ١٩٤٤
(١٠٦) المصرى أول مارس ١٩٤٤ ، السيـــاسة ٢٣ فبــراير ١٩٤٤ ، روز اليوسف ٢٤ فبراير ١٩٤٤ ٠
(١٠٧) روز اليوسف ٣ مارس ١٩٤٤ ٠
(١٠٨) روز اليوسف ٢٤ فبراير ١٩٤٢ ٠

مع بعض الشخصيات العامة حول حق المرأة فى دخول الازهر وفيما يلى آراء طائفة من هؤلاء :

توفيق الحكيم : اذا قبلت المرأة أن تلبس عمامة وجبة وكاكولة وقفطانا فأنا لا مانع عندى من التحاقها بالازهر وأرى أن انسب كلية لها هى كلية الشريعة حتى يمكن أن تتخرج محامية شرعية أو قاضية شرعية حيث تكون أجدر بفهم المرأة ومعرفة شئونها ويضيف توفيق الحكيم بأسلوب تهكمى الا ترى أن المرأة قد بالغت فى مطالبها لدرجة أن تطالب بدخول الازهر ٠

أما الاستاذ زهير صبرى فقد أيد حق المرأة فى أن تدخل الازهر باعتباره معهدا للعلم أما الدكتور زكى مبارك : فقد قال اننى من أشد المؤيدين بفتح ابواب الازهر امام الجنس اللطيف ٠

أما فاطمة اليوسف فقد قالت : لقد عشت عمرى مدافعة عن حقوق المرأة ولاشك أننى أؤيد دخولها الازهر (١٠٩) ٠

وخلاصة القو أن الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) قد تركت آثارها فى كل نواحى الحياة العصرية ، سواء أكانت تلك الآثار بالايجـاب أو بالسلب ، حيث قد أحدثت ردود فعل عنيفة لأنها حدثت طفرة واحدة سواء فى المجالات الاقتصادية أو الاجتمـــاعية وما نورده من أمثلة هو من باب الاستدلا وليس من باب الحصر ٠

ويبدو أن حكومة الوفد قد قدرت خطورة الآثار الناتجة عن الحرب فيما يتعلق بانحراف الاخلاقيات ولذا فقد أصدر الحاكم العسكرى أمرا بالغـاء البغاء الا أنه قد استثنى من هذا القرار عواصم المحافظات والمديريات (١١٠) ٠

ولذا فقد تقدم أحد أعضـــاء مجلس النواب بسؤال الى رئيس مجلس الوزراء والحاكم العسكرى العام عن عدد بيوت الدعارة التى أغلقت فى جميع

---

(١٠٩) المصدر السابق ١٥ يونية ١٩٤٤ ٠

(١١٠) الاهرام . المصرى ، السياسة ١٣ ابريل سنة ١٩٤٢ (أمر عسكرى رقم ٣٤٧) ٠

أنحاء القطر وما الذى فعلته الحكومة لهؤلاء البغايا كى يصلن الى سبيل الاستقامة ولكى تكون الاسرة المصرية محفوظة فلا يصل اليها شر ؟ (١١١) .

ولقد أجابت الحكومة بأنه تم اغلاق ٤٠٧ من بيوت العاهرات فى جميع أنحاء البلاد تنفيذا للامر العسكرى رقم ٢٤٧ الصادر فى ١١ ابريل ١٩٤٢ ، وقد أرسلت وزارة الشئون الاجتماعية الى كل مديرية بكتاب تطلب موافاتها ببعض التفاصيل عما تعتزم المديرية اتخاذه من الاجراءات بالنسبة للبغايا اللائى ستغلق بيوتهن ، وقد اقترحت بعض المديريات تخصيص مكان لايواء البغايا تحت اشراف البوليس وتزويدهن بالمال من مجلس المديرية أو المجلس البلدى حتى يتزوجن أو يجدن عملا شريفا (١١٢) ، ولقد اقترحت الحكومة بناء على رغبات مديرى المديريات تاليف لجنة من وزارتى الداخلية والصحة للنظر فى الطرق التى تسهل للمديريات تنفيذ الامر العسكرى المذكور والتى تكفل النتيجة المنشودة من الغاء البغاء وحماية الناس مما ينجم عنه من شرور (١١٣) .

ويلاحظ أن الحكومة قد حرصت على اصدار القرارات ذات الطابع الجماهيرى حرصا منها على أن يسترد الوفد بعضا من الارض التى فقدها عقب ٤ فبراير ، وانطلاقا من هذا المفهوم فقد أصدر الحاكم العسكرى العام قرارا بالغاء المراهنات على سباق الخيل (١١٤) ، ويلاحظ أن حيثيات القرار لم ترجعه الحكومة الى أسباب اسلامية وانما الى منافاته للاخلاق النتيجة المنشودة من الغاء البغاء وحماية الناس مما ينجم عنه من شرور (١٢١) .

ولما كانت الحركة العمالية قد اهتزت ثقتها فى الوفد بسبب العديد من الاحداث التى لا تتفق وشعبية الوفد فقد حرصت الحكومة على كسب هذا القطاع الجماهيرى الهام ولذا فقد أصدر النحاس باشا قرارا عم جميع

---

(١١١) مضبطة مجلس النواب ــ الجلسة السابعة عشرة ــ دور الانعقاد العادى الاول ــ ٢٩ من يونية ١٩٤٢ ص٦١٧ ، ٦١٨ .

(١١٢) نص خطابى مدير الغربية والفيوم الى وزير الشئون الاجتماعية ملحق بمضبطة النواب الجلسة السابعة عشرة يونية ١٩٤٢ ص٥٠١

(١١٣) مضبطة مجلس النواب ــ الجلسه السابعة عشرة ٢٩ يونيه ١٩٤٢ ص٦١٨ .

(١١٤) المصدر السابق ص٦١٧ .

قطاعات الدولة سواء أكانت قطاعات صناعية أو زراعية يقضى بجعل الحد الادنى لأجر العامل فى اليوم الواحد خمسة قروش (١١٥) .

ولما كانت الحكومات التى تعـاقبت على الحكم بدأ من سنة ١٩٣٦ قد حرصت على كسب ود العمال لاسباب سياسية وحزبية فقد حرصت حكومة الوفد بدأ من ١٩٣٦ على اقامة نقابة للعمال ترعى مصالحهم الا أن هذا المشروع قد تعثر اصداره بالرغم من تشكيل لجنة لوضع مذكرة تفصيلية بالمشروع وبدأ من حكومة محمود ١٩٣٨ وحتى حكومة حسين سرى قبيل حادث ٤ فبراير فقد حرصت كل الحكومات على النظر والتفكير فى مشروع تلك النقابة الا أنه لم تكن هناك خطوات جادة للخروج بهذا المشروع الى حيز الوجود حتى كانت حكومة ٤ فبراير حيث صدرت العديد من التشريعات العمـالية كان أبرزها قانون الاعتراف بالنقابات العمـالية (٢١٦) . ثم أعقب ذلك قانون التـأمين الاجبارى ضد حوادث العمل وقانون عقد العمل الفردى وقانون مكافحة الجهل ومحو الامية بين صفوف الشعب (٢١٧) .

أما القانون الخاص بالاعتراف بالنقابات فقد نص فى مادته الاولى على تحديد كلمة عمال . وهم الذين يقومون بتادية عمل نظير اجر مادى سواء أكان هذا العمل ماديا أو عقليا وسواء أكان صاحب العمل شخصا حقيقيـــا أو معنويا أما فى مادته الثانية فقد حدد الاشخاص الذين لا يندرجون تحت تلك النقابة وهم :

ا – موظفو الحكومة ومجالس المديريات والمجالس البلدية والمحلية والقروية وعمال الجيش والبوليس .

ب – عمال الزراعة .

---

(١١٥) المصرى ، الاهرام ٦ مارس ١٩٤٢ .

(١١٦) نص القانون ملحق بمضبطة مجلس النواب – الجلسة السادسة والعشرون — مجموعة مضابط دور لانعقاد الاول ٣ ، ٤ ، ٥ أغسطس ١٩٤٢ ص١١٠٢ – ١١٠٥ .

(١١٧) الاهرام ، المصرى ١٩٤٢/٩/٦ ، الاهرام ١٩٤٢/١٠/١٣ ، فؤاد سراج الدين ، لماذا الحزب الجديد ص٥٨ .

جـ ــ الوكلاء المفرضون الذين يمثلون أصحاب العمال .

د ــ المرضون وعمـــال المستشفيـــات على أن لهؤلاء الموظفين والمستخدمين والعمال ان ينشئوا لهم جمعيات ترعى مصالحهم المشتركة (٢١٨) .

وهكذا تم التمييز بين العمال الذين لهم حق تأليف النقـابات وغيرهم بناء على رغبة الحكومة لأن بعض الاعضاء داخل مجلس النواب والشيوخ كانوا يطالبون بحرمان عمال البيوتات (الخدم) من حق تأليف النقابات بحجة أنه ليس من المعقول أن تتدخل النقابة فى العلاقة بين الخادم ومخدومه وقد يلجأ الخـدم الى أعلان الاضراب وهــذا لا يتفق مع العلاقات العائلية والعادات الشرقية ، وأن السبب الذى يدعو عمال الصناعة والتجارة الى تأليف النقابات هو حاجتهم الى الاستقرار النفسى وحمايتهم من أصحـاب العمل مع مراعاة أن عمال المصانع والشركات أرفع فى مستواهم الاجتماعى من الخدم والطهاة والسائقين . وحرصا من الحكومة على ضمان حق الخدم ومن شاكلهم أضافت الحكومة اقتراحا يقضى بالاعتراف لهم بحق الدخول فى النقابة بشرط الا تتدخل النقابة فى العلاقة بين الخادم ومخدومه ، ولذا فاننا نعتقد أن النقابة قد فقدت أهميتها بالنسبة لتلك الطبقة كما أن الحكومة قد جردتهم من أهم حق من الحقوق النقابية وهو الاضراب « حيث لا يجوز لهم الاضراب واذا قرروا الاضراب وجب حل نقاباتهم » (١١٩) .

ووفق مضـــابط مجلس النواب فقـد تمسكت الحكومة بحق العمـــال الخصوصيون (الخدم ــ السائقون ــ وغيرهم) فى الاشتراك فى النقابة على الرغم من أن الاغلبية البرلمانية كانت تميـل الى خروجهم من النقابة وهذه نقطة تسجل للوفد ولوزير الشئون الاجتماعية عبد الحميـد عبد الحق الذى نجح بمهارة فى اقناع الاعضاء بأن هذا التمييز يعـد مخالفا للدستور ولذا فالحكومة لا يمكنها الفصل بين العمال بغض النظر عن نوعية العمل ، وممـا

---

(١١٨) القانون ٨٥ لسنة ١٩٤٢ ملحق بمضبطة مجلس النواب ــ الجلسة السادسة والعشرون ٣ ، ٤ ، ٥ أغسطس ١٩٤٢ ص١٢٠٢ .

(١١٩) مضابط مجلس النواب ــ الجلسة الخامسة والعشرون ٢٨ يولية ١٩٤٢ ص١١٤٥ ، الجلسة ٢٦ ص١٢٠٦ ــ ١٢١٥ .

يؤخذ على هذا المشروع أنه جرد النقابة من حق ممارسة النشاط السياسى والدينى (١٢٠) ٠ على اعتبار أن مثل تلك النشاطات لا تدخل فى الغرض الذى انشئت من أجله النقابة ، كما أنها حرمت عمال الزراعة من الاشتراك فى تلك النقابة على اعتبار أن من حقهم تكوين نقابة خاصة بهم وكان الاولى عدم التفرقة بين العمـــال الصناعيون والزراعيون ومن هنا فقد فشل العمـــال لزراعيون فى اقامة نقابة ترعى مصلحتهم وتحميهم من بطش أصحاب العمل وفى الوقت الذى قطعت فيه نقابات العمال شوطا كبيرا فى رفع مستوى العمال وحمـــاية حقوقهم كان العمـــال الزراعيـــون يعيشـــون فى ظـــروف اجتماعيـــة لا تتفق بأى حـــال والحيـــاة الآدميـــة ويعتقـــد بعض المؤرخين المعاصرين أن حرمان عمال الزراعة من حق تكوين النقـــابات هو خوف أعضاء مجلس النواب والشيوخ من أن عمـــال الزراعة قد يعمدون الى الاضراب مما يشل حركة الاقتصاد ويكون مصدر خطر على البلاد وكذلك يسرى الخوف من أن تكون النقابات سبيلا لتسرب المبادىء الشيوعية داخل الريف مما يؤدى الى اثارة النزاع بين الملاك ومزارعيهم (١٢١) ٠ وهذا الرأى يحمل قدرا كبيرا من الحقيقة على الرغم من أن الاعضاء البرلمانيون (وهم من كبـــار الملاك) لم يعلنوا هذا صراحة ٠

لقد كان قانون الاعتراف بالنقابات مخيبا لآمال العمال حيث خضعت النقابات لرقابة البوليس وفرض عليها ضرورة ابلاغه عن الاجتمـــاعات التى تزمع النقابة عقدها قبل موعدها بوقت كاف ، كما نص القانون على أن من حق الحكومة حل النقابة اذا رأت السلطة أنهـــا انحرفت عن الغرض الذى اقيمت من أجله ولهـــذا فاننا نعتقد أن الدافع وراء اهتمـــام الحكومة باقامة نقابة شرعية للعمال كان دافعا حزبيا فى الدرجة الاولى ٠

واستكمالا لملامح التشريع العمالى فقد أصدرت الحكومة قانونا بتحديد ساعات العمل ، حيث نصت المادة السادسة من هذا القانون على أن مدة العمل الفعلية ثمانى ساعات فى اليوم أو ثمانية وأربعون ساعة فى الاسبوع ، ومدة العمل ليلا ست ساعات ، ونصت المادة السابعة على أن العمل سبع ساعات

---

(١٢٠) المصدر السابق ٠

(١٢١) د٠ رؤوف عبـــاس ٠ الحركة العمالية فى مصر ١٨٩٩ ـــ ١٩٥٢ ص١٦٦ ٠

فى اليوم فى الاعمال الخطرة بالصحة وخمس ساعات اذا كان العمل ليــلا ٠
وقد حدد القانون الاعمال الخطرة أو المضرة بالصحة فيما يأتى :

ا – أعمال المناجم والمحالج ٠
ب – صناعة المواد الكيماوية والمواد القابلة للانفجار والغازية ٠
جـ – صناعة المواد السامة أو المضرة بالصحة ٠
د – شحن وتفريغ الحبوب والمواد الغذائية (١٢٢) ٠

وعلى الرغم من القيود التى فرضت على النشاط النقابى الا انه قد خطا خطوات هامة مع نهاية سنة ١٩٤٥ حيث كان الاتحاد الدولى لنقابات العمال قد دعا اتحادات العمال أن يرسلوا مندوبيهم فى المؤتمـــر المزمع اقامته فى باريس وسافر من مصر وفدان يمثلان اللجنة التحضــيرية لعمـــال القطـر المصرى ، ومؤتمر نقابات القطر المصرى وأمكن توحيد الوفدين فى وفد واحد حيث نوقشت مشاكل الاجور والبطالة وطرد القوات الاجنبية من وادى النيل وأثر الاستعمار البريطانى على تأخر الصناعة وتفاقم المشكلة الزراعية وتقييد الحـريات واستطاع الوفد المصرى أن يحصـل من المؤتمر على قرار ينــدد بالاستعمار فى مصر (١٢٣) ٠

ومع الاقتراب من نهاية الحرب بدت مشكلة عمالية ذات نتائج اجتماعية خطيرة فلقد نشأت السلطة العسكرية البريطانية أثناء الحـرب العـديد من المصانع التى تخدم أغراض الحـرب ولما كانت على وشك الانتهاء منها فان الوفا من العمال الذين يعملون فى هذه المصانع سوف يتعطلون عن العمــــل وسوف يترتب على ذلك العديد من الآثار الاجتماعية الخطيرة ولذا فقد اقترحت الحكومة المصرية شراء تلك المصانع وقبلت بريطانيا هذا الرأى مع تحفظ واحد وهو أن يكون للسلطات البريطانية حق نقل بعض المصانع التى يقتضى نقلها الى الشرق الاقصى (١٢٤) (حيث كانت الحرب ماتزال مستمرة) ٠

---

(١٢٢) نص قانون تحديد ساعات العمل ، ملحق بمضبطة مجلس النواب الجلسة الثلاثون ٧ أغسطس ص١٣٧٢ ، ١٣٧٣ ٠
(١٢٣) شهدى عطية الشافعى – الحركة الوطنية ١٨٨٢ – ١٩٥٢ ص٢٢٥
(١٢٤) د٠هيكل مرجع سبق ذكره جـ٢ ص٢٩٩ ٠

وبصرف النظر عن المبلغ الذى قدرته الحكومة البريطـــانية ثمنا لتلك المصانع أما كان لبريطانيا أن تتنازل لمصر عن تلك المصانع بلا مقــــابل : وهل كل التضحيات التى قدمتها مصر لبريطانيا خلال لحرب لا تعد ثمنـــا باهظا لتلك المصانع الصغيرة ؟

ولعل أخطر الآثار الناجمة من الحرب تلك الحركات التبشيرية والتى أخذت تندس وسط صفوف المصريين وفى التجمعات الجماهيرية وخصوصـا وسط المرضى فى المستشفيات ولقد أغفلت السلطات البريطانية أعينهـا عن تلك المهام الخطيرة فى الوقت الذى كانت السلطات البريطانية ترصد كل حركة فى المجتمع مما يجعلنا نعتقد بأن هذه الانشطة كانت تدور فى اطار السياسة البريطانية ٠

ولعل هذا النوع من النشاط قد بدأ بصورة أكثر وضوحا داخل المدارس الاجنبية حتى كان يفرض على الطلاب حضور الندوات التى تعقد لهذا الغرض ومطالبة الطلاب باعداد بعض البحوث عن موضوعات ذات صبغة تبشيرية مثل سماحة المسيحية وغير ذلك من الموضوعات (١٢٥) ٠ ومما يلفت النظــــر انتشار الجماعات التبشيرية وتعدد مسمياتها وكلها تحمل أسماء ذات طابع دينى مثل جماعة مساعدة الايتام ، وجماعة أصدقاء المرضى وغير ذلك من المسميات ولقد نجحت تقارير البوليس السياسى فى رصد تحركات معظم تلك الجماعات وخصوصا علاقتهم بسفارات دول الحلفاء فى القاهرة حيث كان زعمـــاء تلك الجماعات يترددون على سفارات فرنسا ، وأمريكا وانجلترا وخصوصا فى غير أوقات العمل الرسمية (١٢٦) مما يزيدنا اعتقادا بأن هذا النوع من النشـــاط يعد جزءا من مهام سفراء دول الحلفاء فى القاهرة وفى الوقت الذى كان الوفد يتتبع الخصـــوم السياسيين ويزج بهم فى السجون بلا تحقيق أو مســـاءلة أغمضت الحكومة أعينها عن هذا النشاط الخبيث ومما يضاعف من مسئولية الحكومة أنها كانت على بينة من كل تلك التحركات مما اضطر أحد أعضـــاء مجلس النواب الى التقـــدم بسؤال الى وزير الداخليــــة حول ما تقوم به

---

(١٢٥) تقارير لبوليس السياسى ، محفظة ٤٣ ملف ١ ـ ١٣ وثيقـة رقم ٨٨ بتاريخ ١٩٤٣/٣/١٨ ٠

(١٢٦) المصدر السابق وثيقة ١٣٣ بتاريخ ١٩٤٣/٦/٢٥ ٠

مستشفى هرمل بالتبشير بين المرضى من الفقراء المسلمين . ولعل أخطر ما في الامر أن الحكومة لم تكذب هذا الخبر وانما أعلن وزير الداخلية بأن الوزارة ستخطر ادارة المستشفى بضرورة ابطال هذا النوع من النشاط (١٢٧) .

ويبدو أن طلبة الازهر كانوا من أولى القوى التى قدرت خطورة الامر ولذا فقد تقدم بعض الطلاب بعريضة الى رئيس مجلس الوزراء يلفتون نظره الى خطورة الدعايات التى تقوم بها بعض الجماعات وخصوصــا وسط المدارس والمستشفيات وطالبت العريضة بفرض التعليم الدينى في المدارس وخصوصا المدارس الاجنبية (١٢٨) .

والملاحظ أن الحكومة لم تقدر خطورة الامر حيث لم تتخذ أى نوع من الاجراءات ضد تلك الجماعات ومن الصعب الحصول على احصائية تحـدد حجم الانجازات التى قامت بها تلك الجماعات نظرا للطــابع السرى الذى كان مفروضا على هذا النوع من النشاط ولذا فمن الصعب الحكم على النتائج التى حققتها تلك الجماعات .

الا أن ما نستطيع أن نجزم به هو مسئولية الحكومة المصرية وتغافلها عن خطورة الامر وبلا أى مساءلة .

وعلى ضوء كل ما تقدم يمكننا أن نطرح تساؤلا : ما هى العلاقة بين كل ما تقدم وحادث ٤ فبراير ونتائجه السياسة .

ولابد من تقرير حقيقة تاريخيــة : ان ما حدث فى ٤ فبراير ١٩٤٢ من ارهاب الملك فاروق وكل من تسول له نفسه الخروج من دائرة النفوذ البريطانى لم يكن هدفا بريطانيا وانما يعد وسيلة لاخضاع مصر سياسيا واقتصاديا وعسكريا لخدمة الدول المتحالفة .

---

(١٢٧) مضبطة مجلس النــواب الجلسة الثانية والثــلاثون ١٩ أغسطس ١٩٤٢ ــ قدم السؤال النائب عبد الحميد الرمالى ــ ص١٤٨٧ .

(١٢٨) تقــارير البوليس السياسى (مصــدر سبق ذكره) وثيقة ١١٥ (سرى) .

وبلا شك فقد نجحت السياسة البريطانية فى تحقيق أغراضها حيثخضع الاقتصاد المصرى لصالح الدول الحليفة ٠

أما من الناحية السياسية فان تطبيق الاحكام العرفية فى مصر فى الوقت الذى لم تتمكن السلطات البريطانية من تطبيقه فى بريطانيا ذاتها يعد نجاحا باهرا من وجهة النظر البريطانية ، وأيضا من لناحية العسكرية حيث قدمت الامكانات المصرية لخدمة القوات المحاربة ومن هنا فقد عاشت مصر وكأنها دولة محاربة فى الدرجة الاولى ٠

ولا يمكن الفصل بين كل ما تقدم والمتغيرات الاجتماعية ، وليس من قبيل المصادفة على سبيل المثال أن تقدم حكومة ٤ فبراير على اصدار العديد من التشريعات ذات الصبغة الاجتماعية مثل قانون النقابات ، وتحديد ساعات العمل وغير ذلك من القوانين التى سبق الحديث عنها الا لكى تقلل من حجم الآثار التى تركها هذا الحادث وسط صفوف الشعب المصرى ولذا فانه لا يمكن الفصل بين الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية لأن تلك المظاهر الثلاثة تعد نتاجا مؤكدا لحادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ٠٠٠

***

الفصـــل الثامن

- العــلاقة المصرية البريطانية على ضــوء المتغيرات الجــديدة
- الأطماع البريطانية فى مصر بعد ٤ فبراير ١٩٤٢
- ســـياسة بريطــانيا ٠
- سياسة بريطانيا العربيـــة ٠

الأطماع البريطانية فى مصر بعد ٤ فبراير ١٩٤٢ :

اذا كانت معـــاهدة ١٩٣٦ قد وضعت شكلا محـــددا للعـــلاقات المصرية البريطانية فان قيام الحرب العالمية الثانية يعد ـ من وجهة النظر البريطانية ـ مبررا معقولا للخروج على تلك المعـــاهدة ووقوع العديد من التجاوزات التى أحدثتها بريطانيا بحجة « داعى الحرب » وبكل المقـــاييس فان ما حدث فى ٤ فبراير يعد انتهاكا قانونيا لنصوص المعاهدة وتدخلا فى عمل يعد من أخص شئون السيادة المصرية التى قررتها المعاهدة (١) ٠

وعلى ضـــوء كل ما حدث فى ٤ فبراير فقد تخطت العـلاقات المصرية البريطانية مرحلة الرجوع الى نصوص المعاهدة والثوب الى مرحلة جديدة تعد فى الدبلوماسية المعاصرة : شكلا من أشكال التسلط السياسى ، والذى ترتب عليه بالضرورة انتهاكا اقتصاديا وعسكريا وأخلاقيا ٠

والغريب فى الامر أن حكومة ٤ فبراير ظلت تسوق العديد من المبررات ليس دفاعا عن سياستها فقط وانما للدفاع أيضا عن سياسة بريطانيـــا بحجة « تأمين الديمقراطية » (٢) وتناست الحكومة أن الاحتلال البريطـانى لمصر منذ ١٨٨٢ يعد انتهاكا صارخا لمبدأ الديمقراطية وأى وعود سوف تقدمها بريطانيـــا تعد من باب السراب الذى لا وجود له ، وتمكنت السياسة البريطانية من أن أن تطبق على مقدرات الشعب المصرى وتوجه الاقتصـــاد المصرى ليخدم أهداف الحرب مما دعا اقتصاديا بارزا كالدكتور عبد الجليـل العمرى أن يقول فى وصف الحالة : لقد كان الاقتصاد المصرى كبقرة ترعى فى أرض مصر ولكن ضروعها كانت تحلب خارجها (٣) ٠ وهذا ما يضـاعف من اعتقادى بأن ما حدث فى ٤ فبراير لم يكن هدفا بريطانيا وانما كان وسيلة لاخضاع مصر سياسيا واقتصاديا وعسكريا بهدف خدمة الحلفاء ٠

---

(١) محمد عبد القادر : محنة الدستور ص١٠٤ مرجع سبق ذكره ٠

(٢) مضابط مجلس النواب ـ الجلسة الرابعة والاربعون ٣١ مايو ـ أول يونية ١٩٤٣ ـ دور الانعقاد الثانى ص١٨٥٠ ، ١٨٥٦ ٠

(٣) محمد حسنين هيكل : لمصر لا لعبد الناصر الطبعة الثانية بيروت ١٩٨٢ ص٩ ٠

ولعل السياسة البريطانية كانت تدرك جيدا ما أصاب الوفد من جراء ٤ فبراير ولذا فقد حرصت على أن تعمق هذا المفهوم لدى الجماهير الوفدية الكاسحة ، وليس من قبيل المصادفة أن ينعم على السفير البريطانى بلقب « لورد » عقب ٤ فبراير وأن يذهب النحاس باشا مهنئا حيث استعرض مع السفير قوات من الجيش البريطانى فى ميدان الاسماعيلية (٤) ٠

ويبدو أن النحاس قد أراد أن يناور مناورة سياسية للفت نظر الرأى العام حيث تحدث شفهيا مع السفير البريطانى حول اشراك مصر فى مفاوضات الصلح ، على الرغم من أن مصير الحرب لم يكن قد تقرر بعد الا أن الحكومة البريطانية لم تجد ما يحول دون اشراك مصر فى جميع المفاوضاتالتى تمس مصالحها بالاضافة الى أن الحكومة البريطانية لن تتدخل أثناء هذه المفاوضات فى مناقشة أى شىء يمس مصالح مصر المباشرة دون تبادل الرأى مع الحكومة المصرية (٥) ٠

ووفقا للمعنى السابق فان الحكومة البريطانية ستبذل كل معاونتها ليتحقق لمصر أن تمثل على قدم المساواة بين جميع مفاوضات الصلح التى تمس مصالح مصر مباشرة فالقيد ينصب على مصالح مصر المباشرة أى أنه فيما عدا مصالح مصر المباشرة لا تسعى بريطانيا حيث لا يكون هناك مبرر لكى يكون لمصر مكان فى هذا المؤتمر ، وتفسيرا لهذا النص فانه من المفترض ضمنيا أن يتعرض المؤتمر لمصالح مصر غير المباشرة من غير أن تكون مصر موجودة ، وأكبر مثل على هذا هو قضية السودان ، فوفقا للمبدأ السابق فان السودان يعتبر قضية مصرية غير مباشرة ولذا ستكون بريطانيا طرفا عن مصر فى تلك القضية وهو ما يتعارض تماما مع حق مصر السياسى فى السودان ٠

أما القول : بأن حكومة جلالة الملك لن تدخل فى أثناء هذه المفاوضات فى مناقشة أى شىء يمس مصالح مصر المباشرة دون تبادل الرأى مع الحكومة

---

(٤) عبد الرحمن الرافعى : فى أعقاب الثورة المصرية جـ٣ ص١١٣ ، ١١٥ ، الدستور المصرى ١٥ يناير ١٩٤٣ ٠

(٥) مضبطة مجلس الشيوخ : الجلسة الافتتاحية لدور الانعقاد العادى الثامن عشر ١٩ نوفمبر ١٩٤٢ ص١٣ ، ١٤ ٠

المصرية . فان هذا النص لا يتفق ومصالح مصر الوطنية لأن مصر اما أن تكون وصلت الى أن تمثل فى المؤتمر وهى بذلك موجودة باعتبارها عضواً فيه وهذا يمكنها من التحدث عن نفسها وابداء آرائها والدفاع عن مصالحها . واما أن تكون فشلت المساعى لاشراك مصر فى المؤتمر وهنا يكون النص غاية فى الخطورة لأن معناه أن بريطانيا تستبيح لنفسها أن تتحدث عن مصر وأن تتفاوض عن مصالحها المباشرة ، ومصر تقبل ذلك وتكتفى بمجرد أخذ رأيها خارج المؤتمر الامر الذى دعا احد أعضاء مجلس الشيوخ البارزين الى القول : ان كان للحماية الخارجية معنى ، فحدثونى ، ما هو هذا المعنى اذا لم يكن أن دولة تتحددث عن أخرى وتقضى فى صوالحها (٦) .

ومزيدا من احراج الحكومة فقد أجمعت المعارضة على أن مطالب مصر واضحة لا غموض فيها ولا تحتاج الى مؤتمرات لحلها وهى : الجلاء عن مصر والسودان وبذلك نكون قد قطعنا خطوات كبيرة لتحقيق مصالح مصر (٧) .

وعلى الرغم من أن مصر كانت تتطلع الى اليوم الذى تتحرر فيه من قيود التبعية البريطانية الا أن حكومة الوفد قد سعت لاستقدام بعض الخبراء الانجليز فى مجال الاقتصاد مما كان سببا فى تفاقم حالة القلق لدى المصريين وخصوصا وأن مصر فى تلك الفترة كان لديها المجلس الاقتصادى الاعلى وهو هيئة رسمية تضم مجموعة من الخبراء المتازين فى المسائل المالية والاقتصادية ولدى مصر أيضا اللجنة المالية بوزارة المالية ، واللجنة المالية فى مجلس النواب ومثلها فى مجلس الشيوخ ولدى مصر أيضا طبقة عظيمة من رجال المال والاعمال الذين يتولون فعلا مشروعات ومؤسسات مالية واقتصادية فهذه الهيئات وكل تلك المؤسسات سواء كانت رسمية أم غير رسمية ألا يوجد فيها من يصلح بأن تسترشد به الحكومة ؟ (٨) .

---

(٦) مضبطة الشيوخ ــ الجلسة الثانية ٨ ، ٩ ديسمبر ١٩٤٢ ص٥٢ ، ٥٣ من كلمة الشيخ بهى الدين بركات .

(٧) المصدر السابق ص٥٤ ، محمد بهى الدين بركات : صفحات من تاريخ القاهرة سنة ١٩٦١ ص١٥١ .

(٨) المصدر السابق الجلسة الخامسة والاربعون ١٥ يوليه ١٩٤٣ ص٨٦٩ من كلمة الشيخ عبد الرحمن الرافعى .

وهذا ما يدعونا الى القول بأن ادخال خبراء انجليز بحجة اصلاح الخلل فى الاقتصاد المصرى يعد سياسة بريطانية قصد بها تطويع لاقتصاد المصرى وتوجيهه بما يحقق المصالح البريطانية حيث تشير مذكرات رئس البوليس السياسى الى تعدد المطالب البريطانية وتنوعها فى كل مرافق الحياة المصرية وكانت كل الطلبات تجمع فى مكتب رئيس الحكومة حيث يصدر أوامره الى كل الهيئات ءوضع الاهتمام البريطانى وفى كثير من الاحيان كانت تصـــدر الاوامر من النحاس باشا تليفونيا حتى لا يقع فى حرج اذا ما بعث بالمذكرة البريطانية (٩) ٠

وعلى الرغم من التحالف القائم بين بريطانيا وأمريكا وحصول الاخيرة على قدر من الامتيازات التى تتمتع بها بريطانيا داخل الاراضى المصرية الا أن السفير الامريكى (كيرك) قد طلب من ايدن وبطريقة ودية محاولة كسب ود الملك فاروق وترضية خاطره بسبب ما لحقه من جراء ٤ فبراير واضاف السفير الامريكى بأن المعاملة الخشنة التى اختص بها الدبلوماسيون البريطانيون الخديو عباس حلمى لم تسفر الا عن تحويله الا كاره لكل ما هو بريطانى ، وعلى حد تعبير السفير الامريكى : أن الصراع الدائر بين بريطانيـــا والملك فاروق يجعلنا نسير على الحبال بصورة خيالية لطيفة (١٠) ٠

ولعل الحكومة البريطانية فى محاولة منها للوقيعة بين الشعب المصرى والملك فاروق فقد أشادت من خلال البيانات التى صدرت بصفة رسمية من الخارجية البريطانية بالروح المعنوية العالية ورباطة الجاش التى يبديهـــا المصريون وخصوصا فى الاوقات العصيبة (١١) ٠ وفى الوقت نفسه فقد شككت فى نوايا القصر عن اعتبار أنه يأخذموقفا مناهضا للشعب المصرى من خـــلال تأييده الواضح للمحور (١٢) ٠

---

(٩) مذكرات اللواء ابراهيم أمام رئيس البوليس السياسى الجمهورية ١٦ يناير ١٩٥٦ ٠

(١٠) الوثائق الامريكية برقية رقم ٣٤٤ من كيرك الى حكومة ١٣ ابريل ١٩٤٣ ٠

(١١) الاهرام ، المصرى ١١ يناير ١٩٤٣ ٠

(١٢) محسن محمد التاريخ السرى لمصر ص٤١٠ ٠

وأخذت الصحافة البريطـانية تشيد بأهمية الدور المصرى حيث كتبت « التايمز ٢٠ أغسطس ١٩٤٢ » تقول : ان كثيراً من الناس لا يدركون مبلغ ما تدين به الجيوش البريطانية فى مصر للحكومة المصرية فقد وضعت موانى البلاد ومطاراتها وطرقها وكل مرافقها تحت تصرف الجيوش المتحالفة ، وقال المستر تشرشل حين مر بالقاهرة فى رحلته الاخيرة : ان مصر ولو أنها كانت لاتزال بلدا محايدا فليس من الحق مطلقا أن يقال أنها لم تقم بدور مهم ومشرف لا فى دفاعها عن نفسها فحسب بل فى الصراع العالمى الذى أخذ الآن يتقدم تقـدما عظيما نحو نهايته (١٣) ٠

وبالرغم من كل التصريحات التى أطلقها الساسة الانجليز والتى تشيد بموقف مصر وشجاعة حكومتها الا أن بريطانيا لم تقدم بديلا مرضيا لحـل القضية الوطنية التى بددتها أحداث الحـرب ولم تفقد الحكومة المصرية الوسيلة التقليدية فى الاشادة بمبدأ الديمقراطية التى تحارب من أجلها الدول المتحالفة ضد الفاشية والنازية (١٤) ٠

ولعل ما تعرضت له مصر منذ سنة ١٨٨٢ ما يقف دليلا على عدم صدق بريطانيا بصرف النظر عن مبدأ الديمقراطية أو الفاشية ٠ ومبالغة من الحكومة المصرية فى صدق نوأياها تجاه بريطانيا فقد زج بالعديد من المصريين فى غياهب السجون وبلا أى محاكمة ولعل هذا فى حد ذاته يعد تناقضا صريحا لفـكرة الديمقراطية وعملا بمبدأ الديكتاتورية ولذا فاننى أعتقد أن كل التصريحات التى أطلقتها الدوائر البريطانية كانت من باب ترضية خاطر المصريين ويبدو فما أعلنه المستر تشرشل (رئس وزراء بريطانيا) ما يؤكد وجهة نظـرنا حيث أعلن : أننا مسئولون طيلة الحرب عن المحافظة على العلاقات الطيبة مع الدولة المصرية التى وقيناها شر اعتداء القوات الايطالية والالمانية (١٥) ٠

---

(١٣) عبد الرحمن الرافعى : مرجع سبق ذكره جـ٣ ص١٣٢ ٠

(١٤) الوفد المصرى ١٩٤٢/١١/١٤ ، ١٩٤٢/١٢/٩ ٠

(١٥) مجلة روز اليوسف ١٩٤٤/٥/١١ ٠

وهذا التصريح يتناقض بشكل واضح مع ما سبق أن أعلنه تشرشل مرارا وهو يثنى على موقف مصر أيام العلمين ، ذلك الموقف الرائع الذى لولاه لتغير مصير الحـــرب وتبدو تلك المغالطات فى بيان تشرشل لأن لتلك الحـــرب التى كانت تخوضها انجلترا فى الصحـــراء الغربيـــة لم تكن من أجـــل مصر بدليل بيانات الشكر التى بعث بها عدد كبير من الساسة الانجليز والتى تشيد برباطة جأش المصريين ، فليس من المعقول أن يتولى رجل الدفاع فى بيتك ثم يشكرك لانك أمنت له مؤخرته ولو أنه كان يدافع عنك لما رضى بأقل من وقوفك الى الى جانبه ؟ ولكن كان يدافع عن نفسه وهو فى بيتك وكان من واجبه أن يشكرك لانك ساعدته وأمنته (١٦) • فانجلترا لم تكن تدافع عن مصر وانما كانت تدافع عن امبراطوريتها ، ومصر تستحق الشكر لانها جعلت هذا الدفاع ممكننا بتركها أرضها وكافة مواصلاتها وتقديمها قوت يومهـــا الى قوات الحلفاء ولم يكن هذا ممكنا الا اذا كانت هنـــاك حكومة مصرية تتخذها بريطانيا وسيلة لتحقيق كل أغراضها ولذا فان ما حدث فى ٤ فبراير ليس أمرا عاديا وانمـا كان استراتيجية بريطـــانية واضحـة المعـالم والاهداف •

ويعلق الدكتور أحمد ماهر على البيان السابق للمستر تشرشل قائلا : اننى لا أجد مسوغا لأن يمتن على مصر لوقايتها من اعتداء المحور لان المعاهدة المصرية البريطانية تحتم أن تشترك معنا بريطانيـــا فى صد الهجوم الذى يشن علينا • أما فى هذه الحالة التى لم نكن طرفا فيها فلم تكن مصر الا ميدان حرب بين بريطانيا والمحور (١٧) •

وقد علق أحد زعماء الاحزاب السياسية المعارضة بقـــوله : ان تصريح المستر تشرشل مسألة معروفة فى السياسة البريطانية التى كثيرا ما تلجـــأ الى هذه الوسيلة لاغراض سياسية ترمى اليها (١٨) •

---

(١٦) من بيان أحمد ماهر ردا على ما أعلن تشرشل : بمجلة روز اليوسف ١٩٤٤/٥/١١ •

(١٧) مضابط مجلس لشيوخ ــ الجلسة الرابعـــة والاربعون ٨ مايو سنة ١٩٤٤ ص٣١٨ ، ٣١٩ ، روز اليوسف ١٩٤٤/٥/١١ •

(١٨) مضابط الشيوخ المصدر السابق ــ من كلمة حافظ رمضـــاء رئيس الحزب الوطنى •

ولعل الغرض من اعلان تشرشل أن يقلل من الاثار السياسية التى تطمح اليها مصر مقابل وقوفها بجانب الحلفاء ٠

وعلى ضوء كل ما تقدم يمكننا القول : لقد كان التدخل البريطانى السافر فى ٤ فبراير ١٩٤٢ فرصة لكى تحقق بريطانيا كل أغراضها بما يؤدى الى استقرار الاوضاع المصرية بهدف تطويع الاقتصاد لمصرى لخدمة الحلفاء ٠

وقد نجح لامبسون فى تحقيق كل الاغراض أعظم نجاح كما أن ما حدث فى ٤ فبراير أتاح للنحاس الفرصة لكى يحد من سطوة القصر وهيبته وهذا مما ضاعف من حدة الصراع القائم بين القوتين ، ولا يتورع النحاس من أن يقدم نقدا مريرا للملك مطالبا اياه بتغيير موقفه تجاه الحلفاء ٠ وأضاف النحاس أنه مصمم مادام رئيسا للوزراء على أن تكون مصر قاعدة آمنة مستقرة حتى يتمكن الحلفاء من تحقيق النصر مما أثار هذا الحماس سخرية الملك فاروق الذى أعلن أن بريطانيا لن تقف دائما الى جانب النحاس فلقد خذلته سنة ١٩٣٧ ٠ وبما أن حديث فاروق كان يحمل قدرا كبيرا من الحقيقة فلقد أجاب النحاس بأنه لا يعبأ بما يفعله البريطانيون سواء أيدوه أم خذلوه وأنه يلتزم فقط بالمعاهدة وأن مهمته بسيطة للغاية وهى الحفاظ على الديمقراطية وهنا يثور الملك متهما النحاس صراحة بأنه يتخذ من الديمقراطية وسيلة لتحقيق مكاسب شخصية للغاية (١٩) ٠

ويبدو أن الانتصارات التى أحرزها الحلفاء وعلى كل جبهات الحرب كانت سببا كافيا لكى يبدى الملك قدرا من التعاطف مع قضية الحلفاء ولعل أحمد حسنين « رئيس الديوان » قد لعب دورا هاما فى اقناع الملك بوجهة النظر تلك حتى يبدو أمام بريطانيا كأنه بديل معقول عن الوفد (٢٠) ٠

ولعل القصر قد قطع شوطا كبيرا فى اقناع بريطانيا بالعدول عن سياستها التى تهدف الى مناصرة الوفد الى أقصى حد ممكن ، وبالرغم من أن الوفد قد استنزف كل امكانياته منذ ٤ فبراير الا أن الحكومة البريطانية اعتقادا

---

(١٩) وثائق الخارجية البريطانية برقية رقم ٢٧٢ من لامبسون الى حكومته ٥ مارس ١٩٤٣ ٠

(٢٠) لقاء مع فؤاد سراج الدين ٨ ، ١٢/١١/١٩٨٢ جاردن سيتى القاهرة

منها بأن لوفد قد جيء به لاداء مهمة محددة فلابد من استثمار فترة حكمـــه الى أقصى حدممكن ٠

وتشير الوثائق الاريكية الى أن بريطانيا قد نجحت الى حد كبـــير فى استثمار حكومة ٤ فبراير سواء فى الاوضاع السياسية أو لاقتصادية ويشير نفس المصدر لى أن شعورا وطنيا قويا يسود البلاد وقد يجد٢ه متنفسا بشكل أو آخر قبل مرور وقت طويل على اعتبار أن الحكومة الحالية غير قادرة على التوفيق بكفاءة بين المطالب البريطـــانية والقـــلاقل الداخلية التى تسود البـــلاد (٢١) ٠

ولعل حكومة ٤ فبراير قد أدركت ألاعيب السياسة البريطانية وخصوصا بعد انتصارات العلمين ونزول القوات الامريكية فى شمال أفريقيا حيث ساد الاعتقاد بأن خط الحرب قد ابتعد عن مصر الى غير رجعة مما دفع النحاس الى أن يصرح بمطالب مصر القومية مؤكدا على ضرورة الاستقلال وبذل أعظم اهتمام لحماية المصالح الوطنية الا أنه قد اعترف بأن انجلترا لم تقصر فى أى وقت من ألاوقات مهما كان عصيبا فى مرعاة أقصى احترام لاستقلال مصر رحمايتها (٢٢) ٠

والملاحظ على تصريح النحاس أنه اراد ان يقطع على المعارضة ما تدعيه نفسها من الزعامة الوطنية ولعله كان يهدف أيضا الى ان يذكر بريطانيا بأن لوفد مايز ل القوة السياسية القادرة عن التاثير فى المجتمع المصرى ٠

وفى الوقت نفسه فان اعلانه عن الاستقلال لم يكن واضحـــا بل اتسم المزايدة حيث اعترف بأن بريطانيا قد احترمت استقلال مصر وبذلت أعظم هتمام لحمايتها ، ولو كان النحاس صادق النية لتقدم رسميا بطلب الجـلاء لذا فاننا نعتقد أن ما أعلنه النحاس لم يكن الا من باب تهدئة المشاعر الملتهبة قطع الطريق على أحزاب المعارضة والتى نجحت فى استثمار حادث ٤فبراير ظم نجـــاح ٠

---

(٢١) وثائق الخارجية الامريكية تقرر برقم ٤٨٣ من كيرك الى حكومته ٣ سبتمبر ١٩٤٣ ٠

(٢٢) المصرى ٢٥ نوفمبر ١٩٤٣ ٠

وعلى ما يبدو فان الحكومة البريطانية قد أخذت من الحرب العالميـــة الثانية فرصة لمزيد من السيطرة على مصر وبدا واضحا أهميـــة الدور الذى لعبته مصر من خلال لصراع العالمى سواء سياسيا أو اقتصاديا أو عسكريا فلم يكن من المعقول أن تقبل بريطانيا الخروج من مصر طواعية ولعل احدى الصحف البريطانية أدركت هذا المعنى قائلة : ان المهمة الشاقة لتى تواجه بريطانيا حاليا هى صيانة المصالح الجوهرية لتى أخذتها أمانة فى عنقها لحساب الامبراطورية البريطانية غير أن لاحوال قد تبدلت تبدلا تاما ولذ فان العودة الى النظام الذى كان قائما قبل لحرب هو أضمن الطرق (٢٣) .

وبالرغم من تعدد العوامل الموضوعية التى أوصلت مصر الى هذه الدرجة من التردى الا أن حادث ٤فبراير وما ترتب عليه من أحداث يعد الاساس الذى تفجرت منه قضية الصراع والذى حمل بعدا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وقد يبدو أن موقف الوفد يعد غريبا بعض الشىء حيث اتسم موقفه بالسلبية الا أن هذا الموقف لا يصعب تفسيره وانما هو يتطابق الى حد كبير مع الظروف الموضوعية والتى اتت بالوفد فى ٤ فبراير ١٩٤٢ ، ويتطابق أيضا مع تركيب الوفد الاجتماعى وتكوينه السياسى فبعد أن كان الوفد قائما على أســاس الطبقة الوسطى بدأ كبار الملاك وأصحاب رؤوس الاموال الكبيرة يحكمون قبضتهم على سياسة الوفد وبلاشك فان أول ما تهتم به تلك الطبقة هو حماية مصالحها بصرف النظر عن القضية القومية ولذا فقد اتسمت سياسة الوفد طوال وجوده فى الحكم عقب ٤ فبراير بنوع من المهادنة ، أما طبقة العمال والفلاحين والطبقة الوسطى فلم يكن فى استطاعة تلك الطبقات أن توجه سياسة الوفد العامة ، ولعل السبب فى هذا هو ما أصاب تلك الطبقات من انقسامات وما ترتب على ذلك من اختلافات بسبب تباين وجهات النظر حول ما حدث فى ٤ فبراير وماترتب على ذلك من انقسام الوفد وخروج مكرم عبيد .

وليس فى موقف الوفد مع كل هذه التناقضات غرابة فهو لم يكن حزبا عقائديا صلبا كما ينبغى أن تكون الاحزاب بل تنتابه من الانتهازية الطاحنة بين أعضائه المتناقضين مع أنفسهم والتى أفقدته مع ظروف الحكم فى ٤ فبراير

(٢٣) صحيفة لسياسة أول ديسمبر ١٩٤٤ نقلا من صحيفة « التيمس » .

رصيدا كبيرا من التأييد الشعبى وجعلته متخلفا عن جماهير الشعب المصرى لعجزه عن فهم المضمون الاجتماعى للثورة (٢٤) ٠

ومن العوامل الموضوعية التى ضاعفت من شعبية الوفد فى البداية أنه تأسس فى ظل الصراع الدائر ضد الاحتلال مما أكسبه قدرا هائلا من الشعبية الا أن معاهدة ١٩٣٦ وما ترتب عليها من سياسة المهادنة ومحاولة الوصول الى الحكم بكل الوسائل بما فى ذلك الاستعانة بالمحتل لتحقيق هذا الغرض من أهم العوامل التى أدت الى انصراف الجماهير عن تلك المؤسسة السياسية الوطنية ٠

وما أن أقيل الوفد فى ٨ أكتوبر ١٩٤٤ حتى عاد الى موقفه التقليدى وهو معارضة السياسة الانجليزية مما أفقده القدرة على التأثير فى المجتمع ولا تتورع احدى الصحف الوفدية فتزعم أن « الآن » هو وقت المطالبة بتحقيق الامانى الوطنية ، وتضيف نفس الصحيفة اذا كانت بريطانيا قد شغلت فى الماضى بمسائل الحرب شغلا حال دون أن توجه اهتمامها الى المسائل المعلقة بينها وبين مصر فان اهتمامها بمسائل السلم كمسائل بولونيا ويوغسلافيا وغيرهما يجعلنا نعتقد أن فى امكانها أن تجد الوقت الكافى للنظر فى مطالبنا وفى أمانينا القومية (٢٥) ٠

والسؤال الذى يفرض نفسه : هل لم تكن بريطانيا تهتم بمسائل مثل بولونيا ويوغسلافيا وغيرهما من فبراير ١٩٤٢ وحتى اقالة الوفد فى أكتوبر ١٩٤٤ ؟ ولذا فاننا نعجب لمواقف الوفد حينما يكون خارج الحكم وترك هذه الغيرة فى أكفان النسيان حينما يكون داخل الحكم ٠

وتبدو تلك الملاحظة ليس على الوفد فقط وانما على غيره من الاحزاب التى تتولى الحكم ، حيث تتسابق الى التسبيح بحمد الاحتلال والتقرب اليه أما التى خارج نطاق الحكم فدورها التقليدى هو المزايدة وشن الحملات ضد

---

(٢٤) د٠عاصم الدسوقى : مصر فى الحرب العالمية الثانية ص١٤١ ٠
(٢٥) صحيفة لمصرى ١٩٤٥/٣/٨ ٠

الاحتلال ، ولعل فى حديث الدكتور أحمد ماهر ما يقوم دليلا على هذا الاعتقاد فلقد نشرت كل الصحف بيانا خطيرا لرئيس الحكومة حول العلاقات المصرية البريطانية قال فيه : اننى أصرح بأنه اذا ما ترك الامر لنا فاننا لن نختار حليفا أو صديقا الا انجلترا ، أقر ذلك لان مصالحنا الحقيقية تتفق تماما مع ما تتطلبه انجلترا من مصر وهو حماية قناة السويس وطريقها الى الشرق ، وهذا هو كل ما تريده مصر ، ولذلك لا أجد غضاضة فى أن أقول ان سياستنا قائمة على التمسك بصداقة انجلترا والاعتماد عليها (٢٦) ·

ومن المؤكد أن هذا التحول الغريب فى سياسة الدكتور ماهر يعد تناقضا واضحا فى بديهات السياسة عدها بعض أعضاء مجلس النواب تراجعا واضحا فى سياسة الدكتور ماهر لان مصر قد بذلك كل ما فى استطاعتها وعلى بريطانيا أن تثبت حسن نواياها ، وأن رئيس الحكومة أحمد ماهر طالما اعترض على مسلك انجلترا مصر فما هو المقابل الذى اضطر رئيس الحكومة الى العدول عن رأيه لسابق (٢٧) ·

وجريا على سياسة المزايدة فقد تقدم الوفد بمذكرة للسفير البريطانى , يولية ١٩٤٥) على غرار المذكرة التى قدمها الوفد (١٩٤٠) وهى تتناول المسائل القائمة بين انجلترا ومصر وأهمها مستقبل السودان وطلب الجلاء العسكرى عن مصر (٢٨) ·

ولعل انتهاء الحرب العالمية الثانية قد ضاعف من ثقل التبعة الملقاة على كاهل الحكومة المصرية وخصوصا بعد أن ابتعدت المخاطر عن مصر والتى كانت تعتبرها بريطانيا ذريعة تحول دون الحديث عن أى مطالب وطنية · ووفقا لاهمية تلك القضية فقد تقدم أعضاء مجلس النواب المصرى الى رئيس

---

(٢٦) السياسة الكتلة المصرى ، الدستور ١٩٤٥/٢/٨ ·

(٢٧) مضابط مجلس النواب ـ دور الانعقاد الرابع ـ ٧ فبراير ١٩٤٥ ص٣٣٠ ·

(٢٨) د·أحمد عبد الرحيم مصطفى ، العلاقات المصرية البريطانية ١٩٣٦ ـ ١٩٥٦ ص٨٣ ·

الوزراء بخصص موقف لحكومة ازاء تعديل معاهدة ١٩٣٦ وعن الخطوات التى اتخذتها فى هذا السبيل (٢٩) .

ويعد تصريح محمود فهمى النقـراش فى هذا الصـدد أول تصريح من مسئول رسمى يلخص مطالب مصر القومية حيث أعلن ان لم يعد هناك أى سبب يحول دون جلاء القوات الاجنبية عن مصر ، وأن وحدة وادى النيـل بمصره وسودانه تتفق وصميم رغبات أبناء الوادى جميعا (٣٠) .

وبالرغم من أهمية هذا التصريح الا أنه لم تواكبه أية خطوة عمليـة لتحقيق هذا الغرض مما حدا ببعض أعضاء مجلس النواب الى اتهام الحكومة صراحة بالتقصير لأنها لم تفاتح بريطانيا فى أمر تعديل المعاهدة وتساءل أحد النواب : هل قام الجانب البريطانى بتنفيذ ما قيدته به المعـاهدة من قيود ضئيلة الى جانب المكسب الضخم الذى حصل عليه ؟ لم نر الى الآن رئيسا واحدا من رؤساء الحكومات جابه الرأى العام بأمر تتدخل لانجليز فى شئوننا الداخلية واذا أردتم أمثلة على هذا التدخل فلعل أبرزها جميعا هو ذلك الحادث الذى روع البلاد يوم أن ذهبت الدبابات الانجليزية الى أعز مكان عنـد المصريين كى تقدم انذار غاشما (٣١) .

ولعل طرح قضية لعلاقات المصرية البريطانية للمناقشة أمام البرلمان المصرى قد فجرت قدرا كبيرا من الغضب داخل نفوس الاعضاء ويبدو أنها كانت فرصة للنيل من معاهدة ١٩٣٦ على اعتبار أن المتحمسين لها قد اعتقدوا أنهـا ستحول دون تدخل بريطانيا فى الشئون المصرية (٣٢) .

الا أن الواقع العملى قد أكد عكس هذا المفهـوم حيث تدخلت السلطات البريطانية فى سن العديد من التشريعات التى تتعلق بالجيش والاقتصـاد وتعيين لوزراء أو اقالتهم ولعل أهم التشريعات التى تدخلت فيها السياسة

---

(٢٩) مضابط مجلس النواب ـ الجلسة الرابعة والثلاثون ٦ ، ٧ أغسطس ١٩٤٥ ص١٦٢ دقدم السؤال النائب نور الدين طراف .

(٣٠) نفس المصدر السابق ص١٦٢٥ .

(٣١) نفس المصدر ص١٦٢٦ .

(٣٢) المصرى ١٩٣٧/١٠/٢٠ .

لاسياسة لبريطانية أن الاسفير البريطانى قد حال دون صدور قانون محاكمة الوزراء وهو الذى حال أيضا دون صدور اقنون التجنيد الاجبارى وهو الذى لم يوافق على قانون اجبار الشركات على استعمال اللغة العربية (٣٣) ٠

وتبدو الامور أكثر غرابة اذا ما علمنا أن مصر قد انضمت الى اتفاقية التعمير (١٩٤٣) وبمقتضاها تساهم مصر بـ ١٪ من دخلها القومى للمساهمة فى اعادة تعمير الدول التى دمرها الحرب (٣٤) ٠

وبالرغم من التضحيات التى قدمها الشعب المصرى طوال سنوات الحرب الا أن السياسة البريطانية الماكرة أخذت تسوف وتماطل وعلى الفور برزت المسألة الوطنية على سطح الحياة السياسية فى مصر ولم يمض وقت طويل حتى أدركت الجماهير المصرية أن حكومة النقراشى تسوف وانتشرت بين الناس عبارة « سياسة الصمت » التى تتبعها الحكومة ولما تحرك النقراشى لم يجد قولا يردده الا أنه ينتظر « الوقت المناسب » فأطلقت عليه الجماهير والصحف « رجل الوقت المناسب »(٣٥) وزادت لهجة المطالبة وانتشر السخط وبدأت المظاهرات الشعبية تملأ الشوارع وترددت هتافات عدائية ضد الاحتلال والحكومة مما ضاعف من احراج الحكومة ودفعها الى التحرك ضمن حدود غير مجدية حيث أرسلت الى الحكومة البريطانية مذكرة فى ٢٠ ديسمبر ١٩٤٥ ذكرت فيها أن انتصار الحلفاء فى الحرب يجعل الكثير من أحكام معاهدة ١٩٣٦ لا مبرر لها ثم ذكرت أن وجود القوات الاجنبية فى مصر يجرح الكرامة الوطنية ولا يستطيع الشعب المصرى الا أن يفسره بأنه دليل محسوس على الريبة ، وأن لحكومة البريطانية ذاتها لا تجد مبررا لها ثم طالبت المذكرة فى نهايتها بتحديد موعد قريب لكى يذهب وفد مصرى الى لندن للمفاوضة فى اعادة النظر فى معاهدة ١٩٣٦ (٣٦) ٠

---

(٣٣) مضابط مجلس النواب ـ الجلسة الرابعة والثلاثون ٧ أغسطس ١٩٤٥ ص١٩٣٨ ٠

(٣٤) المصدر السابق ـ الجلسة الثالثة ـ دور الانعقاد غير العادى ١٥ أكتوبر ١٩٤٥ ص٥٤ ٠

(٣٥) المصرى والكتلة ، اللواء الجديد ٢ نوفمبر ١٩٤٥ ٠

(٣٦) نص المذكرة : الاهرام ، المصرى ، السياسة ٢٣ ديسمبر ١٩٤٥ ٠

وتلكأ الرد البريطاني أكثر من شهر ثم جاء في ٢ يناير ١٩٤٦ ليقـــول : ان المبادىء الاساسية التي قامت عليها المعاهدة البريطانية المصرية سلبية في جوهـــرها وأن سياسة حكومة جلالة الملك أن تدعم بروح الصراحة والود والتعاون الوثيق الذي حققته مصر ومجموعة الامم البريطانية والامبراطورية في أثناء الحرب ٠٠٠ وأضاف الرد البريطاني أن الحكومة البريطـــانية لديها الاستعداد لاعادة النظر مع الحكومة المصرية في أحكام المعاهدة على ضوء تجاربها المشتركة (٣٧) ٠

وعلى أثر اذاعة مذكرة الحكومة البريطانية تبين للرأى العام مبلغ سوء نية الانجليز نحو مصر واصرارهم على ابقاء معاهدة ١٩٣٦ كأساس للعلاقات بين لبلدين ، وكأن انتهاء الحرب العالمية الثانية والتضحيات الباهظة التي قدمها الشعب المصري ، واعلان ميثاق الاطلنطي ، والحريات الاربع والمبادىء الحديثة التي قررها ميثاق الامم المتحدة كل أولئك لم يغير من سياسة الانجليز الاستعمارية حيال مصر وهنا تدخل الحركة الوطنية المصرية دورا جديدا وهاما يتفق وأهمية تلك المرحلة الراهنة ٠

سياسة بريطانيـــا العربيـــة :

ولقـــد كان من بين الدوافع التي حدت ببريطانيـــا الى ارتكاب حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ هو رغبتها في فرض حكومة مصرية تتمتع بثقتها وخصوصا عندما تدهور موقف بريطانيا العسكري في ميادين أوربا والشرق الاوسط ، ونظرا لأهمية موقع مصر الاستراتيجي باعتبارها من أهم قواعد بريطـــانيا العسكري في الشرق الاوسط ، وفي الوقت الذي كانت بريطانيا تفكر في اعداد خطتها !! بعد الحرب ولما كان أساس هذه الخطة يدور حول أحكام سيطرتها على الشرق الاوسط الذي صار مركز الثقل في السياسة العالمية ، كان من الضروري لبريطانيا أن تطمئن الى اخلاص الحكومة القـــائمة في مصـــر حتى يمكن أن تتعاون معها في تنفيذ هذه الخطة ٠

---

(٣٧) مضابط مجلس النواب ـ مجموعة مضابط دور الانعقاد العادي الثاني ٢٨ يناير ١٩٤٦ ص٨٤٥ ٠

ونشرت احدى الصحف البريطانية فصلا تحت عنوان « اعادة بنـــاء الشرق الاوسط » أشارت فيه الى أن حمــاية المصــالح الجوهرية فى الشرق الاوسط ضرورة بريطانية تحتمها حاجة الامبراطورية ، والامل الوحيد فى نجاح تلك الفكرة هو انشاء هيئة سياسية مستقرة الدعائم فى الشرق الاوسط ، تكون مهمتها لتعاون على صيانة المصالح البريطـــانية ،وليست هنـاك وسيلة مختصرة توصلنا الى اعادة بناء الشرق الاوسط الا اذا عولجت أسباب القلق وعدم الاستقرار (٣٨) ٠

ولعل هذا التصور الذى أشارت اليه الصحيفة البريطـانية قد سبق العديد من الدراسات البريطانية وأخذت السياسة لبريطانة تعمل على تنفيـذ خطتها مدفوعة فى ذلك أولا وقبل كل شىء الى تحقيق مصالحها الخاصة وليس من قبيل المصادفة عودة النحاس باشا الى الحكم فى ٤ فبراير وقيام نـــورى السعيد فى الحكم بالعراق فى أكتوبر ١٩٤١ عقب تمكن بريطانيا من اخماد ثورة رشيد على الكيلانى ، ولا عجب أن يكون النحـاس ونورى السعيد الداعيين الرئيسيين للوحدة العربية فقد حصل كل منهما على منصبه نتيجة التدخل البريطانى وكان كلاهما طموحا فى أن يرفع من مركزه بالحصول على شهرة عن طريق اتخاذ سياسة فى مجال أوسع وعلى ذلك كان من المناسب أن يعتنق كلا منهما فكرة الوحدة العربية التى يرجع الالهام بها الى بريطانيا (٣٩) ٠

ولما كانت بريطانيا قد اختارت مصر لتكون محور هذه السياسة لذا كان من الضرورى وجود حكومة مصرية محالفة لبريطانيا ، ولعـل رغبة بريطانيا فى تحقيق هذه السياسة قد تطابقت الى حد كبير مع مصالح الوفد والذى كان يسعى الى تحقيق انجاز عربى يعوض بعضا من شعبيته التى افتقدها عقب ٤ فبراير ١٩٤٢ وقد شهدت فترة ما بين الحربين تفتحا فى الوعى العـــربى ونضجا سياسيا كبيرا أدى الى قيام عدة ثورات تنادى فى مختلف البـــلاد

---

(٣٨) السياسة المصرية الاول من ديسمبر ١٩٤٤ نقـــلا عن صحيفـــة « التيمس » البريطانية ٠

(٣٩) مذكرات حسن يوسف وكيل الديوان الملكى ص١٩٥ ، أحمد طربين : الوحدة المصرية ص٢٥٠ ٠

العربية بالاستقلال (٤٠) ، وتعلن سخطها على الاستعمار ومحاولات تقسيم الامة العربية وخاصة عقب معاهدة لوزان ١٩٢٣ والتى قررت توزيع الممتلكات العثمانية العربية بين مناطق نفوذ فرنسية وأخرى بريطانية ، وتعد قضية فلسطين محور العديد من اللقاءات والثورات التى أتاحت الفرصة لتجسيد وحدة مصير الامة العربية . وتبادل الرأى فى المصالح المشتركة وأهمية العمل العربى الموحد وزاد الشعور بالروح القومية عند اندلاع الحرب العالمية الثانية (سبتمبر ١٩٣٩) مما دفع البعض الى التفكير فى اقامة نوع من الاتحاد بين الشعوب العربية فى الوقت الذى كان العالم العربى يشهد دعايات دول المحور بتأييد الامانى العربية فى التحرر من النفوذ الاجنبى . وتصريحات الحلفاء المضادة التى تبشر العرب بتحقيق آمالهم فى قيام وحدة أوثق بين شعوبهم (٤١) .

ولعل كل هذه الاحداث قد دفعت بريطانيا الى أن تصدر فى ٢٩ مايو سنة ١٩٤١ على لسان وزير خارجيتها أنطونى ايدن تصريحا تعلن فيه تأييدها لامانى بعض المفكرين العرب فى قيام وحدة بين شعوبهم ، وأنها لذلك ستؤيد تاييدا كاملا أى مشروع ينال اجماع العرب فى هذا الشأن (٤٢) .

وعلى أثر هذا التصريح نشطت الصحف المصرية والبريطانية الى نشر العديد من المقالات والآراء الداعية لاقامة اتحاد فيدرالى عربى شبيه بنظام الولايات المتحدة الامريكية (٤٣) .

---

(٤٠) أهمها على سبيل المثال ثورة مصر الشعبية سنة ١٩١٩ ، وثورة العراق سنة ١٩٢٠ ، وثورة سوريا ولبنان سنة ١٩٢٥ وثورة فلسطين الاولى سنة ١٩٢٠ ثم ثورتها . الثانية ١٩٣٦ ، ثورة المغرب ضد الظلم الفرنسى والاسبانى وثورة ليبيا ضد الاستعمار الايطالى ١٩٢٣ .

(٤١) لوكاز هيرزويز المانيا الهتلرية والمشرق العربى ص٢٤٤ د.مفيد شهاب : المنظمات الدولية القاهرة ١٩٧٦ ص٤١٧ .

(٤٢) مارسيل كولومب : مرجع سبق ذكره ص٢١٢ ، د.مفيد شهاب . المنظمات الدولية ص٤١٧ مذكرات حسن يونس ص١٩٥ .

(٤٣) الاهرام الاول من يونية ١٩٤١ ، المصرى والسياسة ٢ يونية ١٩٤١

ويبدو أن بريطانيا كانت تهدف من ورء هذا التصريح الى عدة أمور من أهمهــــا :

أولا : القضاء على ما بقى لتركيا من نفوذ من منطقة لشرق الاوسط ٠

ثانيا : أن تتزعم بريطانيا حركة الوحدة العربية من خلال القاهرة أو بغداد وكانت تطمع فى أن يتزعم نورى السعيد الوحدة العربية ٠

ثالثا : امتصاص غضب الامة العربية عن طريق بعض الوعود التى تتفق الى حد كبير مع أمانى العرب ويلاحظ أن اهتمام بريطانيا بفكرة الجامعة العربية قد سبقتها عدة دعوات من بعض المفكرين لعرب وكان الهدف من وراء مثل ذلك الدعوات ايجاد جبهة متحدة ومترابطة ضد خطـــر الصهيونية فى فلسطين (٤٤) وعندما وجدت بريطانيا أن مصالحهـا تتطابق مع تلك الدعوة فانها لم تفعل سوى أن جعلت سياستها تتفق مع الرغبة العربية ، فلقد كان الشغل الاول لبريطانيا فى تلك الفترة هو أن تسترد تعاطف العرب فى وقت كانت توشك كل الدول العربية على أن تنفض يدها من سيرها فى فلك بريطانيـــا حين كانت ثورة العراق قد أخمدت وكانت القوات الالمانيـة على أبواب مصر تهددها وتنشر الرعب والقلق فى نفوس الكثيرين وكانت الدعاية الالمانية فى أوج عظمتهما ، ومن هنا كانت السياسة البريطانية تبحث عن فكرة جديدة لتجمع بها شمل العرب ولعلها قد وجدت فى فكرة الجامعة العربيـــة ما يتفق ومصالحها الاستراتيجية ٠

وليس هناك ما يؤكد بأن فكرة لاجامعة العربية قد حققت أطماع بريطانيا بل ثمة دلائل تشير عكس ذلك الامر الذى دعا أول أمين للجامعة العربيـــة (عبد الرحيم عزام) الى الاعتراف بأن فكرة الجامعة العربية قد خرجت من لندن حيث كان البريطـــانيون يريدونها أداة تعمل فى خدمة مصـــالحهم

---

(٤٤) الاهرام الاول من ديسمبر ١٩٣٩ ، مرسيل كولومب : مرجع سبق ذكره ص٢١١ ٠

الاستعمارية الا اننا قد نجحنا برغم كل الدسائس والمؤامرات فى أن تصبح الجامعة العربية أداة تعمل فى خدمة العرب (٤٥) ٠

وعلى الرغم من التصريح الذى أدلى به انطونى ايدان (مايو ١٩٤١) وما واكبه من ردود فعل لدى الساسة والمفكرين العرب الا أن الفكرة لم تخرج الى حيز التنفيذ الا فى ٢٤ فبراير ١٩٤٣ أى بعد عام كامل من المجىء بحكومة ٤ فبراير وبعد أن تأكدت بريطانيا من أن نورى السعيد لا يحظى بقدر من الشعبية وسط العالم لعربى وأن النحاس قد تمكن من السيطرة على الموقف وخصوصا بعد أن بدت قضية الصراع الدولى وكأنها مسألة وقت فقط وانفتح باب الامل أمام الحلفاء ٠

وفى ٢٤ من فبراير ١٩٤٣ أكد « أنطونى ايدن » أمام مجلس العموم البريطانى مرة أخرى أن دولته تنظر بعين العطف الى أى حركة تعزز الروابط الاقتصادية والثقافية بل والسياسية بين العرب وأن الخطوة الاولى لتحقيق أى مشروع فى هذا الشأن يجب أن تصدر عن العرب أنفسهم (٤٦) ٠

واذا كان تأييدا بريطانيا وهى الدولة الاستعمارية ، لقيام اتحاد بين الدو العربية ، يبدو غريبا ، فلاشك أنها قامت بهذه الخطوة ادراكا منها للتطور التاريخى الحتمى للأمة العربية ، وفى محاولة منها لارضاء العرب وكسب ودهم من ناحية وعلى أمل السيطرة على مثل هذا الاتحاد أو توجيهه مستقلا من ناحية أخرى ٠

ولم يمض أكثر من شهر على تصريح « ايدن » حتى تقدم أحد أعضاء مجلس الشيوخ المصرى بسؤال الى رئيس الحكومة عن موقف الحكومة المصرية من تصريح وزير خارجية بريطانيا بخصوص لتحاد الامة العربية ٠ وتقدم وزير العدل « محمد صبرى أبو علم » بالنيابة عن رئيس الوزراء

---

(٤٥) مذكرات عبد الرحمن عزام أول أمين لجامعة الدول العربية الطبعة الاولى القاهرة ١٩٧٧ ص١٣ ٠

(٤٦) المرجع السابق ص١٤ ، د٠أحمد فؤاد مصطفى : العلاقات المصرية الانجليزية ١٩١٤ ــ ١٩٥٣ ٠ رسالة دكتوراة غير منشورة جامعة القاهرة سنة ١٩٦٠ ص٢٥٧ ، د٠مفيد شهاب المنظمات الدولية ص٤١٧ ، مذكرات حسن يونس ص١٩٥ ٠

ليدلى بتصريح أشار فيه : أنه منذ أن أعلن المستر ايدن تصريحه قامت الحكومة المصرية بالتفكير فى الموضوع طويلا ورأت أن الطريقة المثلى التى يمكن أن تصل الى غاية مرضية هى أن تتناول الحكومات العربية هذا الموضوع وأن تخطو خطوات رسمية فى هذا السبيل : وتفكر الحكومة المصرية فى أن تبادر باتخاذ خطوات رسمية فى هذا السبيل لاستطلاع آراء الحكومات العربية ثم الدعوة لعقد مؤتمر فى القاهرة تدعى اليه كل الزعامات العربية لاكمال بحث الموضوع (٤٧) .

ولما كانت الحكومة البريطانية حريصة على أن يكون لها السبق فى تلك المبادرة فقد أبلغت سفيرها فى القاهرة « اللورد كيارن » تطلب اليه أن يتحدث مع النحاس باشا وأن يحثه على بذل جهد أكبر فى هذا الموضوع : وكذلك أرسلت برقيات مماثلة الى ممثلى بريطانيا فى كل العواصم العربية (٤٨) .

وعلى ضوء كل ما تقدم فان بريطانيا قد اختارت مصر لتكون محور هذه السياسية على اعتبار أن وجود حكومة مصرية صديقة لبريطانيا سوف يترتب عليه نتائج هامة بالنسبة للمصالح البريطانية ولعل عقد المعاهدة المصرية ١٩٣٦ كان أساسا لمحاولة العمل المشترك بين الحكومتين المصرية والبريطانية فى حل القضايا العربية المختلفة وخصوصا بعد المجئ بالوفد فى ٤ فبراير ١٩٤٢ لأن بريطانيا كانت تعلم أن سياستها العربية اذا رسمت بالاتفاق والتفاهم مع حكومة صديقة فسوف تحظى رضاء وقبولا أكثر ليس فى مصر وحدها وانما فى كل الاقطار العربية لاسيما اذا كانت هذه الحكومة تتمتع بثقة الدول العربية كلها وهى أوفرها نصيبا فى مضمار التقدم والثروة (٤٩) .

وبالرغم من أن فكرة الجامعة العربية قد خرجت من لندن وبشهادة

---

(٤٧) مضابط مجلس الشيوخ ـ الجلسة العشرون ٣٠ مارس ١٩٤٣ ص٣٤٥ .

(٤٨) مذكرات عبد الرحمن عزام أول رئيس لجامعة الدول العربية ص١٤ ، لقاء مع فؤاد سراج الدين ٨٢/١١/١٢ .

(٤٩) مذكرات عبد الرحمن عزام ص١٤ ، مذكرات حسن يوسف ص١٩٦ ، د.مفيد شهاب ص٤١٧ د.أحمد عبد الرحيم مصطفى . مرجع سبق ذكره ص٤٩ ، أحمد طربين الوحدة العربية ص٢٥٠ .

النحاس باشا نفسه (٥٠) الا أنه وجد أخيرا من ينفى هذه الحقيقة اعتقادا منه بأن بريطانيا لم يكن من مصلحتها جمع كلمة العـــرب فى صعيد واحد ولأن الجامعة العربية ستكون قوة متحدة فى مواجهة الأطماع البريطانية فى المنطقة وهذا ما يتناقض بالضرورة مع مصالح بريطانيا (٥١) ٠

وعلى الرغم من أهميـــة هذا الرأى الا أن التفسير العلمى وفق تطور الاحداث السياسية يحتم علينا عدم لاخذ بظواهر الامور ، وانطلاقا من هذه المقولة المتواضعة فاننى لا أميل الى الرأى السابق لأن بريطانيا اذا كانت تقدر خطورة جمع العرب فى هيئة واحدة فان الاخطر من ذلك هى حالة الاستياء العام والتى كانت منتشرة فى كل الاقطار العربية وخصوصا فى مصر والعـــراق ٠ وتصورت الحكومة البريطانية أن مجرد التلويح بمثل هذه الفكرة سيقلل من حجم الكراهية الشديدة ضد بريطانيا والتى تعم أقطار الوطن العـربى ، ولما كانت الحكومة البريطانية تعلم جيدا أن الهيمنة العسكرية التى فرضتها على معظم أقطار الوطن العربى لم تتناسب والمرحلة الجديدة فكان من الضرورى التفكير فى وضع سياسة جديدة تتفق وما أحدثته الحـــرب من أفكار وآمال جديدة وبدلا من أن تشتت بريطانيا جهودها مع العديد من الحكومات العربية فان الوضع الجديد سيمكنها من تحقيق أهدافها لكن بشكل جديد وباسلوب جديد باسلوب مغاير الى حد كبير للاساليب البريطانية السابقة واذا كانت جامعة الدول العربية قد نفضت يدها من التبعية البريطانية بعد ذلك فى محاولة لخلق شخصية مستقلة تتفق مع مصالح كل الاقطار العربية فان هذا لا ينفى أن بريطانيا كانت صاحبة الفكرة الاولى منذ البداية ٠

ووفقا للمصالح البريطانية والتى كانت تمثل المعيار الاول فى السياسة البريطانية فان هناك العديد من الاعتبارات التى دفعت السياسة البريطانية الى المضى فى هذا الاتجاه ففى عام ١٩٤٢ بدأ أول نوع من التحالف بين الحركة الصهيونية والولايات المتحدة الامريكية ودعمت شركات النفط الامريكيـــة

---

(٥٠) مضـــابط مجلس الشيوخ ــ الجلسة العشرون ٣٠ مارس ١٩٤٣ ص٣٤٥ ، ٣٤٦ ٠

(٥١) لقاء شخصى مع فؤاد سراج الدين ١٩٨٢/١١/١٢ جاردن سيتى القاهرة ٠

ودعمت شركات النفط الامريكية مراكزها فى السعودية كما كانت بريطانيـــا تقدر خطورة الوجود السوفيتى وخصوصا فى ايران ولم يعد الموقف فى الشرق الاوسط يتشكل وفقـــا للصراع بين المعسكر الفاشى وأعدائه وانما وفقـــا لتضارب المصالح بين الثلاثة الكبار ـ أمريكا ، بريطانيا ، الاتحاد السوفيتى ـ وفى ظل الموقف الجديد قام البريطانيون بمحاولات لانشاء كتلة عربيـــة موجهة ضد الاتحاد السوفيتى من الناحيتين السياسية والعسكرية وضـــد الولايات المتحدة من الناحية الاقتصادية (٥٢) ٠

ولعل هذا المعنى لم يكن خافيا على السياسة الامريكيـــة حيث أشار السفير الامريكى فى احدى برقياته الى حكومته من أن المخابرات البريطانيـة تتابع كل أعمالنا فى محاولة منهـــا للوقوف على ادق المعلومات التى تتعلق بالعلاقات الامريكية العربية (٥٣) ٠

وليس من قبيل المصادفة أن تتدخل بريطانيا بكل ثقلها لانهاء الوجود الفرنسى فى كل من سوريا ولبنان وانما لكى يتم لهـا السيطرة السياسية والاقتصادية على هذين القطرين وفقا للسياسة البريطانية الجديدة فى اطار الجامعة العربية ولعل فى وجود مصطفى النحاس ، ونورى السعيد ، والامير عبد الله مما يساعد بريطانيا على تحقيق أغراضها الاستراتيجية ٠

ويبدو أن بريطانيا قد تأكدت من أهمية التضامن العربى بعد نجاح فكرة مركز تموين الشرق الاوسط فى السنوات الاولى من الحرب حيث كان لبريطانيا السيطرة الكاملة على هذا المركز وتمكنت من تطويع اقتصاد العالم العربى لخدمة الحلفاء (٥٤) ٠

لكل هذه الاعتبارات السابقة كان يصعب على لحكومة البريطانية ان تحقق أهدافها لو لم يكن على رأس الحكومة المصرية شخصية مثل مصطفى

---

(٥٢) لوكازهيرزويز : ألمانيا الهتلرية والمشرق العربى ص٤٠١ ٠

(٥٣) وثائق الخارجية الامريكية برقية رقم ٢٢٥ من كيرك الى حكومتـــه ٤٨٢

(٥٤) لوكازهيرزويز ٠ للمانيا الهتلرية والمشرق لعربى ص٤٠١ ٠

النحاس والذى يستند الى قاعدة جماهيرية تمثل غالبية الشعب المصرى ، ولما كانت مصر بمثابة العمود الفقرى فى خطط بريطانيا السياسية والعسكرية والاقتصادية فى هذه الفترة فكان من الضرورى قيام حكومة وطنية فى مصر تستطيع أن تعتمد عليها بريطانيا وتحظى بمساعدتها ومن أجل ذلك أجبر السفير البريطانى الملك فاروق فى ٤ فبراير ١٩٤٢ كى يأتى بحكومة الوفد الى دست الحكم كما أشرنا فقد كان مركز بريطانيا فى ميدان الشرق الاوسط يواجه عواصف سياسية وعسكرية فى وقت عمت الازمة الاقتصادية الخانقة بلدان الشرق الاوسط وساهمت فى احراج مركز بريطانيا واذا أضيفت هذه الازمة الثقيلة الى الاعباء السياسية والعسكرية اتضح لناعمق الهوة التى انحدر اليها مركز بريطانيا وبلغ حاجتها الى حليف ومعين يخفف عنها أعباءها المتباينة بهدف تنسيق سياستها فى الشرق الاوسط بحيث تتعامل مع دول المنطقة من مركز واحد وان لم يستطيع هذا الحليف أن يحارب الى جانبها فلا أقل من أن تأمن جانبه (٥٥) ٠

ويبدو أن الملك عبد العزيز آل سعود كان من المعارضين لفكرة الجامعة العربية منذ البداية ، حيث كان يعتقد أن اقتراح مستر ايدن بانشاء هذه الجامعة يثير الشك فى نوايا الانجليز (٥٦) ٠

وتشير الوثائق الامريكية الى أن الحكومة البريطانية قد بذلت قدرا كبيرا لاقناع العاهل السعودى بالعدول عن رأيه وخصوصا أن الامام يحيى حميد الدين ، ملك اليمن ، قد التزم بالخط السياسى الذى يبديه العاهل السعودى (٥٧) ٠

واعتقد أن محاولات النحاس باشا لاقناع الملك عبد العزيز آل سعود

---

(٥٥) وثائق الخارجية الامريكية برقية رقم ٤٤ من كيرك الى حكومته ٢٧ سبمتبر ١٩٤١ ٠

(٥٦) مذكرات عبد الرحمن عزام مرجع سبق ذكره ص٢١٣ ٠

(٥٧) وثائق الخارجية الامريكية برقية رقم ٣٣١ من كيرك الى حكومته ١٧ مارس ١٩٤٣

بفكرة الجامعة العربية (٥٨) . كانت فى اطار المحاولات البريطانية المبذولة حتى تاتى الفكرة وكأنها مبادرة عربية خالصة .

واستنادا على ثقة بريطانيا فى النحاس باشا فقد كثف من نشاطه لتبديد المخاوف التى أبداها العاهل السعودى عن طريق اقناع الملوك والرؤساء العرب بهذه الفكرة وكان من الطبيعى أن يثير هذا النشاط مخاوف الفرنسيين الذين كانوا على علم بمحاولات بريطانيا انشاء حلف عربى الغاية منه فى رأى فرنسا سلخ سوريا ولبنان عن نطاق الادارة الفرنسية (٥٩) .

ووفقا لسياسة النحاس باشا تجاه الجامعة العربية فاننا نعتقد أنه كان من الاولى على الحكومة المصرية أن تطلب من بريطانيا تحديد موقفها من الاحتلال العسكرى لمصر وضرورة وجود ضمانات كافية تلزم بريطانيا بالخروج من الاراضى المصرية عقب انتهاء الحرب مقابل التعاون معها فى سياستها العربية ، فلو أن النحاس قد عمل على توحيد الصفوف فى مصر لاستطاع بغير شك أن يخدم البلاد أعظم خدمة ولخدمت مصر القضايا العربيةفى سائر الاقطار بأكثر مما أفادتها الجامعة العربية . غير أن النحاس قد وقف موقفا سلبيا من بريطانيا فيما يتعلق بالمطالب المصرية ، فضلا عن أنه ذهب فى مساعدتها خلال الحرب الى أبعد مدى كما أنه ذهب فى سياسته الحزبية الى درجة أدت الى زيادة الانقسام والفرقة بين القوى الوطنية المصرية مما فوت فرصة قيام جبهة مصرية متحدة ، ولعل النحاس ظل يحمل لبريطانيا دينا كبيرا فى عنقه طوقته به السياسة البريطانية منذ فبراير ١٩٤٢ ، وفى الوقت الذى كان يبذل من المساعى لحصول كل من سوريا ولبنان على استقلالهما كانت مصر تعانى أشد القوانين العسكرية وأقساها مما يجعلنا نعتقد بأن محاولات النحاس لحصول سوريا ولبنان على استقلالهما لم يكن بهدف خدمة القضية العربية بقدر ما كان للسياسة البريطانية الماكرة لان سلخ سوريا ولبنان عن الادارة الفرنسية ودخولهما فى حلف عربى ما يتيح لبريطانيا تحقيق غرضين

---

(٥٨) مذكرات عبد الرحمن عزام مرجع سبق ذكره ص٢١٣ أحمد طربين الوحدة العربية ص٢٥٠ ، ٢٥١ .

(٥٩) أحمد عزه دروزة : الوحدة العربية بيروت ١٩٥٧ ص١٢٧ .

أولهما : خروج فرنسا من الشرق الاوسط نهائيا وهو أمل طالما رواد السياسة البريطانية ٠

ثانيهما : أن دخول سوريا ولبنان فى حلف مع بقية الاقطار العربية يربطهما بعجلة السياسة البريطانية (٦٠) ٠

وفى يولية ١٩٤٣ اتخذت مصر المبادرة العملية ببدأ المباحثات الاولى وجاء الى القاهرة كل من نورى السعيد رئيس وزراء العراق وتوفيق أبو الهدى رئيس وزراء الاردن والشيخ يوسف ياسين ممثل المملكة السعودية وسعد الله الجـابرى رئيس وزراء سوريا ورياض الصلح رئيس وزراء لبنـان والسيد حسين الكبسى مفوض اليمن واستمرت المباحثات حتى فبراير ١٩٤٤ وكانت مباحثات مضنية بسبب الخلافات العديدة وتباين وجهات النظـر بين الدول العربية ، وكانت العراق

كل من سوريا ولبنان وشرق الاردن فى دولة واحدة ، وأن تشكل هذه الدولة الجديدة مع العراق اتحادا فيدراليا تستطيع بقية الدول العربيـة أن تنضم اليه فيما بعد ، لكن هذا المشروع قد اصطدم بمعارضة علنية منجانب كل من مصر والسعودية على اعتبار أن أى مشروع لا يحظى بموافقة مصر ولا يخلـع عليها الزعامة العربية فسوف يحكم عليه بالفشل (٦١) ٠

ولذا فقد فشل كل من مشروع سوريا الكبرى الذى خطط له الملك عبد الله اثناء الحرب ومشروع الهلال الخصيب الذى خطط له نورى السعيد وكان كلا المشروعين يهدفان الى توحيد آسيا العربية باستثناء شبه الجزيرة العربيـة بالاضافة الى استبعادها لمصر ومحاولتها عزلها عن التيارات السياسية فى الشرق العربى ، وبعد العديد من المفاوضات (التى تخـرج عن موضـوع دراستنا) تمكنت اللجنـة التحضيرية من توقيـع ما عرف « ببروتوكول الاسكندرية » أكتوبر ١٩٤٤ (٦٢) ٠

---

(٦٠) مارسيل لوكومب مرجع سبق ذكره ص٢١٣ ، ٢١٤ ٠

(٦١) د٠أحمد عبد الرحيم مصطفى : مرجع سبق ذكره ص٤٩ ، مذكرات حسن يوسف ص١٩٧ ٠

(٦٢) احمد الشقيرى ، مترى متى : الاهداف القومية والدولية لجـامعة الدول العربية ببيروت ١٩٥٣ ص٢٣ ٠

وهكذا تشكلت الجامعة العربية والتى عملت بريطانيا على اخراجها الى حيز الوجود والتى كانت من صنع السياسة البريطانية (٦٣) ٠

ويبدو أن مشروع جامعة الدول العربية كان يختلف تماما عن تلك الفكرة التى جاء بها نورى السعيد والتى لم تكن تتطابق الى حد كبير مع المصالح البريطانية ، لان مشروع الجامعة العربية والذى وافقت عليه بريطانيا قد ضم مصر بطريقة مباشرة بعكس مشروع نورى السعيد والذى تركها خارج المشروع وترك لها حرية الدخول من عدمه ولعل هذا لا يتفق مع الخطة البريطانية الراميه الى جعل مصر محور هذه الفكرة بثقلها السياسى والاقتصادى والبشرى والجغرافى والتاريخى الخ ٠

وهذا ما يجعلنا نعتقد بأن كلا من المشروعين كان نوعا من الصراع بين مصر والعراق على زعامة الامة العربية ٠ بالاضافة الى أن المشروع الذى وافقت عليه بريطانيا بل وابتكرته (الجامعة العربية) بضم أكبر عدد ممكن من دول هذه المنطقة ، وهكذا نجحت بريطانيا فى تحقيق سياستها العربية كما نجحت فى تحقيق الاهداف التى رمت اليها من وراء أحداث ٤ فبراير ١٩٤٢ على اعتبارأن المجىء بحكومة وفدية يعد ضرورة بريطانية بهدف تفسير بنود

معاهدة ١٩٣٦ بما يتفق مع المصالح البريطانية ٠

وعلى ضوء كل ما تقدم تبدو الظروف والملابسات التى دفعت الحكومة البريطانية كى تضرب بمعاهدة ١٩٣٦ عرض الحائط وأن تتدخل تدخلا سافرا فى السياسة الداخلية المصرية وعلى ما أعتقد فان بريطانيا لم تغامر بسمعتها فى ٤ فبراير جزافا أو لمجرد ارضاء الوفد لان قيام حكومة وفدية أو غيرها لا يعنى بريطانيا فى شىء بقدر عنايتها بمآربها وأهدافها طبقا للاستراتيجية التى اختطتها لنفسها ليس فى مصر فقط وانما فى منطقة الشرق الاوسط كلها ولذا فاننا نعتقد أن عودة الوفد فى ٤ فبراير كان جزءا من خطة بريطانية مرسومة محددة المعالم واضحة الاهداف ٠

---

(٦٣) عبد الرحمن عزام — مرجع سبق ذكره ص٢٦٢ ، مارسيل كولومب : مرجع سبق ذكره ص١٨٠ ٠

الخـــــاتمة

يصعب على الباحث فى مجـــال الدراسات الانسانية عموما أن يحدد النتائج التى توصل اليها بشكل قاطع وقـد يكون ذلك راجعا الى أن قضية الدراسات الانسانية عموما والدراسات التاريخية على وجه الخصوص تعنى تقويم مسلوك الانسان ورصد حركته ايجابيا وسلبا ، ولما كانت عملية التقويم هذه لا تحكمها قوانين طبيعية وانما تخضع فى مجملها الى اجتهادات شخصية اعتمادا على الوسائل المتاحة من وثائق ودراســات وغير ذلك ومهمـــا حاول الباحث أن يجتهد الا أن الحقيقة دائما تظل نسبية ، ولذا فان القيمة الحقيقية لا تبدو من خلال النتائج فقط ، وانما من خلال الوسيلة التى استخدمهـــا الباحث ، وطريقة استخدامها ·

ولما كان حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ يقع فى اطار العلاقات المصرية البريطانية تلك العلاقة التى تستند على معاهدة ١٩٣٦م والتى بمقتضاها حصلت مصر على قدر من حريتها واستقلالها الا أن بريطانيا لم تكن خالصة النية ولعلها قد أرادت أن تهدىء من روع المصريين فى وقت بدأت فيه العلاقات الدولية تنذر بمخاطر حرب توشك أن تقع ·

واعتمادا على المقولة القائلة بأن معاهدة ١٩٣٦م هى معاهدة الشرف والاستقلال الا أن العلاقات المصرية البريطانية عقب توقيع تلك المعـــاهدة لم يطرأ عليها قدر يذكر من التغيير ، فلقد حرصت بريطانيا على أن تتدخل فى شئون السياسة المصرية كما كان يحدث قبل توقيع المعاهدة الا أن تدخلهـــا أصبح مستترا الى حد كبير ، ولم يحدث منذ توقيع المعاهدة وحتى ٤ فبراير ١٩٤٢م أن كانت الادارة المصرية حرة طليقة من التبعية البريطانية ، حتى فى أخص القضايا التى أقرتها المعاهدة ·

واذا كان من أولى المسائل التى أقرها الدستور هو حق الملك فى اختيـــار رؤساء حكومته الا أن الحكومة البريطانية لم تسلم مطلقا بهذا الحق وانمـــا حرصت على أن يؤخذ رأيها عند اختيار كل حكومة جديدة ولعـــل هذه كانت بداية المصادمات بين الملك فاروق والانجليز ·

وعموما فلقد بقى الوجود البريطانى قائما فى كل شئون السياسة المصرية ولم يسمح للادارة المصرية أن تمارس حقها الا بالقدر الذى لا يتعـــارض مع النفوذ البريطانى ، والغريب فى الامر أن الحكومات المصرية كانت تدرك هذه الحقيقة الا أن أحدا لم يجرؤ على التصريح بها علانية ٠

ويبدو أن قيام الحرب العالمية الثانيـة كان حداً فاصلا بين التـدخل البريطانى المستتر والتدخل العلنى ، وأستطيع أن أقول أنه منذ قيام الحرب والانتصارات الكاسحة التى حققها الجيش الالمانى فى أوربا فقد تضــاعف الوجود البريطانى فى شئون السياسة المصرية بقدر أكبر مما كان عليه الحال قبل توقيع معاهدة ١٩٣٦م ٠

واذا كان موقف مصر من قضية الصراع الدولى كان غير واضح الا أن معاهدة ١٩٣٦م كانت تضع مصر موضع الحليف لبريطانيا على الرغم من أن مصر لم تعلن الحـــرب رسميا ضد الالمان ، وشهدت أروقة البرلمان المصرى مناقشات فقهية جادة حول دخول مصر الحرب أو عدم دخولها ٠

والحقيقة أن الملك فاروق كان صـاحب سياسة تجنب مصر ويـلات الحـــرب ، وعلى الرغم من أنه لم يعلن هذا صراحة الا انه اتخذ من حكومة على ماهر وسيلة للتمسك بهذه السياسة ولقد كانت بريطانيـــا تدرك هذه الحقيقة ولذا فقد تضاعف العداء بينها وبين الملك فاروق ٠

ويبدو أن الحكومة البريطانية قد أدركت أن اعلان مصر الحرب لن يكون له تأثير كبير من حيث المساهمة فى العمليات العسكرية ، وأن بقاء مصر دولة غير محاربة يمكنها من حرية الحركة ويجنبها غارات المحور ويجعلها قاعدة مركزية لتموين جيوش الحلفاء ولذا فقد حرصت بريطانيا على أن تبقى مصر بعيدا عن حلبة الصراع الدولى ٠

واذا كان بعض الزعماء المصريين أمثال أحمد ماهر قد حرصوا على دخول مصر الحرب ايمانا بقضية الديمقراطية ووقوفا بجانب الحليفة وقت شهدتها الا أن هذه الرغبة كانتمرتبطة الى حد كبير بسير المعارك الحربية فمثلا كان فشل المانيا فى غزو بريطانيا وانتصارات ويفل فى الصحراء الغربية ونجاح

حملة الحبشة سببا قويا فى تخفيف حدة التوتر السياسى خلال شتاء ١٩٤٠ ـ ١٩٤١م وجاء انتصار الالمان فى البلقـان فى ربيع ١٩٤١م ليعيـد التوازن للموقف حيث تأرجح مرة أخرى باحتلال بريطانيا لاراضى سوريا والعراق ٠

واذا كان الموقف قد انتهى الى اعتناق مبدأ « تجنب مصر ويلات الحرب » الا أن أجهزة المخابرات البريطانية قد توصلت الى أن فاروق وعلى ماهر على اتصالات سرية بهتلر ، ولعل هذه المعلومات كانت سببا كافيا لكى تتجـاوز بريطانيا حدود معاهدة ١٩٣٦م ، وفى الوقت نفسه فقد سجلت العـديد من تقارير استطلاع الرأى بأن الشعب المصرى يتعاطف مع الالمان نكاية فى الانجليز فى الوقت الذى حققت فيه القوات الالمانية انتصـارات ساحقة على الجبهتين الاوربية والافريقية ٠

وعلى ضوء كل لاعتبارات السابقة يمكننا أن نخلص الى بعض النتائج التى قد ارتبطت الى حد كبير ببعضها البعض : ـــ

أولا : لقد بدأت بريطانيا تعيد النظر فى علاقتها بالقصر بعد أن توصل السفير البريطانى الى فكرة التقليل من حجم القصر عن طريق خروج على ماهر من رئاسة الحكـومة ، وعلـى الرغـم من أن « لامبسون » قد طلب من فاروق صراحة أبعاد على ماهر من رئاسة الحكومة الا أن الملك أخذ يراوغ ويماطل وخاصة بعد تدهور الموقف العسكرى فى أوربا وعقب انهيار فرنسا الامر الذى شجع فى مصر الميـول التى كانت تتعاطف مع المحور ، شعبية كانت أم رسمية ، لا على اعتبار أن المحور صادق النية فيما يتعلق باحترام سـلامة واستقلال مصر ولكن على اعتبار أنه لن يكون احتلالا أسوأ من الاحتـلال البريطانى ، الذى عانت منه مصر ما يزيد على نصف قرن ولعل هذا الميـل كان يحمل فى طياته دوافع التشفى نحـو حليف أكرهت مصـر على محالفته ضد رغبة شعبها ، كما أنه كان يتضمن فى الوقت نفسه معنى الاعجاب بالعسكرية الالمانية التى لا تقهر من جانب بعض قطاعات الرأى العام المصرى وقادته بل وحتى الملك فاروق ذاتهواذا كان الملك فـاروق قـد بعث الى ملك انجلترا يشكو من التعسف والتشدد الذى يمارسه « لامبسون » فى مصر ٠ إلا أن رسالة فاروق الى ملك انجلترا لم تكن لتحدث أثرا على اعتبار أن الحكومة

البريطانية هى المسئولة عن القرار الذى أخذته وأبلغته بدورها الى لامبسون فى القاهرة والذى يعنى : اذا لم يستجب فاروق لمطالبنا ويبعد على ماهر عن رئاسة الحكومة فان فاروق يجب أن يتنازل عن العرش على أن لا يترك طليقا وانما يوضع تحت الرقابة المشددة حتى لا يلجـــأ الى ايطاليا ليطـــالب بعرشه » ٠

ومن الواضح أن حرص بريطانيا على خروج على ماهر لم يكن بسبب احجامه عن اعلان الحرب اذ أن الانجليز قد انتهوا الى الموافقة على تخـــاذ مصر موقف الدولة غير المحاربة ٠

ولعل السبب فى اخراج على ماهر هو انعدام الثقة بينه وبين الانجليز بسبب تشيعه للمحور وأنه كان يظاهر الملك فى الاستخفاف بقوات الحلفـاء والاشادة بانتصارات الالمان ٠

ثانيا : أن ما حدث فى ٤ فبراير ١٩٤٢ م لم يكن سياسة بريطانية خالصة ووفقا للوثائق البريطانية التى أشارت الى أن أطرافا مصرية مثـــل حسين سرى وأمين عثمان قد شهد القضية منذ بدايتها ، بل ان حسين سرى هو الذى أشار على السفير البريطانى « بتخويف » فاروق ٠

أما فيما يتعلق بمسئولية الوفد فلم يكن غريبا ولا مستهجنا أن يكون للحكومة البريطانية رأى فى اختيار رؤساء الحكومات المصرية على الرغم من أن معـــاهدة ١٩٣٦م لم تشر الى هذا صراحة أو ضمنا ، وكان من الطبيعى جدا أن تلجأ احدى القوى الى دار السفارة البريطانية فى محاولة لاسناد الحكم اليها ٠

وقد تمكنت من تحقيق تلك القضية وكانت مسئوليـــة الوفد من هذه الناحية واضحة تماما ٠ أما الغريب فى الامر فهو شكل هذا التدخل والطريقة التى استخدمتها بريطانيـا ، وأعتقـد أننى قد تمكنت من كشف الجوانب الدقيقة حول عملية الحصار سواء ما يتعلق منها بحصار القصر واجبـــار فاروق على التنازل وفى حالة رفض فاروق فان على القوات البريطـــانية أن تتعامل مع الموقف على ضوء الخطة التى وضعها المجلس العسكرى الاعلى والتى

تعنى دك المطارات المصرية العسكرية وتدمير كل الطرق المؤدية الى القـــاهرة ثم القبض على فاروق ونقله الى احدى سفن الاسطول البريطانى حتى يتقرر مصيره من قبل الحكومة البريطانية والجديد فى الامر أيضا أن بريطـــانيا فكرت فى الغاء النظام الملكى فى مصر وبعثت الى سفيرها فى القـــاهرة لكى يستطلع الامر فيما اذا كان من الممكن قيام نظام جمهورى شريطة أن يحظى بموافقة الرأى العام المصرى ٠

ثالثا : أن الطريقة التى عاد بها الوفد فى ٤ فبراير كانت سببا كافيـــا لكى تمارس بريطانيا سياستها فى مصر بالطريقة التى تراها حيث تحـول حزب النضال الوطنى إلى أداة تمارس بريطانيا من خلالها كل ما ترى أنه يدعم موقفها فى الحرب ، ولعل من أخطر الامور محاولة بريطانيا تدمير آبار البترول المصرية وشبكة الطرق والمواصلات واغراق الدلتا بمياه البحـــر المتوسط فى محاولة لاعاقة تقدم للقوات الالمانيـــة التى بدت على مشـــارف الاسكندرية ، وعلى الرغم من أن النحاس قد رفض كل هذه المطـــالب الا أن رفضه لم يكن كافيا لاعاقة بريطانيا عما اعتزمت أن تقدم عليه ٠

واذا كانت مصر لم تعلن الحرب رسميا ضد قوات المحور الا أن السياسة التى اتبعتهـا حكومة الوفد كانت كافية من الناحية العملية حيث تم تطويع مصر سياسيا واقتصاديا خدمة لجبهة الحلفاء وعاش الشعب المصرى أسوأ فترات حياته ، واذا كان الانجليز قد تجاوزوا كل حد معقول مساء ٤ فبراير الا أن ما أقدمت عليه حكومة الوفد يعد من أخطر التجـاوزات التى مارستها حكومة وطنية بدأ بقضية الاعتقالات وانتهاء بالمحسوبيات ٠

رابعا : ان أحزا بالاقلية قد لعبت دورا خطيرا سواء بالنظر للمقـدمات التى ساهمت فى صنع ٤ فبراير أو النتائج التى ترتبت عليه ٠

ولقدكانت اقالة الوفد (ديسمبر ١٩٣٧) واسناد الحكم إلى أحـــزاب لا تتمتع بقدر كاف من الشعبية سببا كافيا لتبديد فكرة الديمقراطية ، وبدأ بحكومة محمد محمود (ينـــاير ١٩٣٨) وانتهـــاء بحكومة حسين سرى (١٩٤٢) فقد عاشت مصر خلال هذه الفترة فى ظل حكومات لا تتمتع بقـدر من الشعبية مما خلق جوا من الاضطراب وعدم الاستقرار السياسى وشهدت

القاهرة وبعض العواصم الأخرى العديد من المظاهرات التى انطلقت وهى تردد هتافات عدائية ضد بريطانيا وعجزت الحكومة المصرية (وزارة حسين سرى) على السيطرة على الموقف تماما مما دفع حسين سرى الى أن يطلب من السفير البريطانى العمل على عودة الوفد باعتباره القوة الوحيدة القادرة على اعادة الاستقرار الى الحياة المصرية ٠

وفى محاولة من احزاب الاقلية لاستثمار حادث ٤ فبراير بهدف التقليــل من هيبة الوفد وتبديد شعبيته فقد بذلت محاولات مضنية لتعـــريف الرأى العام المصرى بما حدث مساء ٤ فبراير على الرغم من أن زعماء الاقلية الذين اجتمعوا مع الملك فاروق يومى ٣ ، ٤ فبراير يتحملون قدرا كبيرا من المسئولية بسبب نصائحهم التى افتقدت فى مجملها الى أى وازع وطنى ٠

ويبدو من المقابلات التى جرت بين الملك والنحاس وغيره من الزعمــاء السياسيين وبين لامبسون وأمين عثمـــان ، أن الخـــلاف كان ينحصر على توعية الوزارة الجديدة وكيفية تشكيلها ، هل تكون قومية أو ائتلافية ، حزبية أ ومحادة ٠٠ وأعتقد أن كل هذه الخلافات لا ترقى الى حجم الازمة التى انتهت اليهـــا لأن القضية كانت نوعا من الصراع على السلطة بين قوتين متعارضتين ٠ الاولى تمثل حزب الاغلبية يسانده الانجليز والثانية تقوم على أحزاب الاقلية يساندها القصر ٠

خامسا : فى جميع الازمات التى مرت بمصر كانت الحكومة البريطانية تقدر أهمية الجيش المصرى ، فعندما طالبت باعلان مصر الحرب على ألمانيا قالت أنها تقدر الاهمية البالغة للقوات المسلحة المصرية ، وعندما طلبت من فاروق عزل على ماهر حرصت على أن تجىء الوزارة الجديدة حائزة لولاء الجيش وعند الاستعداد لمحاصرة قصر اعبدين مساء ٤ فبراير وضعت خطة عسكرية لمواجهة اى رد فعل قد يحدث من الجيش المصرى واحتفظت المخــــابرات العسكرية البريطانية بأسرار العملية الى ساعة الصفر واتخذت جميع الاحتياطات لكيلا يقع تصادم بين الجيش المصرى والقوات البريطـــانية ٠ واذا كان الجيش المصرى قد فوجىء بأحداث ٤ فبراير الا أن ردود الفعـــل التى واكبت تلك

الاحداث قد تركت قدرا كبيرا من الغضب على اعتبار أن الاعتداء على ملك مصر يعد اعتداء على كرامة مصر وشرفها ٠

ولذا فقد شهدت تلك الفترة المولد الحقيقى لحركة الضباط الاحرار ٠

سادسا : لقد كان فاروق يقدر حجم الصدمة التى أصـابته فى ٤ فبراير وكان يدرك جيدا حجم المسئولية التى يتحملها النحاس ، لذا فقد ضـاعف القصر من نشاطه بهدف النيل من الوفد وزعامته ولعل من أولى المحـاولات التى نجح فيها القصر الى حد كبير تلك المحاولة التى تهدف الى تقويض الوفد من الداخل ٠٠ وبذلت محاولات على درجة كبيرة من الذكاء انتهت بانشقاق مكرم عبيد ٠٠٠ ولعل فاروق لم يكتف بتلك المحاولة وانما عمل على انشاء تنظيم سرى بهدف اغتيال كل من ساهم فى أحداث ٤ فبراير ، ولقـد نجح التنظيم فى اغتيال أمين عثمان الا أنه قد فشل ثلاث مرات فى محاولة اغتيـال النحـــاس باشا ٠

ولم يتوان فاروق فى بذل كل المحاولات بهدف اقالة حكومة الوفد ٠ ويوم أن تمكن من تحقيق تلك الامنية فانه قد استسلم تماما لبريطانيا ، ولذا فاننى أعتقد أن ما حدث فى ٤ فبراير بعد نقطة تحول خطيرة فى سلوك الملك الشاب وخصوصا فى علاقاته مع بريطانيا ٠

سابعا : لعل من أخطر النتائج التى ترتبتعلى حادث ٤ فبراير هوظهور العديد من الاتجاهات السياسية والتى اتخذت من العنف وسيلة لتحقيـق أغراضها وخصوصـــا بعد أن اهترأت الاحزاب التقليـدية واختــارت طريق الاستسلام والمهادنة وما حدث فى ٤ فبراير كان محـك اختبار عملى أفقـد الجماهير قدرا من ثقتها ليس فى حزب الوفد فقط وانما فى غيره من الاحزاب ، ولذا فقد شهدت تلك لفترة أكبر موجة من العنف السياسى ٠

ثامنا : أن ما حدث فى ٤ فبراير لم يكن هدفا بريطانيا خالصا وانما كان وسيلة لتطويع مصر سياسيا واقتصاديا وعسكرية بهـــدف خدمة القوات المتحالفة واذا كانت أحداث ٤ فبراير تعتبر أحداثا سياسية خالصـــة الا أن مصر قد شهدت أزمة اقتصاديه حادة حيث عملت الحكومة المصرية على أن

توفر التموين اللازم للجيوش الموجودة بأرضها ، واستطاعت ذلك على حساب ارتفاع الاسعار ومعاناة الشعب حيث لجأت الحكومة الى خلط القمح بينما كان الخبز الابيض يقدم للجيوش الاجنبية واستدعى ذلك تعديل النظام الاقتصادى المصرى وتغيير الدورة الزراعية وتحقيق المطالب البريطـانية على ماعداها من الطلبات ، وقد واكب سوء الاوضاع الاقتصادية تدهور واضح فى الحيـــاة الاجتماعية بأشكالها المختلفـــة بدأ بقضية المرأة وانتهـــاء بتردى الاحوال الصحية ٠

وهكذا تحملت مصر كثيرا من التضحيات بسبب الحرب ولم يكن موقفها هذا يرجع فقط الى نصـوص معـــاهدة ١٩٣٦ أو الى الشعور بمنـــاصرة الديمقراطية ضد الفاشية والنازية ولكن كان يدفعها لهذا الموقف شعور آخـر وهو أن تنال شـيئا من تقدير بريطانيا يكون من نتائجه اعادة النظـر فى العلاقات بين الدولتين بصورة تخفف كثيرا من غلواء وقيود معاهدة ١٩٣٦ ٠

تاسعا : لقد كانت أحداث ٤ فبراير ١٩٤٢ نقطة تحول خطيرة فى شكل العلاقات المصرية البريطانية فلم تعـد معـــاهدة ١٩٣٦ تمثل اطارا مرضيا لبريطانيا لأن قضية الصراع الدولى قد فرضت على أى معاهدة أو تفـــاق وأصبحت مصر فى ظل حكومة ٤ فبراير ضيعة بريطانيا تمارس بريطانيـــا من خلالهـــا كل ما ترى أنه يدعم قضية الحـــرب ٠ وفى الوقت نفسه فان الحكومة المصرية اعتقادا منها بأن بريطانيا ستقدر تضحياتها فانهـا كانت تطمح الى قدر أكبر من الاستقلال يتناسب وخطورة تلك التضحيات ٠ ويبدو أن الوفد قد حصل على وعد شخصى بالنظر فى تلك القضية عقب انتهاء الحرب وفى محاولة من جانب بريطانيا لتبديد هذا الوعد فقد أعطت الضوء الاخضـر للملك فاروق لكى يقيل الحكومة الوفدية (أكتوبر ١٩٤٤) ٠

ويبدو أن الحكومة البريطانية قد حرصت على اقالة الوفد قبل أن يسترد قدرا يتناسب وحجم التضحيات الباهظة التى قدمها ثمنا لعودته الى الحكم فى ٤ فبراير فعلى الرغم من انتهـازية الوفد الا أنه كان مصـــدر قلـق أمام السياسة البريطانية فترة ابعاده عن الحكم ٠ أما وقد تحقق الغرض من عودته وحسمت قضية الحرب فلا مانع من ارضاء فاروق واجابته الى مطلبه الذى حرص على تحقيقه وفى الوقت ذاته فقد تمكنت بريطانيا من تبديد شـعبية هذا الحزب الذى كان دوما مصدرا للقلق والاضطـــرابات وهكذا استنفذ الوفد بلا مقابل ٠٠ واستنذفت مصر أيضـا بلا مقابل ٠ ونجحت بريطانيا فى ترويض فاروق حتى لستسلم اخيرا واصبح انجليزيا اكثر من الانجليز ٠

القاهرة فى ١٩٨٣/٨/٤م محمـــد صـابر عرب

المصـــادر والمراجـــع

أولا ـ وثائق عربية غير منشورة :

١ ـــ مجموعة تقارير الا من العام والبوليس السياسى وتحمل عناوين : تقارير سياسية ـ تقارير الامن العام ـ مسائل سياسية ـ وقد اطلعت على سبع محافظ وهى مودعة بدار الوثائق القومية بالقاهرة ٠

ثانيا ـ وثائق انجليزية غير منشورة :

وهى عبارة عن وثائق وزارة الخارجية البريطانية المعروفة باسم مصورة على ميكـروفيلم من دار الوثائق العـــامة بلندن وقد تم الاستعانة بالمجموعات الآتية :ـ

No	Date
F.0. 407/210	July-Dec. 1939
F.O. 407/221	Jan-June. 1937
F.O. 407/221	July-Dec. 1937
F.O. 407/222	Jan.-June 1938
F.O. 407/222	July?Dec. 1938
F.O. 407I223	Jan -June 1939
F.O. 407/223	July-Dec 1939
F.O. 407/225	Jan.-Dec. 1041
F.O. 407/224	Jan.-Dec. 1940

ثم مجموعة F. O. 371 وقد استفدت منها بالارقام والسنوات التالية :

F.O. 371/31569	1942
F.O. 371/41334	1943
F.O 371/45916	1944
F.O. 371/45916	1945

ثالثا ـ وثائق امريكية غير منشورة :

No	Date
740.00/1138	Apr, 25, 1939
740.00/1138	May, 3, 1939
740.00/1138	Sep, 2, 1939

No	Date
470.00/11 European	Oct, 1, 1939
883.W.103	Sept, 25, 1939
883.OO/1080	Aug, 23, 1939
883.00/1066	Apr, 11, 1939
883.00/1085	Oct, 3, 1939
865 C. 20/43	May, 6, 1939
740, Coll European	Jul, 9, 1940
741.83/263	Oct, 19, 1940
740.001 European	Jun, 3, 1940
741.83/263	March, 12, 1940
740.001 European	Aug, 19, 1940
740.001 European	Sept, 25, 1940
740.001 European	Sept, 3, 1940
741.83/247	March, 21, 1940
883.20/114	Apr, 1, 1940
741.83/255	Jun, 22, 1940
740.001 European	Mar, 20, 1940
740.001 European	Oct, 18, 1940
740.001 European	July, 2, 1940
741.83.251	May, 17, 1940
741.83.250	Apr, 23, 1940
741.83.224	Mar, 20, 1940
741.83/248	Apr, 4, 1940
741.83/246	Mar, 9, 1940
741.83/252	May, 23, 1940
883.00/1209	Aug, 25, 1941
88.3.001, Farouk	Mar, 14, 1941
F.W. 883.00	Apr, 2, 1941
F.W. 883.00	Mar, 23, 1941
F.W. 883.00	Mar, 20, 1941
F.W. 883.00	Mar, 21, 1941
F.W. 862.20283	Jun, 30, 1942
740.001.2601 C.	Dec, 1, 1942
F.W. 862.20283	Jun, 15, 1942
800.24/1303	Oct, 14, 1943

رابعـــا ـــ وثائق عربية منشورة :

١ ـــ مضابط مجلس النـــواب عن الفترة من ١٩٣٦ ـ ١٩٤٥ وتضم عشرة مجلدات ٠

٢ ـــ مضابط مجلس الشيوخ عن الفترة من ١٩٣٦ ـ ١٩٤٥ وتضـم تسعة مجلدات ٠

٣ ـ الملف السرى لحادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ـ الاهرام مايو ١٩٧٣ ٠

٤ ـ تقرير لجنة التحقيـــق الوزارية فى الوقائع والتصرفات الماسة بنزاهة الحكم فى عهد لوزارة النحاسية ٠ القاهرة ١٩٤٥ ٠

٥ ـ القضية المصرية ١٨٨٢ ـ ١٩٥٤ (الكتاب الابيض) المطـابع الاميرية القاهرة ١٩٤٥ ٠

٦ ـــ وثائق ونصوص فى تاريخ مصر الحديث والمعاصر اعداد : الدكتور عبد العزيز الشناوى ، جلال يحيى ، القاهرة ١٩٦٩ ٠

خامسا ـــ مقابلات شخصية :

١ ـــ لقـــاء مع فتحى رضـوان فى منزله بمصر الجـــديدة بتـــاريخ ١٩٨٢/٩/٨ ٠

٢ ـــ لقـــاء مع فؤاد سراج فى منزله بجـــــاردن سيتى بتـــاريخ ٨ ، ١٩٨٢/١١/١٢ ٠

٣ ـــ لقاء مع حسين الشافعى فى منزله بالدقى بتاريخ ١٩٨٣/٤/١١ ٠

٤ ـــ لقاء مع كامل زهير الصحفى بنقابة الصحافيين ١٩٨٣/٤/٤ ٠

سادسا ـــ مذكرات منشورة :

١ ـــ ابراهيم امام (رئيس البوليس السياسى) صحيفة الجمهورية يناير ١٩٥٦ ٠

٢ ـــ اسماعيل صدقى (مذكراتى) دار الهلال القاهرة ١٩٥٥ ٠

٣ ـــ أنور السادات : صفحات مجهولة ، كتب للجميع نوفمبر ١٩٥٤ القـــاهرة ٠

٤ ــ أنور السادات : البحث عن الذات القاهرة ١٩٧٨ الطبعة الثانية ٠
٥ ــ حسن البنا : مذكرات الدعوة والداعية ــ الطبعة الثالثة بيروت ١٩٧٤ ٠
٦ ــ حسن يوسف (وكيل الديوان الملكى) القصر ودوره فى السياسة المصرية ١٩٢٢ ــ ١٩٥٢ القاهرة ١٩٨٢ ٠
ــ صلاح الشاهد : ذكرياتى فى عهدين ٠ الطبعة الثانية القــاهرة ١٩٧٦ ٠
٨ ــ صليب سامى : ذكريات سياسية القاهرة ١٩٥٢ ٠
٩ ــ عبد الرحمن عزام : الجامعة العربية وعبد الرحمن عزام القــاهرة ١٩٨٢ ٠
١٠ــ عبد العــزيز : الثائر الصامت ٠ القاهرة ١٩٧٨ ٠
١١ ــ عبد الرحمن الرافعى : مذكراتى ٠ دار الهلال للقاهرة ١٩٥٤ ٠
١٢ ــ عبد اللطيف البغدادى (مذكراتى) جـ١ القاهرة ١٩٧٧ ٠
١٣ ــ كريم ثابت : أسرار السياسة المصرية ٠ صحيفة الجمهــورية يونيو ١٩٥٥ ٠
١٤ ــ كمال الدين رفعت : مذكرات كمال الدين رفعت ٠ القاهرة ١٩٦٨
١٥ ــ محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية جـ٢ القاهرة ١٩٥٣ ٠
١٦ ــ محمد نجيب (أول رئيس للجمهورية) كلمتى للتاريخ القاهرة ١٩٨١ ٠
١٧ ــ محمد التابعى : أسرار السياسة المصرية القاهرة ١٩٧٢ ٠
١٨ ــ محمد بهى الدين بركات : سبعون يوما فى وصاية العرش المصور ٢٩ يوليو ــ ١١ أغسطس ١٩٧٧ ٠
١٩ ــ مكرم عبيد (مذكراتى) صحيفة الكتلة أكتوبر ١٩٤٨ ٠
٢٠ ــ محمد زكى عبد القادر : أقدام على الطريق القاهرة ١٩٦٧ ٠

٢١ ــ ونستون تشرشل (مذكراتى) ترجمة محمد شلبى القاهرة ١٩٧٠

سابعا ــ المؤلفات والدراسات :

١ ــ أحمد طربين : الوحدة العربية ١٩١٦ ــ ١٩٤٥ القاهرة ١٩٥٧ ٠

٢ ــ أحمد مرتضى المراغى : غرائب من عهد فاروق بيروت ١٩٧٦ ٠

٣ ــ أحمد زكريا شلق : حزب الاحرار الدستوريين ١٩٢٢ ــ ١٩٥٣ القاهرة ١٩٨٢ ٠

٤ ــ أنور السادات : هذا عمك جمال يا ولدى القاهرة ١٩٥٥ ٠

٥ ــ ا٠ج٠ب تايلور : أصول الحرب العالمية الثانية ترجمة مصطفى خميس القاهرة ١٩٧١ ٠

٦ ــ جمال سليم : البوليس السياسى يحكم مصر ١٩١٠ ــ ١٩٥٢ القاهرة ١٩٧٥ ٠

٧ ــ جمال سليم : قراءات جديدة لحادث ٤ فبراير ١٩٤٢ القاهرة ١٩٧٥ ٠

٨ ــ جلال الدين الحمامصى : حوار وراء الاسوار الطبعة الرابعة القاهرة ١٩٧٦ ٠

٩ ــ جلال الدين المحامصى : معركة نزاهة الحكم فبراير ١٩٤٢ ــ يوليو ١٩٤٤ القاهرة ١٩٥٧ ٠

١٠ــ جورج : موجز تاريخ الشرق الاوسط ترجمة عمر الاسكندرانى القاهرة ١٩٥٧ ٠

١١ ــ جى ديبورين : الحرب العالمية الثانية من وجهة النظر السوفيتية ٠ ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى القاهرة ١٩٦٨ ٠

١٢ ــ جان ليجول : مصر والحرب العالمية الثانية ٠ ترجمة عبد الرحمن فهمى القاهرة ١٩٥٠ ٠

١٣ ــ رفعت السعيد : الصحافة اليسارية فى مصر ١٩٢٥ ــ ١٩٤٨ القاهرة ١٩٧٧ ٠

١٤ ــ رفعت السعيد : تاريخ المنظمات اليسارية فى مصر القـــاهرة ١٩٧٦ ٠

١٥ ــ رؤف عباس : الحركة العمالية فى مصر ١٨٩٩ ــ القاهرة ١٩٧٦

١٦ ــ زكريا سليمان بيــومى : الاخوان المسلمون والجمـــاعات الاسلامية ١٩٢٨ ١٩٤٨ القاهرة ١٩٧٩ ٠

١٧ ــ زكريا سليمان بيومى : الحـــزب الوطنى ودوره فى السياسة المصرية ١٩١٢ ــ ١٩٥٣ القاهرة ١٩٨١ ٠

١٨ شهدى عطية الشافعى : تطور الحركة الوطنية المصرية ١٩٨٢ ــ ١٩٥٦ القاهرة ١٩٥٧ ٠

١٩ ــ صبحى وحيدة : فى أصول المسألة المصرية ، القاهرة ١٩٥٠ ٠

٢٠ ــ صلاح العقاد : العرب والحرب العالمية الثانية القاهرة ١٩٦٦ ٠

٢١ ــ صلاح عيسى : محاكمة فؤاد سراج الدين ٠ القاهرة ١٩٨٢ ٠

٢٢ ــ عاصم الدسوقى : كبـــار ملاك الاراضى الزراعيـــة ودورهم فى المجتمع المصرى ١٩١٤ ــ ١٩٥٢ القاهرة ١٩٧٥ ٠

٢٣ ــ عاصم الدسوقى : مصر فى الحرب العـــالمية الثانية ١٩٣٩ ــ ١٩٤٥ ، القاهرة ١٩٧٦ ٠

٢٤ ــ عصم محروس عبد المطلب : دور الطلبة المصريين فى الحـــركة الوطنية ١٩١٩ ــ ١٩٥٢ دكتوراة غير منشورة ــ كلية الآداب جامعة القهرة ١٩٧٨ ٠

٢٥ ــ عبد الخالق لاشين : أضواء على مواقف وازارة على مهر دراسة بمجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية عدد (٢٤) ١٩٧٧

٢٦ ــ عبد الرحمن الرافعى : فى أعقاب الثورة المصرية ج٣ القـــاهرة ١٩٥١ ٠

٢٧ ــ عبد العزيز الرافعى : الديمقراطية والاحزاب السياسية فى مصر الحديثة والمعاصرة ١٨٧٥ ــ ١٩٥٢ القاهرة ١٩٧٧ ٠

٢٨ ـ عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية فى مصر ١٩٣٧ ـ ١٩٤٨ القاهرة ١٩٧٣ .

٢٩ ـ عبد العظيم رمضان : الصراع بين الوفد والعرش ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ بيروت ١٩٧٩ .

٣٠ ـ عبد العظيم رمضان : صراع الطبقات فى مصر ١٩٣٧ ـ ١٩٥٢ بيروت ١٩٧٨ .

٣١ ـ على شلبى : مصر الفتاة ودورها فى المجتمع ١٩٣٧ ـ ١٩٤٤ القاهرة ١٩٨٢ .

٣٢ ـ على شلبى ، مصطفى النحاس جبر ، الانقلابات الدستورية فى مصر ١٩٣١ ـ ١٩٣٦ القاهرة ١٩٨١ .

٣٣ ـ كريم ثابت : الملك فاروق ملك النهضة القاهرة ١٩٤٤ .

٣٤ ـ كمال عبد الرؤف : الدبابات حول القصر (بدون تاريخ) القاهرة .

٣٥ ـ لطفى عثمان : المحاكمة الكبرى فى قضية الاغتيالات السياسية القاهرة ١٩٤٨ .

٣٦ ـ لوكاز هيرزويز : ألمانيا الهتلرية والمشرق العربى ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى القاهرة ١٩٦٨ .

٣٧ ـ مارسيل كولب : تطور مصر ١٩٢٤ ـ ١٩٥٠ ترجمة زهير الشايب القاهرة ١٩٧٢ .

٣٨ ـ مجيد خدورى : عرب معاصرون . بيروت ١٩٧٣ .

٣٩ ـ محسن محمد : التاريخ السرى لمصر ، القاهرة ١٩٧٣ .

٤٠ ـ محسن محمد : عندما يموت الملك القاهرة ١٩٨٠ .

٤١ ـ محمد أنيس : ٤ فبراير فى تاريخ مصر السياسى القاهرة ١٩٧٢ .

٤٢ ـ محمد بهى الدين بركات : صفحات من التاريخ القاهرة ١٩٦١ .

٤٣ ـ محمد جمال المسدى ، يونان لبيب ، عبد العظيم رمضان ، مصر والحرب العالمية الثانية . القاهرة ١٩٧٨ .

٤٤ ــ محمــد حسنين هيكل : عبد الناصر والعــالم ، بيروت ١٩٧٢ الطبعة الثانية ٠

٤٥ ــ محمد زكى عبد القادر : محنة الدستور ، القاهرة ١٩٥٥ ٠

٤٦ ــ محمد فريد حشيشى : حزب الوفد ١٩٣٦ ــ ١٩٥٢ ماجستير غير منشوررة آداب عين شمس ١٩٧٠ ٠

٤٧ ــ محمد رشدى : التطور الاقتصادى فى مصر جـ٢ القاهرة ١٩٧٢ ٠

٤٨ ــ محمد عبد الرحمن برج : عزيز المصرى والحركة الوطنية المصرية القاهرة ١٩٨٠ ٠

٤٩ ــ محمد صبيح : كفاح شعب مصر القاهرة ١٩٦٦ ٠

٥١ ــ محمود سليمان غنام : المعاهدة المصرية الانجليزية ، دراستها من الوجهة العملية ٠ القاهرة ١٩٣٦ ٠

٥٣ ــ محمود متولى : تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى خلال الحرب العالمية الثانية القاهرة ١٩٧٧ ٠

٥٤ ــ مفيد محمود شهاب : المنامظت الدولية الطبعة الثالثة القــاهرة ١٩٧٦ ٠

٥٥ ــ يونان لبيب رزق : قضية وحدة وادى النيل بين لاوحدة وتغيير الواقع الاستعمارى ١٩٣٦ ــ ١٩٤٦ القاهرة ١٩٧٥ ٠

٥٦ ــ يونان لبيب رزق : السودان فى المفاوضات المصرية البريطــانية ١٩٣٠ ــ ١٩٣٦ القاهرة ١٩٧٤ ٠

٥٧ ــ يونان لبيب رزق : تاريخ الوزارات المصرية ١٩٣٨ ــ ١٩٥٣ القاهرة ١٩٧٥ ٠

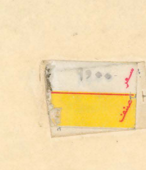
٥٨ ــ يونان لبيب رزق : الوفد والكتاب الاسود القاهرة ١٩٧٨ ٠

٥٩ ــ يونان لبيب رزق : الاحزاب المصرية قبل ثورة ١٩٥٢ القاهرة ١٩٧٧ ٠

ثامنا ــ الدوريات :

١ ــ الاهرام ١٩٣٦ ــ ١٩٤٥ ٠
٢ ــ السياسة ١٩٣٦ ــ ١٩٤٥ (يومية وأسبوعية) ٠
٣ ــ أخبار اليوم ١٩٤٤ ــ ١٩٤٥ ٠
٤ ــ ابن مصر ١٩٤٣ ٠
٦ ــ الوقائع المصرية ١٩٣٦ ــ ١٩٤٥ ٠
٧ ــ البلاغ ١٩٣٦ ــ ١٩٣٨ ٠
٨ ــ الدستور ١٩٣٨ ــ ١٩٤٥ ٠
٩ ــ الوفد المصرى ١٩٣٧ ــ ١٩٤٥ ٠
١٠ ــ الشعب ١٩٨٢ ٠
١١ ــ المصرى ١٩٣٦ ــ ١٩٤٥ ٠
١٢ ــ الجمهورية يونية ــ يولية ١٩٥٥ ، يناير ١٩٥٦ ٠
١٣ ــ الاخوان المسلمون ١٩٤٢ ــ ١٩٤٥ ٠
١٣ الاخوان المسلمون ١٩٤٢ ــ ١٩٤٥ ٠
١٤ ــ آخر ساعة المصورة ١٩٣٨ ــ ١٩٤٤ ٠
١٥ ــ روز اليوسف ١٩٣٨ ــ ١٩٤٥ ٠
١٦ ــ الكتلة ١٩٤٣ ــ ١٩٤٥ ٠
١٧ ــ مصر الفتاة ١٩٣٨ ــ ١٩٣٩ ٠
١٨ ــ المصور ١٩٤١ ــ ١٩٤٣ ٠
١٩ ــ النذير ١٩٣٨ ــ ١٩٣٩ ٠

الفهـــــرس


سعر